الجمـــهـــورية الجزائـــرية الديمـقراطـــية الشـــعبيـــة

وزارة التعـــليم العالي والبحـــث العلـــمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

رقم التسجيل:..............

الرقم التسلسلي:..........

الـــــعـــنـــــوان

فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: عزالدين معزة

تحت إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الكريم بوصفصاف

تاريخ المناقشة: 16 فيفري 2005

أعضاء لجنة المناقشة:

	الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
1	عبد الرحيم سكفالي	أ. التعليم العالي	رئيسا	جامعة منتوري
2	عبد الكريم بوصفصاف	أ. التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة منتوري
3	أحمد صاري	أ. التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر
4	جمعي الخمري	أ. مـحـاضـــر	عضوا مناقشا	جامعة منتوري

السنة الجامعية: 1425 - 1426 هـ / 2004- 2005 م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

تعالج هذه الدراسة موضوعا هاما من موضوعات التراجم، وأعمال الشخصيات الفاعلة في حياة المجتمع السياسية، والاجتماعية، والثقافية، ألا وهي شخصية فرحات عباس، ودوره في الحركة الوطنية، والثورة التحريرية، ومرحلة الاستقلال، وهي دراسة ستلقي الضوء على جوانب مهمة من تاريخ الجزائر المعاصر.

إلى جانب دراسة وتحليل أعمال هذه الشخصية البارزة في مسيرة الجزائر الحديثة، وهو نموذج متميز من المثقفين بثقافة فرنسية في الجزائر، والذي ينحدر من عائلة ريفية فلاحية متواضعة بمنطقة جبلية منعزلة وفقيرة بجبال جيجل الساحلية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتبع مسيرة الفكر السياسي لفرحات عباس، والوقوف على أهم العوامل أو الأسباب الموجهة لهذا الفكر، الذي يمثل التيار الليبرالي بأوسع معانيه في الجزائر.

وقد وقف موقفا متميزا بين التيارات السياسية والإصلاحية الجزائرية، فلم يكن متطرفا في الوطنية مثل نجم شمال إفريقيا، وحزب الشعب الجزائري، ولا متوقفا عند رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- ألا وهو المطالبة بجمهورية جزائرية متحدة مع فرنسا-

لقد فتح مترجمنا عينيه على معاناة الشعب الجزائري الذي كان يئن تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، والذي يعد من أقوى وأبشع الاحتلالات الاستيطانية في العالم.

لم يكن لفرحات عباس في بداية نشاطه السياسي أية قوة يجابه بها ظلمات الاحتلال، سوى قوة واحدة وهي ثقافته التي استمدها من الثقافة الفرنسية ذاتها وهي ثقافة الأنوار الليبرالية والديمقراطية. لقد تأثر كثيرا بمبادئ الثورة الفرنسية 1789 الحاملة لمبادئ الحرية والمساواة والإخاء، ولطالما حلم بتطبيقها في الجزائر، ولكن ذلك ظل مجرد سراب باقعة، فبدا لمعاصريه كأنه رجل مثالي يحلم بمجتمع طوباوي.

ولكنه أدرك بعد أحداث عالمية ووطنية أن الأفكار التي حاول تطبيقها لم تعد صالحة لزمانه، أو تساير الحركية التاريخية، فلا المحتلون حاولوا تطبيقها، ولا الشعب الجزائري المسلم حقق مبتغاه منها، لذلك كان لزاما عليه أن يتطور مع الأحداث أو يصبح على هامش العصر، وتماشيا مع مسيرة التاريخ، والأوضاع الداخلية والخارجية، دعا إلى رفض سياسة الاندماج بصفة مطلقة ونهائية، لأن الزمن تجاوز تلك المطالب، وأصبح الشعب الجزائري في الأربعينات أكثر وعيا مما كان عليه خلال الثلاثينات من القرن العشرين، بفعل المؤثرات الجديدة التي فرضت نفسها نتيجة للتطورات العالمية بفعل الحرب الكونية الثانية، فلجأ فرحات عباس إلى مطلب إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا،

وعمل بكل ما يملك من قوة على تحقيق هذا المطلب، داعيا إلى تأسيس جزائر جديدة يتعايش فيها الجزائريون المسلمون، والأوروبيون، واليهود بكل احترام، ومساواة، وتكافؤ الفرص للجميع بدون تمييز عرقي أو ديني أو لغوي، أي جزائر تتسع لجميع سكانها، ولن يكون هذا في نظره إلا بعد إلغاء مفهوم الاحتلال نهائيا، إلا أن مشروعه هذا اصطدم بصخرة الواقع الصلبة، أمام محتلين أعماهم تفوقهم المادي على شعب مسلم استضعفوه، ورفضوا تحقيق أدنى مطالب الحركة الوطنية، فلم ينصتوا لا لصوت العقل، ولا استطاعوا مسايرة التطورات الجديدة. ويمكن القول أن فكر المحتلين في الجزائر بقي جامدا منذ 1830، وبالعكس من ذلك نرى تطور الفكر السياسي الوطني الجزائري.

وباندلاع الثورة التحريرية الجزائرية المعبرة تعبيرا حقيقيا عن رغبة الشعب الجزائري في تخليص الجزائر من ربقة الاحتلال الفرنسي، آمن فرحات عباس الرجل السياسي الداعي إلى رفض العنف وحل المشاكل سلميا، بعدالة الثورة، متهما خصومه المحتلين بعدم قدرتهم على تحليل الأوضاع التي سادت الجزائر بعد الحرب الكونية الثانية تحليلا منطقيا، فتهورهم وتجبرهم وقساوتهم تجاه الشعب الجزائري المسلم كل ذلك أدى إلى اندلاع الثورة، فالمحتلون في نظره يعيشون من غير عقل، وهم عبارة عن أجهزة هضم فقط لالتهام كل ثروات الجزائر بنَهَم.

و أمام هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، وجد فرحات عباس نفسه في موقف حرج، فإما أن ينخرط في الحركة التحررية الثورية التي لجأت إليها جبهة التحرير الوطني، وإما أن يصبح على هامش التاريخ، كداعي لأفكار طوباوية، تأبى أرض الواقع قبولها وإخصابها، ولكن هذا الرجل المسالم عرف كيف يلامس بفكره النير روح الشعب الجزائري، و الإنصات إلى نبض الجماهير بضمير يقظ، وفكر واع متفتح على الواقع، وما يفرضه من تحولات، فهو لم يكن من ذوي طالبي العظمة و الزعامة والسلطان على حساب أبناء شعبه من المقهورين والمنبوذين، وإنما أراد طوال حياته أن يكون واحدا منهم ينطق بلسان حالهم، ويطمح لتحقيق آمالهم، ويندمج معهم اندماجا كليا في الحركة التحررية الثورية، عاملا بكل ما في وسعه من أجل إزالة ليل الاحتلال و الظلم والقهر.

وفي جزائر الاستقلال ورئاسته لأول مجلس وطني تأسيسي (البرلمان) رفض الوقوف إلى جانب المغامرين الباحثين عن الزعامة والأمجاد الشخصية على حساب آلام الشعب الجزائري، ليختار الوقوف إلى جانب الجزائر وليس إلى جانب الأشخاص، مضحيا بمصالحه الشخصية، و بالإمتيازات الواسعة التي منحت له كشخص مسؤول سامي في الدولة الجزائرية، فجعل مصالحه الشخصية جزءا لا يتجزأ من مصالح الشعب الجزائري، وفي خدمة الجزائر كلها، وما كان جزاؤه من تقديم استقالته، و انتقاده لنظام ابن بلة، إلا فصله من جبهة التحرير الوطني، وتعرضه لعقوبة شديدة بالرغم من كبر سنه، وما قدمه للجزائر، فالمغامرون لا يقدرون جهد الأشخاص في سبيل الوطن، وإنما الوطن هو ما يتعلق بمصلحتهم الشخصية فقط، و لم يعد يذكر فرحات عباس في جزائر الاستقلال إلا بمثالبه في الثلاثينات، و إهمال مناقبه خلال الثورة التحريرية، بل أصبح من المغضوب عليهم، وأدخل ظلما في ثقافة النسيان.

عاش مرحلة الاستقلال بعد تقديم استقالته من رئاسة المجلس الوطني التأسيسي منعزلا عن السياسة، و لم يؤخذ لا برأيه ولا بتجاربه، وحينما سمح له بإعطاء رأيه حول الميثاق الوطني سنة 1976، أغضب رأيه السلطة الحاكمـــة في ذلك الوقت، فوضع تحت الإقامة الجبرية في منـــزله بالقبة القديمة بـــ (الجزائر العاصمة).

كان فرحات عباس دائما يعتبر حرية الرأي جزءا لا يتجزأ من كرامة الإنسان، فقد بقي متمســكا بفكـــرة الديمقراطية والثقافة الليبرالية التي تلغي الولاء للأشخاص، فالولاء في نظره لا يكون إلا للوطن.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب عديدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع من أهمها:

الدافع الأول: إن قرابتي لفرحات عباس ومعرفتي الشخصية به، واتصالاتي المتكررة به في منـــزله، أثناء أدائي الخدمة الوطنية في الجزائر العاصمة سنتي 1980 و 1981، وما لمست فيه من أخلاق نبيلة، وتواضع كبير، ما كنـــت أعتقد أبدا أن أجد شخصا مثل فرحات عباس بذلك التواضع، والأدب الرفيع وحسن الإصغاء، وقبول الرأي الآخر، وتسامح كبير، مما شدني للمزيد أكثر من معرفته عن قرب، وتصحيح ما علق في ذهني وأسماعي من أفكار، وأكاذيب، وزور ما كانت لتناقش أو تجادل في تلك الفترة حول شخصية عمومية كفرحات عباس.

أما الدافع الثاني: فيتمثل في البحث عن الحقيقة، والحياد الموضوعي، لمعرفة هذه الشخصية، وإعطائهـــا مـــا تستحقه بما لها وما عليها، بالكشف عن نضالها خلال الحركة الوطنية، والثورة التحريرية الكبرى.

و الدافع الثالث: هو الرغبة في الإطلاع على أساليب النضال التي استعملها فرحات عباس للوقوف في وجه المحتلين، ووضع حد للظلم والقهر، وتحقيق التحرر الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للجزائريين المسلمين خلال بداية نضاله السياسي.

أما الدافع الرابع: فهو الرغبة في دراسة الأساليب التي اقترحها لإمكانية تكوين مجتمعين متعايشين(مجتمـــع أصيل، ومجتمع غازي) من خلال بيان 10 فيفري 1943 وملحقه، بعد إلغاء الاحتلال نهائيا، وبعث جزائر جديـــدة بمختلف عناصرها السكانية من حيث الأصل، والدين، واللغة.

و الدافع الخامس: معرفة الأسباب الحقيقية التي جعلته ينضم إلى الثورة التحريرية الكبرى مؤيـــدا في ذلـــك الأسلوب الثوري للوصول إلى تحرير الجزائر من الاحتلال.

أما الدافع السادس: فهو معرفة أساب تقديم استقالته من رئاسة المجلس التأسيسي الوطني الجزائري، وانتقاده للسلطة الحاكمة آنذاك، معرضا بذلك مصالحه الشخصية وعائلته للخطر.

فلهذه الأسباب الموضوعية في نظري قررت اختيار هذا الموضوع آملا أن أساهم في إضافة لبنـــة جديـــدة إلى الأعمال التي أنجزت حول تاريخ هذه الشخصية، ودورها في مسيرة الجزائر الجديدة.

وقد وجدت في شخصية أستاذي الفاضل أطال الله عمره الأستاذ الكريم الدكتور عبد الكـــريم بوصفصـــاف الذي شرفني بإشرافه على هذه الرسالة كل التشجيع والتوجيه باعثا فـــيَّ روح الأمل، ومحببـــا لي طريـــق البحـــث الأكاديمي، وكنت كلما أحس بالقلق والتوتر ألجأ إليه لأجد عنده كل التشجيع لي، والحقيقة أن الفضل الكبير في إنجاز هذه الرسالة يرجع إلى كرمه وعطفه، ونصائحه التي لم يبخل يوما بها علي، بالرغم من كثرة انشغالاته العلمية.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذه الرسالة في البحث عن معرفة التيار الوسطي – الاعتدالي – للحركة الوطنيـــة الجزائريـــة المتأثر بفلسفلة الأنوار التي حولت فرنسا الرجعية الدكتاتورية إلى فرنسا الليبرالية الديمقراطية، وهذا التحول الهام اعتمد بالدرجة الأولى و الأساسية على الفكر وتنوير العقول وإيقاظها من سباتها وجعلها متفاعلة في مجتمعها.

هذا الفكر حمله فرحات عباس بعمق، وأراد تطبيقه على أرض الجزائر فلا المحتلون قبلوه، ولا الشعب الجزائري الخاضع للاحتلال والفقر والجهل فهم كنهه، وسار وراء فرحات عباس من أجل تحقيق مشروعه السياسي الهادف إلى تحرر الإنسان الجزائري المسلم، ما عدا مجموعة من المثقفين الجزائريين المسلمين سايروه في آرائه، وبعض البرجوازيين.

فالفكر الاعتدالي يتطلب وجود فئة مثقفة واعية تربط بين الحكام وعامة الشعب، أو هو كالطبقة المتوسطة في النظام الليبرالي، فوجودها ضروري لسير المجتمع نحو الأفضل، والتقليل من ضغط الحكام على الفئات الشعبية الضعيفة، فالفكر المتطرف الذي رفضه فرحات عباس يؤدي إلى إقصاء الأخر، مما يتولد عنه التطرف.

فالتيار الاعتدالي الوسطي (الليبرالي) الذي تزعمه فرحات عباس كان ضروريا في تلك الفترة للـــربط بـــين حزب الشعب الجزائري المتجذر في مطالبه بدعوته للاستقلال مباشرة، وبين علماء يدعون إلى الإصلاح عن طريـــق الدعوة إلى التعليم، والمحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية.

فالتجذر في المطالب أدى إلى قيام الثورة التحريرية الكبرى، ورضي به فرحات عباس وسار مع هـــذا التيـــار الثوري، بعد أن استنفذ مشروع الثورة بالقانون.

أما أن يستمر ذلك التطرف إلى ما بعد الاستقلال وإقصاء الفكر الحر المعتدل فتلك أمور كانـــت نتائجهـــا خطيرة على الأمة الجزائرية، وهذا ما وقعت فيه جبهة التحرير الوطني بعد الاستقلال، والنظام التنفيذي، وكان مـــن نتيجة ذلك قيام انتفاضة 5 أكتوبر 1988، وكان بالإمكان تجنب كل هذه الأحداث والخطوب التي ألمت بـــالمجتمع الجزائري في العقدين الأخيرين، لو سمح للأخر بإبداء رأيه بكل حرية في بناء جزائر تتسع لجميع أبنائها برغم اختلافاتهم

الفكرية، والسير على النهج الديمقراطي الليبرالي، الذي دعا إليه فرحات عباس.

فاختلاف الرأي عنده جزء لا يتجزأ من الحرية، وبالتالي كرامة الإنسان، فالحرية عنده هو أن تكون حرا في اختيارك، وآرائك المنطقية والبناءة التي لا تهدف إلى إقصاء الآخر، وتسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، التي تؤدي بدورها إلى تكوين أمة متطورة وقوية بفعل تضافر جهود الجميع.

وسأحاول من خلال هذه الرسالة أن أجيب عن جملة من التساؤلات ما يزال بعضها غامضا وأهمها:

أولا: إلى أي مدى يمكن اعتبار فكر فرحات عباس فكرا سياسيا وطنيا قادرا على إحداث التغيير والتطوير، وتكوين أمة جزائرية ديمقراطية اجتماعية، ولتجنب ظهور التيار المتطرف، وحتى إن ظهر فيكون تأثيره ضعيفا جدا.

ثانيا: هل يمكن اعتبار فرحات عباس من المفكرين الجزائريين العالميين أمثال الشيخ ابن باديس، ومالك بن نبي، أم أنه مجرد رجل سياسي ميداني، تحركه الأحداث، ويسكته الهدوء ؟

ثالثا: كيف يمكن التمييز بين شخصية فرحات عباس الإصلاحية والثورية ؟

المناهج المتبعة في البحث:

قد اعتمدت منهجين أساسيين في هذه الدراسة :

فالمنهج الأول: وهو المنهج التاريخي الوصفي، وقد طبقته في رصد الأحداث، وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا، ووصفها حسب كل مرحلة من المراحل الواردة في خطة الرسالة.

أما المنهج الثاني: فهو المنهج التحليلي النقدي، وقد سلكته في دراسة وتحليل ونقد النصوص المعتمدة في البحث من مصادرها الأساسية، أو من المراجع التي كتبت عن حياة السيد فرحات عباس، بهدف استنتاج الحقائق العلمية بكل صدق، آملا في المساهمة في بناء منظومة تاريخية وطنية بعيدة عن التحريف والتزييف، وتهدف إلى الاستفادة من الجوانب الإيجابية في تاريخنا الوطني وتفعيلها، وتجنب السلبيات منها بعد دراستها، وتحليليها، ونقدها، وتبيان خطورتها على أمتنا الجزائرية، وبذلك نكون على الأقل قد ساهمنا ولو بشيء متواضع في رسم مستقبلنا.

صعوبات البحث:

لا يخلو أي بحث موضوعي جاد ونزيه وهادف من الصعوبات، فهي عديدة منها نقص الوثائق، والتي تعد أهم مصدر لكتابة بحث أكاديمي، فمعظم وثائقنا موجودة في أرشيف فرنسا، وخاصة وثائق الثورة التحريرية التي حملتها

معها فرنسا بعد استقلال الجزائر، أما أرشيف جبهة التحرير الوطني خلال الثورة فإن معظمه ما زال لم يتحرر بعد، ولذلك يجد الباحث في هذا الموضوع نفسه مضطرا في معظم الأحيان إلى الرجوع إلى الكتب بدل الوثائق ممـــا يجعله غير مقتنع تمام الإقتناع بما وصل إليه من حقائق.

ولقد طلبت من أستاذي الكريم الدكتور عبد الكريم بوصفصاف أن يعفيني من مرحلة الثورة، ولكنه أصر على ذلك مقدما إلي بكل إخلاص وصدق كل التشجيع، قائلا لي: " إن النضال السياسي لفرحات عباس لم ينته في سنة 1954، وإنما تواصل وبحضور قوي حتى استرجاع الاستقلال الوطني. "

أما الصعوبة الأخرى التي واجهتني خلال إعدادي هذا البحث تتمثل في أن أغلبية المصادر والوثائق التي لجأت إليها محررة باللغة الأجنبية فكان لزاما علي أن أقوم بقرائتها وترجمتها إلى اللغة العربية، وقد استغرق ذلك وقتا طـــويلا نوعا ما من أجل إنجاز هذا العمل.

وقد وجدت كذلك صعوبة أخرى، تمثلت في مشكل اختصار مسيرة فرحات عباس التي دامت أكثر من ستين سنة من النضال السياسي، فالاختصار أحيانا لا يوضح بشكل جيد بعض الأفكار.

التعريف بأهم مصادر ومراجع البحث:

المصادر الأساسية التي اعتمدتها في بحثي هذا تتمثل في ما كتبه فرحات عباس سواء كتبه أو مقالاته في الجرائد أو رسائله وهي:

أ) الجرائد والرسائل:

جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي (L’ entente franco- musulmane) وهي الجريدة التي كان يكتب فيها فرحات عباس مقالات له مدافعا عن سياسة الاندماج، وبيان 10 فيفري 1943 وملحقه، والذي يعتبر نقطة تحول هامة في الفكر السياسي لفرحات عباس، وتخليه نهائيا عن سياسة الاندماج ومطالبته بإقامة جمهورية جزائرية، ووصيته السياسية التي نشرها شارل روبير أجيرون في المجلة الفرنسية التاريخية لما وراء البحر، ونجد فيها العمق الفكري السياسي لفرحات عباس، وموقفه من قضايا الاحتلال، ووضعية الجزائريين المسلمين الاجتماعيـــة والاقتصـــادية والسياســـية، ومداخلاته في بعض المجالس النيابية سواء في ولاية قسنطينة أو الجزائر العاصمة أو باريس، وبعض الرسائل التي أرسلها إلى أصدقائه خلال فترة الأربعينات.

ب) الكتب:

- ***الشاب الجزائري (Le jeune Algérien):*** وهو كتاب جمع فيه فرحات عباس المقالات التي كتبـــها في العشرينات، وهي ضرورية لمعرفة بداية نضاله السياسي.

- *ليل الاستعمار (La nuit coloniale):* هذا الكتاب عبارة عن مذكرات كتبها بعد خلعه من رئاسة الحكومة المؤقتة وانتقاله إلى المغرب، وفيه عاد إلى ماضيه، حيث كتب عن أهم المراحل التي مر بها نضاله، ومحاولا إعطاء تفسير لتاريخ الجزائر، ومركزا بعض الشيء على فترة الاحتلال والثورة التحريرية

- *تشريح حرب (L' Autopsie d' une guerre):* هذا الكتاب نشره في سنة 1980 ويتعرض فيه إلى الثورة الجزائرية والأحداث الهامة التي مرت بها بلادنا من تضحيات جسام قدمها شعبنا من أجل استقلاله، وبعض الأخطاء التي ارتكبتها الثورة في رأيه.

- *الاستقلال المصادر (L' indépendance confisquée):* هذا الكتاب نشره قبل وفاته بسنة واحدة فقط، وهو كتاب خصصه لنقد سياسة الرئيسين أحمد بن بلة، و هواري بومدين، وأثر سياستهما على الجزائر المستقلة.

إلى جانب هذه المصادر الأساسية، اعتمدت كذلك في كتابة رسالتي هذه على مصادر ثانوية تناولت مرحلة من البحث تتمثل في:

-*كتاب الحركة الثورية في الجزائر*،من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة : لأحمد مهساس، هذا الكتاب تعرض فيه صاحبه إلى الحركة الوطنية وتطورها وصولا إلى بداية الثورة التحريرية، وقد استفدت منه خاصة فيما يخص علاقة حزب الشعب بالحركات الوطنية الأخرى.

-*كتاب مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري*: وهو كتاب هام لمعرفة بداية الصراع بين القادة منذ مؤتمر طرابلس، حيث كان علي كافي من أحد الوجوه الحاضرة في هذا المؤتمر.

-*مذكرات اللواء خالد نزار*: استفدت منه في إطلاعي على صراع صائفة 1962، حيث كان خالد نزار أحد أطراف الصراع.

-*كتاب الجزائر في إيفيان، تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962* *L' Algérie à Evian, histoire des négociation secrètes 1956-1962)*: لمؤلفه رضا مالك، وهو كتاب هام حيث كان صاحبه شاهدا ومفاوضا في اتفاقيات إيفيان، يتعرض فيه إلى بداية المفاوضات بين جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة، وقد استفدت منه في معرفة موقف فرحات عباس من المفاوضات.

- *وكتاب أصول أول نوفمبر 1954 (Les origines de 1er novembre 1954)*: لمؤلفه بن يوسف بن خدة، واطلعت فيه على بعض الأحداث الهامة التي مرت بها ثورتنا، حيث تعرض إليها ابن يوسف بن خدة، وكان شاهدا على بعض أحداثها.

guerre mondialeأما أهم مراجع البحث التي اعتمدت عليها فهي:

- *كتاب فرحات عباس جزائر أخرى (Ferhat Abbas une autre Algérie)*: لمؤلفيه بنيامين سطورا و زكية داود هذا الكتاب تتبع فيه المؤلفان حياة فرحات عباس ونضاله السياسي عبر كل المراحل، وقد استفدت منه في الإطلاع على بعض الجوانب من نضال فرحات عباس.

والمجلة التاريخية المغربية الصادرة بتونس لرئيسها عبد الجليل التيميمي، عدد 4 لشهر جويلية 1975، ومقال شارل روبير أجيرون فيها بعنوان " فرحات عباس، والتطور السياسي للجزائر المسلمة خلال الحرب الكونية الثانية"، (Ferhat Abbas et l'évolution politique de l'Algérie musulmane pendant la deuxième) ، وهذا المقال مهم في التعرف على التطور السياسي لفرحات عباس خلال الحرب العالمية الثانية، وقد اعتمدت عليه لمعرفة الأسباب التي جعلت فرحات عباس يتحول من مطالب بالاندماج إلى مطالب بإقامة جمهورية جزائرية.

وكتاب (Les Algériens musulmans et la France : 1871-1919) " الجزائريون المسلمون وفرنسا: 1871 - 1919 لمؤلفه: شارل روبير أجيرون ودرس فيه السياسة العامة للاحتلال الفرنسي للجزائر من 1871 إلى 1919، وأثرها على الجزائريين المسلمين من جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وقد استفدت منه في معرفة انعكاسات سياسة الاحتلال الفرنسي على الجزائريين في مطالع القرن العشرين.

- *وكتاب الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945*: لمؤلفه أبو القاسم سعد الله هذا الكتاب استفدت منه في معرفة اتجاهات الحركة الوطنية، وخاصة المؤتمر الإسلامي الأول وأحداث 8 ماي 1945، وموقف فرحات عباس من تلك الأحداث.

-*كتاب فرحات عباس رجل الجمهورية*: لمؤلفه حميد عبد القادر، وهذا الكتاب تتبع فيه مؤلفه حياة فرحات عباس ونضاله السياسي، واستفدت منه في الإطلاع على نضال فرحات عباس.

تنبيهات ومصطلحات الرسالة: أود أن أنبه القارئ الكريم أن المذكرة ورد فيها أحيانا بعض الرموز بالفرنسية والعربية، وهي:

1. بالعربية

- إ. د. ب. ج: الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.
- ح. إ. ح. د: حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.
- ح. ش. ج: الحزب الشيوعي الجزائري.
- ج. ت. و: جبهة التحرير الوطني.
- ح. م. ج.ج: الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

2. بالفرنسية

A.W.C : Archives de la Wilaya de Constantine.
F.E.M : Fédération des Elus musulmans.
R.H.M : Revue d'histoire Maghrébine.
U.P.A : union de peuple Algérien.
U.D.M.A : Union Démocratique du Manifeste Algérien.

خطة الرسالة:

تتكون هذه الرسالة من مقدمة، وسبعة فصول، وتحتوى على 33 مبحثا، وخاتمة، وملاحق، و ببليوغرافيا، وفهارس متنوعة.

الفصل الأول: بيئة فرحات عباس، وقسمته إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: البيئة السياسية، ويتناول الأوضاع السياسية التي سادت في الجزائر في مطالع القرن العشرين، وظهور النخبة الجزائرية، وتأثيرها على الفكر السياسي للجزائريين المسلمين.

أما المبحث الثاني: البيئة الاقتصادية، فيدرس الأوضاع الاقتصادية في الجزائر في مطالع القرن العشرين، وتأثير السياسة الاقتصادية للاحتلال على الجزائريين المسلمين.

و المبحث الثالث: البيئة الاجتماعية، يتعرض للفئات الاجتماعية التي كانت موجودة في الجزائر في مطالع القرن العشرين مع التركيز على الجزائريين المسلمين من حيث تركيباتهم الاجتماعية والمهنية و العمرية وأثر الاحتلال على ذلك.

و المبحث الرابع: البيئة الثقافية، فقد خصصته للأوضاع الثقافية الناتجة عن الاحتلال الفرنسي وتأثير ذلك على الفكر الديني، والعلمي أو بمعنى أدق على الشخصية الوطنية الجزائرية.

الفصل الثاني: الحياة والآثار، وقسمته إلى خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: المولد والنشأة، تعرضت فيه لمولد ونشأة فرحات عباس، وأصل عائلته ومنطقتها.

و المبحث الثاني: تكوينه الاجتماعي، درست فيه الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها فرحات عباس، ومدى تأثير ذلك على تكوينه الفكري.

أما المبحث الثالث: تكوينه الثقافي، تناولت فيه العوامل الثقافية التي ساهمت في تكوين شخصية فرحات عباس من خلال إطلاعه على فلسفة الأنوار التي ظهرت في فرنسا خلال 18 الميلادي، وأدت إلى قيام الثورة الفرنسية 1789.

أما المبحث الرابع: تكوينه السياسي، تتبعت في هذا المبحث العناصر الأساسية التي ساهمت في تكوين فكره السياسي وتأثره بالأمير خالد، حيث قام بحمل رايته مناديا في بداية نضاله السياسي بالاندماج والمساواة بين المحتلين والجزائريين المسلمين، وحينما فشلت سياسته هذه انتقل إلى المطالبة بجمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا ولكنه بقي دائما مرتبطا بالشعب الجزائري فحينما اقتنع بالعمل الثوري التحرري من أجل تحرير الجزائر، انضم إلى الثورة.

و المبحث الخامس: أعماله الفكرية، تعرضت فيه لمؤلفات فرحات عباس الفكرية ومقالاته السياسية في الجرائد والبيانات وغيرها، وهذا المبحث يعطينا فكرة واضحة عن العمق الفكري الثقافي والسياسي لفرحات عباس.

الفصل الثالث: آراؤه السياسية في الربع الأول من القرن العشرين، وقسمته إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: عودته من الخدمة العسكرية، تناولت فيه مسيرته في الخدمة العسكرية، ورأيه فيها.

المبحث الثاني: رأيه في التجنس، درست فيه موقفه من التجنس الفردي الذي منحته إدارة الاحتلال لمجموعة من الجزائريين وفق شروط نستطيع أن نقول عنها أنها تعجيزية.

المبحث الثالث : موقفه من الاحتفالات الفرنسية بمرور مئة عام على احتلال الجزائر، تناولت في هذا المبحث احتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر، وموقف فرحات عباس الرافض لها، حيث اعتبرها إهانة للشعب الجزائري، ورفض إلقاء كلمة بهذه المناسبة عندما طلبت منه إدارة الاحتلال ذلك.

الفصل الرابع: مواقفه السياسية خلال الثلاثينات، وقسمته إلى سبعة مباحث وهي:

المبحث الأول: آراؤه السياسية خلال الثلاثينات، تعرضت فيه إلى المواقف السياسية لفرحات عباس خلال فترة الثلاثينات، حيث كان زعيم دعاة الاندماجيين.

و المبحث الثاني: الوظائف السياسية، تتبعت فيه المناصب السياسية التي مارسها فرحات عباس خلال فترة الاحتلال وأثناء الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال.

أما المبحث الثالث: *دوره في المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول*، وموقفه من جمع شمل الجزائريين في هذا المؤتمر، ومشاركته في الوفد الذي سافر إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر الإسلامي.

المبحث الرابع: موقفه من رفض مشروع بلوم – فيوليت، تعرضت في هذا المبحث لمشروع بلوم-فيوليت، والأهداف التي كان ينتظرها الاحتلال منه، وموقف فرحات عباس من رفض ذلك المشروع.

المبحث الخامس: موقفه من العلماء وحزب الشعب الجزائري، تناولت فيه موقف فرحات عباس من العلماء ومطالبهم، و اقترابه منهم في الدفاع عن الشخصية الوطنية الجزائرية وابتعاده عنهم في مطالبته بسياسة الاندماج التي

رفضها العلماء، واختلافه مع مطالب حزب الشعب الجزائري ومبرراته في ذلك.

المبحث السادس: يدرس هذا المبحث تأسيسه لحزب " إتحاد الشعب الجزائري "، ونشاطه عبر التراب الوطني من أجل تنصيب هياكل حزبه، و الإيديولوجيا التي كان يحملها.

أما المبحث السابع: فرحات عباس والحرب الكونية الثانية، يتناول هذا المبحث موقفه من الحرب الكونية الثانية، وتطوعه إلى جانب فرنسا مدافعا في نظره عن الديمقراطية والحرية، لأن سقوط فرنسا معناه انتصار الديكتاتورية النازية وسيادة الاحتلال.

الفصل الخامس: مواقفه خلال الأربعينات، وقسمته إلى خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: عودته من الحرب الكونية الثانية، تتبعت فيه عودته من الحرب الكونية الثانية ونشاطه السياسي، ورسالته للماريشال بيتان التي يقول عنها بأنها آخر مطلب له للمساواة.

و المبحث الثاني: بيان الشعب الجزائري، يتناول هذا المبحث العوامل التي أدت إلى إحداث تغيير هام في الفكر السياسي لفرحات عباس مع دراسة مطالب البيان ومقارنتها بالمطالب السابقة لفرحات عباس والأوضاع التي سادت في تلك الفترة سواء في داخل الجزائر أو خارجها من خلال مبادئ ميثاق الأطلسي.

والمبحث الثالث: إنشاء حركة أحباب البيان والحرية، تتبعت في هذا المبحث دوافع تأسيسه لهذه الحركة ومطالبها التي ربطها بمطالب بيان الشعب الجزائري، ودورها في نشر الوعي السياسي بين أوساط الجماهير الجزائرية.

المبحث الرابع: فرحات عباس وحوادث 8 ماي 1945، نحدد فيه موقفه من هذه الحوادث التي اعتبرها مجزرة دبرها مغامرون ضد الشعب الجزائري، متهما في ذلك حزب الشعب الجزائري، والمحتلين، وتحريره لوصيته السياسية داخل الزنزانة.

المبحث الخامس: تأسيسه لحزب " الإتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري "، يتناول هذا المبحث تأسيسه لحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بعد خروجه من السجن، ومبادئ وأهداف هذا الحزب، ونشاطه السياسي في إطار حزبه هذا.

الفصل السادس: مواقفه خلال الخمسينات، وقسمته إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: دخوله في جبهة الدفاع عن الحرية، وهنا نسجل وقوفه ضد سياسة الاحتلال من تزوير الانتخابات، وتعطيل الإصلاحات، وملاحقة الوطنيين، ورفضه لسياسية القمع.

أما المبحث الثاني: موقفه من اندلاع ثـــورة التحرير 1954، درست في هذا المبحث موقفه من انـــدلاع الثـــورة التحريرية.

و المبحث الثالث: انضمامه إلى الثورة، تتبعت فيه كيفية التحاقه بالثورة، ونشـــاطه الدبلوماســـي فيهـــا، ورئاسته لأول حكومة مؤقتة جزائرية.

أما المبحث الرابع: موقفه من اتفاقية إيفيان، تعرضت فيه لبداية المفاوضات أثناء رئاسة فرحـــات عبـــاس للحكومة المؤقتة الثانية، وملاحظاته حول اتفاقية إيفيان التي وقع عليها بنفسه.

الفصل السابع: فرحات عباس في ظل الاستقلال الوطني، قسمت هذا الفصل إلى خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: موقفه من صراع صائفة 1962، تتبعت في هذا المبحث الصراع الذي ظهر في الجزائر منذ بداية مؤتمر طرابلس، و الخلاف الذي قام بين الأشقاء من أجل السلطة، وموقف فرحات عباس من ذلك.

أما المبحث الثاني:فرحات عباس الرئيس الأول للمجلس الوطني التأسيسي، عالجت في هذا المبحث طريقة إقامة المجلس الوطني التأسيسي، وموقف السلطة التنفيذية منه برئاسة أحمد بن بلة الذي جعله غرفة لتسجيل القوانين، حيث جرده من صلاحياته، وهذا ما رفضه فرحات عباس.

و المبحث الثالث: موقفه من النظام الاشـــتراكي، تناولت فيه مواقفه من النظـــام الاشـــتراكي في عهـــد الرئيسين أحمد بن بلة، و هواري بومدين.

المبحث الرابع: موقفه من الميثاق الوطني 1976، هذا المبحث يتناول مرحلة هامة من المراحل التي عرفتـــها الجزائر، وهي بداية تأسيس مؤسسات الدولة الجزائرية الحديثة، وإفساح المجال لمناقشة الميثاق الـــوطني، حيـــث عـــبر فرحات عباس عن موقفه بشكل صريح من ذلك الميثاق، وأصدر بيانا إلى الشعب الجزائري مع بعض الشخصـــيات الوطنية.

والمبحث الخامس: وفاته، تعرضت في هذا المبحث لظروف وفاة فرحات عباس وطريقة تشييع جنازته.

وقد أنهيت الموضوع بخاتمة، استعرضت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وقد أشـــفعت الرسالة بملاحق تتصل اتصالا وثيقا بالموضوع، وهي نماذج من بعض الوثائق كشواهد وأدلة على صحة مـــا ورد في رسالتنا.

وقد حاولت بقدر الإمكان الكشف عن الجوانب الإيجابية والسلبية خـــلال مســـيرته الطويلـــة في النضـــال السياسي، سواء في فترة الاحتلال أو في جزائر الاستقلال، والهدف من ذلك الكشف عن بعض الجوانب من تـــاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

ويبدو أن آراء فرحات عباس حول النظام السياسي والاقتصادي في الجزائر في مرحلة الاستقلال، كانت على جانب كبير من السداد، لأن المرحلة الأخيرة أثبتت صحة آرائه، وبُعد نظره في بناء الدولة الجزائرية الحديثة.

الفصل الأول:

بيئة فرحات عباس.

المبحث الأول: البيئة السياسية.

المبحث الثاني: البيئة الاقتصادية.

المبحث الثالث: البيئة الاجتماعية.

المبحث الرابع: البيئة الثقافية.

الفصل الأول

بيئة فرحات عباس

يعالج هذا الفصل البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها فرحات عباس، واستلهم منها تجاربه الثقافية والسياسية، التي شكلت الأرضية الإيديولوجية والفكرية، التي كان يتحرك من خلالها لمقاومـــة الجهـــل والفقر ومعاناة الاحتلال من ظلم وقوانين استثنائية...

تأثر فرحات عباس كثيرا بالبيئة الجزائرية الجديدة التي بدأت ملامحها الأساسية تتغير منذ 1830 مـــن جـــراء سياسة الاحتلال التعسفية ضد الشعب الجزائري، والقوانين الاستثنائية التي فرضها على الجزائريين ظلما وقهرا من أجل إخضاعهم وإذلالهم، وسلب أراضيهم ومنعهم من ممارسة حقوقهم السياسية والمدنية، لأن المحتل كان يدرك جيدا بأن الشعب الجزائري لم يرض به يوما على أرض الجزائر، وأن فشل المقاومات الشعبية المنظمة بقيادة الأمير عبد القـــادر وأحمد باي والمقاومات الأخرى بقيادة زعماء دينيين وشيوخ القبائل، لا يعني ذلك أن الشعب الجزائري أصبـــح أداة طيعة للمحتلين، فما أن يستعيد الشعب الجزائري أنفاسه حتى يعلن الجهاد ضد الاحتلال، وأوسع ثورة انتشـــرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هي ثورة 1871م فقد شملت منطقة القبائل وجزءا كبيرا من الشرق الجزائري، واستطاعت أن تزعزع استقرار المحتل في الجزائر، وتبث الرعب في الإدارة الفرنسية، لذلك كان تأثير هذه الثورة كبيرا على ساسة فرنسا في الجزائر وفي فرنسا، فراحوا يسنون القوانين الزجرية بهدف منع الشعب الجزائري حتى من التفكير بالتمرد ضد الاحتلال، وساد نوع من الهدوء الظاهري لدى الجزائريين، والحيطة والحذر لدى المحتلين الذين أدهشتهم روح المقاومة، والرغبة في التخلص منه متى سنحت الظروف، تلت هذه الثورة ثورة بوعمامة (1881-1904) والتي استطاعت هي الأخرى زعزعة نظام الاحتلال في الجزائر، ومع مطالع القرن العشرين ظهرت أســـاليب جديـــدة في الجزائر، تمثلت في لجوء الجزائريين إلى المطالبة بحقوقهم السياسية والمدنية عن طريق المطالب السياسية.

المبحث الأول

البيئة السياسية

لم يكن الجزائريون في مطالع القرن العشرين معزولين عن الأحداث العالمية، بل فقد تأثروا بأفكار الجامعة الإسلامية في الشرق، والفكر السياسي الاشتراكي في أوروبا، وتنافس الدول الأوروبية الغربية فيما بينها على الاحتلال. [1]

ففي نهاية القرن التاسع عشر ميلادي برزت ألمانيا كدولة أوروبية كبرى دخلت مجال الصراع من أجل البحث عن المجال الحيوي، ويعتقد معظم المؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا عن هذه الفترة أن انتقال هذه التأثيرات الخارجية إلى الجزائر يعود إلى مطالع القرن العشرين، وأن الجزائريين كانوا صامتين ومنعزلين عن الأحداث العالمية وذلك منذ انهزامهم في ثورة 1871ضد الاحتلال الفرنسي.

فاليقظة السياسية في الجزائر بدأت في التشكل منذ مطالع القرن العشرين، بسبب الثقافة الفرنسية التي تلقاها الجزائريون في المدارس الفرنسية اللائكية. [2]

وكان الفرنسيون يعتقدون قبل ذلك بأن الأفكار السياسية المعادية لفرنسا تأتي من الفئة المحافظة المثقفة باللغة العربية. [3]

ونستنتج من ذلك أن هدف الاحتلال من فتح مدارسه أمام بعض الأطفال الجزائريين لتغريبهم عن مجتمعهم، و لم يكن يسعى لنشر الحضارة في أوساط الشعب الجزائري، وإنما كانت مدارسه التي أنشأها لخدمة أغراض المحتلين، وتخرجت من مدارسه نخبة جزائرية جعلت معارفها في خدمة الجزائريين، أما النخبة الجزائرية التي نالت قسطا من التعليم باللغة العربية، فكانوا متأثرين بالعاطفة الإسلامية، أو لنقل بمبادئ الدين الإسلامي، وكذلك بأفكار الجامعة الإسلامية التي تبنى أفكارها ومبادئها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني،فقد وجدت صدى واسعا لها في الجزائر[4] فلم يكن الجزائريون راضين عن الاحتلال الفرنسي، وانتظروا وصول القرن العشرين للتعبير عن رفضهم للاحتلال، فقبيل مطالع القرن العشرين قامت ثورة بوعمامة (1881_1904)، والتي استطاعت أن تزعزع الاستقرار الفرنسي في الجزائر إلى درجة الرعب. [5] فلم يكن بوعمامة رجل حرب فقط، وإنما كان سياسيا وعسكريا ومثقفا متشبعا

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية1900-1930 ، ج 2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1983، ص: 100

[2] Ageron Charles Robert, les Algériens musulmans et la France : 1871 – 1919, t 2, p.u.f. Paris, 1968, p : 1025

[3] ibid.

[4] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص ص: 78، 79

[5] نفس المرجع، ص: 80

بالمبادئ الإسلامية حتم عليه واجبه الديني إعلان الجهاد، كقائد عسكري، قام بحملة سياسية داخل الجزائر وخارجها، تجاهلها مؤرخو فرنسا الذين أرخوا لهذه الفترة، وصوروا بأن المقاومة السياسية كانت نتيجة تكوينهم للشباب الجزائري في المدارس الفرنسية، بينما المحافظون التقليديون بعيدون عن التنظيم السياسي الذي يحتاج إلى فكر وثقافة واسعة داركة وواعية بمحيطها الداخلي والخارجي، والحقيقة عكس نظرتهم تجاه المحافظين فقبيل إعلان بوعمامة عن بداية ثورته، قام بحملة سياسية واسعة داخل الجزائر، وفي المغرب بواسطة أتباعه الذين كلفهم بحمل رسائل إلى القبائل الجزائرية والمغربية يحثهم فيها على القيام بواجبهم الديني، وإعلاء كلمة الحق بإعلان الجهاد ضد الكفرة الذين دنسوا أرض الإسلام، وقد وجد نداءه صدى في داخل الجزائر والمغرب مما دفع الفقهاء وبعض شيوخ الزوايا إلى القيام بحملة توعية وسط أتباعهم، فقد طلب أحد فقهاء المغرب اسمه " ابن عزوز " المغاربة لتحضير الجيش المغربي ضد الاحتلال النصراني، الذي احتل أرض الإسلام، ومنعه من التوسع. (6)

وفي تقرير أرسله الجنرال " لارشي " إلى الحكومة الفرنسية سنة 1899 مما جاء فيه: " إن المؤامرات، و الاضطرابات التي جرت في الجزائر قد جعلت العرب يتشاورون فيما بينهم أكثر، من أي وقت مضى، للقيام بنشاط سياسي إنهم الآن مستعدون للتآمر." (7)

فالاحتلال الفرنسي لم يخلق الوطنية الجزائرية، إنما كانت موجودة قبله، فالجزائريون ليسوا بحاجة إلى وجود عدو أجنبي فوق أرضهم ليعلمهم معنى الوطنية، فهي موجودة في نفوس الجزائريين وفي خلفيتهم التاريخية، فلم تكن الثقافة الفرنسية مصدرا لإحياء الوطنية الجزائرية وترقية ثقافتها بل بالعكس لقد تسبب ذلك في اضطهادها. (8)ففي مطالع القرن العشرين تبلورت نخبتان جزائريتان، الأولى ذات ثقافة إسلامية (محافظة)، والثانية ذات ثقافة فرنسية (تقدمية)

النخبة المحافظة: هذه النخبة استمدت ثقافتها التقليدية من الإسلام، وتضم عناصرها أعيان الحضر والريف، وكان امتدادهم في كامل القطر الجزائري، لكن أنشط عناصرها كانت تتركز في المدن القديمة كقسنطينة، وتلمسان، والجزائر العاصمة، كانوا يطالبون بالمحافظة على الشخصية الإسلامية ويقفون ضد الذوبان في العادات والتقاليد الفرنسية، ومرتبطون ارتباطا وثيقا بالإسلام، ففي سنة 1895 قدموا عريضة شديدة اللهجة إلى البرلمانيين الفرنسيين والتي وقعتها 1700 شخصية محافظة من قسنطينة مما جاء فيها: " إن أعز رغبة عندنا نفضلها على جميع مطالبنا، هي المحافظة على الشريعة الإسلامية." (9) ويعلق " أجيرون " (Ageron) على هؤلاء المحافظين بقوله: " هذه الفئة محافظة،

---

(6) زكي مبارك، مجلة الثقافة، عدد14 سبتمبر، أكتوبر1984، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984، ص:415

(7) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 101

(8) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في الحركة الوطنية، ش، و، ن، ت، الجزائر 1978، ص: 56

(9) Ageron C. R : op.cit, p : 1025

على الأصول، ومرتبطة بالتقاليد، وترفض كل تجديد. "[10] لكن الحقيقة غير ذلك فهم ليسوا جامدين، أو رافضين للتجديد الذي يصلح لمجتمعهم، ويتماشى مع الدين الإسلامي، وعادات وتقاليد الجزائريين التي تستمد أصولها من الدين.

فقد حرموا على المسلمين المشاركة في الجيش الفرنسي أو التطوع فيه، وحرموا كذلك تجنس الجزائريين.[11] وكان هدفهم من ذلك منع المسلمين الجزائريين من الذوبان في المجتمع الفرنسي، والمحافظة على الشخصية الوطنية الإسلامية، لأنها هي العروة الوثقى التي تقوي وتجمع الجزائريين المسلمين بعضهم ببعض، وكانوا يدركون خطورة محو الشخصية الوطنية، وفيما بعد أصبحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مدافعا عنيدا عن الشخصية الوطنية.

في مطالع القرن العشرين قام المحافظون في المدن بنشر دعاية في الأوساط الشعبية تقول أن إدارة الاحتلال ستلجأ إلى غلق المساجد، وإلغاء الوظائف التابعة لها؛ لأن المسلمين الجزائريين طالبوا بفصل الدين الإسلامي عن الحكومة كما تم فصل المسيحية، فانتشر اليأس والإحباط خاصة في أوساط العائلات المحافظة، و بدأوا يتحدثون عن تحضير أنفسهم للهجرة إلى بلاد الإسلام لممارسة شعائرهم الدينية.[12] هذه الدعاية التي نشرها المحافظون في أوساط أعيان الحضر و الريف وجدت صداها الشعبي، فكانت بمثابة جس نبض المسلمين الجزائريين في حالة ما إذا لجأت إدارة الاحتلال إلى غلق المساجد، ومن جهة أخرى تهدف إلى رفع الغشاوة على قلوب المسلمين الجزائريين بفعل سياسية التجهيل التي كان يفرضها عليهم الاحتلال.

في أول هجوم فرنسي على المغرب، شعر المسلمون الجزائريون بالخطر الذي يهدد أبناءهم خوفا من إشراكهم في حرب ضد إخوانهم المسلمين في المغرب، فقد كتب والي وهران رسالة إلى الحكومة الفرنسية مما جاء فيها: " إن المسلمين لا يخفون رغبة هجرتهم حتى لا يكونوا جنودا في صفوف الجيش الفرنسي. "[13] و ازداد الخوف أكثر عندما فرضت فرنسا قانون التجنيد الإجباري الذي أقره قرار 03 فيفري 1912، لدى الجزائريين وخاصة المحافظين منهم الذين شجعوا الهجرة إلى الخارج بدل المشاركة في الجيش الفرنسي.

فهذه الفئة المحافظة والمثقفة ثقافة إسلامية، لم تكن تعيش منعزلة عن فئات الشعب الجزائري الذي انتشر في أوساطهم الجهل، فكانت تتبع الأحداث وتعلق عليها، وتتخذ مواقف منها، حسب ثقافتها الإسلامية وعاداتها وتقاليدها.

---

(10) ibid. p : 1026

(11) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، المرجع السابق، ص:152

(12) Ageron C. R, op.cit, p : 1026

(13) ibid. p : 1026

فبعض المؤرخين أحيانا كان حكمه قاسيا عليهم ومنهم أبو القاسم سعد الله الذي يصفهم بقوله: " من الوجهة السياسية كانت تعني الإذعان إلى إرادة الله، حتى تحدث معجزة تخلص الجزائري من الرومي. " [14]

إن هجرة التلمسانيين إلى الخارج من أجل دينهم ورفضهم لقانون التجنيد الإجباري[15] لا يعني بأنهم كانوا سلبيين أمام التطورات، فقد قاوموا واستشهدوا، وهاجروا حينما أصبحوا عاجزين عن فعل أي شيء أمام الاحتلال، الذي لا يرحم أية معارضة ضده، وكانت مخابراته تراقب كل تحركات هاته الفئة في تفكيرها، وكتاباتها، وممارسة شعائرها الدينية.

ففي سنة 1903 قدم المحافظون عريضة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية " لوبير " (Lobert) طالبوا: " توفير الوسائل الناجعة للأهالي للحفاظ على ممتلكاتهم، ووضع حد لنزع الملكية من المسلمين، وإلغاء قانون الغابات، وقانون المسؤولية الجماعية عند حرق الغابات. " [16] فلم تكن هذه الفئة راضية بالقوانين الجائرة، واستعملت اللوائح والعرائض وقدمتها إلى المسؤولين الفرنسيين معبرة فيها عن حالة الشعب الجزائري.ففئة المحافظين كانت محاصرة من طرف إدارة الاحتلال، ومنع عليها جرائد المشرق الإسلامي.[17] وذلك لمنع إطلاعها على ما يحدث في المشرق العربي، وعزلها عن الأحداث العالمية، بعكس الفئة المثقفة باللغة الفرنسية التي كانت على إطلاع على الجرائد والمجلات والكتب الفرنسية التي كانت توجه للمحتلين في الجزائر، والقليل من المحافظين من كان يتقن اللغة الفرنسية، فهؤلاء نجدهم أكثر إدراكا لواقعهم بسبب الثقافة المزدوجة، ومنهم مفتي قسنطينة الشيخ " المولود بن الموهوب " الذي كانت محاضراته في نادي صالح باي بقسنطينة تجلب إليها مجموعة كبيرة من سكان هذه المدينة، فكان يدعو إلى الأخلاق الإسلامية، وتعليم اللغة العربية، ومحاربة التعصب والجهل والإجحاف. [18] فنخبة المحافظين لم تكن جامدة أو تعطي للدين الإسلامي تفسيرا خرافيا، لا ننكر عدم وجود هذه العناصر داخل هذه المجموعة، والتي كان لها تأثير في الأوساط الشعبية الفقيرة سواء في المدن أو الأرياف الجزائرية، لأنهم كانوا أكثر التصاقا بالفئات الشعبية، فاستغلوا تعليمهم الديني المتواضع في الشعوذة وما شابه ذلك من تمائم وخرافات، وكانوا يتدخلون حتى في الجانب السياسي، محاولين الظهور كشخصيات هامة. وقد كان المثقفون من هذه الكتلة يحاربون الجهل والكسل والخرافات ويلقون اللوم على فرنسا التي أهملت الشعب الجزائري وتسببت في انحطاطه، [19] وقد نظم المفتي " ابن الموهوب "

---

[14] نفس المرجع، والصفحة

[15] Claude callot – Jean Robert Henry, le mouvement national Algérien textes 1912-1954, ed, l' harmattan, Paris, 1978, p : 23

[16] Ageron C. R, op.cit, p : 1028

[17] ibid. p : 1028

[18] نفس المرجع، ص ص: 157-158

[19] نفس المرجع، ص ص: 158-159

الشعر لأنه كان يعلم تأثيره على النفوس وذلك سنة 1911 وطلب من طلابه حفظه وإنشاده في المناسبات. فقد كتب قصيدة يقدس فيها العلم وينبذ الكسل ويحث طلبته على الطموح إلى المجد مع ربطهم بأصلهم المجيد.[20]

وتطورت أفكار المحافظين إلى تنظيم أنفسهم في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ألحت على فهم الإسلام فهما صحيحا و تعليم اللغة العربية، والتشبث بالوطن الجزائري، وذلك يعني بكل وضوح رفض الاحتلال الفرنسي وثقافته.[21]

جماعة النخبة: إلى جانب فئة المحافظين كانت هناك في مطالع القرن العشرين فئة منافسة للمحافظين، لهم برنامجهم ونظرياتهم في السياسية الخاصة بالجزائر ويصفهم أحد أعضائها الشريف بن حبيلس: " ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين، بأعمالهم، أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين. "[22] أما فرحات عباس فيصفهم بقوله: " هؤلاء الشبان الذين درسوا في الجامعات الفرنسية، فعلمهم لم يزدهم إلا تكبرا، فهم ليسوا أطفالا لعائلاتهم، ولكنهم أبناء الشعب الجزائري، جعلوا علمهم في خدمته. "[23]

ولنعد إلى المصدر الذي استمد منه هؤلاء المتخرجون من الجامعات الفرنسية اسم " الشبان الجزائريين "، فيرجع " أجيرون " (Ageron) مصدرها إلى أنها " استعملت كلمة الشبان الجزائريين للدلالة على اليهود المتطورين والمثقفين ثقافة فرنسية، وعارضوا اليهود المتخلفين الذين يرتدون اللباس التقليدي، ويتكلمون بالعربية. "[24] وهذا يوضح تأثير اليهود الجزائريين المثقفين على النخبة الجزائرية المثقفة ثقافة فرنسية. أما " علي مراد " فيقول عنهم دون أن يتعرض لاسمهم: " إنهم جماعة يحسنون اللغتين، وينتمون إلى الطبقة المثقفة أي تلك الجماعة التي درست كلا من الحضارة العربية والفرنسية. "[25] فالمدرسة كان لها دور هام في تطور فكر هؤلاء الشبان الجزائريين، وهي مفتاح أفكارهم الليبرالية، لذلك نجدهم يختلفون اختلافا كبيرا ومميزا عن المجتمع الجزائري، وقد استعملوا خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين مصطلح المساواة مع الأوروبيين في جميع الحقوق والواجبات، وكان هذا المسعى بدون شك وسيلة للوصول إلى تكوين فكر سياسي سمح لهم فيما بعد بممارسة السياسة.[26] فقد قاد هؤلاء تطور شعبهم سواء

---

[20] نفس المرجع، ص: 162

[21] عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية، ط 3، دار الحداثة وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1980، ص:10

[22] أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900، 1930، المرجع السابق، ص: 167

[23] Amar Naron :Ferhat Abbas, oǔ les chemins de la souveraineté ed, Donoel, France, 1961, p :40

[24] Ageron C. R, op.cit, p : 1030

[25] Ali merad, les Réformistes musulmans en Algérie de 1925 à1940, ed, mouton et co la haye, Paris 1967, p : 47

[26] وليم ب. كواندت، الثورة والقيادة السياسية في الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق، 1981، ص: 40

في الإطار الصحيح أو الخاطئ، ولعبوا دورا هاما في سياسة بلدهم، ومع اندفاع الحركة الوطنية الجزائرية أجبروا على اعتزال وظيفتهم أو الخضوع لهذه الحركة. [27] بدأ نشاطهم في مطالع القرن العشرين وقدموا اللوائح والعــرائض إلى البرلمان والحكومة الفرنسية طالبين تحسين أوضاع الشعب الجزائري. فــفي سنة 1912 قدم هؤلاء ((بيان الشـــاب الجزائري)) إلى الحكومة الفرنسية طالبوا فيه بإلغاء قانون الأهالي، وإلغاء الضرائب العربية ونشر التعليم، وسياســيا طالبوا بالتمثيل الكافي والحقيقي في المجالس الجزائرية و البرلمان الفرنسي أو في مجلس منتخب مساو له وهذه المطالـــب حملها الطبيب " ابن التامي " مع اثنين من قسنطينة " مختار حاج السعيد " و الدكتور " موسى بن شنوف " إلى جانب " محمد بن رحال " المثقف المزدوج اللغتين، وفي باريس انضمت إليهم بعثة وهران و النقيب الأمير خالد الذي دعـــم هذه المطالب سنة 1913. [28] وخلفيتهم السياسية ترجع إلى سنة1892 حينما قدموا عريضة إلى " جول فيري " (Jules Ferry) الذي قاد لجنة الشيوخ، طالبوا فيها بحل مشاكل التجنس، وتمثيل إخوانهم المسلمين في المجالس النيابيـــة واحتجوا على قانون الأهالي وطالبوا بتشجيع التعليم العربي.[29]

كانوا يختلفون في تكوينهم الثقافي عن مجتمعهم، ومعظمهم ينتمون إلى الطبقة البرجوازية المتوســطة وغالبيـــة آبائهم كانوا في خدمة إدارة الاحتلال، ولكن رغم ذلك فإنهم جعلوا ثقافتهم في خدمة إخوانهم والدفاع عنـــهم.[30] وكانوا يعتقدون بأن مبادئ الثورة الفرنسية 1789 ((حرية – مساواة - أخوة)) التي درسوها في المدرسة الفرنســية، يجب أن تطبق على أرض الجزائر، وعلى كل سكانها دون استثناء، مع حرية احتفاظ المسلمين بأحوالهم الشخصية.

الجزائريون والحرب الكونية الأولى:1914-1918.

مباشرة بعد إعلان الحرب الكونية الأولى وضعت الجزائر تحت حالـــة الحصـــار(état de siége) وأعـــادت ذكريات ثورة المقراني 1871، وهذا الأسلوب لجأت إليه فرنسا خوفا من قيام انتفاضة في الجزائر ضـــد الاحـــتلال الفرنسي.وقامت سفينتان ألمانيتان في 4 أوت 1914 بغارة على مدينتي سكيكدة، و عنابة، وحدثت اضـــطرابات في نفوس الجزائريين، ولكن صداها كان ضعيفا.

وجه الحاكم العام الفرنسي في الجزائر " لوتو " (Lutaud) نداء إلى المسلمين الجزائريين حذرهم وأكد لهـــم بأن الله لا يحب الخائنين، وطلب منهم المساعدة مؤكدا بأن الحكومة الفرنسية قادرة علـــى ضـــبط الأمـــن داخـــل الجزائر.[31] فالحرب الكونية الأولى فتحت أمام الحركة الوطنية آفاقا جديدة حيث كانت تأمل أن تستطيع ألمانيا و

---

[27] Guy Pervillé, les étudiants algériens de l'université française 1880 -1962, ed, casbah, Alger, 1997 p :80

[28] ibid. p p: 80-81

[29] Ageron C. R, op.cit, pp : 1030-1031

[30] Guy Pervillé, op.cit, p : 71

[31] Ageron C .R, op.cit, p : 1140

تركيا هزيمة فرنسا و هذا يسمح بإعطاء أمل للجزائريين. [32] ويصبح بإمكانهم المطالبة بحقوقهم أمام حكومة فرنسية منهزمة ضعيفة لا تستطيع رفع العصا الغليظة في وجه الجزائريين. ولكن فرنسا لم تترك الجزائريين على حالهم بل قامت بتجنيدهم ودفعهم إلى الخطوط الأمامية رغما عنهم من أجل دفع ضريبة الدم. [33]

و لم يكن تأثير الدعاية الألمانية والتركية ذا تأثير فعال في نفوس الجزائريين، ويؤكد " أجيرون " بأن المسلمين الجزائريين حافظوا على الهدوء، وقدموا مساعدة للمحتلين الذين ساروا إلى الحرب ووعدوهم بحراسة أملاكهم. [34] وقد وصل عدد المجندين الجزائريين في الحرب الكونية الأولى 173019 مجندا. [35] وأول انتفاضة بدأت من بريكة من طرف متمردين عن التجنيد وذلك في ليلة 11نوفمبر 1916 حيث هاجموا مقر بلدية عين توتة، وفي الغد قتلوا رئيس دائرة باتنة الذي حاول التدخل لتهدئة الأوضاع، فأرسلت فرنسا تعزيزات عسكرية ضخمة لمحاصرة المتمردين، ولكن لم تتوقف أعمال التمرد طيلة سنتي 1917-1918، مع زيادة الاعتداءات على الأملاك والأشخاص بسبب القهر والجوع، فالجدول رقم 1 يوضح جيدا ارتفاعا كبيرا لتلك الأعمال.

جدول رقم 1 – إحصائيات الاعتداء في منطقة الأوراس خلال سنتي 1917- 1918 [36]

السنوات	اعتداءات ضد الأملاك (الخاصة)	اعتداءات ضد الأشخاص	اعتداءات ضد الأملاك العمومية	عدد التوقيفات
1917	10326	5381	5855	4216
1918	8733	5006	5030	3328

إلى جانب القمع العسكري الذي مارسه الجيش الفرنسي ضد المتمردين في منطقة الأوراس لجأ الحاكم العام، لوتو، إلى الإعلان عن إصلاحات هامة في منطقة الأوراس؛ لأن ذلك الإقليم كان مهملا، و لم تهتم به فرنسا في نظره. [37] وهذه الإصلاحات لم تكن سوى وعود كاذبة من الحاكم العام لتهدئة الأوضاع في منطقة الأوراس.

فالحرب الكونية الأولى زعزعت الجزائر في العمق، فبنهاية الحرب مباشرة ظهرت غطرسة الجنود المسلمين المسرحين من الحرب والعمال المغتربين العائدين من فرنسا إلى الجزائر. [38] فقد أدى الشباب الجزائري واجبه كاملا تجاه فرنسا، ولكن رغم ذلك فقد بقي المحتل ينظر إليه نظرة دونية رافضا منحه أية حقوق، مما أدى إلى خلق نوع من الإحباط في نفسية هؤلاء الشباب.

---

(32) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900، 1930، المرجع السابق، ص: 252

(33) Ferhat Abbas, autopsie d' une guerre l' aurore, ed, Garnier, France.1980, p : 35

(34) Ageron C. R , op.cit, p : 1140

(35) ibid. p: 1165

(36) ibid.

(37) نفس المرجع، ص: 265-266

(38) Ageron C. R, op.cit, p : 1189

إصلاحات ما بعد الحرب الكونية الأولى 1919:

بعـــد الـــحرب الكونية الأولى اعتقدت فـــرنسا أنها تستطيع حل المشكلة الجزائرية، فأصـــدرت قـــانون 4 فيفري 1919 الذي يسمح لفئة معينة من الجزائريين بالحصول على بعض الحقوق السياسية. [39]

وجاء بإصلاحات بسيطة، لم ترض أغلبية الشبان الجزائريين، واختلفوا حولها فمن مؤيد لها، والقبول بالتخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية ويمثلهم شريف بن حبيلس، ورافضا لها وقائد هذه المجموعة الأمير خالد.[40] وكان تأثير الأمير كبيرا على الشبان الجزائريين، الذي كان ينشر أفكاره بواسطة صحيفته « الإقدام » وقد تأثر فرحات عباس كثيرا بأفكاره.[41]

أما قرار 6 فيفري 1919، وضح في بنده العاشر شروط الحصول على الحقوق السياسية للارتقاء إلى الجنسية الفرنسية منها:

1. أداء الخدمة العسكرية.
2. أن يكون مالكا للأرض أو تاجرا مستقرا ودافعا للضرائب.
3. أن يكون موظفا عند الدولة في الولاية أو البلدية أو متقاعدا.
4. أن يكون عضوا في غرفة التجارة أو الفلاحة.
5. أن يكون حاملا للشهادة الابتدائية أو دبلوما جامعيا.
6. أن يكون قد تحصل على وسام.
7. أن يكون قد تحصل على جائزة في مسابقة للمعرض الفلاحي. [42]

فالذين رفضوا هذا القانون من النخبة، طالبوا بحق تقرير المصير باسم مبادئ " ولسن ". ووقعوا على عريضـــة ووجهوها إلى الرئيس الأمريكي ولسن في مؤتمر الصلح، نادوا فيها بالحكم الذاتي للجزائر، وطـــرد الفرنسيين. [43]

إن الاحتلال الفرنسي في مطالع القرن العشرين طاب له المقام في الجزائر، واعتقد بأنه بواســـطة إصـــلاحات سياسية، واقتصادية هزيلة يمكنه أن يزيد في تخذير العامة، وإغواء النخبة بضمها إلى صفه وجعلها معولا مساعدا له في هدم مقومات الشعب الجزائري.

---

[39] Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme Algérien 1919-1951, T 1, 2eme édition, sned, Alger, 1981, p :42

[40] ويلم ب. كواندت، المرجع السابق ص:43

[41] نفس المرجع، ص: 44

[42] Ageron C .R , op.cit p : 1218

[43] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900، 1930، المرجع السابق، ص: 302

المبحث الثاني

البيئة الاقتصادية

نظام الاحتلال غير عادل قائم على الظلم والنهب والسلب، وتجويع الجزائريين المسلمين وإذلالهم، واستعباد الفلاحين إلى أقصى الحدود، حيث يسعى فقط للحفاظ على أرواحهم في أجسادهم للبقاء على قيد الحياة من أجل الاستمرار في خدمة الاحتلال، فالجزائريون المسلمون بقوا يزودون ميزانية الاحتلال بما يقدمونه من الضرائب العربية بشكل تعسفي وجائر، وقد سن الاحتلال قوانين لصالحه تحمي الممتلكات التي سلبها من السكان الأصليين، فأصدر قانون "مجلس الشيوخ " سنة 1863، وقانون " فارني " 1873. [44] و دعمهما بقانون الأهالي الذي كان أسوء القوانين التي وضعها الاحتلال الفرنسي في الجزائر. [45]

وقد أدت الحرب الكونية الأولى (1914-1918) إلى زيادة الأوضاع سوءا لدى الجزائريين بسبب مشاركة الشباب في الحرب، تسببت في مقتل حوالي 25000. [46]

معظم هؤلاء الشباب الذين قتلوا في الحرب ريفيين كانوا يشتغلون في الفلاحة، ويعيلون أسرهم، يضاف إلى هذه الكارثة الأليمة، حدوث كارثة أخرى زراعية خلال الموسم الزراعي لسنة 1917، إذ انخفض إنتاج الحبوب إلى 8039325 قنطارا بعد أن كان 12132620 قنطارا سنة 1914. [47] كان ذلك خاصة بسبب الجاف الذي ساد منطقة القبايل و عمالة قسنطينة وأدى إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية. [48] هذه الأزمة الفلاحية كان لها تأثير خطير في ما بعد على الجزائريين، وظهرت المجاعة في سنة 1920 في عدد كبير من الدواوير صاحبها فقر شديد. [49]

وقد أشار النائب الفرنسي " فينييه دوكتون " (Vigné Docton) بقوله: " ها هي المجاعة في شمال إفريقيا، بعد عودتي منها ببضعة أشهر قد أشرت إليها لأنني توقعتها، رعبها تجاوز ما أعلنت عنه، اللاأمن ساد الآن، الأهلي لا يجد ماذا يأكل لننتظر أحداثا كثيرة. " [50]

---

[44] Pierre Bourdieu, sociologie de l Algérie ed, p. u. f. Paris, 1980, p :106

[45] نفس المرجع ، ص: 125

[46] أندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي رابح، ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 414

[47] Ageron C, R, op.cit, p : 1160

[48] ibid.

[49] Mahfoud Kaddache : op.cit, p: 23

[50] ibid. p : 24

وقـــد أشارت جريدة صدى الجزائر الصادرة يوم 2 ماي 1920 إلى حالة اللاأمن، والأحداث التي جرت في عـــدة جهات مـــن الـــوطن، أحـــد الأعيان مـــن المتجنسين اسمه " كيروبي " كتب إلى النائب الفرنسي " لوفيبر " (Lefebvre): " في الأغواط العرب يأكلون الحشائش وجثث الحيوانات الفاسدة. " [51]

ففي يوم 17 جويلية 1920 قامت مظاهرة بمدينة سطيف شارك فيها أكثر من 3000 أهلي، وحاصروا محلات اليهود انتقاما لموت أحد المسلمين في المستشفى العسكري تسبب في جرحه يهودي. [52]هذه المدينة التي بدأت تتـــهيأ سياسيا للتعبير عن غضبها بواسطة المظاهرات هي التي ستستقبل فرحات عباس في مطلع الثلاثينيـــات مـــن القـــرن العشرين، حيث وجد الجو السياسي مناسبا.

وقد استمرت هذه المجاعة وأحداث النهب والسلب إلى سنة 1923. [53]

كما كشفت الحرب الكونية الأولى سلبيات الاقتصاد الجزائري، الذي كان تأثيره كبيرا علـــى الجزائـــريين فـــثروات الجزائر كانت مرتبطة بفرنسا، فلم يكن عدد العمال مرتفعا، و لم يتجاوز 5% مـــن عـــدد الأوروبـــيين والأجانب واليهود، وكان هؤلاء الأهالي يمارسون أعمالا يدوية بسيطة وغير مختصين، لأن فرنسا و المحتلون لا يرغبون في تكوين عمال من الأهالي ذوي تأهيل عالي، لأنهم يريدون أن تكون الغالبية العظمى من الأهالي تشتغل في الميـــدان الفلاحي الذي يرتبط بالميدان الصناعي (الزراعة التجارية). [54]

ويلاحظ كذلك انخفاض في الثروة الحيوانية لدى الأهالي والتي كانت تعد مصدرا اقتصاديا هاما لهم.

---

[51] ibid. p : 25
[52] ibid.
[53] ibid. p : 26
[54] نفس المرجع ، ص ص: 419، 420

جدول رقم: 1

إنتاج القمح والشعير عند المسلمين الجزائريين[55]

(المردود في الهكتار الواحد)

الوحدة: قنطار

السنة الزراعية	القمح الصلب	t. المردود في 1هـ	الشعير	t المردود في 1هـ	القمح اللين	المردود في 1هـ
1900–1901	5.716.695	6,1	9.149.902	7,2	457.802	6,3
1901–1902	6.095.656	6,8	9.056.363	6,9	513.140	6,9
1902–1903	5.920.731	5,8	7.218.456	5,6	407.432	5
1903–1904	4.241.644	4,6	6.809.696	5,9	432.670	5
1904–1905	4.352.749	4,6	5.074.498	4,3	320.135	3,6
1905–1906	5.584.104	6,2	8.874.528	7,5	519.756	6,4
1906–1907	4.521.419	5,3	7.731.421	6,7	623.944	7
1907–1908	4.235.496	4,7	6.860.727	5,4	565.561	4,7
1908–1909	4.542.418	5,3	8.225.245	6,7	697.153	7,5
1909–1910	5.491.170	6	8.698.566	7,3	550.513	5,8
1910–1911	5.540.485	6,5	8.425.245	6,8	697.153	7,4
1911–1912	3.712.035	4,2	5.909.145	4,8	379.132	3,9
1912–1913	4.895.693	5,8	9.188.082	7,7	586.363	6,4
1913–1914	4.312.594	4,9	6.823.924	5,8	588.790	6
1914–1915	4.193.006	5,4	6.583.017	6,2	548.632	5,2
1915–1916	4.121.058	4,6	6.187.617	5,7	559.721	5,5
1916–1917	*2.829.317*	*4,0*	*4.340.831*	4,0	374.705	4,1
1917–1918	4.699.993	6,0	7.505.225	7,0	599.864	5,9
1918–1919	3.046.764	4,1	4.529.981	4,7	373.193	4,7

إن إنتاج القمح بنوعيه، والشعير قد انخفض بشكل خطير من سنة 1900 إلى سنة 1919، وكان لهـذا الانخفاض أثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين الجزائريين.وكان من نتيجة هذا الانخفاض في الإنتـاج الزراعي ظهور مجاعة في الجزائر في سنوات 1920، 1922، 1924 [56]

وكذلك يلاحظ انخفاض في رؤوس الحيوانات بالمقارنة مع الزيادة السكانية، مابين سنوات 1885 إلى1889 كان لكل 100ساكن جزائري، 285 رأسا من الغنم لينخفض من سنة 1910 إلى 1914 إلى 165 رأسا مـن الغـنم لكـل 100ساكن جزائري. [57]

[55] Ageron C. R, op.cit, p : 801

[56] Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, ed, p. u. f. Paris, 1972, p : 241

[57] Ageron C. R, les Algériens musulmans et la France, p : 807

أما عدد رؤوس الأبقار فقد انخفض هو الآخر كذلك، فما بين سنة 1885 إلى 1889 كان لكل 6 مسلمين جزائريين 2 رأس من البقر، ومن 1895 – 1899 كان لكل 9 مسلمين جزائريين 2 رأس من البقر، ومن 1910 إلى 1914 كان لكل 10 مسلمين 2 رأس من البقر. (58)

وعرفت أسعار المواد الغذائية ارتفاعا في نهاية الحرب الكونية الأولى فقد كان سعر 1كغ من الخبز 0.45 فرنكا سنة 1914 ليصل إلى 0.75 فرنك في نهاية الحرب وسعر 1كغ من السميد 0.42 فرنكا في سنة 1914 ليصل إلى 1.00 فرنك في نهاية الحرب، و سعر زيت الزيتون كان في سنة 1914 لـ 1 ل 1.30فرنكا ليصل إلى 3.40 فرنكا في نهاية الحرب. (59)

جدول رقم 2: إنتاج الفرد الواحد (1) (60)

	القمح اللين	القمح الصلب	الحبوب الأخرى	الأبقار	الضأن
المسلمون	5.43كغ	72.53كغ	196كغ	117 رأسا	0.60 رأسا
الأوروبيون	26كغ	281كغ	956كغ	0.70 رأسا	0.09 رأسا

وأسباب انخفاض إنتاج الفرد المسلم يعود إلى طبيعة الأرض التي كانت بيد المسلمين حيث تنقصها الخصوبة والري بالإضافة إلى نقص الوسائل الفلاحية الأخرى.

فقد كان الأوروبيون يحتلون 2726000 هكتارا، تنقسم إلى22037 وحدة زراعية منها:

13017 وحدة زراعية مساحتها أقل من 50هكتارا أي 59%.

2635 وحدة زراعية تتراوح ما بين 50هكتارا إلى 100هكتارا

2588 وحدة زراعية تتراوح مابين 100 هكتار إلى 200هكتار

3797 وحدة زراعية أكثر من 200هكتارا أي 17%

أما المسلمون فكانوا يملكون 7349160 هكتارا تنقسم إلى 630732 وحدة زراعية منها:

438483 وحدة زراعية أقل من عشر هكتارات أي 69%

167170 وحدة زراعية مابين 10هكتارا و 50هكتارا

16580 وحدة زراعية ما بين 50هكتارا و 100هكتارا

8499 وحدة زراعية أكثر من 100هكتارا أي 1.3% (61)

---

(58) ibid., p: 808
(59) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 21
(60) ibid., p : 20
(61) Pierre Bourdieu, op.cit, p p : 106-107

نظام الاحتلال وضع قوانين لتفكيك المجتمع المسلم، وجرده من سلاحه، ونهب أملاكه من أجل أن يجعله أداة طيعة في خدمة المحتلين. (62)

الاحتلال إيديولوجية ونظام يهدف إلى الاستيلاء على أراضي المغزو وأملاكه من أجل استغلالها لصالحه مع ما يترتب عن ذلك من نتائج خطيرة (63) على الشعب المنهزم في جميع الميادين.

كان فرحات عباس يعتقد دائما بأن الاحتلال قوة بلا فكر، وجسم بلا روح، جاء بالسيف والخنجر والمدفع ولكنه نسي المسلمين. (64) فهو لم يأت لاحتلال الجزائر إلا من أجل السلب والنهب والقهر.

لقد عرف الجزائريون في مطالع القرن العشرين كل أنواع القهر والاضطهاد واليأس، وكانت هذه السنوات بالنسبة للمحتلين سنوات الأمن والاستقرار وانعدام المقاومات الشعبية.

ولجأ الجزائريون إلى أسلوب الإضرابات التي كان الأوروبيون ينظمونها داخل المصانع التي يعملون فيها مع الجزائريين وانتقل هذا الأسلوب للتعبير عن الوضعية المأساوية في المؤسسات التي يعمل فيها الجزائريون دون الأوربيين، أما في الريف الجزائري فقد حاول سكانه بالانتقال إلى الفعل لمواجهة الفقر، ففي سنة 1924 أشار الحاكم العام أن الأهالي في دوار وادي أغريون (Oued Agrioun) في بلدية الطاهير المختلطة مجموعة منهم مسلحة عارضت أشغال بناء مؤسسة لمديرية الأملاك بالعنصر على قطعة أرض متنازع عليها. (65)

إن سياسية التفقير التي اتبعها نظام الاحتلال في الجزائر، بالاستيلاء على أراضي الجزائريين الخصبة، وطرد ملاكها إلى المناطق الفقيرة، واستعمال القوة العمومية، ضد كل جزائري يطالب بحقه، ومحاكمته في محكمة عسكرية علی ذلك، وهدوء المقاومات الشعبية، أعطت فكرة خاطئة للاحتلال وذلك في مطالع القرن العشرين حيث اعتقد بأنه انتصر عسكريا، وفكريا، واقتصاديا، و سياسيا على الشعب الجزائري، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالهدوء النسبي للشعب الجزائري في مطالع القرن العشرين ما هو إلا استراحة محارب غيَّر إستراتجيته تماشيا مع التطورات الجديدة.

---

(62) Farhat Abbas, op.cit, p: 10

(63) عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995، ص: 286

(64) Benjamin Stora, Zakya Daoud, Ferhat Abbas une autre Algérie, ed, Casbah, Alger, 1995, p :43

(65) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 28

المبحث الثالث

البيئة الاجتماعية

تعتبر البيئة الاجتماعية وسطا هاما لتكوين الأفراد وتوفير الشروط اللازمة للتغيير نحو الأحسن، إذا كانوا واعين لماضيهم، و أبعاد حاضرهم، وواعيين بالمتغيرات، أما إذا كانوا يعيشون على تأثير حوادث الماضي، ويعملــون علــى إحيائه و التهرب من الواقع فإن هذه الأمة وأفرداها محكوم عليهم بالتحجر أو بمعنى آخر (أمة محنطة فكريا)، هــل كانت البيئة الاجتماعية في الجزائر في مطالــع القرن العشرين تحمل بذور الوعي، وتواكب الأحــداث الداخليــة، والخارجية ؟ يرى وليم ب. كواندت: " كان المجتمع الجزائري التقليدي للقرن العشرين يمثله إقطاعيون كبارا وإخــوة متدينون أضعف من أن يوفر الوسط الاجتماعي المناسب لقيام حركة مقاومة وطنية ضد الفرنسيين... لذلك لم يكن مدهشا أن تكون مطالبهم السياسية الأولى هي حقوق المساواة مع الفرنسيين. " [66]

لقد قام نظام الاحتلال بهدم البنية الاجتماعية من خلال القوانين التي أصدرها خاصــة قــانون ســيناتوس- كونسولت 1863 ومعاقبة القبائل التي شاركت في انتفاضة 1871-1872 حيث نقلت عائلات وعشائر من المناطق التي كانت تقطنها إلى أماكن أخرى. يذكر فرحات عباس أنه في سنة 1852 تعرض دواره (في قبيلة بني عمــران) للحرق ومصادرة أملاكه من حبوب وحيوانات في مجتمع زارعي و لم يترك الاحتلال لهم سوى الدموع. ومشاركتهم في انتفاضة المقراني ففي هذه المرة صودرت أراضيهم ومنحت للمحتلين، و هُجرت القبيلة إلى منطقة فقيرة في بلديــة فــج أم زالة. [67] هذه القبائل التي صودرت أراضيها وتركت للجهل والمرض والفقر، بطبيعة الحال يكون فكرهــا بعيدا عن الواقع ومسايرة الأحداث فتجعل غايتها البحث عن لقمة العيش، أي أن الفرد فيها ينكمش على نفسه داخل مجتمعه الريفي، وانتظار اليوم المناسب للانتقام بدون الاستعداد له ماديا أو تنظيميا، وأن الفكر المتنور يأتي من الطبقــة المثقفة (النخبة) والتي غالبا ما تكون ساكنة في المدن و تنتج الأفكار، أما المجتمع الريفي فهو جامد و ساكت، ومحتاط من أي فكر دخيل حيث يرفضه ويقاومه، وله القابلية القوية للانتقام من أعدائه الذين سلبوا أرضه، التي يعتبرها جزءا من شرفه.

في مطالع القرن العشرين كان المجتمع الجزائري ينقسم إلى فئتين:

الحضر: كان عددهم قليلا ولا يمثلون سوى 6.62% من مجموع الجزائريين تزيد قليلا وتقل في بعض المدن. [68]

---

[66] وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 38

[67] Ferhat Abbas, op.cit, p p: 160-161

[68] Ageron C. R, les Algériens musulmans et la France, p : 816

وهذه النسبة قليلة لسكان يقتربون من 5 ملايين نسمة، والنسبة الكبيرة تتمثل في سكان الريف، الذين ينقسمون بدورهم إلى قسمين هما:

المستقرون: كانوا في الأصل رحل ثم استقروا واحتفظوا بنشاطهم الفلاحي المرتبط بزراعة الحبوب و تربية الحيوانات. [69]

بدو رحل وأنصاف رحل: العوامل الطبيعية هي التي تتحكم في حياة هاته الفئة خاصة عامل التساقط، ويعتمد نشاطهم الفلاحي على تربية الأغنام والماعز والجمال. [70]

برغم التداخل والاختلاف بين سكان المدن والريف، و تركيباتهم الاجتماعية إلا أنهم يشتركون كلهم في احترام التقاليد والأجداد، ويجدون كمالهم في ماضيهم ((اتبع طريق والدك، وطريق جدك)). [71]

فمن الصعوبة أن يتقبل مجتمع كهذا أفكار النخبة المتنورة التي قضت سنوات في الدراسة والبحث والتنقيب، وقد وجدوا صعوبة في نشر أفكارهم داخل هذا المجتمع الرافض لأي فكر لا يتماشى مع فكر أجداده.

فالأبناء يأخذون التقاليد مبكرا عن آبائهم وهي غير قابلة للنقاش، والعامل الإيجابي الذي جعل الإنسان الجزائري يثور ضد الاحتلال هي تعلقه بأرضه فبينهما علاقة كبيرة. [72]

يقول فرحات عباس: " جذور شعبنا مغروسة بعمق على أرض الجزائر، إنها أرضنا ووطننا. " [73]

النمو الديموغرافي للجزائريين:

جدول رقم: 1 [74]

السنة	العدد (نسمة)
1901	4072089
1911	4740625
1921	4923186

نلاحظ بأن الزيادة السكانية كانت من 1901 إلى 1911 - 668536 نسمة

أما من سنة 1911 إلى 1921 فكانت 182561 نسمة [75]

---

(69) Pierre Bourdieu , op.cit, p : 54
(70) ibid. p :58
(71) ibid. P P : 80-81
(72) ibid. p :82
(73) Ferhat Abbas, op.cit, p :163
(74) Ageron C. R, les Algériens musulmans et la France, op.cit, p :815
(75) Mahfoud Kaddache, op.cit p: 11

نلاحظ انخفاضا في نمو السكان خلال 10 سنوات بـ: 485975 نسمة وهذا يعود إلى تجنيد الشباب في الحرب الكونية الأولى، وتعرض الجزائريين إلى أزمة اقتصادية حادة بسبب فساد الموسم الزراعي نتجت عنها المجاعة.

التركيب العمري للجزائريين المسلمين في مطلع القرن العشرين: جدول رقم 2 [76]

العمر	النسبة المئوية
من الولادة إلى19 سنة	48.9
من 20إلى 59 سنة	45.7
أكثر من 60سنة	5.4

نلاحظ أن سكان الجزائر المسلمين في مطالع القرن العشرين كان يغلب عليهم فئة الشباب، الذين ولدوا بعد انتفاضة المقراني 1871-1872 أي أن أغلبيتهم ولدوا في حالة السلم والفقر والجهل باستثناء منطقة بوعمامة، فهذه الفئة الشبانية أكثرها ريفية عاشت وضعية الجمود الفكري وانعدام تجربتها في المقاومات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي. أما الفئة الثانية من 20 إلى 59 سنة فالذين تجاوزوا 40 سنة أنهكتهم سنوات القهر والفقر و المرض، والذين تجاوزوا 60 سنة كان عددهم قليلا بسبب الموت المبكر نتيجة الفقر والمرض.

التركيب المهني للجزائريين المسلمين في مطالع القرن العشرين :

للمهن دور كبير في تكوين الفكر السياسي للعمال، بسبب تجمعهم في مكان واحد واشتراكهم في الهموم والآمال، وطريقة تعبيرهم المختلفة، لذلك من الضروري معرفة التركيب المهني للعمال الجزائريين في مطالع القرن العشرين، فمن خلال الجدول رقم 3 نرى أن العدد الكبير من الجزائريين المسلمين كان يشتغل في القطاع الفلاحي، وهذا القطاع يتميز عماله أحيانا بالتفكير الأحادي (الانفرادية)، وقلة الشعور بالانتماء لمجموعة العمال، يضاف إلى ذلك ضعف المستوى التعليمي، وضعف المدخول اليومي، وعدم مقدرة الفلاح على تحليل الأوضاع الداخلية أو الخارجية، بسبب إهمال هذه الفئة التي كانت تعيش حياة قاسية في الأرياف في أوضاع مزرية أكواخ، انعدام الشروط الصحية أمراض سيطرة أصحاب الطرقية على عقول الفلاحين، نستطيع أن نقول عن هذه الفئة أنها مغلقة وفكرها جامد تسيطر عليه الخرافات والأساطير، والخضوع المطلق للقضاء والقدر بمفهومه السلبي الخرافي الهدام.(مع احترامي للدين الإسلامي) لذلك من الصعوبة جدا أن يجد المثقف بصيصا من النور لإيقاظ الأغلبية العظمى من الشعب الجزائري التي تقوقعت على نفسها في مجتمع ريفي متخلف، فالمثقف الملتزم بقضية شعبه كان يجد أمامه عدوان الاحتلال والجهل.

---

[76] Ageron C.R, les Algériens musulmans et la France, op.cit, p : 816

أما الجدول رقم 4 و 5 فيوضحان العمال الجزائريين المسلمين في القطاع الصناعي و التجاري والإداري، نلاحظ من خلال القراءة الأولية لهذين الجدولين الانخفاض الشديد للعمال الجزائريين فيهما، وهذه السياسية كانت مقصودة ومدروسة من طرف نظام الاحتلال (منع قيام طبقة عمالية واعية، وتوجيه الجزائريين المسلمين للعمل في الفلاحة)

جدول رقم: 3

توزيع الجزائريين المسلمين على القطاع الفلاحي [77]

السنة	فئة الملاكين	%	أصحاب المزارع	%	الخماسون	%	فلاحون أجراء	%	مجموع الجزائريين العاملين في الفلاحة
1901	1768085	54.7	107499	3.3	998935	30.9	356128	11.02	3230647
1902	1750226	53.5					371406		3268079
1903	1724657	52.18	181297	5.48	1012521	30.63	368133	11.11	3304608
1904	1726612	52.11	180863	5.45	1016494	30.68	389.210	11.7	3.313197
1905	1734306	52.3	174856	5.2	995914	30.3	403.705	12.2	3308781
1906	1721046	51.6	173638	5.2	993804	29.81	444941	13.3	3333339
1907	1661042	49.4	148225	4.4	1090983	32.4	458807	13.6	3.359057
1908	1689296	49.3	141473	4.1	1107051	32.3	483851	14.3	3421971
1909	1674753		137792		1053613		456362		3322520
1910	1783021		150081	4.2	1084746	30.7	507940	14.4	3525768
1911	1797803	49.1	134066	3.6	1157108	31.6	569088	15.5	3658065
1912	1795191	48.7	120971	3.3	1189034	32.6	584102	15.8	3689298
1913	1813513	48.6	144175	3.8	1168788	31.3	599663	16.09	3726139
1914	1775603	48.6	128637	3.5	1147476	31.4	598743	16.4	3605459

[77] ibid. p : 826

جدول رقم: 4

السكان الجزائريون المسلمون في القطاع الصناعي [78]

	1902	1903	1904	1905
رئيس العمال	97	84	43	36
مراقب	49	96	56	45
رجال عمال بسطاء	12587	19554	17517	17254
سائقوا العربات وعمال بسطاء	4559	5137	5722	5908
نساء عاملات بسيطات	1276	4515	3444	6480
أطفال عمال أقل من 15 سنة	1683	1410	2043	2740
شابات عاملات أقل من 15	244	1213	1159	1093
المجموع	20535	33009	29984	33556

جدول رقم: 5

المسلمون الموظفون والعمال في القطاع الصناعي والتجاري. [79]

إحـــــصائـــــيـــة 1911			
	رجال	نساء	المجموع
موظفون وعمال في الصناعة والتجارة (المواد الغذائية)	8499	710	9209
عمال في الصناعة وتجارة الملابس	5830	18903	24733
عمال في البناء	3944	66	4010
عمال آخرون	25626	605	26231
المجمو ع	43899	20284	64183
موظف تجاري و إداري	14644	1113	15757
المجمو ع	58453	21397	79940

ويلاحظ على السكان الجزائريين المسلمين أثناء الحرب الكونية الأولى وبعدها نزوحهم نحو المدن الصـــناعية لغياب اليد العاملة الأوروبية، وأكثرهم كانوا يشتغلون في المقاهي والنقل الحديدي، وأعوان إداريين، ومراقبين داخليين في الثانويات، وأئمة، وبوابون، وقد أصاب الأوروبيين نوع من القلق لأن بعض المسلمين الجزائريين دخلـوا المجتمـع الرياضي وأصبحوا يستعملون الهاتف، أما في الريف فقد شهد تدفق أنصاف البـدو للعمـل في مـزارع المحـتلين واستقرارهم. [80]

[78] ibid. p : 850
[79] ibid.
[80] ibid. p : 1167

وتجلت ظاهرة اجتماعية تمثلت في انتشار الأكواخ حول المدن وعلى أطراف مزارع المحتلين. (81) بالرغم من قساوة المعيشة داخل هذه الأكواخ لانعدام الظروف الصحية من تهوئة و رمي الفضلات إلا أنه كان لها أثر إيجابي بداية شعور هذه الجماعة بالاشتراك في وضعية واحدة و مصير واحد، وبالتالي تصبح لهم القابلية للاستماع إلى جماعة النخبة. وكذلك الشيء نفسه يقال عن الشباب الجزائري المسرح من الحرب الكونية الأولى فقد فتحت مجال فكره وكسرت جموده الفكري والشعور بالنقص أمام الفرنسي، فبدون شك شاهد هؤلاء الشباب الجزائري المجند خوف بعض الجنود الفرنسيين من الموت، ونقص الشجاعة لديهم فهذه الأسباب وغيرها جعلت الشبان المسرحين يشعرون بالاعتزاز بأنفسهم ومقدرتهم على مواجهة الصعاب وحمل السلاح، فيقول " أجيرون " عنهم: " بعد نهاية الحرب الكونية الأولى ظهرت غطرسة الجنود المسرحين والعمال المغتربين. " (82)

فهذا الريفي المسرَّح من الجيش الفرنسي كان يشعر بمركب النقص أمام المحتلين، وحتى من دخول المدينة للتسوق، فكان منكمشا على نفسه مع فلاحته وحيواناته، وفكره بيد شيوخ الزوايا والمشعوذين والرقاة و الخرافات، والرضا بوضعه كأنه قضاء وقدر، فانتشرت في الأوساط الشعبية الريفية مقولة: " فرنسا جاءت من البحر وسوف تذهب من البحر ولن تبق في الجزائر. " فالحرب الكونية الأولى جعلته يشعر بأنه بشر لا يختلف عن الآخرين وأن الاحتلال فرض عليهم بالقوة، وأن مركب النقص الذي كان يشعر به هذا الجندي المسرح ما هو إلا نتيجة سياسة التجهيل التي كانت مفروضة عليه من قبل الاحتلال، وأن الفقر المدقع ما هو سوى نتيجة لنهب ثرواته وطرده إلى المناطق الفقيرة، فالاحتلال الفرنسي عمل على غرس الإحساس بالضعف والتخلف، والشعور بالدونية في المجتمع الجزائري، وجعله يشكو من الجوع و التخلف وربطه بمجتمع العصور الوسطى الذي سادت فيه الأطماع البدائية، أصبح الفرد الجزائري خاصة في المجتمع الريفي يهتم فقط بتلبية حاجاته، والمحافظة على قيد الحياة والاستسلام للمكتوب. (83)

لقد عمل الاحتلال الفرنسي على تفكيك المجتمع الجزائري عن طريق مصادرة الأراضي بواسطة قوانينه فقد نقل عشائر وقبائل إلى المناطق الفقيرة بعد أن سلبها أرضها، التي كانت تمثل العنصر المادي والأساسي للروابط الاجتماعية فالمقاومات الشعبية ضد الاحتلال أدت بدورها إلى زعزعة بنية المجتمع الجزائري كم حدث في انتفاضة 1871-1872 هذا الهدم للمجتمع الجزائري كان هدفه بالدرجة الأولى خدمة مصالح فرنسا والمحتلين، فتجنيد الجزائريين خلال الحرب الكونية الأولى للدفاع عن فرنسا إلى جانب الجنود الفرنسيين وإخراج الجزائريين من قراهم وأريافهم وانكماشهم سمح لهم هذا التجنيد بالالتقاء بغيرهم من شعوب العالم وخاصة من مناطق الاحتلال الفرنسي،

---

(81) ibid.
(82) ibid. p : 1189

(83) مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 406

وإنشاء علاقات جديدة و إطلاعه على أمور عديدة ما كان له أن يدركها لا بواسطة النخبة التي كان يقتصر نشاطها الضيق داخل المدن القديمة كالجزائر و قسنطينة وغيرهما فالاحتكاك بالشعوب الأخرى وتعليم فنون القتال كان مدرسة للشبان الجزائريين لتجاوز تخلفهم، فهذه الحرب الكونية الأولى أعطت حركية فكرية إيجابية للمجتمع الجزائري، حيث بدأ الجزائريون يتحدثون عن مبادئ " ولسن " الأربعة عشر، والمطالبة بتقرير المصير. [84]

[84] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ط 2، دار الفكر، دمشق 1984، ص: 39

المبحث الرابع

البيئة الثقافية

مع مطالع القرن العشرين بدأت تتبلور ملامح الحركة الوطنية الجزائرية، نتيجة تفاعل الإنسان الجزائري مع بيئته الثقافية، و إطلاعه على الثقافة الإنسانية التي كانت سائدة في تلك الفترة، بعد اضمحلال فصول المقاومات الشعبية، التي لا يمكن أن ننقص من عظمتها لما قدمته من تضحيات في سبيل الدفاع عن الجزائر، فالأحداث السياسية والعسكرية هي أحداث ظرفية، أما الإنتاج الثقافي من إبداع و مساهمة في الفكر الإنساني يبقي خالدا لأنه نتاج الفكر وعصارة العقل، وسنتعرف في هذا المبحث على البيئة الثقافية التي سادت في الجزائر في مطالع القرن العشرين.

فالنخبة المثقفة المتنورة الواعية هي أعظم من القائد العسكري و السياسي، فهي الوجه الحقيقي المعبر عن ضمير أية أمة، فالأمم تقاس عظمتها بعلمائها و مخترعيها ومثقفيها.

تنوعت المصادر الثقافية لدى النخبة الجزائرية في مطالع القرن العشرين من مثقفين باللغة العربية، ومثقفين باللغة الفرنسية، ولكن اللغة والمصادر الثقافية المتنوعة لم تكن آنذاك تشكل عائقا أمام توحيد الرؤى الثقافية، والجهود للوقوف أمام سياسية الاحتلال. [85]

فالإسلام هو القاسم المشترك بينهما، وهو الغالب على الثقافة الجزائرية من جميع جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. [86]

فالاحتلال الفرنسي أساء كثيرا للثقافة الجزائرية " فالمواسم الوطنية، والتاريخ، واللغة إما اختفت وإما اضطهدت. وكانت المساجد قد حولت إلى كنائس، أو مستشفيات، أو متاحف. كما أن المثقفين الجزائريين قد فقدوا تدريجيا الاتصال بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم. أما الفلاحون فقد تركوا للخرافات والجهل. وقد كانت اللغة أكثر النظم الوطنية الجزائرية معاناة، وبالتالي فأن التربية عموما قد أنضرت." [87] فاللغة العربية والثقافة القومية حاصرها الاحتلال الفرنسي ومنعها من حرية التعبير ومسايرة التطور العلمي، ولو في أبسط صوره، ونجم عن ذلك أضرار فادحة في الميدان الثقافي كنتيجة لسياسية التجهيل، وإبعاد اللغة العربية عن منافسة اللغة الفرنسية، وتركها تدرَّس كثقافة تراثية مقتصرة على المبادئ الأساسية وتعليمها في الكتاتيب و الزوايا. [88]

---

[85] عمار هلال، المرجع السابق ص: 461

[86] Pierre Bourdieu, op.cit, p : 96

[87] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1900، 1930، المرجع السابق، ص: 61

[88] مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص: 418

فإلى جانب الوظيفة الدينية التي كانت تقوم بها الزوايا في مطالع القرن العشرين وقبله، كانت لها وظيفة ثقافية فالمدرسة تعمل على نشر المعرفة، و تمنح شباب القرية أو الريف تكوينا دينيا أساسيا له تأثيره المباشر على الحيـــاة الاجتماعيـــة الثقافية للمجتمع الجزائري، و ذلك من خلال تعليم الفقه المالكي ومختصر سيدي خليل الذي يعتبر كقانون أساســـي يطبقه الجزائريون المسلمون في حياتهم الشخصية والعائلية والاجتماعية.

فالزوايا عملت على تكوين المثقفين باللغة العربية وحافظت عليها من الزوال، ولكنها لم تستطع أن تتماشـــى مع عصرها بواسطة تعليمها التقليدي. [89]

أما في المدن الجزائرية فإن تأثير الزوايا بدأ في الاضمحلال، لأن الاحتلال الفرنسي أصبح يشرف على المساجد ويعين أئمتها، وعمالها، ويراقبهم. [90] لأن الاحتلال كان يعرف مدى تأثير الدين الإسلامي على نفسية الجزائـــريين، فعمل على توجيهه توجيها خاطئا بتعيينه للأئمة والمفتين، و إعطائهم رواتب شهرية حتى يكونوا في خدمته. في نظـــر الاحتلال يجب أن يبقى المسلم الجزائري متخلفا وغير واع ليكون أداة طيعة في خدمته. [91]

أهمل الاحتلال الفرنسي التعليم العربي، واكتفى باستخدامه كوسيلة للترجمة، وحتى أن مدرســـيها وموادهـــا كانت خاضعة لمراقبة سلطات الاحتلال. [92]

اضطهد الاحتلال الفرنسي اللغة العربية في الجزائر، و لم يعوضها باللغة الفرنسية، فالجزائري في نظره لم يكـــن سوى أداة وعلى هذا الأساس يجب أن يعامل. [93] فقد عارض المحتلون تعليم الجزائريين المسلمين، و يتضح ذلك من خلال المؤتمر الأول للفلاحين المنعقد في ديسمبر 1897 بالجزائر طالب المحتلون أن يبقى تعليم الجزائـــريين المســـلمين مقتصرا عـــلى التعليم الابتدائي، وتختصر فيه المواد النظرية مع التركيز الشديد على التعليم المهني و بالأخص الفلاحي. [94] كان هدفهم تكوين الجزائري المسلم من أجل خدمتهم في القطاع الفلاحي، وحتى يسهل على المحتلين مخاطبتـــه بسرعة، لأنهم كانوا يجدون صعوبة في اللغة للتعامل مع هذا العامل في الفلاحة، أو في غيرها من المهن الأخرى.

ووافقهم في ذلك الحاكم العام " ليبين " (Lépine) وأصبح شعار المدرسة الفرنسية الأهلية: " تعليم من أجـــل التطبيق – المعلم لا يعلِّم التلاميذ لاكتساب المعرفة، ولكن يعلمهم ليعملوا." [95]

---

[89]Ali Merad, op.cit, p : 68
[90] ibid. p : 80
[91] Ferhat Abbas, op.cit, p: 38
[92] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 63
[93] نفس المرجع، ص: 64
[94] Ageron, les Algériens musulmans et la France, op.cit, p : 923
[95] ibid. p : 924

في 1902 عارض المندوبون الأوروبيون تعليم المسلمين واعتبروهم خطرا عليهم وعلى الميزانية.[96]

وكان المحتلون يلحون على تكوين المسلمين في المدارس كرعايا وليس كمواطنين.[97]

و هذا الجدول[98] رقم 1 يبين بوضوح العدد الضئيل من التلاميذ المسلمين الذين واصلوا تعليمهم في المدارس والجامعات الفرنسية.

عدد الطلبة الجزائريين المنتسبين إلى الجامعات و المدارس العليا في فرنسا، و في المعاهد المفرنسة

السنة	عدد الطلبة	ملاحظة
1884	06	
1908	50	
1910	25	
1916	61	
1932	100	
1941	142	
1950	360	
1951	386	
1952	442	
1953	572	
1954	513	
1955	584	
1960-1959	1230	بما في ذلك الأقسام التي تهيئ إلى الدخول إلى المدارس العليا . 480 -في المدارس العليا 750-في الجامعات موزعين على الإختصاصات التالية: 1-الأدب: 95 2-الحقوق : 100 3-العلوم : 190 4-الطب-الصيدلة : 750

عدد الأطفال الجزائريين في المدارس الإبتدائية الإستعمارية

السنة	عدد التلاميذ	النسبة المائوية لعدد الأطفال الذين وصلوا سن التمدرس
1880	1150	
1884	2150	% 01,9
1908	33400	% 04,3
1914	47200	% 05
1930	68000	% 08,8
1944	11000	% 14,6
1953	302000	% 15,4
1954	307000	% 15,4

---

[96] ibid. p: 929
[97] ibid. p: 940

[98] منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996

ومنذ 1919 وقبله كان هدف المدرسة الفرنسية نزع ضمير الجزائريين، فقد كانت مدرسة لائكية شوهت التاريخ الجزائري عمدا، ولكن التلاميذ القدامى لهذه المدرسة الفرنسية فهموا أغراضها جيدا، وكانت بالنسبة إليهم كمسجد للعصر الجديد. [99] اطلعوا من خلالها على المعارف العالمية، ومبادئ الثورة الفرنسية 1789 (حرية- مساواة -إخاء) وأصبح لهم دور هام في توجيه الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في الجزائر، فقد تعلموا في المدرسة شيئا من البيانات السياسية، وأصبحوا يدركون عملية استعمال النفوذ السياسي، فقد كانت المدرسة مكانا يتعلم فيه التلميذ قيمة ((تكافؤ الفرص)) فقد تأثروا جدا بمفهوم المساواة والتي كانت مطلبهم في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين. [100]

أما الزوايا فإن تأثيرها على المجتمع الريفي بعد الحرب الكونية الأولى قد بدأ يضمحل من الناحية الاجتماعية والثقافية، وحكم عليها بالعزلة وذلك نتيجة للتطورات العصرية، وتكوين المعلمين وموظفي الدولة من قبل إدارة الاحتلال، وانتشار الجرائد والمجلات، وظهور الجمعيات الثقافية، والراديو (ابتداء من 1930) [101]، وظهور المدارس التي أنشأها العلماء في جهات عديدة من الوطن، وتأثر الشباب الجزائري المحافظ بالجامعات الإسلامية التونسية والمصرية (جامعة الزيتونة بتونس، وجامعة الأزهر بمصر) [102] ، فالمثقفون الذين عادوا إلى الجزائر من هذه الجامعات تلقوا تكوينا دينيا وثقافيا في هذه الجامعات، ففي سنة 1925 كونوا النواة الأولى للعلماء المصلحين بقسنطينة (حركة المصلحين الجزائريين) بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أسس جريدة المنتقد لنشر الأفكار الإصلاحية، أدت فيما بعد هذه النواة إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931. [103] ودعم فرحات عباس العلماء في حركته الإصلاحية وبناء المدارس الحرة لأنها تقف في وجه الطرقية والشعوذة والخرافات التي كان ينشرها الاحتلال بواسطة الزوايا وغيرها. [104]

---

[99] ibid. p : 955

[100] وليم ب كواندت، المرجع السابق، ص: 40

[101] Ali Merad, op.cit, p: 74
[102] ibid. p: 75
[103] ibid. p: 79

[104] رابح لونيسي، فرحات عباس المعترف بالحقِّ، دار المعرفة، الجزائر، بدون تاريخ، ص: 18

فالثقافة لم يتركها الاحتلال حرة، لأنه يعلم قيمتها، وقدرتها على توجيه الفكر الإنساني الذي يميل فطريا إلى التحرر ورفض الذل، والقهر، فلذلك أراد أن يوجهها توجيها بما يخدم أغراضه ومصالحه الدنيئة.

الاحتلال الفرنسي، قام بهدم المفاهيم السياسية، والنظم الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي كانت سائدة في الجزائر قبل احتلالها، و لم يعمل على تحسينها، أو استبدالها بالنظم الفرنسية، وإنما ترك الجزائريين يعيشون خارج الأحداث، وعاملا على جعلهم أكثر تخلفا وفقرا وجهلا مما كانوا عليه قبل الاحتلال، وكل ذلك كان بهدف فرض سيطرته و هيمنته على الأرض والعباد.

الفصل الثاني:

الحياة و الآثار.

المبحث الأول: المولــد والــنشــأة.

المبحث الثاني : تكوينه الاجتــماعي.

المبحث الثالث: تكوينه الــثــقافــي.

المبحث الرابع: تكوينه الــسيــاســي.

المبحث الخامس: أعماله الفــكــرية.

الفصل الثاني

الحياة والآثار

درسنا في الفصل السابق البيئة العامة التي نشأ فيها فرحات عباس، سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا، ورأينا بأنه قد تأثر بهذه البيئة أيما تأثر، مما جعله يعيش أربعة عقود من الزمن حائرا باحثا عن وطن آمن خال من الظلم والقهر والعبودية، أو بمعنى آخر البحث عن جزائر بدون احتلال يتعايش فيها كل سكانها بدون تمييز.

يتناول هذا الفصل الثاني من البحث مولد، ونشأة، ودراسة فرحات عباس، لأن ذلك له تأثيره كبير في تكوين شخصيته الاجتماعية والثقافية والسياسية، فالمنطقة التي ولد فيها وترعرع (منطقة الطاهير بولاية جيجل) كانت في مطالع القرن العشرين، وحتى إلى قيام الثورة التحريرية تتميز بفقرها الثقافي، وعدم وجود مدارس أو جامعات كبرى بها، أو نوادي ثقافية تنير الدرب للشباب المسلم، ولم تظهر بهذه المنطقة في مطالع القرن العشرين سوى جريدة هي الراشدي* (1911-1914) [105] فهذه المنطقة كان يغلب عليها الطابع الفلاحي، وسياسية المحتلين فيها كانت تهدف إلى جعل سكان هذه المنطقة فلاحين في مزارعهم بأجور زهيدة، فسياستهم الاستغلالية، وطبيعة المنطقة التي يغلب عليها الطابع الجبلي، وهي شبه منعزلة عن بقية مناطق القطر الجزائري، فالطرق التجارية التي تربط الشرق الجزائري بوسطه أو غربه أو جنوب الجزائر بشمالها لا تمر بمنطقة جيجل، فطبيعتها الطبوغرافية شبه مغلقة، أدارت بظهرها لبقية المناطق الجزائرية، ومفتوحة أمام البحر، فالناظر لمنطقة جيجل، والطاهير، والأمير عبد القادر، والشقفة من الطائرة يرى كأنها قوس مغلق ومفتوح أمام البحر في غربه تقع مدينة جيجل ثم يمتد سهلها على مسافة تتراوح إلى 25 كلم شرقا وفي هذه المنطقة الشرقية تقع الطاهير والشقفة هذا القوس الجبلي حمى سهل جيجل من هجوم القبائل الداخلية،[106] وهذا السهل الساحلي ضيق لم تسمح له الجبال بالتوسع فالتقت الطبيعة والاحتلال على القساوة ضد سكان جيجل، إن ظهور فرحات عباس في هذه المنطقة يعتبر تحد وربما نستطيع إن جاز لنا ذلك أن نقول معجزة لأن تحدي المنطقة كان قويا على سكان جيجل الذين أصبح همهم في كيفية الحصول على قوتهم اليومي ومواجهة الأجنبي

---

[105] Abderrahim Sekfali, in revue d'histoire Maghrébine, Tunis, N° 95-96, Mai 1999, p : 346

* العدد الأول من هذه الجريدة ظهر يوم الجمعة 06 جانفي 1911وكانت تنشر مواضيعها باللغة الفرنسية وتهتم بالأمور الثقافية والسياسية و الاجتماعية، وكانت تطالب بمساواة الجزائريين مع الفرنسيين في الحقوق والواجبات.

[106] Jean Lacouture, cinq hommes et la France, ed, Seuil, Paris, 1961, p : 267

الدخيل أو التعايش معه إلى حين، فأكثر الوافدين إلى جيجل عبر التاريخ (باستثناء المسلمين الفاتحين، وأسطول خير الدين و عروج) كان هدفهم استغلال السكان وسلب الثروات، لذلك تميز سكان جيجل بالحذر والحيطة من كل أجنبي دخيل (استمرت إلى ما بعد الاستقلال) فلجوء خير الدين و عروج وقبلهم الشيعيون، ثم المتمرد ابن الأحرش ضد النظام العثماني لم يكن عشوائيا و إنما لمعرفتهم لطبيعة سكان جيجل وميلهم إلى الحرية وكرههم للظالم والوقوف إلى جانب المظلوم.

المبحث الأول

المولد والنشأة

ولد الطفل فرحات المكي عباس* يوم الخميس 24 أوث 1899 بدوار الشحنة، ابن السعيد وأمه معزة عاشورة بنت علي** بقبيلة بني عافر الجبلية التابعة لبلدية الطاهير المختلطة.[107] وينحدر فرحات عباس من أسرة فلاحية صغيرة.

كان والده السعيد عباس قايد ((caïd)) في دوار بني عافر ثم ترقى إلى منصب آغا شرفيا لبلدية الطاهير المختلطة عاش فرحات عباس في أسرة متكونة من سبع بنات، وخمسة ذكور، أخوه الأكبر عمار خلف والده في منصب قايد، أما أحمد فكان كاتبا مساعدا ببلدية الطاهير المختلطة وأخوه الثالث حميد كان طالبا بجامعة باريس فرع الحقوق توفي في سن الخامسة والعشرين بسبب مرض خطير.[108] وأخوه الرابع محمد الصالح تلقى تكوينا مهنيا في الفلاحة.

ولد فرحات عباس في منطقة جبلية معزولة وفقيرة تقع على حواف سلسلة جبال البابور المقابلة لسهل جيجل الشرقي تسمى ((أحجار الميس- أو بوعفرون، حاليا تابعة لبلدية أوجانة)) قليلة السكان ومنزله يقع في وسط عائلة بوكفوس، وبوعاملي، و يسعد...إلخ، تقع جنوب بلدية الطاهير المختلطة وتبعد عنها بحوالي 13 كلم، وتقع شرق مدينة جيجل وتبعد عنها بحوالي 32كلم.

هذه المنطقة مغطاة بغابات مناخ البحر المتوسط المتمثلة في أشجار الصنوبر من نوع خاص يطلق عليه سكان المنطقة أشجار الميس ، وهو مشابه لأشجار الصنوبر (pindapo) الموجود في جبال سيرا نيفادا بأسبانيا، توجد بها

*** انظر شهادة ميلاده في ملحق الوثائق رقم : 01**

****انظر شهادة ميلاد أمه في ملحق الوثائق رقم: 02**

[107] ibid.

[108] Jacques Bouveresse, Les délégations financières Algériennes 1898 -1945, t 2, ed, université de Nancy Π. France, 1979, p : 897

كذلك أشجار البلوط والصنوبر الجبلي، وسكانها ينتمون لقبيلة بني عافر، والجزء الشمالي منها ينتمي سكانه لقبيلة بني سيار، وهي قليلة الكثافة السكانية كبقية المناطق الجرداء بجيجل، ويمارس سكانها النشاط الفلاحي المعاشي ذو مردود ضعيف يتمثل خاصة في زراعة أشجار الزيتون، والتين، والشعير، والبصل، والـــثوم، وتربية الماعز، والدجاج والقليل من الأبقار. [109] (هذه الفلاحة مازالت مستمرة إلى الآن في هذه المنطقة).

نشأ فرحات عباس في بيت مبني من الحجارة والطين * (**انظر الصورة رقم: 01**) يتكون من أربعة غرف أرضية صغيرة كان يضم إخوته الإثنى عشر، منهم خمسة ذكور أكبرهم عمار خلف أباه في منصبه وترقى مثـــل والـــده إلى منصب آغا، [110] ووالديه وجده الذي ارتبط به كثيرا يقول عن جده أنه ولد في نهاية القرن الثامن عشر مـــيلادي، وعرف بداية الغزو والحرب، وفي سنة1852 شارك جده في الحرب مع قبيلة بني عمران التي ينتمي إليها فرحات عباس ضد " سانت ارنو "، الذي أحرق كل المداشير والدواوير واستولى على أملاك الفلاحـــين و لم يتـــرك لهـــم ســـوى الدموع.[111] وهذه السياسة العسكرية التي كان قائدها " سانت ارنو " كان هدفها الحرق والقتل وتحطيم ممتلكـــات الجزائريين المسلمين.[112]

((وكان " سانت ارنو " يفتخر بكل وقاحة و وحشية في مذكراته بأنه محا من الوجود عدة قرى، وأقـــام في طريقه جبالا من جثث الموتى.)) [113] وفي سنة 1871 شاركت قبيلة بني عمران في انتفاضة المقراني والشيخ الحداد، وحمل جده السلاح، انهزم السكان المسلمون المقاومون وصادر الاحتلال الفرنسي أراضيهم ومنحها للمحتلين الـــذين جاؤوا من الألزاس و اللورين بعد هزيمة فرنسا في حربها مع بروسيا، واستيلاء هذه الأخيرة على منطقتي الألـــزاس و اللورين، وهجَّرت فرنسا قبيلة بني عمران إلى منطقة فج أم زالة، ووجد سكان الساحل من قبيلة بني عمران صعوبة في التأقلم مع مناخ الهضاب العليا، ورجع بعضهم ** وقاموا بكراء أراضيهم من المحتلين، وأن والده السعيد كان يشتغل في أراضي الكولون مدة 15 ساعة في اليوم مقابل أجر زهيد لا يتعدى 1.5 فرنكا يوميا. [114] كان العمل الفلاحـــي قاسيا في أراضي المحتلين، حيث كان العامل المسلم في أرضهم يعمل يوميا من الفجر إلى صلاة العشاء بدون انقطاع أو

---

[109] Benjamin Stora, Zakya Daoud,op.cit, p p : 18 - 19

* لم يبق من هذا البيت الذي ولد فيه فرحات عباس إلا أساسه الذي مازال إلى الآن وسط جيرانه الذين عاش بينهم وتربى معهـــم، فمعظمهـــم مـــازالوا ماكثين بهذه المنطقة، وجيل الاستقلال وما قبله من أبناء هذه المنطقة فخورون ومعتزون جدا بمولد فرحات عباس بينهم.

[110] Amar Naron, op.cit, p : 27

[111] Ferhat Abbas, op.cit, p :160

[112] مصطفى الأشرف، المرجع السابق ص ص: 58 - 59

[113] أندري نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص: 333

** نذكر من هذه العائلات: معزة، بومعزة، بوعكاز، الشين، ابن الضاوي (عباس) ، بياض، مسعدي ...إلخ، وهذه العائلات مرتبطة مع بعضها عـــن طريق النسب والمصاهرة.

[114] Ferhat Abbas, op.cit, p : 161

الصورة رقم : 01



الصورة تمثل: بقايا آثار المترل الذي ولد فيه فرحات عباس بمنطقة بوعفرون (أحجار الميس) حاليا هذه المنطقة تابعة لبلدية أوجانة دائرة الطاهير ولاية جيجل. (لم يبق من مترله إلا هذا الحائط الذي يظهر في الصورة)

أخذت هذه الصورة يوم: 5 أفريل 2004

تصوير: صاحب البحث

ملاحظة: بنى القايد عباس السعيد مترله هذا فوق أرض ملك لعائلة يسعد التي منحت له هذه القطعة من الأرض، والآن عادت ملكيتها إلى أصحابها الشرعيين.

عطلة أسبوعية أو سنوية، و المحتلون الذين جاؤوا إلى منطقة بني عمران كانوا فقراء ومارسوا العمـــل الفلاحـــي إلى جـــانـــب الفلاحين المسلمين.كان لوالد فرحات عباس ستة إخوة (خمسة ذكور وأخت واحدة)، كـــان يعمـــل والـــده من أجلهم جميعا قبل أن يتزوج في نهاية القرن التاسع عشر من امرأة من قبيلته تسمى معزة عاشـــورة بنـــت علي. [115]كانت عائلتها تمارس العمل الفلاحي كذلك، ومن المعروف عن هذه العائلة أنها كانت محافظة، قام رجالها بدور المصلحين في منطقتهم.

كان والده يخالط المصلحين ويناقش في الدين ويمارس شعائر الإسلام، في سنة 1880 تعرف والده على رجل سياسي فرنسي كان مستشارا عامـــا في بلدية جيجل ومالكا لمزرعة في دوار فرحات عبـــاس اسمـــه " دانيـــار دي فيجـــي" (Dasnière de Figie) تمكن والده من إقامة صداقة معه، و اشتركا معا في تجارة الأبقار، تمكن مـــن جمـــع أموال واشترى بها أراضي زراعية، وهذه العلاقة مكنـــته من وظيفة قايد في بلدية ستراسبورغ[116] أولا (حاليا بلدية الأمير عبد القادر) الكاملة السلطات وهي مسقط رأس والده وأمه. هذه البلدة التي أسسها المحتلون أخـــذت اســـم عاصمة الألزاس* ستراسبورغ، وذلك بقرار من الحاكم العام بالجزائر رقم 10 /1872/4/17 وأصبحت بلدية كاملة السلطات في سنة 1873 مساحتها 3555 هكتارا قسمت إلى 65 وحدة زراعية ومنحت لـــ 36 عائلة جاؤوا مـــن فرنسا من بينهم 15 عائلة من الألزاس و اللورين و44 عائلة جزائرية وصل سكانها ســـنة 1901 إلى 1710 ســـاكنا بينهم 145 فرنسيا و 16 من إيطاليا و أسبانيا وغيرهم، وهي بلدية زراعية بالدرجة الأولى تختص في زراعة الحبـــوب والكروم وتربية الأبقار والأغنام والماعز و الأحصنة والبغال. [117] لكن القانون يمنع وجود القياد في البلـــديات ذات السلطات الكاملة، فنقل والده إلى دوار بني سيار في بلدية الطاهير المختلطة، ولكن بسبب وقوع خلاف بينهم وبـــين قايد آخر في تلك المنطقة، نقل والده مرة أخرى إلى دوار الشحنة، و بالضبط إلى منطقة أحجار المـــيس(بـــوعفرون) التابعة دائما لبلدية الطاهير المختلطة، وذلك في سنة 1889 وبقى فيها إلى أن ترقى إلى منصب آغا شرفيا ثم أحيل على التقاعد سنة 1928 وخلفه ابنه عمار في منصبه. [118]

ووالده كان محبا للفلاحة وممارستها فلم ينس أصله، فحينما أحيل على التقاعد كان يذهب إلى وادي سقان ناحية فج أم زالة للعمل الفلاحي في أرض استأجرها من محتل. [119]

---

[115] ibid.

[116] ibid.

[117] www.pieds-noirs.org

*** انظر ملحق الوثائق رقم: 03 يوضح هجرة الألزاسيين واللوريين إلى الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشـــرين.**

[118] Ferhat Abbas, op.cit, p: 161

[119] ibid.

كان الطفل فرحات عباس مرتبطا جدا بأمه وبحكاياتها في سهراتهم الليلة فكان ينصت إليها كثيرا، ومتعلقا بها فكانت تحكي له عن دخول الفرنسيين إلى منطقتها والمعارك التي خاضتها قبيلة بني عمران، و تربط ذلك بعقاب من الله للمسلمين لأنهم أهملوا دينهم و لم يطبقوه مثل النصارى واليهود. (120)

وأمه كانت شجاعة ومحافظة مطبقة لشعائر الإسلام متواضعة تحب أولادها أكثر من نفسها ومستعدة لأن تضحي بحياتها من أجلهم، (121) توفيت سنة 1948 أي ثلاث سنوات بعد موت زوجها.

ففرحات عباس رسخت في ذهنه أن إهمال الدين الإسلامي جريمة، يعاقب عليها الله فلذلك لم يتخل يوما عن احترامه وتقديره و دفاعه عن الدين الإسلامي. وأن حب أمه له و تواضعها و إيمانها بالله أثر في نفسيته كثيرا، فتعلم منها التواضع وحب الفقراء، و تقديم حياته من أجل سعادتهم.

كان الطفل فرحات عباس في صغره يخالط أترابه من الأطفال، يلعب معهم ويتسابقون مع بعضهم، ويتعلمون المصارعة، لأنه يشعر بأنه جزء منهم تربى معهم في منطقة جبلية معزولة من كل مرافق الحياة، ما عدا الغابات، فلم يكن لديه عقدة استعلاء لكونه ابن قايد من طبقة تختلف عن جيرانه فطبيعة المنطقة القاسية حتمت عليه التواضع و مخالطة أترابه، وهذه العوامل بقيت مغروسة في ذهنه طوال حياته، فكان يشعر بالسعادة عند زيارته لهذه المنطقة، أو زيارة أحد الفلاحين الذين عاشوا معه في الصغر إلى منزله بالقبة القديمة بالعاصمة بعد الاستقلال، كان يحب أخواله الذين مكثوا في دوار بوحمدون بقبيلة بني عمران ويزورهم وهو صغير ويقضي معهم أياما طويلة، كان طفلا محبوبا متواضعا وذكيا ومحبا للآخرين يُؤثِر الخير للجميع، ويكره الظلم والتكبر والتجبر، صادقا في أقواله وأفعاله واثقا من نفسه، فهذه الصفات الحميدة ورثها عن أبيه وأمه وأخواله وهو يعتز بذلك كثيرا بانتمائه إلى طبقة فلاحية شريفة.

تأثر الطفل فرحات عباس في صغره كذلك بحكايات جده الذي كان يعيش معه فيقول عنه بأن ذاكرته كانت جيدة تشبه مكتبة، وهذا الجد هو الذي اختار لقب العائلة « عباس » لتسجيله في الحالة المدنية ليكون لقبا للعائلة بدل اللقب الذي عرفت به من قبل وهو ((ابن الضاوي))* و أسباب اختيار جده لهذا اللقب فهو يعود إلى اسم الجد الثاني لفرحات عباس، الذي كان يمتاز بالشجاعة والعدل و الصدق، وقتل في إحدى المعارك دفاعا عن شرف قبيلته قبل

---

(120) ibid. p :162

(121) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 19 - 20

* بقي هذا الاسم هو المشهور في المنطقة لحد الآن، وعندما تذكر اسم عباس فإنه يعني فرحات عباس وحده دون الآخرين من عائلته.

دخول الفرنسيين.و أعمام فرحات عباس عاشوا في قبيلة بني عمران وأحفادهم مازالوا إلى الآن يعيشون هنالك، فكان يزورهم كلما جاء إلى الطاهير وكان يستقبل استقبالا رائعا من الفلاحين البسطاء الأميين* كان يستعيد ذكريات آبائه وطفولته وجذوره[122] يسعد كثيرا بلقاء أناس بسطاء لم تفسد السياسة عقولهم، فبساطتهم مستمدة من طبيعتهم البسيطة، وحياتهم المتواضعة، وطموحهم المحدود الذي لا يتجاوز طلب الحصول على الغذاء وكوخ يحميهم من حر الصيف وبرد الشتاء.

لم يستطع فرحات عباس التخلص من تأثير نشأته وسط فلاحين فقراء عاش بينهم طفولته، وتربي في وسطهم. فكان لهذه النشأة تأثير كبير على شخصيته، ونضاله السياسي، فهو في كتاباته أو خطبه يتعرض دائما إلى أوضاع هؤلاء البؤساء، داعيا إلى الاهتمام بهم وتحسين وضعيتهم، لأن إهمالهم في نظره خيانة، وعمل غير مقبول، فالأمة لا يمكنها أن تتطور نحو الأحسن إلا بالنهوض بهؤلاء الفلاحين الفقراء وتحررهم من كل أنواع الاضطهاد والقهر وفتح المجال أمام أبنائهم للتعلم والتكوين.

---

* كنا ونحن صغار نشاركهم في استقباله، ولازلت أتذكر كيف كان يحتضن الفلاحين، ويسأل عن أحوالهم، وينصت إلى همومهم بكل اهتمام، ويفرح بنا كثيرا (أتذكر ذلك جيدا بعد إطلاق سراحه من السجن سنة 1965) (صاحب البحث)

[122] ibid. p p : 162-163

المبحث الثاني
تكوينه الاجتماعي

في هذا المبحث سوف نتعرض إلى البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها فرحات عباس، وأثر ذلك على شخصيته، فقد ولد في مجتمع حطمه الاحتلال الفرنسي من جميع الجوانب. [123] وينحدر من أسرة فلاحية بسيطة ومتواضعة، سلب منها الاحتلال جميع ممتلكاتها و رحَّل قبيلته بني عمران إلى منطقة فج أم زالة ومنح أراضيهم للمحتلين الذين جاؤوا من الألزاس و اللورين بعد هزيمة فرنسا في حربها مع بروسيا سنة1870. [124]

ويصف فرحات عباس فئته الاجتماعية التي ينتمي إليها بقوله:" أنا من العامة الذين سلبت حقوقهم، وظهورهم مقوسة إلى الأرض تبحث عن الخبز المفقود مغطاة بالجراح والثياب الرثة... أنا منبوذ وسط المنبوذين."[125] ويتكلم عن طبقته الاجتماعية والتي لم يستطع أن يتخلى عنها أبدا، وكان والده معدوما فقيرا، فانتفاضة 1871 حولت القبائل إلى غبار وسحقت المجتمع الجزائري وأفقرته، فسياسة الاحتلال غيرت المجتمع الجزائري. [126] فهو ينتمي إلى عائلة بسيطة.كان والده يشتغل كأجير في أرض الكولون لمدة 15ساعة في اليوم بأجر زهيد، في سنة 1880 اشترك والده مع محتل يسمى " دانيار دي فيجي " في تجارة الأبقار، حيث كان يشتري الأبقار، ويقوم ببيعها مع اقتسام الفائدة مع هذا الشخص الذي كان يشغل منصب المستشار العام ببلدية جيجل، واستطاع أن يوفر بعض المال، اشترى به قطعة أرضية بمنطقة دواره تبلغ 40 هكتارا زرعها زيتونا، وحبوبا (القمح والشعير) فاكتسب أموالا، فاشترى أرضا أخرى مساحتها 20 هكتارا تقع في بلدية الطاهير المختلطة بالقرب من وادي جن جن الذي يفصل بلدية الأمير عبد القادر (سابقا ستراسبورغ) ذات الصلاحيات الكاملة. [127] فوالده ينتمي إلى الفئة الجديدة التي ظهرت في المجتمع الجزائري في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.وكان عدد الملاك الجزائريين المالكين لهذه المساحة من الأرض الفلاحية في تلك الفترة حوالي 5000 مالكا، [128] الذي استطاع أن يحقق به ارتقاء اجتماعيا ليصل إلى منصب قايد، وهي الوظيفة التي لا يتكلم عنها فرحات عباس بفخر وحماس، بل وصل به الأمر إلى أن يصف والده بذلك الإقطاعي الذي لا يرحم الفقراء ويعاقبهم بصرامة. [129]

---

[123] وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص، ص: 37-38

[124] Ferhat Abbas, op.cit. p : 161

[125] Ferhat Abbas , éditorial de L ’ entente Franco - Musulmane, Nº 32, du 15 Mai 1937

[126] Guy Pervillé, op.cit, p : 31

[127] Ferhat Abbas, op.cit, p: 161

[128] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 21

[129] حميد عبد القادر، فرحات عباس، رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر 2001، ص: 22

ويقول عن والده:" إنه لم يكن من طراز هؤلاء الرجال العظماء الداعين إلى تحسين وضعية الفلاحين، بل كان مجرد مالك أراضي يرتدي برنوسا أحمر يفتخر به كثيرا، ولا تهمه إطلاقا وضعية فلاحيه." (130) كان الطفل فرحات عباس يتعاطف كثيرا مع الفلاحين الفقراء الذين يعجزون عن تسديد الضرائب، فكان يأخذ المال من أمه خفية عن أبيه القايد ويمنحه للفلاحين الذين لا يستطيعون تسديد الضرائب، وكان أخوه حميد * أكثر جرأة من فرحات، فكثيرا ما عارض والده ونهاه عن خدمة الاحتلال بإخلاص.

يتساءل بنيامين ستورا:" هل معركة فرحات عباس ضد نظام الاحتلال بدأت عن طريق التمرد على الوالد ؟ هذا الوالد يحترم الدين والنظام ولا تهمه إلا مصلحته." (131)

هناك اختلاف جوهري بين فكر فرحات عباس ووالده، قايد مغرور بمنصبه و ببرنوسه الأحمر يشعر بالسعادة حينما يقدم خدمة للإدارة الفرنسية، رغم أنه عاش وسط فلاحين فقراء معدومين، كان يقدر فقط جيرانه المحيطين به من عائلة بوكفوس فخدمهم وخدموه، واحتمى بهم من المتمردين من بني عافر هذه القبيلة الجبلية المتمردة على القياد وإدارة الاحتلال، ولكن ولديه فرحات و حميد جلبا له نوعا من الاحترام و التقدير بسبب وقوفهما إلى جانب الفلاحين الضعفاء ودفاعهما عنهما ضد أبيهما الذي يجسد التبعية المطلقة لنظام إدارة الاحتلال بعد ترحيله من قبيلته (بني عمران) أي تحول الولاء من القبيلة إلى إدارة الاحتلال التي عملت على خلق فئة جديدة موالية لها كل الولاء بعد أن قضت على الإقطاعية التقليدية في المجتمع الجزائري، و بَنَتْ فئة اجتماعية من الأهالي ومنحتها بعض الإمتيازات والمناصب الإدارية لتكون أداة سياسية طيعة لخدمة الاحتلال، وطبقة وسيطة بينها وبين الفقراء المعدومين، وهذه السياسة تلجأ إليها أنظمة الاحتلال والأنظمة العسكرية الديكتاتورية، حيث تقضي على نخبة المجتمع سواء كانت ثقافية أو مالكة لوسائل الإنتاج، وتخلق طبقة من المعدومين موالية لها كل الولاء بعد منحهم جزءا من الإمتيازات، فهذه الفئة تريد أن تظهر بمظهر سيدها، تسعد بخدمته، أي تبعية مطلقة، ففي هذه البيئة الاجتماعية الجديدة نشأ فرحات عباس، تحدى أولا والده وثانيا الاحتلال حيث تأثر بمبادئ الثورة الفرنسية (حرية-مساواة-إخاء).

فهو رجل مثقف، ومن عائلة محافظة تقليدية، ومتعاونة مع إدارة الاحتلال لكنه رفض أن يتخلى عن شعبه

---

(130) نفس المرجع ص ص : 22-23

* توفي في الخامسة والعشرين من عمره حينما كان يدرس بجامعة السوربون بباريس فرع الحقوق

(131) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 22

ويتركه يعاني الفقر والجوع والتخلف، رجل مخلص، وعصري، رجل مجروح، تحمل مسؤولية الدفاع عن شرفه وشرف شعبه. [132]

نقلت الأسر المتعاونة مع الاحتلال صورا حسنة لأبنائها عن فرنسا. [133] وكان تأثير الأسرة الاجتماعي هاما في أفكار النخبة المثقفة و المتخرجة من المعاهد والجامعات الفرنسية، لأنها لم تكن تنظر لفرنسا نظرة حقد وكراهية، أن والده كان يرى في فرنسا بأنها صاحبة الفضل في كل ما وصل إليه من ثروة وجاه ومنصب اجتماعي هام، فأجداده حرموا من أراضيهم وأملاكهم وهجِّروا منها، لأنهم قاوموا الاحتلال ورفضوه بكل ما يملكون من الوسائل، فمعاداة والده لفرنسا معناه العودة للفقر و العوز، تأثر فرحات عباس بأمه عاشورة فكانت امرأة عطوفة ومتسامحة تشفق على الضعفاء و تتألم لآلامهم، وكثيرا ما كانت تقدم لهم الأكل واللباس والمال، فأحبها الفقراء المحيطين بها كثيرا، وكانوا ينادونها بـ " لالا عاشورة "، بعكس والده المتغطرس والمعجب ببرنوسه الأحمر بين فقراء يرتدون ثياب رثة، ولا يجدون ما يأكلون.

أكبر هَمٍّ حمله فرحات عباس في العشرينيات من القرن العشرين هو التحرر الاجتماعي و الاقتصادي للفلاحين، فهي في نظره أكثر أهمية من الحقوق السياسية، وهي المقدمة الضرورية لبعث الوعي في نفوس الجزائريين للانتقال فيما بعد إلى المطالب السياسية. [134] فالمجتمع الجزائري هو بحاجة إلى المدرسة، و إلى الخبز كذلك، فقبل أن ننقل المجتمع إلى الثورة العامة يجب أن نحرره اجتماعيا أولا بتوفير المدرسة. [135] كان يركز كثيرا على بناء المدارس لتعليم الشعب الجزائري واكتساب المعرفة لأنها أساس أي تطور اجتماعي، فليس عن طريق الجهل و الفقر يتحقق التحرر الاجتماعي، فعباس فرحات كان يريد العلم، والاحتلال يريد الجهل لاستعباد الجزائريين.

أما عن الحركات الاجتماعية التي انتشرت في أوروبا في مطالع القرن العشرين فيقول عنها: " الأفكار الكبرى التي ملكت مشاعر الإنسانية مثل الديكتاتورية العمالية، الديكتاتورية الفاشية، الديمقراطية، النقابة، بالنسبة إلي إنها أمور غامضة ولا أفهمها." [136]

---

[132] ibid. p : 38

[133] وليم ب. كواندت، نفس المرجع، ص: 39

[134] نفس المرجع، ص: 40

[135] Ferhat Abbas, éditorial de L' entente franco - musulmane, N° 32, du 15 mai 1937

[136] ibid.

الاحتلال الفرنسي خلق طبقة اجتماعية غير معروفة في العالم الإسلامي، البروليتاري، العامـل، اليـوم هـم الأكـثرية نزحوا من قبائل محاربة وغنية. (137)

وأصبحت وضعيتهـم الاجتماعية مـأساوية فلا أحد اليوم يستطيع أن يخفـي أو ينكـر مأسـاة الفـلاح الجزائري، الجزائر العسكرية الـرسمية لم تصمد أمام الغزو الفرنسي لبلادنا سوى عشرين يوما، أما جزائر الفلاحـين فقد صمدت نصف قرن، الفلاح دافع عن أرضه، عن حريته، عن شرفه، بكل الوسائل التي يملكها و لم يهدأ إلا عندما سحقه سلاح الاحتلال، الكثير من الجزائريين الآن يجهل هذه الحقيقة، هذه الأمور تعلمتها وأنا صغير علـى ركـبتي جدتي. (138)

تَـأثُّـر فرحات عباس بالوضعية الاجتماعية لشعبه كان له تأثير كبير على حياته السياسية. (139)

كان للمدرسة دور كبير في تكوين الفكر الاجتماعي، فقد سمحت لبعض الجزائريين من اكتساب معارف لم تكن معروفة من قبل لدى الجزائريين، كما سمحت لهم بالإطلاع على الفكر الحر سواء في فرنسا أو في مناطق أخرى من العالم، وعلى الأفكار القومية التي انتشرت في أوروبا، ومبادئ الثورة الفرنسية، فكانت هذه المدارس التي أنشـأها الاحتلال لخلق طبقة نخبوية موالية له، و إبعادها عن أصولها العربية الأمازيغية، أصبح طلابها و متخرجوها يتناقشـون حول الوضعية المأساوية التي يعيشها شعبهم، ويقارنونه بوضعية المحتلين. (140) إن تعليم الجزائريين هو ضرورة بالنسبة لحكم الاحتلال لأنه يمثل إتمام غزو الأرض بغزو الأدمغة. (141) وهذه الفئات المتخرجة سوف تكون في نظر الاحتلال في خدمته لفرض سيطرته على المجتمع الجزائري.

إن احتلال الجزائر تم بواسطة السلاح وانتهى عام 1871 بنـزع السلاح من القبائل الثائرة، أما الاحـتلال الحقيقي فيتمثل في غزو العقول عن طريق المدرسة ونشر اللغة الفرنسية. (142)

" اشتغل فرحات عباس وجيله مباشرة بالسياسية في الثلاثينات، وقد منعهم تراثهم العائلي وشعورهم الـديني خاصة من إتباع الفئة الصغيرة للمسلمين المرتدين الذين أصبحوا مواطنين فرنسيين متطبعين في العشرينات.ومنذ أيام

---

(137) Ferhat Abbas, Le jeune algérien, ed, Garnier, paris, 1981, p p : 29 - 31
(138) ibid. p p : 97-98

(139) وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 37
(140) صالح عباد، الجزائر بين فرنسا و المستوطنين 1830-1930، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، 1999، ص: 175
(141) عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص: 77
(142) نفس المرجع.

دراستهم فقط اهتموا بالمساواة والإصلاح، وقد جرى تعزيز هذه الاهتمامات وتضمينها محتوى أكبر عندما أصبح يدرك الشباب الفئات السياسية الأخرى مثل الشباب الجزائري وصحفهم. وخلال هذه الناحية من التأثير الاجتماعي يبدو أنهم كونوا ثقتهم الكبيرة بالتجديد والعصرية." [143]

فمن الناحية الاجتماعية تأثر كثيرا بالاشتراكية الإنسانية وأصبحت كما يقول " شارل أندري جوليان "، مذهبه في الحياة، كان حساسا جدا للظلم الاجتماعي، ويرفضه رفضا مطلقا حيث يقول: " كنت أتذكر جيدا وأنا طفل في المدرسة القرآنية جباة الضرائب عندما يأتون في منتصف سبتمبر من البلدية المختلطة (الطاهير) لجمع الضرائب كانوا يمكثون في بيتنا حوالي عشرة أيام إنه فرق واضح بيننا وبين الفرنسيين، هناك مشهد، ولكنه مشهد مأساوي رأيته بعيني، الفلاحون الفقراء الذين كانوا لا يستطيعون دفع ضرائبهم، يتعرضون للعقاب حيث تعرى رؤوسهم، وتربط أيديهم إلى الخلف، أسأل أعيان الدوار: لماذا هذا العقاب؟ فيجبونني بقولهم: إن والدك ليس قاسيا، القايد م * ... كان يقيدهم، ويسفك اللبن فوق رؤوسهم ليتجمع الذباب لإزعاجهم، وقد توصلت إلى سرقة الأموال من أمي لأدفعها لهؤلاء الفلاحين لتحريرهم، حيث ينقصهم فرنكان أو ثلاثة فقط، هذا شيء مؤلم لي كثيرا."[144] والده لم يكن قاسيا في معاملته مع الفلاحين كبقية القياد الآخرين، كان يرحم الفلاحين، ويتعاطف معهم أحيانا.[145] لعله يريد من ذلك السلوك دفع شر هؤلاء الجياع عنه.

الشيء الملاحظ على فرحات عباس أنه كان يميل أكثر إلى فئة المحرومين من الفلاحين البؤساء، أكثر من ميله إلى فئته الاجتماعية التي ينتمي إليها والده، فكان يكره تلك الفئة، ولا يرتاح لها، لأنه يعلم أساليبها التي استعملتها للوصول إلى المال والجاه، وعدم مقدرتها على مواجهة جلاديها، فكان يرتاح كثيرا مع الضعفاء الذين لم تفسدهم لا السلطة، ولا المال، وهذه العاطفة أكسبته حب الفقراء كثيرا له في منطقته.

---

[143] وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص :46

* أشار فرحات عباس إلى ذلك القايد بحرف " الميم " و لم يذكر اسمه كاملا حتى لا يثير الخصام بين العائلتين، أما هذا القايد فهو " مقراني " كان قايدا على منطقة بني سيار، ويذكر معاصروه بأن العلاقة بين هذا القايد ووالد فرحات عباس لم تكن جيدة (صاحب البحث)

[144] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 26-27

[145] Amar naron, op.cit, p : 27

المبحث الثالث

تكوينه الـثـقافـي

هذا المبحث يتعرض إلى موضوعين أساسين، الموضوع الأول مرحلة الدراسة لفرحات عباس، منذ دخوله إلى المدرسة حتى تخرجه من الجامعة كصيدلي، والموضوع الثاني يتناول المؤثرات الثقافية (أو بالأحرى الأفكار الفلسفية) التي ساهمت في تكوين الفكر الثقافي لفرحات عباس خلال مسيرته الدراسية.

أدخله والده بعد سن الثامنة إلى المدرسة القرآنية (الكتاب) القريبة من مترله بأحجار الميس _ بوعفرون _ ليتعلم القرآن الكريم على يد معلم جار لهم يسمى: محمد بوكفوس، وكان والد فرحات عباس وسكان الدوار كلهم ينادونه سيدي محمد، كانت معلوماته محدودة كبقية معلمي الكتاتيب في تلك الفترة (مطالع القرن العشرين)، لكن هذا المعلم كان محترما من طرف تلاميذه عطوفا عليهم غير قاس، روحه مرحة والابتسامة لا تفارقه يساعد الجميع يأخذ بيد الضعفاء، يعلم القرآن لوجه الله مقابل مساعدات ضعيفة يقدمها له سكان تلك المنطقة تتمثل في كميات قليلة من الحبوب أو زيت الزيتون لتعليم أولادهم، تعلم فرحات عباس من شيخه الأول التواضع واحترام الناس والأخذ بيد الضعيف والصبر وتحمل المشاق، كان الطفل فرحات محبوبا هو الآخر من زملائه فلم يكن متميزا عنهم في لباسه المتمثل في قشابة وقميص وأرجل حافية. [146] كبقية أترابة في تلك المنطقة الجبلية الفقيرة التي أضافت قساوتها إلى جانب قساوة نظام الاحتلال، فتعاونت الطبيعة والاحتلال على تجويع و تفقير أهالي المنطقة.

المدرسة القرآنية (**انظر الصورة رقم: 02**) تقع فوق ربوة (يجد قاصدها مشقة في الوصول إليها) متكونة من غرفة واحدة مبنية من الطين والحجارة ومغطاة بالديس*، تعلم الطفل فرحات عباس مبادئ اللغة العربية، وحفظ بعض آيات القرآن الكريم، كان سريع الحفظ حينما يذهب إلى الدار يعرض على أمه ما حفظه، فتفرح به كثيرا، أما والده فكان يركز اهتمامه على إرسال أطفاله الذكور إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية الأهلية التي دخلها الطفل فرحات عباس سنة 1909 وعمره 10 سنوات. [147]

---

* الديس: نبات ينمو في جبال الأطلس التلي المواجه للبحر المتوسط يستعمله الفقراء في تغطية سقوف منازلهم المبنية من الطين والحجارة، أو الخشب.

[146] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 27

[147] ibid. p: 23

الصورة رقم: 02



هذه الصورة تمثل المدرسة القرآنية، التي بدأ فيها فرحات عباس تعليمه لأول مرة، لم يبق منها حاليا إلا هـــذه الآثار.

أخذت هذه الصورة يوم: 05 أفريل 2004

تصوير: صاحب البحث

أما والده فهو أمِّـــيٌ لا يعرف القراءة والكتابة، ولكنه متحمس للتعليم أرسل جميع أبنائه الذكور والإناث إلى المدرسة القرآنية المجاورة له، أما الذكور فقد أرسلهم فيما بعد إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية الأهلية بالطاهير اثنـــان منهم دخلا الجامعة فرحات وأخيه حميد، كان يقول لهم والدهم إن أحسن إرث أتركه لكم هو العلـــم، ولا أحـــد يستطيع أن ينـــزعه منكم، فالكتاب أحسن صديق للإنسان. (148) أُعجب الطفل فرحات عباس كـــثيرا بالمدرســـة الفرنسية الأهلية، وكان شغوفا لتعلم اللغة الفرنسية بعد عامين من الدراسة في هذه المدرسة نقله والده إلى المدرســـة الابتدائية الفرنسية بمدينة جيجل وفي هذه المدينة الساحلية الصغيرة المملوءة بالأحداث التاريخية التي مرت عليها مـــن فينيقيين ورومان و وندال و بيزنطيين وفتوحات إسلامية، وغارات القراصنة الجنويين (مملكة إيطالية) واتخذها الإخوة عـــروج وخير الدين عاصمة لهم في مطلع القرن السادس عشر الميلادي (1514) وغارات الدوق " دي بوفـــور " (Duc de Boufort) في جويلية 1664 مكث فيها حوالي ثلاثة أشهر فقط، حيث هاجمته قبائل منطقة جيجل من بني قايد وبني عمران وبني أحمد وبني خطاب وبني عافر وغيرهم ففر هاربا منها بعد أن خسر 2000 عســـكري، وتـــرك مدافعه بها هذه الذكريات تعلمها فرحات عباس في هذه المدينة التي لم ينس سكانها ما حدث لهم فهم يتذكرونها بكل أسى ومرارة. (149) كيف حاول الأجانب الغزاة احتلال هذه المدينة، فجيجل مدينة سكانها حذرون جدا لكل أجنبي فالجبال المحيطة بها كانت عائقا صعبا أمام سكان الجزائر للوصول إلى هذه المدينة، والبحر جلب الغـــزو و الأعـــداء والنهب، وفيها استطاع أن يثبت نبوغه الدراسي.

والتحدي الثاني الذي واجهه فهو من زملائه الأوروبيين في المدرسة الذين كانوا يســـخرون مـــن العـــرب وينعتونهم بنعوت ساخرة مثل " الجبن الأحمر " لأنهم كانوا يضعون على رؤوسهم شاشـــيات حمـــراء أو الحجـــارة المحلوقة.(150) وفي الدليل المدرسي الذي كانت تمنحه لهم المدرسة " دليل لا فيس " مكتوب فيه: " فرنسا تريد مـــن أطفال العرب أن يكونوا أكثر علما من أطفال الفرنسيين." (151) فالمدرسة الفرنسية كانت تمنع على أطفال العـــرب التحدث بلغتهم داخل القسم وفي ساحتها، هكذا واجه التلميذ فرحات عباس واقعه في مدينة جيجل، ورغم ذلك فإنه استطاع أن يثبت قـــدرته على التحدي ويقول بافتخار: " في أكثر الأحيان كنت أحصـــل علـــى الرتبـــة الأولى في الاختبار في الفرنسية. " (152)

---

(148) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p :162
(149) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 24
(150) ibid. p: 25
(151) ibid. p p: 24-25
(152) ibid. p: 25

في مدينة جيجل اكتشف الطفل فرحات عباس الثقافة وثقل التاريخ. [153] ومن جيجل انتقل للدراسة إلى متوسطة بسكيكدة (التعليم المتوسط)، حيث استفاد من النظام الداخلي مع 20 تلميذا داخليا جزائريا، وحوالي 50 أو 60 تلميذا داخليا أوروبيا،[154] وهو في السادسة عشر من عمره، وجد أطفال القياد مثله وكانوا يحلمون بعد تخرجهم من الدراسة بوظائف إدارية تحقق لهم أحلامهم ورقيهم الاجتماعي. [155]

وفي سن الثامنة عشر انتقل إلى ثانوية قسنطينة وكان تأثير هذه المدينة التاريخي والثقافي كبيرا ومؤثرا في ثقافة فرحات عباس، هذه المدينة الزاخرة بالأحداث التاريخية، وفيها بدأت تتكون شخصية فرحات عباس الوطنية، تأثر بمقاومة الملوك النوميديين، أي بداية استقراءه للتاريخ عن وعي عميق بأبعاده، أمثال مسينيسا ويوغرطة اللذين قاوما الاحتلال الروماني لمدة طويلة قبل أن تسقط هذه المدينة، وهي مركز تجاري وطريق عبور بين الشرق والغرب، وكذلك واجهت الاحتلال الفرنسي لها بكل قوة و لم تسقط إلا في أكتوبر سنة 1837، تلقى فيها العلم وتاريخ أجداده ومقاوماتهم. كانت في هذا الوقت تعرف نشاطا إصلاحيا كبيرا من خلال مساجدها الكثيرة.

في سنة 1921 تحصل على شهادة البكالوريا، وتوقف عن الدراسة لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية بمدينة عنابة وبقي ثلاث سنوات في الجيش، كلف بمهمة كاتب مسير في مستشفى قسنطينة ثم مستشفى جيجل، ثم كمحضر للدواء وكان برتبة رقيب، ليطلق سراحه سنة 1923 [156]، بعد قضائه ثلاث سنوات في الخدمة العسكرية الإجبارية، والرتبة العسكرية التي منحت له كأهلي، لم تكن هي نفس الرتبة التي تمنح للفرنسيين الذين يتساوون مع الأهالي في نفس المستوى الثقافي. [157] لقد تألم فرحات عباس للتمييز المفضوح والعنصري الموجود بين الجزائري والفرنسي المحتل، رغم تساويهما في المستوى الثقافي والعملي، لكن الاحتلال غير عادل قائم على التمييز العنصري والظلم والتعسف.

ولذلك يقول بإلحاح: " تجنيد طلبة الطب والصيدلة في الهيئة الصحية بالجيش، يجب أن تكون رتبتهم العسكرية مساوية لكفاءتهم مثل الفرنسيين. " [158] في سنة 1923 التحق بجامعة الجزائر فرع الصيدلة و لم يكن مسجلا في هذا الفرع سوى ثمانية طلاب مسلمين جزائريين. [159] و لم يكن في الجامعة سوى 50 طالبا مسلما و 2000 طالب أوروبي. [160]

---

[153] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 25

[154] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p, 25

[155] نفس المرجع ، ص: 26

[156] ibid. pp: 27, 28
[157] ibid. p:28
[158] ibid
[159] ibid
.[160] ibid. p: 41

أما عن أسباب اختياره لهذا الفرع لكي يسمح له بعد تخرجه من ممارسة الأعمال الحرة، وألا يكون مرتبطا بإدارة الاحتلال التي لا تمنح مناصب المسؤولية للجزائريين المسلمين.[161] فتحت له الجزائر العاصمة آفاقا واسعة لرجل مثله حيوي وفي صحة جيدة، كان يجمع بين اتجاهين طالب موهوب ومنعزل لدروسه، ومن جهة أخرى مناضل نشط يرتاد المقاهي، يشرب الشاي كثيرا ويتحدث بحماس مع أصدقائه الطلبة من المسلمين والأوروبيين كان يهمه العلم أكثر من المال يريد أن يعرف العالم، أمام التمييز العنصري للاحتلال أحيانا كان فرحات لا يجاهر بأسراره، وأحيانا يهاجمه، سلاحه في ذلك المعرفة.[162]

أثناء مزاولة دراسته الثانوية أو الجامعية لم يلاحظ أية عنصرية من طرف أساتذته، كان هدفهم يتمثل في نجاح طلبتهم. لكنه لم ينس التمييز العنصري بين المسلمين والأوروبيين أثناء أدائه الخدمة العسكرية الإجبارية من 1921إلى 1923 فميدان العمل ليس كميدان الدراسة، وقد أورد حادثة واحدة فقط أثناء تعرضه للسخرية من طرف مجموعة قليلة من بعض الطلبة الأوروبيين، حيث سخر منه طالب أوروبي قائلا له: " لو لا فرنسا يا فرحات عباس لكنت راعيا للماعز في دوارك." فرد عليه فرحات عباس بقوله: " قبل غزو الفرنسيين لوطني كان جدي يملك أرضا وقطيعا من الحيوانات. وأنت هل تستطيع أن تقول لي ماذا كان يملك آباؤك في مالطا؟ أليس الفقر هو الذي جاء بك إلى الجزائر؟ "[163]

في سنة 1931، تخرج من الجامعة بعد أن تحصل على دبلوم صيدلي من الدرجة الأولى.[164]

لم يكن فرحات عباس يشعر بالدونية أمام زملائه الطلبة من الأوروبيين، حيث كان واثقا ومتأكدا جيدا بأن الشعب المهزوم لا يعني مطلقا بأنه شعب ضائع.[165] بإمكانك أن تهزمني، ولكن ليس بمقدورك أن تخضعني، ويقول: " لسنا نحن الذين انهزمنا أمام الغزو الفرنسي ولكن أسلحتنا هي التي انهزمت. "[166] أما المؤثرات الثقافية التي استمد منها ثقافته تتمثل أولا في الدين الإسلامي حيث يقول: " أن الإسلام سيبقى الغذاء والمحرك الأساسي للمقاومة الجزائرية. "[167] هذا الدين الإسلامي الذي رضعه من حليب أمه واستمده من بيئته، وتاريخ أجداده.

---

(161) Amar Naron, op.cit, p : 28

(162) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 29

(163) Ferhat Abbas, le jeune algérien, op.cit , p : 15

(164) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 29

(165) Ferhat Abbas, le jeune algérien, op.cit, p :15

(166) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 30

(167) Ferhat Abbas, le jeune algérien, op.cit, p : 19

والمؤثر الثاني هـــو التعمق في الثقافة الفرنسية وفهم أسرارها وعناصر قوتها، فكان إلى جانب دراسته الصيدلة، كان يحضر محاضرات الأستاذ " غوتييه " (Gautier) في كـــلـــية الآداب ليطلع علـــى تاريخ وطنه مـــن دخـــول القرطاجيين إلى الوقت الحالي ولاحظ تكرار نفس الأخطاء ونفس المصائب ونـــفـــس المقاومات التي خاضها الشعب الجزائري ضد الغزاة.[168] ويورد مقالا للأستاذ " غوتييه " حيث يقول:" بعد اثنى عشر قرنا من الغزو العربي للمغرب تعرب بنسبة كبيرة واعتنق الإسلام بقوة، وهذا ما يقلقنا." [169] الإسلام يقلق الغزاة الأوروبيين لأنه المحرك الأساسي للمقاومـــات ورفـــض الذل والإهانة. ثم يتعرض إلى المبرر الذي جاء به " غوتييه " حيث يقول: " حكومة الخلفـــاء هي حكومة نظامية، أرسلت جيشا منظما بقيادة جنرالات وموظفين عسكريين، متبوعا بإداريين، تخيلوا مـــاذا يعـــني ذلك ؟ وليس كما يقول ابن خلدون، غزو وتمركز الجيش العربي وإنشاء مكاتب عربية في المدن، لكن الغزو العـــربي كان جنوده عزابا، تزوجوا بالمغربيات فاختلطت الدماء، فالغزو لم يكن ماديا فقط، ولكن أخلاقيا له عقل فكان ذلك انتصارا كاملا للإسلام. " [170] ينتقد فرحات عباس ابن خلدون في طريقة نشر الإسلام في المغرب العـــربي، فلـــولا اختلاط الدماء، وترسيخ العدالة الاجتماعية بين سكانه لما انتشر الإسلام في المغرب العربي، وذلك عكس الاحـــتلال الفرنسي تماما.

بالعكس فإن "مارسييه" (G.Marçais) يخالف رأي "غوتييه" إن دخول الإسلام إلى البربر كان بواسطة جيش نخبوي متكون من صحابة الرسول (ε) واليوم توجد بمنطقة القبايل عائلات من المرابطين مبجلة ومحترمة بين السكان وهي التي أدخلت الإسلام إلى البربر، فالإسلام اليوم للمغرب عنصر أساسي للروابط الاجتماعية. [171] فـــالاحتلال الفرنسي للجزائر نسي عنصر الإسلام، " فالأستاذ الجامعي غوتييه مثله مثل المؤرخين الغربيين الذين يعظمون الاحتلال الروماني لتبرير وجودهم في الجزائر، أعرفه جيدا وشرفني بصداقته، فقد كتب بكل نزاهة: التاريخ ليس له صفة العلوم أو الرياضيات أو الفيزياء التي لها حدود... إننا نكتب التاريخ لخدمة المواطن المحب لوطنه، أو بالأحرى لخدمة قـــارئ مرتبط بوطن محدد، ومن المستحيل فعل شيء آخر، هذا العلم الصغير الحدسي يقترب من الإنسان كثيرا لينـــزع منه نهائيا العواطف الإنسانية." [172] فتاريخنا موضوع خام لم يكتب بعد، المؤرخون لهم مسؤولية في كتابة تاريخنا لإعطاء صورة حقيقية عن ماضينا. [173] عمل فرحات عباس على وضع الحجر الأساسي لتخليص التاريخ من النظرة والتحليل الخاطئ المتعمد من طرف مؤرخي المحتل.

---

(168) Amar Naron, op.cit, p : 29
(169) Ferhat Abbas, autopsie d'une guerre, op.cit, p : 32
(170) ibid.
(171) ibid. p p : 32 - 33
(172) ibid. p : 30
(173) ibid. p : 31

فالمؤرخون أمثال " مارسيبه " و " غوتييه " شوّهوا تاريخ الجزائر، واعتبروا الوجود العربي الإسلامي في الجزائر احتلالا، ووصفوا العرب بأوصاف لا تليق بهم مثل عصابات إسلامية. [174] ويثني على مؤرخين اثنين فقــط همــا " شارل أندري جوليان "، و" شارل روبير أجيرون " اللذان كتبا بموضوعية عن تاريخ شمال إفريقيا. [175]

إلى جانب المؤثـــرات الدينية والتاريخية التي ساهمت في تكوين فكره الثقافي، نجد مؤثرات أخرى كان لها دور هام في ثقافته، وهـــو إطلاعه ودراسته لأدباء فرنسيين كبار من عصر التنوير، كان يقرأ مؤلفاتهم ويعيد ما قرأ ليتعمق في فـــهم الثقافة الفرنسية. [176] وعناصر قوتها، فالمعرفة عنده سلاح، لا يهمه المال ولا الرياضة، لم يخلـــق للعمـــل اليدوي. [177] قرأ مؤلفات " شاتو بريان" (Chateaubriand) [178] وهي محاولة حول الثورة، و عبقـــري المســـيحية، والشهداء، و الطريق مـــن باريس إلى القدس، والمغامرات الأخيرة لابن سراج، هذه الرواية الأخيرة لهذا الأديب تُصور خروج آخر ملوك المسلمين من غرناطة سنة 1492 [179] وحـــاول هـــذا الكاتب أن يجعل مـــن المســـيحية ديانـــة عصرية ذات قيمة للحياة العصرية والإنسان العصري [180] وقـــرأ كذلك لـــ "ديدرو" (Diderot) [181] الذي تدور كتاباته الفلسفية حول المؤسسات الدينية المسيحية وسيطرتها عـــلى الفرد والأسرة وينتقدها انتقادا فلسفيا، [182] وقرأ لـــ " فولتير " (Voltaire) [183] ومؤلفاته خاصة رسائل فلسفية التي ينتقد فيها الملك لويس الخامس عشر، ويدافع عن الحرية ضد الهيمنة وسياسية القهر، فكانت رسائله بداية لبيان عصر التنوير. [184]

---

(174) ibid. p: 31

(175) ibid.

(176) Amar Naron, op.cit, p: 29

(177) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 25

(178) Amar Naron, op.cit, p: 29

(179) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Chateaubriand "

(180) ibid.

(181) Amar Naron, op.cit, p: 29

(182) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Diderot "

(183) Ammar Narron, op.cit, p : 29

(184) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Voltaire "

وقرأ كذلك لــ "بلزاك " (Balzac) [185] مثل: رسائل بلزاك، وهي ملـــهاة إنســـانية، تتعـــرض للحيـــاة الاجتماعية الباريسية، وينتقدها ويضع الحلول لإصلاحها يقتـــرح البداية بإصلاح الأسرة و المجتمـــع. [186] واطلـــع كذلك على مؤلفات " فرانس اناتول " (France Anatole). [187] مثل الآلهة عطشى، والتاريخ المعاصـــر، والـــذي يتعرض فيه بالأخص إلى قضية الحرية في فرنسا، وقضية درايفوس. [188] وقرأ قصص " فيكتور هيجـــو "، البؤســـاء، منـــزل الراعي، على الصخرة البيضاء [189]

يقول عنه بنيامين ستورا: " رجل ذو ثقافة مزدوجة، واحدة داخلية خاصة مسلمة، والأخرى عامة سياســـية جمهورية." [190] قرأ كثيرا لهؤلاء الأدباء الفرنسيين الذين كان لهم دور كبير في حركة التنوير التي عرفتـــها فرنســـا، وكان لهم تأثير كبير على المجتمع الفرنسي، قرأ كذلك لمؤرخين فرنسيين كبار اهتموا بتاريخ الجزائر ليعـــرف تـــاريخ بلاده، أراد أن يستمد الأفكار والعوامل الثقافية الأساسية التي تدفع الأمم إلى التطور، وذلك بدراسة السلبيات ونقدها ووضع الحلول بدلها، هكذا أراد فرحات عباس أن يكون ناقدا ومصلحا لمجتمع حطمه الاحتلال والجهل، فأفكاره التي استمدها من الثقافة الفرنسية، غرسها في بيئة غير مناسبة لها، فالمحتلون الذين جاؤوا إلى الجزائر، معظمهم كانوا مثالا للرداءة، و الشعب الجزائري كان يغلب عليه الجهل، و النخبة الجزائرية لم تكن لها الوسائل الضرورية لنشر أفكارها، وإدارة الاحتلال مراوغة وحذرة، وشعب مسلم أنهكه الجوع والتعب فلم تعد الأفكار تهمه، فالجائع يفكر ببطنـــه لا برأسه، المهم أن الشعب الجزائري بقي محافظا على دينه التقليدي، الذي يستمد فلسفته أكثر من عصـــور الانحطـــاط والتخلف التي عرفتها الأمة الإسلامية، وشجعها أئمة هم أقرب إلى الجهل منهم إلى العلم، وضـــعتهم فرنســـا أئمـــة وراقبتهم، وشيوخ الزوايا تألهوا بين شعب جاهل وفقير. مناخ ثقافي رديء عم الأرياف الجزائرية خاصـــة، وأكثريـــة سكان الجزائر المسلمين في هذه الفترة كانوا ريفيين، أما سكان المدن منهم فكانت نسبتهم قليلة و معظمهم تـــأثروا بالثقافة الفرنسية واندمجوا فيها، وقلدوا المحتلين في لغتهم ولباسهم وأكلهم، وطريقة تفكيرهم، ولكنهم مع ذلك لـــم يحترمهم المحتلين وظلوا ينظرون إليهم نظرة احتقـــار وأطلقوا عليهم أسماء حقيرة مثل: " بـــيكو "، " راثـــــون " و " جذوع التين ". [191]

---

(185) Ammar Narron, op.cit, p, 29

(186) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Balzac "

(187) Ammar Narron, op.cit, p, 29

(188) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " France Anatole "

(189) Jean Lacouture, op.cit, p :270

(190) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 11

(191) ibid. p: 41

فرحات عباس ذو ثقافة عالية، متصلب و عنيد في مطالبه، يكره الكذب والنفاق، صادق في أقواله وأفعاله، ما كان يعبر عنه في بداية نشاطه السياسي كان نابعا من قناعته، فقد دافع عن فئة الفلاحين التي حرمها الاحتلال من أدنى شروط الحياة، بقي مرتبطا بها، متأثرا بوضعيتها، جعل حياته في خدمتها، منذ بداية نشاطه السياسي إلى وفاته.

ثقافته الإسلامية منعته من التنصل من جذوره العميقة المغروسة في أرض الجزائر، وجعلته إنسانا حرا رافضا للذل و العبودية، وثقافته الفرنسية منحته القدرة على مواجهة المحتلين بلغتهم، ومخاطبتهم بمبادئهم الديمقراطية التي ضحوا من أجلها خلال الثورة الفرنسية 1789.

فهو إنسان مسلم برهن على قدرة المسلمين على اكتساب العلوم والمعرفة، وحبهم للحرية والديمقراطية كبقية الشعوب الحرة.

اطلع فرحات عباس على تاريخ فرنسا من خلال المدرسة، ولكن هذا لم يكن كافيا له، فقد كان مهتما بمعرفة تاريخ المغرب العربي، ولكن من خلال الكتب التاريخية الفرنسية، ومع ذلك فقد وجه انتقادات لاذعة لمؤرخي الاحتلال المتحيزون للظلم، وتبرير ما لا يبرر خدمة لوطنهم فرنسا.

وانتقد كذلك ابن خلدون في طريقة تحليله لانتشار الإسلام في المغرب العربي.

فهو إلى جانب كونه سياسي بالدرجة الأولى لم يهمل الدراسات التاريخية والإنسانية لأنه أدرك بأنها هي المحرك الأساسي لوعي الشعوب وتحررهم.

المبحث الرابع

تكوينه السياسي

بدأ فرحات عباس يهتم بالسياسة منذ شبابه فقد أرسله والده إلى جامعة الجزائر لدراسة الصيدلة من أجل أن يكون حرا في عمله بعد تخرجه من الجامعة، وغير مرتبط بالوظائف الحكومية، لكن فرحات عباس كانـــت دراســـة الصيدلة بالنسبة إليه أمرا ثانويا، ففي الجامعة بالجزائر كان يهتم كثيرا بمحاضرات أساتذة التاريخ والفلســفة والأدب، وكل ذلك من أجل تعميق معارفه الإنسانية التي منحته فيما بعد معارف واسعة بالفكر الغربي، وجعلت منه إنسانا ذو معارف عميقة، مكنته من خوض الميدان السياسي بكل ثقة وقدرة على المجادلة، وتقبل الرأي الأخر.

فرحات عباس رجل سياسي جزائري. [192] عارض النظام الكولونيالي الفرنسي في الجزائر، وكافح من أجل الاستقلال الذاتي للجزائر ثم من أجل استقلال وطنه. [193] حياته كلها مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: البحث عن وطن داخل فرنسا.

المرحلة الثانية: البحث عن وطن مع فرنسا.

المرحلة الثالثة: البحث عن وطن خارج فرنسا. [194]

بدأ نشاطه السياسي وهو طالب بالجامعة قال فيه أحد أصدقائه من الطلبة الأوروبيين قصيدة شعرية:

صـيـدلـي فـي هـيـئـتـه

ولكنه شـاب تركي في أعـماقـه

كـقـنـينـة مـملوءة يتصرف

مصـمم أن يكون مـحـرضـا [195]

يرى " جون لاكوتير " أن فرحات عباس تأثر كثيرا بثقافة وعادات الفرنسيين تجاوزت " ليو بول سونغور"، أو أحمد بن صالح أو عبد الرحيم بو عبيد فلا أحد منهم استطاع أن يتعمق في الثقافة الفرنسية مثله كل هؤلاء المسؤولين تلقوا الثقافة الفرنسية، ولكن فرحات عباس كان أكثر المتخاصمين وأشدهم معارضة لفرنسا. [196] يرى معظم المؤرخين والكتاب الفرنسيين بأن ثقافة فرحات عباس العميقة هي التي قادته وأنارت له طريق النضال

---

[192] Dictionnaire, Langue, Encyclopédie, Noms propre, ed, spadem-adagp, Paris, 1980, p p :1- 2

[193] Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Ferhat Abbas "

[194] Jean Lacouture, op.cit, p : 266

[195] Amar Naron, op.cit, p : 30

[196] Jean Lacouture, op.cit, p : 266

السياسي، لمواجهة سياسية نظام الاحتلال في الجزائر فهو قريب من الفرنسيين، وبعيد عنهم. (197) صحيح أن دراسته الجامعية فرع الصيدلة كانت بالنسبة إليه فرعا ثانويا حيث بقي فيها ثماني سنوات بدل ست سنوات، لأنه كان يهتم بدراسات أخرى في الكيمياء والبيولوجيا، ويهتم أكثر بالسياسة، والأدب الفرنسي. (198)فرض نفسه كمصلح رافض للعنف لمدة ربع قرن، و لم ينضم إلى الثورة التحريرية إلا بعد انهزامه. (199) في تكوين جزائر تتسع للجميع ويلغى فيها الاحتلال بطرق سلمية.

رفع فرحات عباس بهدوء العَلَم الذي سقط من يدي الأمير خالد. (200) ويعتبر الأمير خالد من حركة الشباب الجزائري، فقد قدمه نائب نانسي (Nancy) العقيد "دريان" (Driant) أمام المجلس التأسيسي بقوله:" رجل ذو قيمة كبيرة، يتكلم الفرنسية بشكل رائع، يعرف جيدا حاجيات الأهالي، كرس حياته للدفاع عنهم، مع اختيار فرنسا كوطن له." (201) نجد فرحات عباس سار على نفس الدرب الذي سار عليه الأمير خالد فقد كان يعمل على دمج الجزائر المحتلة بفرنسا إدماجا كليا مع احتفاظ المسلمين بأحوالهم الشخصية، وكتب موضوعا حول ذلك بعنوان: " من المحتلة إلى المقاطعة " (202) وهنا يشترك مع الأمير خالد في كونهما مثقفين ثقافة فرنسية و مخلصين لعاداتهما وتقاليدهما الإسلامية، ومدافعين عن قضية الأهالي، وذلك في إطار الدولة الفرنسية، ومتأثرين بكمال أتاتورك.

فمطالب الأمير خالد كانت سياسية وطنية، حيث طالب بأن يسمح للجزائريين أن يصبحوا مواطنين فرنسيين مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية الإسلامية، بينما إصلاحات فيفري 1919 لم تكن تسمح للجزائريين بالارتقاء إلى الجنسية الفرنسية إلا في حالة تخليهم عن حالتهم الشخصية كمسلمين. (203) وعارض الأمير خالد قضية إدماج الجزائريين بالتخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، وقد كتب مدافعا عن رأيه في جريدة " الإقدام " : " أن الجزائريين لا يستطيعون قبول المواطنة الفرنسية داخل أي إطار غير إطارهم الخاص. وقال أنه " حلم " فقط أن نسأل الفرنسيين تغيير شرطهم لأنه أولا شرط " لا تريده الجماهير "، وثانيا أن فرنسا نفسها " لن تصدر أبدا قرارا بالتجنيس الجماعي"، لأنها تخشى أن ترى الكولون تحت سيطرة خمسة ملايين جزائري." (204)

---

(197) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 11

(198) Jean Lacouture, op.cit, p : 269

(199) ibid. p : 266

(200) Amar Naron, op.cit, p :27

(201) Ageron C.R, politiques coloniales au Maghreb, p p : 254-255

(202) Jean Lacouture, op.cit, p :270

(203) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 ، المرجع السابق، ص :382

(204) نفس المرجع: ص، 383

فقانون 4 فيفري 1919 و قرار 6 فيفري 1919 ترتب عنهما انقسام في " لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين " أو بالأحرى ما يسمى بـــ " الشاب الجزائري " الذي تكوَّن قبل الحرب الكونية الأولى. (205)

فئة منهم أشادت بالتجنس، وفئة أخرى منهم سا

رت وراء الأمير خالد النقيب السابق في الجيش الفرنسي، الذي رفض التجنس وناضل من أجل إصـــلاحات هامة. (206) وهي مساواة الجزائريين مع الأوروبيين في الحقوق و الواجبات، يزول معها مفهوم الاحتلال، وهذا مـــا كان يسعى فرحات عباس إلى تحقيقه.

فالسكان المسلمون طالبوا خاصة بإلغاء التفاوت الموجود في الأجور بين اليهود والمسلمين في العمـــل داخـــل الورشات 15 فرنكا يوميا لليهود، و 5 فرنكات فقط للمسلمين. (207) أساس الإصلاحات هي التحرر الاجتمـــاعي والاقتصادي والثقافي للسكان المسلمين. (208) وهذه المطالب التي يلح عليها فرحات عباس في الثلاثينيات من القـــرن العشرين هي استمرارية لمطالب الأمير خالد، الذي أسس في جانفي 1922 (الأخـــوة الجزائريـــة)، (209) هـــدفها " يتجلى في البـــحث عن الوسائل للدفاع، وتحسين الوضعية المادية، و الأخلاقية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية للمسلين الجزائريين (تأسست هذه الجمعية في 23 جانفي 1922) ومطالبها هي:

1. التطبيق الكامل لقانون 4 فيفري 1919.
2. التمثيل النيـــابـــي للأهالي المسلـــمين الجزائرين والمساواة التي نص عليها قانون فيفري1919 يـــجب أن تطـــبق كلها. " (210)

بعد زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية " ميليران " (Millerand) إلى الجزائر في شهر مـــاي 1922 كتبـــت جريدة الإقدام في افتتاحيتها يوم 4 أوث 1922 والتي ترأسها الأمير خـــالد منذ 1921، المطالب السريعة التالية:"

1. التمثيل النيابي للأهالي غير المتجنسين في البرلمان الفرنسي.
2. رفع تمثيل المسلمين إلى خمسين في المجالس النيابية الجزائرية.
3. الإلغاء الكلي والنهائي لقانون الأهالي.
4. نشر التعليم.
5. تحضير ميزانية القبيلة بواسطة الجماعة دون شروط قهرية.

---

(205) Claude coollot-Jean Robert Hery, op.cit, p: 30
(206) ibid.
(207) Ferhat Abbas, éditorial de L' entente franco - musulmane, Nº 23 du 20 février 1936
(208) Ferhat Abbas, éditorial de L' entente franco - musulmane, Nº 24 du 27 février 1936
(209) Claude collot-Jean Robert Henry, op.cit, p: 30
(210) ibid. p p: 30-31

6. مشاركة الأهالي الفعالة في أراضي المحتلين.

7. فتح الطرق البرية والحديدية في المناطق المنسية.

8. اختيار القياد عن طريق الانتخابات أو المسابقات.

9. احترام الإدارة للبند 14 من قانون 4 فيفري 1919. "[211]

ففرحات عباس حمل هذه المطالب نفسها، مساواة الجزائريين بالمحتلين دون التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية. [212] حيث يقول: "يوجد سبعة ملايين ينتظرون نصيبهم في وطنهم بعد قرن من الحيرة والقهر، ومن أجلهم دخلنا النضال السياسي. "[213]

دخل فرحات عباس الميدان السياسي متأثرا بأفكار الأمير خالد، وبالوضعية المأساوية للشعب الجزائري، والظلم الذي فرضه المحتل عليه وكان يحمل راية مزدوجة مثل الأمير خالد راية فرنسا، وراية الإسلام. [214]

لقد دافع الأمير خالد عن الجزائر، وسار على دربه فرحات عباس، و غيرهما من النخبة التي تطلعت إلى التحرر السياسي و الثقافي و الاجتماعي والاقتصادي للجزائريين المسلمين دون التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، فقد تقربت النخبة و الشخصيات الإسلامية من الأمير خالد وتعاونت معه في مشاريعه الإصلاحية ومطالبه السياسية. [215]

" إن أحسن مصدر ممكن لدراسة هذه الإيديولوجية الفرنسية الإسلامية هي مجموعة المقالات التي كتبها فرحات عباس ما بين 1922 – 1927 ونشرها سنة 1931 في كتابه الشاب الجزائري. " [216] وفيها يتضح جيدا فكر فرحات عباس في بداية نضاله السياسي منذ دراسته الجامعية، فكان يدافع عن الجزائريين ضد المحتلين الذين استغلوا الجزائريين استغلالا سيئا بدون رقيب عليهم، ووقفوا كحاجز مع النظام العسكري المساعد لهم ضد أي تطور و تحرر للأهالي المسلمين في جميع الميادين، فإصلاحات 1919 بقيت داخل علبة من الورق غطاها الغبار، والديكتاتورية الكولونيالية دفنتها. [217]

---

[211] ibid. p p : 30-31-32

[212] Guy Pervllé, op.cit, p : 231

[213] Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane Nº 33, du 12 août 1937

[214] Guy Pervillé, op.cit, p : 224

[215] بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النفائس، ط 2، بيروت، 1986، ص : 124

[216] ibid. p : 225

[217] Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane Nº 35, du 26 août 1937

بـــدأ كتابته السياسية الأولى وهو طالب في الجامعة، في جريدتـــي: " الإقدام "(Al-Ikddam) و " هـــمزة الوصـــل " (le Trait d'Union)* وكان يكتب تحت اسم مستعار – كمال بن السراج – وأسباب اختيـــاره لهـــذا الاسم الذي يتكون من اسمين مركبين، الأول كمال استمده من حاكم تركيا كمال أتاتورك، الذي كـــان عـــدوا لفرنسا. [218] وقاد ثورة لائكية، وقضى على نظام الخلافة الإسلامية سنة 1924 ودفع باليونانيين إلى البحر، وفضـــل وضع القبعة على رأسه وارتداء البذلة الأوروبية التي لازمته طوال مدة حياته. [219] فأفكاره الثورية التقدمية يمكن أن يكون لها تأثير على المغرب العربي لإيقاظه من سباته، فالمرجعية الثورية لفرحات عباس مستمدة من الثورة الفرنســـية 1789، والمقاومة التركية بقيادة كمال أتاتورك. [220] أمـــا اسم ابن السراج فقد استمده من قراءته لرواية "شـــاتو بريان " (Chateaubriand). [221]وهي: " المغامرات الأخيرة لابن السراج " التي نشرها سنة 1826. [222] وهو آخر ملوك غرناطة الذي طرد من حكمه سنة 1492، فبكى حكمه كثيرا، ولقي إهانة من أمه لأنه لم يدافع عن حكمـــه مثل الرجال.[223]

اسمه المستعار الذي كان يوقع به مقالاته في الجرائد السابقة يجمع بين شخصـــيتين مســـلمتين متناقضـــتين، الشخصية الأولى وهي تركية متمثلة في كمال أتاتورك الذي قاوم الاحتلال والخلافة الإسلامية، وانتـــهج اللائكيـــة كقاعدة إستراتجية له في مجتمع مسلم، بهدف الوصول بالركب الحضاري الذي تمثله أوروبا الغربية في تلك الفترة.

أما الاسم الثاني ابن السراج فيمثل قمة انهيار الحكم العربي الإسلامي في الأندلس، لـــملك عربي لم يدافع عن حكمه كالرجال ولجأ إلى المغرب فارا من المسيحيين، وكان معظم وقته يقضيه باكيا على حكمه الضائع فشتمته أمه بقولها:

" أبك مثل النساء ملكا مضاعا   لم تحافظ عليه مثل الرجال " [224]

ففرحات عباس يريد استعادة حق ضاع، ولكن مع إعطاء حركية للتاريخ متماشية حسب رأيه مع التطورات الجديدة، أي فصل الدين عن الدولة، وهذا بسبب تأثره بالثقافة الفرنسية.

---

* جمع مقالاته التي كتبها في هاتين الجريدتين وغيرهما في كتابه (الشاب الجزائري)

[218] Jean Lacouture, op.cit, p : 269

[219] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 17

[220] Jean Lacouture, op.cit, p : 269

[221] ibid.

[222] Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Chateaubriand "

[223] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 17

[224] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشروق العربي، بيروت، بدون تاريخ ، ص : 22

أما أسباب اختياريه لهذا الاسم المستعار هو خوفه من إدارة الاحتلال إذا كشفته بأنه يمارس السياسة سوف تقطع عنه المنحة الدراسية، وتفصله من الدراسة. [225]

وهو يريد استعادة أمجاد أجداده الضائعة، ففي المقالات التي كان يكتبها ركز " على أهمية الفتوحات الإسلامية، وتفوق الفاتحين المسلمين، مقارنة بالغزو الروماني للبلاد الذي لم يحمل معه سوى الخراب للفلاحين الذين انتزعت منهم أراضيهم، فعاشوا في عبودية إلى أن جاء الفاتحون المسلمون لتخليصهم من عبودية روما و قهرها، واحتقارها لكل من رفض الولاء لسيطرتها ناعتة إياه " بالبربري " كما حدث مع سكان أفريقيا الشمالية." [226] فالاحتلال الفرنسي للجزائر رفض أي تطور للمسلمين الجزائريين، وقضى على المجموعة الوطنية إما بالموت أو التمييز العنصري أو الديني فالجزائر ضحية لنظام الاحتلال الفرنسي ووضعيتها مأساوية. [227] "ويعتقد فرحات عباس أن اندماج البربر في الحضارة الإسلامية حدث بسهولة، لأن الفاتحين أعادوا لهم أراضيهم التي صادرتها روما واحترموا التقاليد المحلية وتسامحوا معها... ويذهب فرحات عباس بعيدا إلى حد الدعوة للإقتداء بالفتوحات الإسلامية حتى تظهر بذور الحضارة والتقدم." [228] يتهمه "جون لاكوتير" بأن مقالاته كانت بسيطة وتنقصها المعلومات والتحليل، ولكنه كان شجاعا، وناقما على الاحتلال، ومعبرا عن رغبة الشباب المسلم. [229] وهي المساواة في الحقوق والواجبات مع المحتلين، وإلغاء القوانين التعسفية ضد الجزائريين، لم يكن فرحات عباس في هذه الفترة عند بداية نشاطه السياسي يرغب في الانفصال عن فرنسا فقد كتب موضوعا في كتابه " الشاب الجزائري " عنونه " من المحتلة إلى المقاطعة." [230]

وربط ذلك بتحرر المسلمين الجزائريين، لأنه لا يمكن أن تكون هنالك جزائر فرنسية حقيقية بدون تحرر. [231]

---

[225] Ferhat Abbas, le Jeune Algérien, op.cit, p :65

[226] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 41

[227] Ferhat Abbas, Rapport du 2me Congrès National de l' UDMA Tlemcen les 16.17. et 18 Septembre 1949, Le régime colonial est la négation de la justice et de la civilisation, ed, libération, Alger (sans date), p : 9.

[228] نفس المرجع والصفحة.

[229] Jean Lacouture, op.cit, p : 269

[230] ibid. p : 270

[231] Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane Nº 30, du 11Juin 1936

ويعطي أمثلة بألمانيا عند احتلالها للألزاس واللورين المقاطعتين الفرنسيتين، ففي خلال نصف قرن أصبحت الثقافة الألمانية هي السائدة، وأصبح الفرنسيون فيهما ألمانيون بدون تمييز عرقي أو ثقافي أو اقتصادي أو اجتماعي. [232]

و لم تكن عملية التجنس فردية، وإنما كانت جماعية لكل سكان مقاطعتي الألزاس واللورين. [233]

كان فرحات عباس يعمل في بداية نشاطه السياسي على إلغاء التفرقة بين الجزائريين المسلمين، والمحتلين، ويسعى إلى تحقيق مجتمع متجانس خال من العبودية والقهر والإقطاعية، أراد أن ينقل مبادئ الثورة الفرنسية 1789 وشعارها: الحرية — العدالة — الإخاء، إلى الجزائر، وأن تطبق على كل سكانها بدون تمييز عرقي. [234]

" يلاحظ محفوظ قداش أن كل النخب الجزائرية خلال العشرينات كانت تفكر داخل الإطار الفرنسي، بما في ذلك فيدرالية المنتخبين، وجمعية العلماء المسلمين. وقد عرفت هذه النخب بولائها ورغبتها في التطور ضمن القوانين الفرنسية فكانوا يسعون لتمتين العلاقات بالأوروبيين من أجل خير الأمة. لذا لم يكن أحدهم يشك في السلطة الفرنسية وسيادتها على الجزائر، ولا يمكن أن نستثني من هذا الولاء الكامل في التفكير ضمن الإطار الفرنسي هؤلاء المثقفين المقربين من العلماء الذين درسوا في الزيتونة وعادوا إلى الجزائر متأثرين بأفكار النهضة." [235]

انتخب فرحات عباس في سنة 1926 رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لجامعة الجزائر. [236] ويعود سبب اختيار زملائه الطلبة له كرئيس لهذه الجمعية للمقالات السياسية التي كان يكتبها في جريده الإقدام منذ 1922، فهذه المقالات عبرت حقيقة عن تطلعات ورغبات الشباب الجزائريين في تلك الفترة. [237] وكان في هذه الفترة يسكن في طريق رونالد دي بوسي بالعاصمة، فحول مسكنه إلى نادي سياسي وأصبح كزعيم سياسي للطلبة. [238] عمل على تسييس الجمعية التي كانت تطالب بالمنح الدراسية وبناء دار الجزائر* في جامعة باريس، لقد أعطاها دفعا قويا وأدخل تغييرا جذريا عليها بكل شجاعة غير مبال بتهديدات الإدارة، كان قادرا على المجادلة والإقناع وطور نشاطها بجعلها متصلة بالفئات الشعبية من خلال المناسبات الدينية التي كانت تنظمها هذه الجمعية بهدف ربط الطلبة بالفئات الشعبية من أجل الإطلاع على مشاكلهم، واستخدام ثقافتهم لحلها. [239] فهذه الشعبية التي كان يبحث عنها فرحات عباس

---

[232] Ferhat Abbas, éditorial de L’entente franco - musulmane Nº 33, du 12 août 1937
[233] ibid.

[234] نفس المرجع، ص: 44
[235] نفس المرجع، ص: 45

[236] Jean Lacouture,op.cit,p :269
[237] ibid. p : 35
[238] ibid. p p : 41-42

* حي خاص بالطلبة الجزائريين الذين يدرسون بجامعة باريس

[239] ibid. p : 41

تهدف إلى تحسين الوضعية الاجتماعية للمسلمين الجزائريين، وتحررهم بواسطة إلغاء القوانين الاستثنائية، وفتح المدارس والمستشفيات والطرقات... [240] أي جعل الجزائريين المسلمين يستفيدون من التقدم الفرنسي في جميع الميادين.

عين فرحات عباس في 6 أفريل 1930 نائبا لرئيس مجلس الإتحاد الوطني للطلبة الفرانكفونيين، وحضر مـــؤتمر الثاني عشر للفيدرالية الدولية للطلبة. [241] وفي سنة 1932 ترأس جمعية طلبة شمال إفريقيا التي عقدت مؤتمرها بالجزائر في نفس السنة، دافع عن الوحدة المغاربية، وإحياء اللغة العربية والتحرر الاجتماعي لدول شمال إفريقيا ليمنع الاحتلال نشاطها فيما بعد(سنة 1935)، لأنها تهدف إلى إحياء العاطفة الوطنية، وهذا خطر على وجود الاحتلال الفرنسي في شمال إفريقيا. [242] وأثناء رئاسته لجمعية الطلبة أسس جريدة التلميذ (Ettelmidh) وهي مجلة طلابية. [243]

مقالاتها تميل للاعتدال وتروج لأفكار الجمهورية الثالثة الفرنسية، فأعطته الجمعية الطلابية وجريدتها الفرصـــة على نشر أفكاره والاتصال بالجماهير الشعبية. [244] وهكذا بدأ تدريجيا يقود المعركة السياسية يحرض الجماهير الشعبية بواسطة التوعية أولا، لكي تستطيع أن تدرك الوسيلة الناجعة للمطالبة بحقوقها عن طريق المعركة السياســـية، وثانيــا تعبئتها لكي يتمكن بواسطتها من الضغط على الإدارة الفرنسية من إلغاء نظام الاحتلال الذي يمثل أقصى أنواع الظلم والقهر والاستبداد مستعينا بفرنسا الأنوار ومبادئ ثورتها (1789) حيث يقول: " الجزائري يؤمن بفرنسا، ولكـــن بفلسفتها المـــتنورة، فلـــسفة القرن الـــثامن عشر، ومبادئ ثورتها (1789)... والمثقفون المسلمون لا يبحثون عـــن طعن فرنسا من الخلف. " [245]

منذ بداية نضاله السياسي في العشرينات من القرن العشرين، حتى إلى نهاية الثلاثينات منه، كان مؤمنا ومدافعا قويا عن إيديولوجية المساواة التي استمدها من مبادئ الثورة الفرنسية (1789) وتأثر بها كثيرا، لكنه نسي أن تلـــك المبادئ من صنع الفكر الفرنسي، ولا تطبق إلا على المجتمع الفرنسي، فقد قضى في نضاله السياسي تقريبا عشرين سنة يريد أن يزرع بذرة في تربة ومناخ لا يناسبها، جرب كثيرا تلك الزراعة (السياسية)، ولكنها كانت تمـــوت قبـــل أن تخرج من الأرض.

---

[240] Guy Pervillé, op.cit p : 227

[241] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 42

[242] ibid.

[243] ibid. p : 41

[244] Guy Pervillé,op.cit,p :104

[245] Ferhat Abbas, Le jeune Algérien, op.cit, p : 142

كان يحلم بجزائر تسودها العدالة والمساواة والأخوة، تزول فيها العنصرية والكراهية، كان يأمـــل في فرنســـا الديمقراطية، فرنسا الثورة الكبرى، أن تفرض ديمقراطيتها وثقافتها على المحتلين الفرنسيين في الجزائر لإعطاء المســـلمين حقوقهم والأخذ بأيديهم نحو التطور والرقي، والتحرر، لأن الإسلام في نظره لا يتعارض مع ذلك. (246)

أكبر عدو واجهه في الجزائر المحتلة في نظره هم المحتلون حيث يقول: " منذ نهاية النظام العسكري في الجزائر، أصبحت بلادنا فريسة بين أيدي الإقطاعيين الكبار، الذين أصبحت بيدهم السلطة المدنية، وأصبحنا تحت ســـلطتهم السياسية، وأعوان الإدارة في خدمتهم قيدونا بسلاسل، وهـــم سعداء بثقة البرلمانيين الجزائـــريين الـــذين دعمـــوهم بثقتهم." (247) من جهة يعرف نفسية المحتل التي لا يمكن أن يكون له وجود في الجزائر إلا عن طريق الظلم، واستعمال كل الوسائل العسكرية والمدنية لقهر الجزائريين، ومن جهة أخرى يريد أن يغير عقليتهم بواسطة اعتماده على توعيـــة الجماهير والاستعانة بفرنسا الديمقراطية.

يصفه صديقه " أَكْلِي زناتي " بأنه ذو شخصية متناقضة. (248) فطبيعة المحتل لا تتغير لأنه ينظر إلى الآخر كأنه غبار، وجوده لا يمكن أن يكون على قيد الحياة، إلا لحالة واحدة فقط، وهي خدمة المحتل، ولا يجب أن تكون المعادلة متكافئة، لأن التكافؤ هنا معناه زوال المحتل، وهذا ما كان يناضل من أجله فرحات عباس.

وهو يدرك هذا جيدا حيث يقول: " إن مأساة بلادي هي التي أدخلتني في وحل السياسية، لـــو أن فرنســـا وجدت حلا معتدلا لمشاكلنا، لكنت من المحتمل أن أقوم بالعمل الفلاحي، ولكن كيف نستطيع أن نعـــيش واليـــأس واللاعدل أصبحا مشهدا يوميا في بلدي" (249) فهو يعرف أن الاحتلال الفرنسي للجزائر هو من أسوأ أنواع الاحتلال " لا يوجد احتلال ظالم كالاحتلال الفرنسي للجزائر فهو نظام وحشي وبربري، فكره مبني علـــى تهـــديم الشـــعب المغلوب الذي يعتقد بأنه لا يستطيع النيل منه، يظن أنه حاذق بفرض أبوته المنافقة عليـــه في إطـــار قـــانوني غـــير عادل." (250)

فالجزائري المسلم عاش كل أنواع الظلم، والقهر، والإهانة، والتفقير، والتجهيل، أراد الاحتلال أن يجعل منه أشباه بشر مجردين من تاريخهم، ودينهم، ووطنهم، وأحلامهم، و لم يترك لهم سوى أياديهم المجردة من السلاح، والـــتي أعدها لخدمته في الفلاحة، والمناجم، أما النخبة التي كونها في مدارسه فكان يهدف من وراءها غزو الفكر بعد غزو

---

(246) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 44

(247) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane Nº 38, du 16 Septembre 1937

(248) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 46

(249) Ferhat Abbas, guerre et révolution d' Algérie, La nuit coloniale, ed, Julliard, Paris, 1962, p :107

(250) ibid. p : 110

الأرض، وإيجاد فكر جزائري موال له، ومدافع عنه أمام شعب جائع مغلوب على أمره، لا يجد إلى أين يتجه فقر يحاصره، وجهل يقيده، وإدارة الاحتلال تهينه، ونخبة جزائرية في معظمها تنصلت من جذورها، وأدارت بظهرها لشعبها، مقدمة خدمة لأسيادها، فئة باعت ضمائرها بأبخس الأثمان.

"عندما يقول جزائري بأنه عربي يردون عليه بأنه فرنسي، وعندما يطالب بحقوقه مثل الفرنسيين يجيبونه بأنه عربي." [251]

فرحات عباس مارس السياسة ليس حبا فيها، أو من أجل التقرب من سلطة الاحتلال وإدارتها، أو الحصول على الجاه والمال أو النسب، مارسها برغم كل ما فيها من أخطار، كل ذلك بهدف إنقاذ الجزائريين المسلمين من سياسة الاحتلال المطبقة عليه بكل وحشية، أراد مرارا أن يتركها ويتخلص لعمله كصيدلي لكن أنين المظلومين من أبناء شعبه لم يتركه ليرتاح أو يعيش سعيدا وبعيدا عنه فالسياسة في نظره هي تربية وسلوك وأخلاق تهدف إلى بناء أمة قوية متحضرة تسودها الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، لكن نجد فرحات عباس في بداية نضاله السياسي رأى بأن هذه الأمة لا يمكن أن تكون سوى الأمة الفرنسية، لذلك دعا إلى دمج الشعب الجزائري بفرنسا، فكانت نظرته السياسية هذه طوباوية، لينتقل بعدها إلى مرحلة سياسية أخرى كما مر علينا، الشيء الذي نستطيع أن نحكم به على كل مراحل نضاله السياسي أنه كان صادقا ومقتنعا بما كان ينادي به، فقد أعطى في كتابه ليل الاحتلال مبررات مراحله السياسية، فلم يتنكر لها، وهذا يدل على صدقه ونزاهته، لقد أراد أن يجعل من الشعب الجزائري المسلم شعبا حرا متقدما ولكن في إطار الحضارة الفرنسية، وتحت حماية فرنسا الديمقراطية، فعدوه الأول و الأساسي هو الاحتلال والعدو الثاني الذي لا يقل خطورة عن الأول هو الجهل، فالعلاقة بين الاحتلال والجهل علاقة وطيدة، فهما يقبلان العيش مع بعضهما بانسجام.

حاربهما بكل طاقته آملا في الانتصار عليهما، ولكن لم يجد لمن يقرأ زبوره.

---

[251] ibid.

المبحث الخامس

أعماله الفكرية

بعد دراستنا لأهم العوامل المكونة لشخصيته من مؤثرات أسرية واجتماعية وثقافية وسياسية، ننتقل في هـذا المبحث إلى دراسة أهم مؤلفاته، التي عبر فيها بصدق عن أفكاره ومشاريعه السياسية، وهي تقدم لنا العمق الفكـري لفرحات عباس، وقد حاول من خلالها أن يغوص في عالم الأفكار، والسياسة، وفي تاريخ الجزائر منذ القديم ومحـلا لبعض الأحداث الهامة في تاريخنا الوطني، ومركزا بالأخص على الأحداث المعاصرة له، ومقدما اقتراحات وحلـولا لمشاكل عصره.

بدأ نشاطه في ميدان الكتابة بنشر مقالات له في الصحف، وبعدها تحول إلى إصدار الجرائد، وهي:

جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي: التي كانت يصدرها مع الدكتور ابن جلول في الثلاثينات من القرن العشـرين، وكانت تروج لفكرة سياسة الاندماج، وينتقد فيها سياسة الاحتلال.

جريدة المساواة: أصدرها في سنة 1944، تدافع عن أفكار بيان الشعب الجزائري.

جريدة الجمهورية الجزائرية: أصدرها سنة 1947 تدافع عن فكرة قيام جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا.

إلى جانب كتاباته في المجلات والجرائد الأخرى الفرنسية و الجزائرية، و مراسلاته السياسية مع أصدقائه مـن النواب المسلمين.كان خطيبا بارعا أمام الجماهير الشعبية أثناء حملاته الانتخابية، فكان ينتقد سياسة الاحتلال بكـل شجاعة غير مبال بما سيتعرض له من مضايقات من غلاة المحتلين الذين نادوا كثيرا بوجوب التخلص منـه، لأنـه في نظرهم إنسان خطير، يجادلهم بقوانينهم ويفضح مؤامراتهم وجشعهم، ورفضهم لكل الإصلاحات.

ألف فرحات عباس أربعة كتب:

الكتاب الأول: الشاب الجزائري، الذي نشره سنة 1931 وهو عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها في جريدة الإقدام للأمير خالد، وجريدة همزة الوصل لـ " فيكتور سبيلمان "، وجريدة التقدم للدكتور بلقاسم بن تامي، نشره بالجزائر، بمناسبة احتفالات الذكرى المئوية الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، وهذا الكتاب يوضح جيدا فيه سياسة الاندماج، وإلغاء الاحتلال، وربط الجزائريين المسلمين مباشرة بفرنسا، بعد منحهم جماعيا الجنسية الفرنسية، ويرد فيه كذلك على غلاة الاحتلال الذين كانوا يرون بأن الجزائريين المسلمين هم فئة متخلفة غير قابلة للتطور، فيلقي اللـوم على الاحتلال الذي أهمل الجزائريين المسلمين، و لم يفتح أمامهم المدارس.

أعاد طبع هذا الكتاب سنة 1981 ، مرفوقا برسالته إلى الماريشال " بيتان " سنة 1941، وبرر إعـادة طبـع هـذا الكتاب للمرة الثانية أثناء مرحلة الاستقلال، وذلك من أجل إطلاع الشباب الجزائري على فكـر فرحـات عبـاس السياسي في بداية نضاله.

الكتاب الثاني: حرب وثورة الجزائر، ليل الاستعمار، نشره سنة 1961 بالمغرب يوضح فيه سياسة الاحتلال الفرنسي للجزائر، والظلم الذي فرضته إدارة الاحتلال على الشعب الجزائري.

وقد حلل فيه سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر منذ 1830 إلى 1961، والأساليب التي اتبعها الاحتلال من أجل قهر الشعب الجزائري، مقدما فيه أدلة وحقائق، توضح جيدا مدى تأثير سياسة الاحـــتلال علـــى الجزائـــريين المسلمين، ومستشهدا بنضاله السياسي الذي خاضه من أجل وضع حد لسياسة الاحتلال، وتكوين مجتمع جزائـــري، يتعايش فيه كل سكان الجزائر بدون استثناء.

الكتاب الثالث: فرحات عباس تشريح حرب – الفجر- وهو كتاب يتعرض فيه لأحداث الثورة نشره سنة 1980 بفرنسا.

هذا الكتاب قسمه إلى 12 فصلا.

وقد تعرض في الفصل الأول إلى تاريخ الجزائر منذ القديم حتى إلى مرحلة الاستقلال، مركزا فيه علـــى أهـــم المحطات الرئيسية في تاريخ الجزائر.

أما الفصول الأخرى الباقية، فإنه يتعرض فيها إلى الثورة الجزائرية، منذ بدايتها في أول نوفمبر 1954 إلى تاريخ نهايتها، واستقلال الجزائر، منتقدا فيه سياسة فرنسا تجاه الثورة الجزائرية، والأساليب القمعية اللإنسانية التي استعملها الجيش الفرنسي ضد الجزائريين، وتعرض فيه إلى شجاعة المجاهدين في حربهم ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وإيمانهم الراسخ بالعمل الثوري، والتحام الشعب الجزائري بثورته.

ويوضح فيه كذلك مبررات التحاقه بالثورة، وكفاحه من أجل استقلال الجزائر.

وقد تعرض كذلك فيه إلى بعض أخطاء الثورة الجزائرية، داعيا إلى الاعتراف بتلك الأخطاء وإعادة الاعتبـــار للذين ارتكبت في حقهم، مستشهدا بذلك بقضية الأزرقية، داعيا في أخر الكتاب إلى الاهتمام بالإنسان والعلم مـــن أجل بناء جزائر متقدمة وقوية تسودها العدالة الاجتماعية.

الكتاب الرابع: الاستقلال المصادر، نشره سنة 1984 بفرنسا. وهذا الكتاب ينتقد فيه بشدة سياسة الحزب الواحد، والنظام الأحادي برئاسة أحمد بن بلة، و هواري بومدين، و أسلوبهما في الحكم.

كتاب شديد اللهجة، أحيانا قاسي في الحكم، حيث اعتبر بأن الشهداء قد خانهما الرئيسين أحمد بن بلـــة، و هواري بومدين، في رأيه بلجوئهما إلى تطبيق الاشتراكية السوفياتية، ومنع الديمقراطية وحرية التعبير، والتي هي جـــزء من كرامة الإنسان التي ضحى من أجلها الشهداء، وكل ذلك في نظره من أجل تحقيق مطامح شخصية على حساب الجزائر كلها.

والكتابان الأخيران منعا من الدخول إلى الجزائر.

فرحات عباس رجل مفكر ومؤلف وخطيب وسياسي، جعل حياته كلها من أجل الدفاع عن تحرر الإنسان الجزائري من الظلم، سواء أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو خلال مرحلة الاستقلال، أكره شيء إليه هو الظلم والكذب على الشعب، ومنع حرية التعبير، آمن إيمانا مطلقا بأن احترام الإنسان هي من أهم العوامل الأساسية لبناء وطن تسوده العدالة الاجتماعية ويتطلع سكانه جميعا إلى ما فيه الخير والسعادة للوطن.

تأثر كثيرا بالثقافة الفرنسية (عصر الأنوار) التي استطاعت أن تحرر الإنسان الفرنسي من قهر الملوك وجبروقم وخلقت إنسانا فرنسيا حرا، معيبا لجوء هذا الإنسان الحر إلى احتلال غيره من الشعوب الضعيفة، داعيا هذا الإنسان الفرنسي إلى تطبيق مبادئ الثورة الفرنسية (حرية – مساواة – إخاء) في كل مكان ينزل فيه، ولكنه نسي بأن الإنسان الغربي كوّن هذه المبادئ له وليست لغيره.

فرحات عباس رجل تأثر كثيرا بنشأته وطفولته بين أبناء الفقراء المحرومين، نسي فئته الاجتماعية التي ينتمي إليها، وارتبط بفئة الفلاحين، جعل ثقافته ونضاله السياسي كله من أجل تحرير هذا الإنسان المظلوم فوق أرض الجزائر سواء في فترة الاحتلال أو أثناء مرحلة الاستقلال، جعل حياته كلها من أجل الجزائر، فهو لم يكن من عَبَدَةِ الأشخاص، أو من الباحثين عن المال والجاه والتقرب من السلطان، فكلمة الحق كانت سلاحه الوحيد الذي كان لا يتردد في إشهاره سواء أمام غلاة الاحتلال، أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو أمام رؤساء الجزائر المستقلة (أحمد بن بلة، و هواري بومدين).

الفصل الثالث:

آرائه السياسية في الربع الأول من القرن العشرين.

المبحث الأول: عودته من الخدمة العسكرية.

المبحث الثاني: رأيه في التجنس.

المبحث الثالث: موقفه من الاحتفالات الفرنسية بمرور مئة عام على احتلال الجزائر.

الفصل الثالث

آراؤه السياسية في الربع الأول من القرن العشرين

تعتبر هذه الفترة حاسمة في بداية النضال السياسي الذي قاده فرحات عباس، كان شابا يافعا، ذكيا، طموحا، باحثا عن الحقيقة عند كبار الأدباء والفلاسفة الفرنسيين، لم تكن تهمه كثيرا دراسة الصيدلة في الجامعة بالجزائر، بقدر ما كان يهمه الإطلاع الواسع على العلوم الإنسانية التي حركت المجتمع الفرنسي، ضد النظام الملكي الاستبدادي، القائم على الظلم، وقهر الطبقات الشعبية الفقيرة، والتي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية 1789، تأثر بمبادئ الثورة الفرنسية الداعية إلى الحرية والمساواة و الإخاء، حمل مشعل " شاتو بريان "، و" اناتول فرانس"، وغيرهم الذين أناروا الطريق للفئات المحرومة من أجل الدفاع عن حقها، والوقوف أمام الطغاة الجبابرة، بحث كثيرا عن هذا المشعل في الكتب الفرنسية ومحاضرات أساتذة العلوم الإنسانية في جامعة الجزائر، ووجده، وحمله بكل قوة واعتزاز، وسار به في أوساط الطلبة، وأثر فيهم فانتخبوه رئيسا لجمعيتهم، وظن أن الجماهير الشعبية المسلمة سوف تسير وراءه، فلا المشعل أضاء الليل المظلم، ولا الطريق فتح أمامه، الاحتلال وضع فيه حواجز مزيفة لا تحترم أي قانون ولا عُرْفٍ هدفهم سد الطريق بأية وسيلة أمام المسلمين، وذلك باستعمال جميع الأسلحة لضمان بقائهم كأسياد فوق أرض الجزائر، وشعب مسلم أتعبه الليل الطويل، والبطن الجائع، والمستقبل المجهول، والفكر المشوش، و لم يبق له كما يقول المثل الشعبي سوى " الأرض والسماء " الأرض التي يقف عليها برجليه ويدفن فيها فقط، والسماء لتوجيه دعواته إلى الله سبحانه وتعالى لإنقاذه مما هو فيه، بالإضافة إلى مشعل الثقافة الفرنسية، حمل معه مشعلا آخر لكنه أقل إنارة من الأول هو مشعل كمال أتاتورك، الرجل الذي قاوم الاحتلال، وألغى الخلافة الإسلامية، وأسس دولة لائكية، وبحث مع آخر ملوك غرناطة، عن وطن ضائع، ومُلْكٍ مفقود، ولكن أم فرحات عباس لم تشتم ابنها، كما شتمت عائشة أم ابن السراج (أبو عبد الله) حينما اغرورقت عيناه بالدموع عندما ألقى أخر نظرة نحو قباب الحمراء في غرناطة. [252]

لكن وطن فرحات عباس لم يضع منه، و لم يلق عليه نظرة وداع، فهو في وطن محتل وشعب مسلم مقهور، أراد فقط أن يوقظه من سباته، وأن يضع حدا لسياسة المحتل، وأن يلغي الحواجز المزيفة، ويبني مجتمعا تسوده المحبة والأخوة والعدالة، ويعمل الكل فيه بدون استثناء من أجل سعادة الجميع.

---

[252] عمر الدقاق، المرجع السابق، ص : 22

لم يترك مشعل عصر الأنوار الداعي إلى المساواة، وسياسة الاندماج إلا بعد أن أحرق يديه لينتقل إلى حمـــل مشعل آخر خلقته ظروف جديدة.

وقد أعطى تفسيرا لبداية نشاطه السياسي في العقد الثالث من القرن العشرين في كتابه ليل الاحتلال: " لنفهم لماذا جيلي، والذي سبقه ركضوا وراء فرنسا الجمهورية الليبرالية، ضد فرنسا المحتلة الظالمة اعتقدنا بأننا نحتاج فقـــط لإنارة الأولى لتضع حدا للمآسي التي خلقتها فرنسا المحتلة." (253)

أراد من فرنسا الأنوار، والجمهورية أن تضع حدا لهؤلاء المحتلين، فاعتمد عليها، ولكنه نسي بأن المحتلين هـــم أبناء فرنسا الديمقراطية المدللين. ويضيف: " جيلي رفض مفهوم الجنس الراقي، والجنس الوضيع، فهو خطـــأ مخـــزي، وبالمقابل التحمنا بأساتذتنا، واعتقدنا أن نهضتنا تكون عن طريق تطوير القوانين، وأن المدرسة، والتعليم التقني العصري يخلق جزائر جديدة." (254) الأساتذة الحقيقيون الذين كانوا موجودين في الجزائر أثناء فترة الاحتلال هـــم المحتلـــون الكبار، والذين كان لهم دور كبير في تفعيل سياسة الاحتلال، فلم تكن لهم آذان يسمعون بها أنين البؤساء، ولا عقول يفكرون بها، أغوتهم قوتهم وتفوقهم التقني، على شعب فرض عليه التخلف، ويتدارك الوضع فيمـــا بعـــد بقولـــه: " الرأسمالية والاحتلال شيء واحد مرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا، الأول فاعل في باريس، والآخر فاعل في الجزائر، ولا يمكننا أن نكافح ضد ذلك، دون أن نهاجم الآخر." (255)

فالقوة التي كان يعتمد عليها في فرنسا تأكد بأنها ضارة ولا تقف معه، فيضيف قائلا: " بالعكس ما كانـــت أعتقده لمدة طويلة أن وجود البروليتاريا الثورية، والليبراليين بفرنسا سوف يدعم مطالبنا، لقد خيـــبت آمالنا." (256)

عندما بدأ يدافع عن الجزائر سياسيا كان الاحتلال قد عم القطر الجزائري، وقضى علـــى كـــل المقاومـــات المسلحة، ووضْع الجزائريين كان مأساويا، لـــم تكن لهم القوة للدفاع عن أنفسهم واســـترداد حقـــوقهم، كـــانوا يتألـــمون، ويموتون تحت عبء الاحتلال. (257)

إن الآراء السياسية لفرحات عباس خلال العشرينات من القرن العشرين، نجدها واضحة في كتابـــه الشـــاب الجزائري، الذي جمع فيه مقالاته وآرائه منذ بداية كتابته في الجرائد.

---

(253) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :110

(254)ibid. p p : 110-111

(255) ibid. p : 111

(256) ibid.

(257) ibid.

فهي بصفة عامة تدعو للاندماج في إطار برنامج منسجم، أي إدماج الجزائريين كلهم بدون تمييز، في المجتمع الفرنسي، وبدون شروط لأن الدين الإسلامي في نظره لا يمنع أن يكون الجزائري المسلم فرنسيا، والمطلب الأساسي الذي ألح عليه كثيرا هو فتح المدرسة لجميع الجزائريين[258] دون تمييز، أي إخراج الفرد الجزائري من الجهل والتخلف، وإعطائه الوسائل الضرورية، والفعالة، لاكتساب العلوم الغربية، أي تسليح الفرد الجزائري بالعلم، وهذا ما كان يخشاه المحتلون كثيرا، ووقفوا ضد تعليم الجزائريين، لأنهم يعلمون جيدا أنه من الصعوبة استعباد شعب متعلم، ومثقف، ثم بعد فتح المدرسة وإجبارية التعليم يقترح مرحلة أخرى، وهي إخراج الفلاح المقهور، اليائس، المحروم من كل مظاهر الحياة العصرية، وجعله يعيش واقعه، بشق الطرقات، وبناء المستشفيات، والقضاء على الإقطاعيات الفلاحية الكبرى، وتقديم المساعدة المادية للفلاحين، قروض فلاحية، مساعدات تقنية في الفلاحة... [259]

إن تحرر الجزائريين المسلمين يساعد على بناء مجتمع مزدوج (المسلمون و الأوروبيون) منسجم، تزول فيه الأحقاد والعنصرية، وتعم فيه العدالة الاجتماعية، [260] ويتطلع الجميع نحو التقدم والرقي.

كان فرحات عباس يحاول بكل الوسائل السياسية القضاء على الاحتلال الفرنسي للجزائر، وخلق مجتمع جزائري واحد يجمع كل سكان الجزائر في إطار قانون واحد، هو قانون الدولة الفرنسية، وأن تجعل فرنسا ثقافتها وتقدمها في خدمة الجزائريين، بدون استثناء أو تمييز في العرق أو الدين، وبذلك تزول الأحقاد ومفهوم الاحتلال والقهر و الظلم، وهذا ما كان يرفضه المحتلون، ويخافون منه لأن وجودهم قائم على الظلم، وزواله معناه في نظرهم زوالهم.

---

[258] الجيلالي صاري محفوظ قدا ش، المقاومة السياسية 1900-1954، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص: 21

[259] نفس المرجع.

[260] Ferhat Abbas, autopsie d’une guerre, op.cit, p :12

المبحث الأول

عودته من الخدمة العسكرية

استغل الاحتلال الجزائر أرضا وشعبا، ووصلت به الجرأة والوقاحة إلى تجنيد الجزائريين المسلمين للدفاع عن التراب الفرنسي، لكنه لم يعمل على تحررهم من القوانين الاستثنائية والظلم، وفرحات عباس هو من أحد الجزائريين المسلمين الذين طبق عليهم قانون التجنيد الإجباري.

سنرى في هذا المبحث موقفه من هذا التجنيد، والغاية التي كان ينتظرها منه كجزائري أخذ عنوة للجندية تحت العلم الفرنسي.

تحصل فرحات عباس على شهادة البكالوريا في جوان 1921، ودعا والده أعمامه وأخواله وبعض جيرانه لمشاركته في أفراحه بمناسبة نجاح ابنه، في تلك الصائفة من ذلك العام تنتهي فترة التأجيل العسكري القانونية لفرحات عباس، ويوجه له نداء للالتحاق بالخدمة العسكرية الإجبارية بعنابة، اختلط الحزن بالفرح بين أفراد العائلة، ففي خريف 1921. [261] يغادر فرحات عباس منزل والديه ببوعفرون متوجها إلى عنابة، ودعته أمه وإخوته وأخواله بالبكاء، أما والده فقد ظهر هادئا، ثابتا، وربما سعيدا لأن ابنه سوف يؤدي الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي، وهذا يزيد والده القايد افتخارا، واعتزازا، أما أمه وأخواله، فنظروا إلى القايد السعيد بمنظر ضعف لأنه لم يستطع أن ينقذ ابنه من أداء الخدمة العسكرية الإجبارية، أو تعويضه.

وكان المحتلون في الجزائر ينظرون إلى الجزائريين المسلمين المجندين كـ " البهائم الجاهلة ". [262] لأنهم في نظرهم يريدون أن يكونوا متساوين مع المحتلين المجندين، ويرى فرحات عباس بأن الأهالي مسلمون و فرنسيون في نفس الوقت، لذلك يدفعون ضريبة الدم. [263] فهو يرى بأن من حق المسلمين الجزائريين الذين دفعوا كل ما يملكون للمحتلين، لذلك يجب أن يكونوا متساوين معهم في الحقوق.

كتب محرر جريدة إفريقيا اللاتينية "إن المسلمين الجزائريين ينظرون إلى الثكنة كأنها قصر، ولأول مرة ينامون على السرير، ويشبعون بطونهم، ويرتدون ثيابا نظيفة، وبالمقابل فإن الخدمة العسكرية لا تمنعهم من أداء حرفتهم بسبب قطع دراستهم." [264]

وفي الثكنة بعنابة وجه إلى فرع التمريض، وتحصل على رتبة رقيب. [265] بينما المحتلون في نفس مستواه

---

[261] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 16
[262] Jean Lacouture, op.cit, p : 271
[263] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 16
[264] Jean Lacouture, op.cit, p : 271
[265] ibid. p : 268

الدراسي كانوا يحصلون على رتبة ملازم، وهنا لاحظ فرحات عباس التمييز الحقيقي بين المحتل وبين الجزائري المسلم، فالثكنة ليست كالــمدرسة التي كان يحصل فيها على المرتبة الأولى في بعض الأحيان متفوقا على أبنـــاء المحـــتلين، فأساتذة المدرسة ليسوا ضباطا في الجيش، وكان هدفهم نجاح طلبتهم، ولا يهمهم أصلهم.

في الحقيقة أن قانون التجنيد الإجباري الذي طبق على فرحات عباس وأمثاله من الشباب الجزائري المســـلم، طرح سنة 1908 من طرف " ميسيمي " (Messimy) مقرر ميزانية الحرب على وزير الحربية الفرنسية، حيث أشار له في رسالة وجهها له بضرورة تطبيق التجنيد الإجباري على الجزائريين مضيفا له: " بأن الجزائر تمنحنا حاليـــا 17000 جنديا (متطوعا) لكنها بإمكانها أن تمنحنا 100000جنديا." [266] والأسباب التي دفعتهم إلى طرح هذا المشروع هي الظروف التي كانت تعيشها فرنسا، وارتفاع التهديدات الألمانية لها (الجارة العدوة)، ومن جهة أخرى قلة التكاليف بالنسبة للجنود المدعوين، فالجندي الواحد المدعو يكلف الدولة الفرنسية 480 فرنكا سنويا، بينما الجندي المتطوع في فرقة الرماة يكلف الدولة 1500 فرنكا سنويا، فــ: 10000 جنود رماة يساوون 25000 جنديا مدعوا من حيـــث التكلفة. [267]

المحتلون (الكولون) اعتبرا ذلك إهانة لفرنسا لتجنيد الشعب المهزوم. [268] فراحت صحفهم تصف ذلـــك " بالقضية الخطيرة "، [269]لأن التجنيد الإجباري حسب القانون الفرنسي، لا يطبق إلا على الفرنسيين، بينما الجزائريون فهم رعايا، حسب قانون مجلس الشيوخ عام 1865. [270]

عندما عرض مشروع التجنيد الإجباري للجزائريين على البرلمان الفرنسي سنة 1909 وجد معارضة داخـــل البرلمان حيث صرح الجنرال" منجان " (Mangin) بقوله:" الظروف التي أدت إلى خلق مشروع التجنيـــد الإجبـــاري للجنود الجزائريين لتعويض الجنود الفرنسيين الذين سينقلون إلى فرنسا، يمكننا تعويضهم بالجنود الســـينيغاليين الـــذي برهنوا على إخلاصهم لنا، وهم يضمنون حماية الفرنسيين بالجزائر. " [271] ونفس الموقف بالنسبة للمحتلين المحافظين بالجزائر، وطالبوا بضرورة بقاء الدخول إلى الجيش الفرنسي بالنسبة للجزائريين عن طريق التطوع. [272]

---

[266] Ageron C. R , Les Algériens Musulmans et la France, op.cit, p :1061

[267] ibid.

[268] ibid. p : 1069

[269] ibid. p : 1061

[270] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900، 1930 المرجع السابق، ص: 186

[271] ibid. p : 1070

[272] ibid.

أما الجنرال " ثورسي " (Torcy) فقد عارض التجنيد الإجباري للجزائريين، معارضة شديدة متـــهما إيـــاهم بخضوعهم لسلطة شيوخ الزوايا. [273] وبالتالي فإن هذا المشروع لا يراعي الدين الإسلامي الذي يعتنقه الجزائريـــون، فيفرض عليهم حمل السلاح ضد إخوانهم المسلمين. [274]

انتهت المناقشة داخل البرلمان الفرنسي بتصريح وزير الحربية " برون " (Brun) بقبوله تحضير مشروع يتعلـــق بالتجنيد الإجباري للجزائريين، وكانت الموافقة بالأغلبية. [275]

وجه وزير الحربية لجنة إلى الجزائر بقيادة الرائد " شاردوني " (Chardenet) سنة 1910 وقام بجولة في الجزائر أحصى خلالها 62518 شابا في سن الخدمة العسكرية. [276] في يوم 3 فيفري 1912 يوافق البرلمان الفرنسي علـــى قانون التجنيد الإجباري للجزائريين. [277]

تدوم مدة التجنيد ثلاث سنوات مقابل 250 فرنكا، ويختارون عن طريق القرعة، وهذه المنحة تمنح بعد ثلاث سنوات من الخدمة بعد موافقة الضباط عليها. [278]

تقرير وزير الحربية وجه بطريقة غير مباشرة للحكومة العامة بالجزائر، التي وصلها يوم 24 فيفري 1912 لبداية تطبيقه بسرعة وتجنيد 2400 جزائري مباشرة، الحاكم العام " لوتو " (Lutaud) حضَّر منشورين للتطبيـــق، الأول في 2مارس 1912، والثاني في 20مارس 1912 وطلب من إدارته أن تسرع باستدعاء أكبر عدد من الشباب من أجـــل الحصول على العدد المطلوب، ونفذت إدارة الاحتلال مطالبه.[279]

في البداية يذكر " أجيرون "لم تكن هناك معارضة ربما لأن العدد المجند في نظره كان ضعيفا. [280]

الصحافة الجزائرية كان رد فعلها متأخرا إلى شهر أفريل، طالبت بمنح الحقوق السياسية ومساواة مدة الخدمة العسكرية الإجبارية للجزائريين بالفرنسيين واليهود أي سنتين فقط، وإلغاء المنحة لأنها إهانة للجزائريين. [281]

وبدأت الاضطرابات في الجزائر كلها رافضة قانون التجنيد الإجباري، وعم العنف و الإصطدمات مع الشرطة وهروب بعض الشباب المدعو للخدمة العسكرية الإجبارية، وبداية ظهور تحدي جديد ضد الإدارة الفرنسية. [282]

---

(273) ibid.

(274) نفس المرجع، ص: 186

(275) ibid. p : 1071

(276) ibid.

(277) نفس المرجع ، ص : 188

(278) ibid. p : 1073

(279) ibid. p : 1074

(280) ibid.

(281) ibid.

(282) نفس المرجع، ص ص: 188-189

رد فعل الجزائريين كان بطرق متنوعة، مظاهرات في أم البواقي، عين توتة، القل، ندرومة، خنشلة... رفض مسؤولو الدوار إعطاء الاستدعاء للشباب، وانتشرت دعاية في الجزائر تقول بأن المجندين سوف ينقلون لمحاربة إخوانهم المغاربة.[283] عم الخوف في أوساط الفرنسيين، وأرسلت فرنسا فرقتين عسكريتين إلى ولاية وهران تحسبا لأي خطر، لأن المظاهرات التي ظهرت في ندرومة كانت قوية.[284] وبعض الشباب ذهب إلى طنجة طالبا الحماية الألمانية، فارا من التجنيد الإجباري، وتوجهت بعثة دبلوماسية إلى باريس بقيادة ابن رحال يوم 8 جوان 1912 طالب بإلغاء قانون التجنيد الإجباري، أو إعطاء الرخصة للجزائريين بالهجرة إلى دار الإسلام.[285]

وقبله بعث الجزائريون عريضة إلى المجلس الوطني الفرنسي في ماي 1912 تضمنت المطالب التالية:"

1- أن الجزائريين، بالمقارنة إلى الفرنسيين، كانوا يعيشون تحت إجراءات تمييزية، مثل قانون الأهالي، وقانون الغابات، والضرائب الخاصة، وقانون الجرائم الجماعية، وفقدان التمثيل النيابي.

2- أن هذه الإجراءات قد تجعلهم يشعرون بأنهم ((ناقصون)) .

3- أنه لا مبرر لاستمرار هذه الإجراءات.

4- أن على الحكومة الفرنسية أن تمنح الجزائريين كامل الحقوق السياسية كمواطنين، ولكن بدون أن تطالبهم بالتخلي عن أحوالهم الشخصية.

5- عندما تتحقق هذه الشروط، يكون الجزائريون مستعدين لدفع ((ضريبة الدم)). "[286]

وحتى الموالون لفرنسا أو ما يسمون " بنو وي-وي " في الوفود المالية وقفوا معارضين للتجنيد الإجباري، وطالبوا بإلغائه.[287] أو تعديله إلى سنتين بدل ثلاثة وإعفاء الطلبة، وقد أشار أيت مهدي في تدخله بتأكيده على رفض زملائه لقانون التجنيد الإجباري، وفي حالة تطبيقه يجب أن تلغى المنحة والمساومات.[288]

لم تستجب فرنسا لمعارضي قانون التجنيد الإجباري سواء كانوا من الجزائريين المسلمين أو من الفرنسيين داخل البرلمان الفرنسي أو من المحتلين، فلم تؤثر في سياستها لا المظاهرات، ولا هروب الشباب من التجنيد الإجباري ولا العرائض، فبعد ثمانية أشهر من صدور هذا القانون، أصدرت في 19 سبتمبر 1912 قرارا وعدت فيه بمعاملة المجندين معاملة حسنة في المستقبل، وقد نص على: "

---

[283] ibid.

[284] نفس المرجع ، ص: 189

[285] ibid. p : 1075

[286] نفس المرجع ص ص: 190-191

[287] نفس المرجع، ص: 191

[288] ibid

.

أولا: لن يخضعوا لقانون الأهالي وغيره من القوانين الاستثنائية، بعد تسريحهم من الخدمة العسكرية.
ثانيا: فإذا ارتكبوا جرائم، فسوف يحاكمون أمام محاكم القانون العام (بدلا من المحاكم الرادعة).
ثالثا: بناء على طلبهم، قد يؤذن لهم، بعد التسريح من الخدمة العسكرية، أن يشاركوا في انتخابات المجالس البلدية.
رابعا: بعد أن ينهوا ثلاث سنوات في الخدمة العسكرية ستكون لهم فرصة الوظيفة. " [(289)]

أدى فرحات عباس الخدمة العسكرية الإجبارية لمدة ثلاث سنوات كبقية أبناء الطبقة الفقيرة في الجزائر، ويعاني فيها الظلم والتمييز، وينقل من عنابة إلى قسنطينة، ثم إلى جيجل، ليسرح بعدها في خريف 1923. [(290)]

فوالده لم يعوضه بأحد أبناء الفقراء ليؤدي الخدمة العسكرية الإجبارية بدله، لأن قرار 3 فيفري 1912 سمح بتعويض الأشخاص المدعوين للخدمة العسكرية. [(291)] وذلك من طرف الشخص المدعو أو أهله، حيث كان أبناء الأغنياء يعوضونهم بأبناء الفقراء مقابل نصيب زهيد من المال، هل كان والد فرحات عباس يفتقر المال لتعويض ابنه؟ أم كان يريد تقديم الولاء للإدارة الفرنسية، أمه كانت رافضة لأداء ابنها للخدمة العسكرية، ووالده كان مصرا على أن يؤديها ابنه.

عاد الشاب فرحات عباس من الخدمة العسكرية بعد أن تلقى درسا تطبيقيا في الميدان، حيث لاحظ التمييز المفضوح، وغير المنطقي بين أبناء المحتلين، وأبناء الجزائريين داخل الثكنة. لم يجد داخلها سوى أبناء الفقراء من الجزائريين، لأن الاحتلال قدم خدمة غير مباشرة لأصحاب الأموال من الجزائريين لتعويض أبنائهم بالفقراء، وهذه السياسة غير العادلة بين الجزائريين أنفسهم، هدفها زرع بذور الكراهية بين الفقراء و الأغنياء (الحقد الطبقي) من أجل بقاء سيطرته، ومنع أي تمرد أو ثورة ضدهم، معظم الزوايا تابعة وعميلة له، الأغنياء لهم الإمتيازات، والفقراء لهم القهر والاستغلال.

أثناء نقله إلى ثكنة قسنطينة في شهر نوفمبر 1922 يكتب مقالا بعنوان " الخدمة العسكرية للأهالي الجزائريين " نشره في كتابه الشاب الجزائري. [(292)] يرد فيه على جريدة إفريقيا اللاتينية التي نشرت مقالات حول الخدمة العسكرية للأهالي والتي تدافع عن التمييز بين الأهالي والمحتلين أثناء أداء الخدمة العسكرية كتبها مساعد "لويس برتراند" (Louis Bertrand) متحاملا كذلك على منتخبي الأهالي الذين وقفوا إلى جانب الشعب التركي وانتصاره على الإمبريالية الغربية ومنها الفرنسية، ومطالبتهم بالمساواة مع المحتلين، مستشهدين بما قدموه من

[(289)] نفس المرجع، ص: 197

[(290)] Jean Lacouture, op.cit, p : 266

[(291)] Ageron C. R, Les Algériens Musulmans et la France, op. cit, p : 1073

[(292)] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :35

2.509 تضحيات لفرنسا من خلال المجندين الذين دافعوا عنها أثناء الحرب الكونية الأولى، فتذكر مجلة إفريقيا اللاتينية إحصائية المجندين لولاية الجزائر سنة 1914 عدد المحتلين بها 288772 محتلا وعدد المسلمين الجزائريين 1392770 نسمة قتل من المحتلين 7247، ومن الجزائريين المسلمين 9160 قتيلا ، فنسبة القتلى من المحتلين 2.509% ومن الجزائريين المسلمين 0.657% قتيلا فعدد القتلى من المحتلين 4 مرات أكبر من عدد المسلمين الجزائريين.[293]

يقول فرحات عباس:" أن هذه الأرقام من خلال النظرة الأولى لها تظهر أنها صحيحة، ولكن الأرقام لا تدل دائما على الحقيقة، المشكلة ليست في هذه الأرقام ولكن في التاريخ نفسه، تبدأ من سنة 1830 ونهاية آخر مقاومة بالصحراء الجزائرية سنة 1912 إلى هذا التاريخ بقينا العنصر المنهزم الضعيف والذي تعرض إلى وحشية الاحتلال."[294]

أما " أوكتاف " فيذكر بأن الجزائر منحت لفرنسا أثناء الحرب الكونية الأولى 115000 جنديا من المحتلين الفرنسيين و157000 جنديا من الجزائريين المسلمين، فالنسبة من المحتلين تقريبا 5/1، ومن الجزائريين المسلمين تمثل تقريبا 30/1 والخسائر كانت متقاربة، 18000 من الفرنسيين المحتلين، و 19000 من الجزائريين المسلمين.[295]

ونفس الشيء يركز عليه " أجيرون "، نسبة المجندين من الجزائريين المسلمين 3.6% تقريبا من مجموع السكان الجزائريين المسلمين.[296] ونسبة المجندين الأوروبيين المحتلين 30% من مجموعهم.[297] لكن فرحات عباس يذكر أن عدد القتلى من الجزائريين المسلمين الذين دافعوا عن التراب الفرنسي يفوق العدد الذي ذكره المؤرخون الفرنسيون حيث بلغ 80000 قتيلا.[298]

فالمحتلون ومؤرخوهم يخفون الحقيقة، لأنها تفضحهم، دائما يحتقرون أعمال الجزائريين المسلمين، ولا تهمهم عدد الذين قتلوا في الحرب الكونية الأولى، وينظرون إلى الشعب الجزائري المنهزم في نظرهم، والذي بقي على قيد الحياة، فهذه الحياة هي بفضلهم، ويجب أن تكون في خدمتهم، وبالتالي إذا مات الجزائري المسلم دفاعا عن التراب الفرنسي فإن ذلك واجبه الذي يجب أن يؤديه بكل إخلاص وبدون أن يطالب بأي حق، لأن حقه قد تحصل عليه وهو بقاءه حيا يرزق، يعظمون موتاهم ويستصغرون موتانا، ذلك هو الاحتلال زور وتضليل وظلم.

تذكر مجلة إفريقيا اللاتينية تفاصيل موتى الجزائريين البالغ عددهم حسبها 9160 قتيلا جزائريا مسلما منهم:

---

[293] ibid. p p : 36-37

[294] ibid. p : 37

[295] Octave Depont, L'Algérie du centenaire, ed, Cadoret, France, 1928, p :19

[296] Ageron C. R, Les Algériens Musulmans et la France, op.cit, p :1165

[297] ibid. p : 1166

[298] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :38

7423 قتيلا كانوا فلاحين، و 644 قتيلا عمالا بسطاء و 708 قتيلا متطوعون في الجيش الفرنسي، و21 قتيلا مثقفا. [299] يضيف فرحات عباس قائلا:" يعيبون علينا أننا المدعوون للخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات نتلقى أجرا عليها، 250 فرنكا، نحن نرفض هذه المنحة ونطالب بتخفيض المدة العسكرية إلى 18 أشهر مثل الفرنسيين." [300]
يلاحظ التمييز الحقيقي بين المحتل و الجزائري المسلم برغم من أدائهما نفس العمل داخل الثكنة، عاش الحدث بكل حواسه لأنه طبق عليه وسخر منه؛ لأن المدعوين للخدمة العسكرية يطالبون بتخفيضها إلى 18 شهرا مثل الفرنسيين، فالمحتلون يطالبون بتنظيف الجنود المسلمين، وتدريبهم فإنهم يحتاجون إلى سبع سنوات وليس ثلاث سنوات، 999 ‰ فهم " وحوش أمية "، [301] لقد دافع الجنود الجزائريون عن العلم الفرنسي وماتوا من أجل فرنسا، ومع ذلك يوصفون بالوحوش، غريب منطق الاحتلال، أحد أقطاب الشباب الجزائري الدكتور بن تامي يعارض تماما هذا المنطق المقلوب معتبرا الجزائري مثل الفرنسي يحب الحرية والعدل والمساواة في الخدمة العسكرية وليس أقل شأنا من الفرنسي. [302]

أما فرحات عباس فيقول:" إن الجزائريين لا يحتاجون إلى سبع سنوات من الخدمة العسكرية لتهذيبهم، إنما يحتاجون إلى سبع سنوات في المدرسة وذلك هو العدل. " [303] فالاحتلال يكشف عن عيوبه بكل وقاحة ويفتخر بها، مدعيا أنه جاء إلى الجزائر لتحضير المتوحشين.

فمن مجموع عدد القتلى من الجزائريين في الحرب الكونية الأولى، لا يعرف القراءة و الكتابة إلا 21 فقط والباقي أميون لا يعرفون إلى أين هم ذاهبون، وعلى من يدافعون، ولماذا يموتون؟ لم يسمعوا لا بفرنسا ولا بألمانيا أخذوا من أكواخهم، وماتوا من أجل فرنسا. [304] ثم يترحم على هؤلاء زملائه من الجنود الذين سقطوا موتى دفاعا عن فرنسا خلال الحرب الكونية الأولى 1914-1918 بقوله:" ناموا أيها الإخوة العظماء في قبوركم المنسية، لا أم تأتي لتبكي عليكم، قلوبكم لم تنبض إلا من أجل سعادة عائلاتكم، وأنتم لا تعلمون لماذا ذهبتم إلى الموت." [305]

حتى إصلاحات 4 فيفري 1919 فيما يخص الجزائريين المسلمين كانت استهزاء واستخفافا بالمجهودات والتضحيات التي قدمها الجنود الجزائريون المسلمون لفرنسا، ورفضها الشباب الجزائري، واعتبروا الحرب مستمرة فقد كتب الصادق دندن يوم 19 أفريل 1919 في جريدة الإقدام (l'Ikdam) منتقدا قانون جونار (Jonnart)

---

[299] ibid. p : 39
[300] ibid. p p : 39-40
[301] ibid. p : 43
[302] Ageron C. R, Les Algériens Musulmans et la France, op.cit, p :1212
[303] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 44
[304] ibid. p : 39
[305] ibid.

ما يلي:" ما عدا انتخابات رؤساء البلديات، فهو برنامج ما قبل الحرب للسيد " لوتو " (Lutaud)." [306]

ففي سنة 1922 خفضت مدة الخدمة العسكرية للفرنسيين المحتلين، لكنها لم تخفض للجزائريين المجندين منذ 1912، و يتساءل فرحات عباس بقوله:" لماذا أنا تحت العلم ؟ لماذا أتطوع ؟ هل أنا مرتزق ؟ لا، استدعيت للخدمة العسكرية لأنني فرنسي، لا غير. الأهلي في الروهر فرنسي تابع لفرنسا أحبت أم كرهت جماعة إفريقيا اللاتينية، إننا مسلمون، إننا فرنسيون، إننا أهالي وفرنسيون، يوجد في الجزائر أوروبيون و أهالي، ولكن لا يوجد إلا الفرنسيون في الجزائر، لأن أرض الجزائر فرنسية. " [307] الجزائر لا يوجد فيها إلا الفرنسيون المحتلون، أما الجزائريون المسلمون فلا وجود لهم، و لا اعتبار لتضحياتهم في سبيل فرنسا، سواء ماتوا من أجلها، أو قُتلوا من طرفها، أو سُخروا لخدمتها، الاحتلال مبني على قاعدة أساسية تتمثل في الظلم و القهر، أو بالأحرى لا يبنى إلا بتلطيخ يديه بالدم، هذا هو الاحتلال في كل زمان ومكان، قاعدته ثابتة لا تتغير سواء تقربت منه، أو خدمته بإخلاص أو أثنيت عليه أو غيرت دينك و جلدك، أو تنكرت لأصلك، فهو لا يغير شيئا من طبائعه.

فرحات عباس يرضى عن إكراه بثلاث سنوات خدمة عسكرية ولكنه يقول: " نعمل ثلاث سنوات من الخدمة العسكرية، للأسف سنتحرر لنكون من الممكن فيما بعد جنودا للسلام." [308]

بالرغم ما في الخدمة العسكرية الإجبارية من مساوئ وظلم للجزائريين المسلمين، إلا أنها مكنتهم من تدريب عسكري عصري، أثبتوا أثناء مشاركتهم الإجبارية في الحروب التي خاضتها فرنسا، بأنهم لا يقلون شأنا وقدرة عن بقية الأوروبيين المتحضرين، فتخلف الإنسان الجزائري أثناء فترة الاحتلال كان عملية مقصودة من أجل استغلاله، والسيطرة عليه، وهذا ما كان يرفضه فرحات عباس ووقف ضده منذ بداية نضاله السياسي، حيث طالب بإعطاء الفرص للجزائريين المسلمين مثل ما هي للمحتلين.

---

(306) Ageron C. R, Les Algériens Musulmans et la France, op.cit, p :1210

(307) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :45

(308) ibid.

المبحث الثاني

رأيه في التجنس

قضية تجنس الجزائريين المسلمين أثارت ضجة كبرى في أوساط النخبة الجزائرية، والعلماء المسلمين الجزائريين، وحتى في أوساط المحتلين الذين رفضوا بكل قوة تجنس الجزائريين، قبلوا بأرض الجزائر أن تكون فرنسية، و رفضوا أن يكون الإنسان الجزائري المسلم فرنسيا.

أمام هذا التناقض، وقف فرحات عباس إلى جانب إلحاق الإنسان الجزائري بفرنسا مباشرة كما ألحقت أرض الجزائر بها، اختار في بداية نضاله السياسي طريقا رفضه الجزائريون المسلمون في أغلبيتهم، وكذلك المحتلون، هل كان فرحات عباس يريد من ذلك إثبات سوء نية المحتلين (وهي كذلك) تجاه الجزائريين المسلمين ؟ و إلغــاء القــوانين الاستثنائية، وتحقيق العدالة الاجتماعية، ومعها يزول مفهوم الاحتلال ؟

هذا ما سنحاول التعرض إليه في هذا المبحث.

أصدرت فرنسا في 22 جويلية 1834 قرارا اعترفت فيه باحتلالها للجزائر رسميا، وأعلنت بأن الجزائــر (أرض فرنسية) وقسمتها إلى ثلاث ولايات تخضع مباشرة للحاكم العام، وجاء الدستور الفرنسي لسنة 1848 وأكد بــأن الجزائر أرض فرنسية.[309] وعملت فرنسا بجميع وسائلها الإجرامية للقضاء على أية مقاومة جزائرية، وشجعت الهجرة من فرنسا والدول الأوروبية الأخرى إلى الجزائر، من أجل إتمام عملية الاستيطان، والقضاء على العنصر الجزائــري، متبعة في ذلك نفس الأسلوب الذي اتبعه الأوروبي الأبيض في القارة الأمريكية ضد السكان الأصليين.

وكانت كل الأنظمة السياسية والعسكرية منذ احتلالها للجزائر وسقوط حكومة الداي حسين يوم 5جويليــة 1830 إلى قيام الجمهورية الثالثة 1848-1852، والإمبراطورية الثانية 1852-1870، والجمهورية الثالثــة 1871-1940 متفقة كلها في الهدف ومطبقة لما جاء في دستور 1848، مع اختلاف في بعض الأســاليب، هــدفها فــرض الاحتلال بالقوة، وقهر الشعب الجزائري المسلم. [310] وهذا ما كان متفقا عليه طوال مدة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

أراد نابليون الثالث أن يؤسس " الأمة العربية ". [311] وذلك منذ بداية 1860إلى جويلية 1865، فقد راسل الحاكم العام بالجزائر " ماكمهون " (Mac-mahon) [312] موضحا له في مراسلته، السياسة التي يريد تطبيقها

---

[309] نفس المرجع، ص ص: 18-19

[310] نفس المرجع، ص:17

[311] Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op. cit, p :68

[312] ibid.

في الجزائر وهي:" الجزائر مملكة عربية- مستعمرة أوروبية- معسكر فرنسي "[313] كلام غير واضح وغامض، حيث يوضح " أجيرون "، أن حلم نابليون هو تأسيس " مملكة عربية " [314] في المشرق العربي يكون الأمير عبد القادر ملكا عليها، وذلك بعد حصوله على وسام الصليب الأكبر الذي منحته له فرنسا سنة 1860، فأراد نابليون الثالث أن يؤسس مملكة عربية في المشرق العربي ويربط بها الجزائر، وتكون كلها تحت حكم الأمير عبد القادر. [315]

في رسالة أخرى بعثها نابليون الثالث إلى الحاكم العام بالجزائر " بيليسي " يوم 6 فيفري 1863 طلب منه توقيف مصادرة أراضي الجزائريين المسلمين، وإعلان المساواة الكاملة بين الجزائريين والفرنسيين، وطلب منه أن يعلم العرب في الجزائر بأن الإمبراطور نابليون الثالث هو ملك العرب كما هو ملك الفرنسيين. [316] الإمبراطور يحلم أن يكون ملكا على الأمة العربية كلها بمساعدة الأمير عبد القادر في المشرق العربي، وهذا بدون شك يهدف إلى تكوين إمبراطورية فرنسية كبيرة، منافسة للإمبراطورية الإنجليزية، وقطع الطريق على بريطانيا في المشرق العربي، فوجد أمله في الأمير عبد القادر عسى أن يساعده في تأسيس المملكة العربية.

ولكي يؤكد الإمبراطور حسن نيته، أصدر قرارا عُرف بسيناتوس-كونسولت عام 1863 منع فيه مصادرة أراضي الجزائريين المسلمين، واعترف لهم بحق ملكيتهم. [317]

لم يكن يثق في التقارير التي يرسلها له مرؤوسيه من الجزائر فأراد أن يعرف الجزائر عن حقيقتها، وهذا يتطلب منه رؤية الأشياء كما هي، لا كما يصفها له الآخرون.

فقرر أن ينتقل شخصيا إلى الجزائر، ويقيم فيها لمدة 36 يوما (من 3 ماي إلى 7 جوان 1865) [318] يزورها للمرة الثانية، استقبله المحتلون ببرودة، لأنهم كانوا يعلمون غرضه، وهو مساواتهم بالعرب، وهم لا يريدون إلا أن يكونوا أسيادا في الجزائر، والعرب الجزائريون المسلمون عبيدا لهم، لأن المحتلين كانوا يعتبرون أنفسهم هم الملاك الشرعيون، والسادة الحقيقيون للجزائر. [319] محتلون متكبرون و متجبرون أفقهم ضيق، يفكرون ببطونهم لا بعقولهم، يدعون أنهم يعرفون تاريخ الجزائر جيدا، وبأن أرضها ملك للغالب، والمغلوب فيها عبد لسيده، ونسوا أنفسهم ما هم إلا كالرومانيين والونداليين والبيزنطيين الذين مروا على هذه الأرض، فهم رحلوا، و لم يبق فيها إلا

---

[313] Ferhat Abbas, autopsie d’une guerre, op.cit, p :35
[314] Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op.cit,p :68
[315] ibid.
[316] ibid.
[317] نفس المرجع، ص : 22
[318] ibid. p :69
[319] Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :119

أصحابها الشرعيون، لو استقرأوا التاريخ والآثار لغيروا نظريتهم، ولكن أعماهم الطمع، وسَخِرَت منهم أسلحتهم، فنفختهم أكثر من حقيقتهم.

وجه نابليون الثالث في يوم5 ماي 1865 بعد إقامته يومين في الجزائر نداء إلى العرب يطمئنهم على ملكيتهم، ويشرح لهم حسن نيته تجاههم بقوله:" أيها العرب إنكم تعرفون قصدي، إنني أضمن لكم بقاء أرضكم التي هي ملك لكم بين أيديكم، كرمت مسؤوليكم، واحترمت دينكم، وأريد الآن أن أحسن وضعيتكم بمشاركتكم في حكم بلدكم." [320]

لاحظ نابليون الثالث الفروق الكبيرة الموجودة بين المحتلين، والجزائريين المسلمين، فتأثر بتلك الوضعية ورفضها، وكتب إلى الحاكم العام " راندون " (Randon) يوم 6 ماي 1856 (أي بعد ثلاثة أيام من إقامته في الجزائر)، " إن دفع الضرائب العينية يجب أن يكون مقابلا لما يساويها من نقود، اليوم الهكتوغرام من القمح يساوي 18 فرنكا، ولكنه يحسب لهم بـ 22 فرنكا، يجب أن تكون الضرائب عادلة." [321]

ولما رجع إلى باريس يوم 7 جوان 1865 حرر رسالة تحتوى على 88 صفحة أرسلها إلى الماريشال "ماكماهون " هذه الرسالة بعنوان: " رسالة حول السياسة الفرنسية في الجزائر، موجهة من الإمبراطور إلى الماريشال ماكماهون "[322] هذه المراسلة تناولت المشاكل التي يتخبط فيها الجزائريون المسلمون، وجزء منها مأخوذ من رسالة كتبها قبله العقيد " لاباسي " (Lapasset)، وإسماعيل عربان، الذي اتصل بنابليون الثالث بباريس عدة مرات، الرسالة لم تنشر للرأي العام، ولكن صحافة المحتلين زرعت الرعب في نفوس الأوروبيين المحتلين من جراء مشاريع نابليون الثالث، وفسرت وجود الأمير عبد القادر، تفسيرا خاطئا على اعتبار أنه سوف يعين نائب الملك، أو نائب الحاكم العام، الجنرال " ديفو " (Desvaux) عارض مشاريع الإصلاحات ورفض إقامة أرستقراطية أهلية وقدم استقالته. [323]
و عارض كثير من المحتلين مشاريع نابليون الثالث لأنهم لا يريدون من الجزائريين إلا أن يكونوا عبيدا لهم، وهم سادتهم.

في 14 جويلية 1865 أي بعد حوالي شهر من عودة نابليون الثالث من الجزائر، يصدر قانون سناتوس-كونسولت (Sénatus-consulte) نص هذا القانون على أن الجزائريين رعايا فرنسيون يحتفظون بقانون الأحوال الشخصية الإسلامية، ويمكن استدعاؤهم للوظائف الإدارية بناء على طلباتهم، ويمكنهم كذلك الحصول على الجنسية الفرنسية، ولكن بشرط التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية (وذلك فيما يخص تعدد الزوجات

---

[320] Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op.cit, p :68
[321] ibid. p p: 68 - 69
[322] ibid. p: 69
[323] ibid

والطلاق والميراث) ويكون هذا بناء على طلبهم، وفي هذه الحالة سوف يتمتعون بكامل الحقوق السياسية التي يتمتع بها الفرنسيون. [324] ويصف فرحات عباس هذا القانون بقوله: " إن سياسة الاندماج التي حددها قانون سـناتوس-كونسولت سنة 1865، ولدت ميتة." [325]

وهذا القانون كان خطيرا وأقلق المعنيين بالتجنس، وطلبات التجنس كانت ضعيفة في البداية وجـاءت مـن بعض الجنود القدامى، ومساعدي المكاتب العربية. [326]

جدول رقم 1: يمثل طلبات التجنس من 1865إلى 01 أكتوبر 1916 [327]

السنوات	عدد الطلبات			السنوات	عدد الطلبات		
	المقدمة	المقبولة	المرفوضة		المقدمة	المقبولة	المرفوضة
1865	00	00	00	1891	21	16	05
1866	20	14	06	1892	52	46	06
1867	36	36	00	1893	43	37	06
1868	39	30	9	1894	51	48	03
1869	42	26	16	1895	34	31	03
1870	57	20	37	1896	51	42	09
1871	00	00	00	1897	79	75	04
1872	38	35	03	1898	40	32	08
1873	55	52	03	1899	31	21	10
1874	37	36	01	1900	51	20	31
1875	137	124	13	1901	33	13	20
1876	19	17	02	1902	47	30	17
1877	18	17	01	1903	61	38	23
1878	39	23	16	1904	57	39	18
1879	30	30	00	1905	51	33	18
1880	20	18	02	1906	63	41	22
1881	30	30	00	1907	65	39	26
1882	26	26	00	1908	55	47	08
1883	33	33	00	1909	40	20	20
1884	50	47	03	1910	70	49	21
1885	56	55	01	1911	63	36	27
1886	26	23	03	1912	63	50	13
1887	15	13	02	1913	77	54	23
1888	27	27	00	1914	57	42	15
1889	27	25	02	1915	25	23	02
1890	30	26	04	1916	20	20	00
المجموع : المقدمة:2207 – المقبولة: 1725- المرفوضة:482							

---

[324] ibid. p : 70

[325] Mémoire remis le 31mars1943 à M. Le gouverneur général par M.. Abbas Ferhat, Bendjelloul, Benkhellaf docteur Tamzali, Saiah Abdelkader et Zerrouk Mahieddine, ed, imprimerie officielle Alger, 1946, p :18

[326] الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 232

[327] Mahfoud Kaddache, histoire du nationalisme Algérien T 2, p :887

ومعظم الجزائريين اعتبروا هذا القانون إهانة لهم ولدينهم الإسلامي، وكانت معدلات طلبات التجنس السنوية ضعيفة فلم تتجاوز 30 طلبا مقبولا في السنة من 1865 إلى 1900. [328]

طلبات التجنس ضعيفة ففي سنة 1884 يقترح " جون جوريس " بربط الجزائر نهائيا بفرنسا، ولن يكون ذلك حسب نظره إلا بغزو أخلاقي واندماجي للعرب والقبايل، وذلك بنشر اللغة الفرنسية، وإدماجهم كلهم بفرنسا حتى تبقى الجزائر تابعة للأبد لفرنسا. [329] ويضيف قائلا: " الإمبراطورية ضيعت مقاطعتين، والجمهورية منحتنا مستعمرتين." [330] ويستشهد فرحات عباس بـ " ألمنة " المقاطعتين الفرنسيتين " الألزاس و اللورين " لأن ألمانيا بثقافتها قامت بغزو روح الأزالسيين واللوريين عن طريق المدرسة ولغتها، وذلك إتماما لغزو الأرض، وبالتالي تمكنت من ضم الأرض والإنسان إليها، وأصبحا جزءا من إمبراطوريتها بدون تمييز بين جميع سكانها الذين تعتبرهم كلهم ألمانيون لهم نفس الحقوق والواجبات[331]

رفض فرحات عباس التجنس الفردي و الفئوي، وإنما طالب بالتجنس الجماعي بدون شروط، لأنه يعتبر نفسه جزءا من الفلاحين الفقراء الذين نشأ وتربى معهم، ولا يستطيع أن يتخلى عنهم ويتركهم في محنتهم وعذابهم. [332] بالرغم من حصوله على تعليم جامعي و ابن قايد، حيث يقول:" إنني أنتمي إلى طبقة فلاحية، وأن منصب والدي وإخوتي كان عرضيا، عشت وتربيت في أوساط الفلاحين الجبليين... قضيت طفولتي في وسط هؤلاء البسطاء، أقوياء وكرماء، فمن الصعوبة أن أتخلى عنهم." [333] قضى الخدمة العسكرية الإجبارية مثلهم، كان في طفولته يلعب معهم ويذهب إلى المدرسة القرآنية حافي القدمين، أحب أبناء جيله وأحبوه، لم يغلق باب داره أبدا في وجوههم إلى أن توفي. كان يعمل على وضع حد للمحتلين المسيطرين على كل ثروات البلاد بمساعدة بعض الإقطاعيين المسلمين، [334] الذين باعوا ضمائرهم بأبخس الأثمان، وتركوا شعبهم يئن تحت ضغط الفقر والجوع.

فرحات عباس اتهمته الأحزاب المتطرفة في بداية نضاله السياسي بالاندماجية، لكنه فضل المواطنة في إطار المحافظة على الأحوال الشخصية للمسلمين الجزائريين، ورفض التجنس الفردي، ذلك هو اتجاهه وفلسفته الاجتماعية الرافضة للفردانية، التجنس الفردي مرفوض لديه، حيث يقول:" إننا جزائريون ننتمي إلى عائلة، وهي تنتمي إلى

[328] Octave Depont : op.cit, p :173
[329] Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op.cit, pp : 152-153
[330] ibid. p: 153
[331] Ferhat Abbas, éditorial de L’entente franco- musulmane, Nº 33, du 12 août 1937
[332] Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :107
[333] ibid. p : 108

[334] نفس المرجع، ص: 77

مجتمع، التجنس الفردي مرفوض، يجب أن يطبق القانون على الجميع." [335]

لقد أوضح موقفه جيدا من التجنس في كتابه الشاب الجزائري، بجمع المقالات التي كتبها في أسبوعية الدكتور ابن التامي " التقدم " المتمثل في:

" أولا: الاحترام المطلق للدين الإسلامي، واللغة العربية، والحضارة الإسلامية. فالإسلام عندنا له أربعة عشر قرنا من الوجود فوق أرضنا، وأعطانا حقوقنا، ومحاولة القضاء عليه هي مضيعة للوقت وسوف يبقى أمام كل محاولات تهديمه.

ثانيا: التخلي كليا عن أسطورة التفوق الجنسي فأحيانا نجد الذكاء في قدمي " يَاوْلاَدْ " أحسن مما هو موجود في مخ أوروبي.

ثالثا: سياسة المساواة في الحقوق هي وحدها القادرة على فتح أبواب المستقبل المشترك، بقاء فكرة المنتصر و المنهزم تؤدي إلى الطلاق، وإلى الكارثة.

رابعا: الشباب الجزائري يجب أن يكون الخميرة التي تغير المجتمع المسلم، القديم من جهة، إلى مجتمع متطور مسلح بالتقنيات لمنافسة المجتمع الأوروبي.

خامسا: لنأخذ مثالا بالمجتمع الياباني الذي قبل بالمدرسة الأوروبية، بدون أن يتخلى عن حضارته وعاداته، وهذا ما يجب فعله، قبول الحضارة الغربية الحاضرة مع المحافظة على الماضي. " [336]

إن ترك العادات والتقاليد الإسلامية سوف تفصل الشعب الجزائري المسلم عن ماضيه، الشريعة الإسلامية هي الوطن الحقيقي للجزائر. [337] فقانون التجنس لسنة 1865 أو 1919 كان يفرض على الجزائريين التخلي عن أحوالهم الشخصية، بهدف قلعهم من جذورهم. باستثناء قانون 1947.

إن الذين طلبوا التجنس من الجزائريين كان عددهم قليلا يتمثل في بعض الأساتذة، والمدرسين، والضباط. [338]

هؤلاء الأشخاص الذين ألحوا على التجنس كانت نظرتهم ضيقة، واعتبروا أنفسهم فوق أفراد مجتمعهم وطلبهم للتجنس كان لأسباب شخصية محضة، وذلك من أجل ترقيتهم. [339] فلم تكن تهمهم سوى مصلحتهم، فهم أنانيون ونفوسهم ضعيفة.

---

(335) Ferhat Abbas, Le jeune Algérien, op.cit, p p :92-93

(336) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :121

(337) Guy Pervillé, op.cit, p : 231

(338) Maurice Viollette, l'Algérie vivra-t-elle, ed, libraire Félix Alcan, Paris, 1931, p :426

(339) ibid.

ويدعو الشريف بن حبيلس الفئة المثقفة إلى أخذ الجنسية الفرنسية بقوله: " هذه البرجوازية المحافظة المتجمدة البالية طبقة " العمائم القديمة " كما تسميها النخبة والتي تشكل تناقضا حيا لها، على كل حال ماذا ننتظر من كلمة " النخبة "، إنها زبدة من الشباب المتكون في الجامعات الفرنسية، وهم فوق العامة، ومكانهم بين المتحضرين. "[340] أي بين الفرنسيين وليس بين أفراد أمتهم.

فرحات عباس لا يحتاج الجنسية الفرنسية كفرد منفصل عن مجتمعه، عن مجتمع الفقراء الفلاحين الذين تربي في وسطهم، فهو يطالب بقوة إدخال 06 ملايين نسمة من الجزائريين المسلمين، كلهم وبدون استثناء، في المواطنة الفرنسية، وإنقاذهم من تصرفات المحتلين الظالمة والسيئة، فالعدالة يجب أن تكون للجميع وهي المطلب الأساسي لفرحات عباس ولسياسة المسلمين، حتى تكون الجزائر كلها بقلبها مع فرنسا. [341] فهو يتفق مع الأمير خالد الذي طالب قبله بإلغاء القوانين الاستثنائية، وتحقيق العدالة للجميع، وتمثيل الجزائريين المسلمين في المجلسين، ومنح صفة المواطنة للجميع، دون اللجوء إلى طلبها، مع احترام قانون الأحوال الشخصية. [342]

فالشريف بن حبيلس يرى عكس ذلك، التجنس لديه خاص بالنخبة، ويجب أن يكون مطلبا أساسيا لها وحدها دون فئة الفلاحين الأميين الفقراء. [343] فهو يحتقرهم ويزدريهم ويترفع عنهم معتبرا نفسه فوقهم، ويطلب بإلحاح من النخبة والتي يسميها الفئة الممتازة أن تكون القدوة والسباقة للتجنس، وأن تبتعد عن تأثير " العمائم القديمة " التي تعيش تحت تأثير الخرافات، وهي لن تستطيع أن تتخلى عن خرافاتها، فهي العائق الخطير الذي يمنعهم من التطور وفهم الحضارة الأوروبية والاندماج فيها.

ويستشهد بأحد غلاة المحتلين " سيرفي " (Servier) حينما يكتب ساخرا من مجتمع الفلاحين الفقير اليائس الخاضع للقهر والظلم بقوله: " إنهم أشخاص مرتبطون بِعُمْقٍ بالديانة الإسلامية، وهم تحت تأثير الزاويا الدينية وفكرهم نابع أساسا من المهدية." [344] لكن المجتمع الفرنسي رفض هؤلاء المتجنسين، وكذلك المجتمع الجزائري المسلم رفضهم لأنهم تخلوا عن الشريعة الإسلامية. ويصفهم " موريس فيوليت " (Maurice Viollette) بقوله:" التجنس أصبح هجرة حقيقية، سمح للفرد بالانتقال إلى مجتمع بعد أن منحه الرخصة لذلك، ولكنه رفض استقباله جيدا." [345]

إن المتجنسين فئة ضائعة تائهة تخلت عن جذورها بإرادتها، فاقتلعتها الرياح وأسقطت شموخها، إلى

---

[340] Chérif Benhabiles, l'Algérie Française vu par un indigène, édition, imprimerie orientale, Fontana frères Alger, 1914, p :107
[341] Ferhat Abbas, Le jeune Algérien, op.cit, p : 102
[342] نفس المرجع، ص: 53
[343] Chérif Benhabiles, op.cit,p :112
[344]ibid. p : 125
[345] Maurice Viollette, op.cit, p : 427

الحضيض، فداسها المحتلون بأرجلهم وسخروا منها وأهانوها، هو الضياع والتيه، فمجتمعهم الإسلامي رفضهم لأنهم تخلوا عنه، والمحتلون سخروا وضحكوا منهم، فلا هم أصبحوا ولاة، ولا حكاما عامين على الجزائر ولا وزراء بفرنسا بالرغم من حصول بعضهم على شهادات جامعية عليا. ونلاحظ من خلال إحصائيات المتجنسين التي مرت علينا* أن عدد المتجنسين من 1865إلى 1916 هو 1725 متجنسا، وهذا العدد ضعيف جدا، و أن عدد المتجنسين منذ صدور قانون 1865 وقانون فيفري 1919 إلى سنة 1925 وصل عددهم إلى 2482 متجنسا.[346]

جدول رقم: 2 يمثل عدد المتجنسين منذ صدور قانون سيناتوس- كونسولت 14 جويلية 1865 إلى سنة 1925[347] (بما في ذلك قانون 4 فيفري 1919)

جدول رقم: 02

المرحلة	عدد المتجنسين	المعدل السنوي
من 1865 إلى 1900	1151	30
من 1901 إلى 1910	340	36
من 1911 إلى 1918	350	44
من 1919 إلى 1925	319	53
المجموع	2482	

عدد المتجنسين خلال 60 سنة هو 2482 متجنسا، ضعيف جدا، والنسبة هي 0.041 % إذا قدرنا عدد سكان الجزائر في سنة 1925 بحوالي 6 ملايين نسمة، أما النسبة السنوية لسنة 1925 فإنها ضعيفة جدا جدا فهي 0.009% من مجموع السكان.

رفض فرحات عباس رفضا مطلقا التجنس الفردي، و لم ينضم إلى هذه الفئة القليلة الضائعة، لأن الدين والعائلة والمجتمع الإسلامي أثروا فيه، و لم يستطع أن يتخلى عنهم. [348] بقي مرتبطا بهم طوال حياته، ففي شهر مارس سنة 1959 بـ " نيودلهي " طرح عليه صحفي سؤالا غير متوقع بقوله: " سيدي الرئيس، ما الذي بإمكانكم أن تحبوا عمله خارج السياسة؟.. فرد عليه دون تردد: " فلاحة الأرض." [349] لم يكن فرحات عباس فلاحا يوما في حياته، ولكن إجابته يقصد بها ارتباطه الوثيق بالفلاحين. المتجنسون الضائعون بين المحتلين وبين

---

* ارجع إلى جدول رقم 1 في هذا المبحث.

[346] Octave Depont, op.cit, p : 173

[347] ibid.

[348] وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 46

[349] Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :107

الجزائريين المسلمين كونوا رابطة لـــهم باسم:" رابطة المواطنين الفرنسيين من أصل أهلي " [350] وذلك للبحث عن مناخ يلائمهم، بخلق مجتمع مجهري يجمعهم حول أفكار مشتركة لنسيان همومهم.

يورد الشريف بن حبيلس في كتابه الجزائر الفرنسية كما يراها أهلي، معاناة أحد المدرسين من منطقة القبائل الكبرى تجنس بالجنسية الفرنسية، وتزوج بفرنسية فيقول له هذا المدرس: " لم أزر أبدا قريتي منذ تجنست، إنها وضعتني في الجهة السيئة، والدي توفي و لم أستطع رؤيته. " [351] المجتمع القبايلي رفض المتجنسين، واعتبرهم خونة، لـــذلك لم يستطع هذا المدرس الحضور في تشييع جنازة والده، ويعد ذلك بالنسبة للمجتمع الجزائري المسلم أكبر إهانة للفـــرد، ويصبح عارا عليه يلاحقه مدى حياته، حيث يصنف من المغضوب عليهم في مجتمعه.

لم يكن الشريف بن حبيلس ممثلا مريحا للشباب الجزائري المسلم، لأنه وضع نفسه فوق مجتمعه وبين أعدائـــه فهاجمته صحافة المسلمين، و أكبر هجوم كان خاصة من محمد شريف ساحلي الذي قال عنه وعن أمثاله المتجنسين:" رجال بدون إيمان قدموا خدمتهم إلى المحتل، عملاء مأمورون متاجرون يهدفون من وراء ذلـــك خدمـــة مصـــالحهم الطبقية، هذه الطبقة البرجوازية الجديدة تطالب بالمساواة في الحقوق والاندماج، يريدون أن يكونوا فرنسيين للوصول إلى مكان بجانب معلميهم." [352]

يريد فرحات عباس من فرنسا أن تطبق مبادئ ثورة 1789 في الجزائر، وأن تلغي التمييز العنصـــري، الـــذي يمارسه المحتلون على الجزائريين المسلمين. [353] فهو يكره الاحتلال، وينبذ الظلم، والطغيان، واللامســـاواة، حيـــث يقول: " أكره العنف، وأكره الظلم أكثر، وأنبذ الأقلية المسيطرة، في الجزائر الظلم هو السائد، وجذوره عميقة، فمن العبث أن نحمل المسؤولية لهؤلاء المحتلين السيئين، ونبعد الفرنسيين الآخرين، إنهما متكاملان، المحتلون هم نتيجة ثمـــار نظام سيئ." [354]

لقد رفض أن يقدم طلبا للحصول على الجنسية الفرنسية، برغم أن الشروط متوفرة فيه بكاملها، أداؤه الخدمة العسكرية، حصوله على دبلوم جامعي، ابن قايد، أراد أن يبقى إلى جانب الفلاحين الفقراء، الذين لم يسمح لهم قانون 1865 وقانون 1919 بالتجنس، كان يطالب ويلح بشدة على الأخوة بين جميع سكان الجزائر،

---

[350] Guy Pervillé, op.cit p : 217

[351] Chérif Benhabiles, op.cit, p p : 113,114

[352] cité par Guy Pervillé,op.cit, p :213 d'après Mohamed chérif Sahli, l'Algérie accuse le calvaire du peuple Algérien, Alger,1949, p p :56,58

[353] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :132

[354] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :109

" السلام والإخاء، هما المستقبل الذي يجمع الجزائريين المسلمين، والأوروبيين المحتلين." [355] لا يبتعد في مطلبه السياسي هذا عن رغبة الأمير عبد القادر، فقد أورد " أجيرون " في المجلة التاريخية الفرنسية لما وراء البحر مقطعا من رسالة بعثها الأمير عبد القادر إلى الفرنسيين في ماي 1855 مما جاء فيها: " لو أن المسلمين والمسيحيين، استجابوا لي، لأوقفت الخصام بينهم، و لأصبحوا إخوة في الداخل والخارج." [356]

لقد دعا فرحات عباس إلى أخوة بين كل الأجناس والديانات الموجودة في الجزائر[357]، وخاطب المحتلين بقوله: " ضعوا الثقة فيَّ، ومدوا لي أيديكم." [358]

فهو ينظر إلى قانون 4 فيفري 1919 بأنه ظالم،[359] وغير عادل، لأنه منح الجنسية لمجموعة قليلة فقط من الجزائريين المسلمين، ومنعها على الأغلبية العظمى منهم، والتي تكون المجتمع الفلاحي الريفي فهي بحاجة إلى المدرسة، إلى العناية الصحية، إلى الطريق، إلى المساواة في الحقوق والواجبات.

" لكن الاحتلال قوة بلا فكر، وجسم بلا روح، جاء بالسيف في يده، وبالمدفع والخنجر استقر، وأصبحت البلاد له." [360] واستعبد سكانها الأصليين، فالاحتلال يقوم على مبدأ احتلال الأرض، واغتصاب الحقوق، و اغتيال الإنسان، فهذه الثلاثية الجهنمية هي القاعدة الأساسية للاحتلال، وزوال إحدى عناصرها، يؤدي إلى زواله. ففرحات عباس أراد أن يقضي على هذه العناصر الأساسية للاحتلال، وهي رد الحقوق لأهلها الشرعيين، عن طريق إلغاء القوانين الاستثنائية، وتطبيق مبادئ الثورة الفرنسية 1789، و احترام الدين الإسلامي، وينتج عن ذلك حسب نظره خلق مجتمع أخوي، هل كان يدرك جوهر مطلبه عن طريق الدعوة إلى الاندماج، بين مجتمعين متناقضين كل التناقض، في الفكر، في الدين، في الجنس، في اللغة، في التاريخ، في العادات والتقاليد ؟ على كل حال قد اتخذ فرحات عباس قرارا نهائيا برفض التجنس، وأن يبقى رعية من الرعايا الفرنسيين، حيث يقول: " طموحي أن أبقى رعية فرنسية، مناضلا باسم الرعايا الفرنسيين من أجل التحرر السياسي والاقتصادي لوطني، وهذه هي الحدود لطموحي وقوتي، ونظرتي السياسية." [361] ويطالب بأن يكون قانون 4 فيفري 1919، وقانون سيناتوس- كونسولت 1865، أكثر استجابة لمطامح الجزائريين المسلمين." قانون 1919، جعلنا أشخاصا

---

(355) Ferhat Abbas, le jeune Algérien ,op.cit, p :133

(356) Ageron C. R, In Revue Française d'outre mer t L XXXI , 1994 N° 303, p :186

(357) ibid.

(358) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit , p : 133

(359) ibid. p : 134

(360) ibid. p : 80

(361) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco- musulmane, N° 32, du 15 Mai 1937

غير مرغوب فيهم، نقضـــي وقتنـــا في التـــآمر علـــى فرنســـا... وقـــانون 1865 بحاجـــة إلى دســـتور جديـــد وإصلاحات."[362]كانت هذه المطالب في وقتها تحد لإدارة الاحتلال، أخطر من السلاح لأن الاحتلال اســـتطاع أن يقضي على كل المقاومات المسلحة التي خاضها الشعب الجزائري، رافضا الاحتلال الفرنسي منذ أن وطئت أقدامـــه أرضنا الطاهرة، مستعملا كل أنواع الأسلحة، ومخترقا كل قوانين الحروب، قتل جماعي، إبادة تجويع...

أما الفكر، فإن السلاح لا يقضي عليه، وإنما يزده قوة وانتشارا، من الممكن قتل مفكر أو سياسي، ولكن لا يمكن قتل الأفكار بالرصاص، فالفكر كالروح خلق حر، كيف يمكن للاحتلال أن يواجه رجلا مثل فرحات عبـــاس كوّنـــه في مدارسه، حاملا لمبادئ الثورة الفرنسية، ومتشبعا بثقافتها، يكره العنف والظلم، أي أنه يحارب الفرنســـيين بفكـــرهم الذي يفتخرون به، يجادلهم ويناقشهم من خلال تاريخهم السياسي، وفلسفتهم الاجتماعية التي كانوا يفتخرون بهـــا في كتبهم، وخطبهم، وجرائدهم، فالاحتلال أدعى أنه جاء لتحضير شعب همجي يسكن في الجهة الأخرى من البحـــر، فقتله أحيانا ضروري في نظره لتخويف الآخرين وإذلالهم، لأن هذا الشعب رفع السلاح ضده. فما العمل إذًا مع من يرفع مبادئ فرنسا الليبرالية، وينادي بتطبيقها على كل سكان الجزائر بدون تمييز، لا في الجنس ولا في الدين؟ هل يقال عنه أنه متوحش ؟ تلك إشكالية واجهتها إدارة الاحتلال. " هل سياسة تكوين شباب العرب والبربر كانت خطأ ؟ " [363]

يقول " غي بيرفييه " عن هؤلاء الشباب الجزائري: " إن مدلول التاريخ الجزائري منذ الاستقلال، ترك البعض يشككون في معظم المثقفين الجزائريين، الذين تلقوا تكوينهم في المدارس الفرنسية وجامعاتها، حيث اتهمهم الجزائريون المعربون بأنهم كانوا خطرين ومنافقين لأنهم قاموا بتغطية حقد فرنسا على الجزائريين، إنه اتهام خادع لجأ إليه هـــؤلاء الأتقياء الذين يشبهون الجزويت، أصحاب النظرة الضيقة ... كان ذلك مستبعدا لدى معظم الطلبة المتخرجين مـــن الجامعات الفرنسية ... لم يحمل هؤلاء الشباب الجزائري الإحساس بأنهم فرنسيون إلا للضرورة من أجل الدفاع عن الحقوق والمساواة." [364] ففرحات عباس هو من أحد هؤلاء الطلبة، الذي طالب من خلال كتاباته في الجرائد مثـــل التقدم، وهمزة الوصل، وغيرهما بإلحاق الجزائر بفرنسا مباشرة، فما هي إلا سياسة كان يهدف مـــن وراءهـــا تحـــرر الفلاحين، وإلغاء القوانين الاستثنائية، ووضع حد بواسطة القانون الفرنسي لغلاة المحتلين، الذين تمادوا وافتخروا فيما بينهم بإهانتهم للشعب الجزائري المسلم، فقد تحول هؤلاء المحتلون في بلدنا إلى آلهة تعيش من دم و عـــرق الفلاحـــين الجزائريين المسلمين، فالمطلب الأول والأساسي الذي بدأ به فرحات عباس نضاله السياسي، هو ربط الجزائر

---

[362] ibid.
[363] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 81
[364] Guy Pervillé, op.cit,p :205

بفرنسا مباشرة، وثانيا فتح المدرسة لتعليم كل أبناء الجزائر، فهو يعلم أن الشعب المتعلم لا يمكن استعباده، وحينما يتعلم يعرف كيف يناضل ويدافع عن حقوقه أمام هؤلاء الجبابرة، فالعبودية والاحتلال لا تعيش إلا في أوساط الأميين، حيث تجد المناخ المناسب لها، فالجهل هو التربة الجيدة لزرع بذور القهر، والشعوذة والخرافات والفقر تهيأ المجتمع الإنساني لكل أنواع الاستعباد. ولكن سياسة الإلحاق التي نادى بها فرحات عباس، وجماعة النخبة في العشرينات من القرن العشرين، تلقت ضربات مرعبة، من طرف نظام الاحتلال. [365]

لم ينصت الاحتلال لنداء الشباب الجزائري، ابتداء من الأمير خالد، وجماعة المنتخبين المسلمين الجزائريين، وجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، تجاهل نداءهم، واتهمهم بالتعصب، وسخر من مطالبهم، واحتقر جمعياتهم وجرائدهم.

ففي سنة 1928 يوجه أوكتاف في كتابه: " الجزائر المئوية " نداء إلى الإسراع في تحقيق سياسة الاندماج: "لنسرع لفتح أبواب المساعدة الطبية الواسعة والمنظمة، وفتح المدارس في كل مكان، وخاصة مدارس البنات، وأن لا نفكر في التأخر، لنضع برنامجا من أجل تحقيق اندماج كامل للأهالي، وذلك لبناء جيل المستقبل." [366] والشيء نفسه بالنسبة لـــ "موريس فيوليت " حيث أشار في كتابه: " هل ستعيش الجزائر ؟" الذي نشره سنة 1931 إذ يقول: " إن فرنسا ارتكبت خطأ غير مسموح، لأنها لم ترد أن تعرف، و لا أن تسمع ." [367]

فالتجنس كما مر علينا في هذا المبحث، لم يستهو سوى بعض العسكريين القدامى، وبعض المدرسين (خاصة في الوسط القبايلي). [368] فالشباب الجزائري المسلم المتشبع بالثقافة الفرنسية مثل فرحات عباس، والدكتور محمد الصالح بن جلول، وغيرهما، كانوا يبحثون عن " جنسية سياسية " أو " جنسية سياسية فرنسية ". [369] تضم جميع الجزائريين المسلمين، وربطهم بفرنسا مباشرة، مع الاحتفاظ بالشخصية الجزائرية، والدين الإسلامي، والثقافة العربية الإسلامية، وهذا المطلب كان متوافقا تماما مع العلماء. [370] ففرحات عباس لم ينس أبدا أصوله الفلاحية، و لم يفكر يوما في الابتعاد عن المجتمع الفلاحي الذي نشأ في وسطه، أو يعزل نفسه عنهم، حيث يقول: " كان أبي وإخوتي في المسؤولية عن طريق الصدفة، تربيت وسط الفلاحين الجبليين، الذين لم يفسدهم الفقر ولا تنقصهم

---

[365] Octave Depont, op.cit, p : 43
[366] ibid. p : 49
[367] Maurice Viollette, op.cit, p : 418
[368] Ali Merad, op.cit , p : 406
[369] ibid. p : 397
[370] ibid

الشجاعة والكبرياء... قضيت طفولتي في وسط هؤلاء البسطاء، أقوياء، وكرماء، من المستحيل التخلي عنهم، ارتباطي بهم ليس عاطفيا، ولكنه ارتباط عضوي،كبرت بجانبهم، أحس وأفهم معاناتهم وبؤسهم، وتعبهم يحزنني."[371] فهـذا هو السبب الرئيسي الذي جعله يرفض الجنسية الفرنسية، فهو في وطنه، وليس غريب عنه، و لم يأت إليه كمغتـرب باحث عن الخبز، إنما جذوره مغروسة في أرض الجزائر بعمق لا يمكن اقتلاعها، باختصار إنه جزء من أرض الجزائـر، مثله في ذلك كمثل أولئك الفلاحين البسطاء الذين عاش بينهم.

حيث يقول: " أنا لست مثل زملائي في المدرسة أبناء المغتربين، فوالدي لم يأتيا من مالطا أو من فرنسا أو من مكان آخر للبحث عن الثروة." [372] برنامجه في هذه الفترة تجاهل القضية الوطنية والطريق الثوري للحصول علـى الحقوق، مطالبا دخول الجزائريين المسلمين كلهم في المواطنة الفرنسية بدون اللجوء إلى طلب التجنس.

وذلك في نظره هو الحل الأمثل للقضاء على الاحتلال، وتمكين الجزائريين المسلمين من اكتسـاب العلـوم و تقنيات الغرب وتخليصهم من التخلف والجهل والاحتلال، وربطهم بأمة ديمقراطية متحضرة وهي فرنسا، التي انبـهر فرحات عباس كثيرا بعلومها وتقنياتها، لذلك جعلها مثَله الأعلى الذي يقتدى به، مع حرصه دائما على بقاء الجزائريين المسلمين مرتبطين بدينهم الإسلامي، كان يريد أن يرتقي بالجزائريين إلى مصاف الشعوب المتطورة، ولكنـه أخطـأ الطريق، الإنسان الشرقي له خصائصه التي تختلف تماما عن الإنسان الغربي، وهذا ما غاب عن فرحات عباس في تلك الفترة.

أراد فرحات عباس أن يجعل للاحتلال عقلا وفكرا ذا نظرة مستقبلية لبناء جزائر تتسع لجميع أبنائها تسودها العدالة الاجتماعية، والديمقراطية، فهو لم يكن ضد الوجود الفرنسي في الجزائر، وإنما كان ضد الاحتلال الذي ناضل طوال حياته من أجل إلغائه، ولكن لا المحتلون استجابوا له، ولا الجزائريون المسلمون قبلوا فكرته، فبقي وحده حاملا لأفكار غير صالحة في ذلك الوقت للبيئة الجزائرية.

---

(371) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :108
(372) ibid.

المبحث الثالث

موقفه من الاحتفالات الفرنسية بمرور مئة عام على احتلال الجزائر

احتفل الاحتلال الفرنسي بجرائمه الإنسانية التي ارتكبها ضد الجزائريين المسلمين، بدون خجل أو تأنيب ضمير، مخصصا أموالا ضخمة ودعاية كبرى لاحتفالات الذكرى المئوية.

وسنرى في هذا المبحث الطريقة التي جرت بها هذه الاحتفالات بالجزائر، وموقف فرحات عباس منها، وهل ساقه تيارها مع جملة بعض الجزائريين المسلمين الذين باعوا أنفسهم للاحتلال بأبخس الأثمان ؟

في سنوات 1927، 1928، 1929، بدأ المحتلون يحضرون لاحتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر. " كان هدف الاحتفال هو الفرح بالاحتلال الذي قضى على هذه الدولة (الجزائرية) التي كان وجودها مصدر إحراج لأوروبا خلال ثلاثة قرون، وقد دام الاحتفال أكثر من ستة أشهر فقد بدأ في جانفي وانتهى في 5 جويلية 1930، تاريخ استسلام حكومة الداي." [373] استقال الحاكم العام موريس فيوليت، الذي كان حاكما عاما للجزائر من سنة 1925إلى سنة 1927، الذي دعا إلى تطبيق سياسية الاندماج لكل الجزائريين، وإلغاء قانون سيناتوس-كونسولت 1865، وقانون فيفري 1919، وإلغاء كذلك القوانين الاستثنائية، وعُوض بحاكم عام " بيير بورد " للإشراف على الاحتفالات المئوية، الذي كان متطرفا وحقودا على الجزائريين المسلمين، وفخورا بالأعمال الإجرامية، التي ارتكبها الاحتلال الفرنسي ضد الجزائريين المسلمين، فأحيا جراح الماضي، وأثار الأحقاد بين المحتلين والجزائريين المسلمين. [374] حيث اعتبر المحتلون أنهم عملوا على تحضير شعب بربري متوحش، وذلك بشق الطرقات، وبناء المدارس والمستشفيات، وإنشاء مدن عصرية، فهم في نظرهم ليسوا مثل الأنجلو – ساكسون، الذين دمروا الشعوب التي احتلوها. [375]

هذه الاحتفالات الكبرى، خصصت لها فرنسا ميزانية ضخمة حوالي 130 مليون فرنكا، [376] واشتملت على برنامج ضخما، معارض، استعراضات، محاضرات، ألعاب، أفلاما سينمائية، فقد أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية هافاس (Havas) 532 بيانا إشهاريا لهذه الاحتفالات، ونشرت الصحافة الفرنسية أكثر من 14000

---

[373] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900، 1930، المرجع السابق، ص: 324

[374] يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص: 49

[375] Mahfoud kaddache, op.cit,p :237

[376] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 324

إعلان إشهاري، ووزعت المكتبات الفرنسية والمدارس 1200000 كتيبا إشهاريا لهـذه الاحتفـالات، وخصصـت للدعاية وحدها لهذه الاحتفالات المئوية كذلك مبالغ مالية كبيرة، قدرت بـ 61 مليون فرنكا، وزار الجزائر 80000 فرنسيا منهم 306 برلمانيا. [377] كانت هذه الاحتفالات المئوية هي الأولى والأخيرة للاحتلال.

بدأت الاحتفالات المئوية في مطلع سنة 1930 بسباق للسيارات انطلق من مدينة الجزائر قاطعـا الصـحراء الجزائرية وصولا إلى مدينة ڤاو، ثم الرجوع إلى الجزائر، والجيش الفرنسي ارتدى ملابـس الجـيش الغـازي لسـنة 1830،لإحياء ذكرى الغزو بداية من سيدي فرج الذي صادف يوم 14 جوان، بينما الجيش الفرنسي (في فرنسـا) أحيا تلك الذكرى يوم 14 جويلية 1930.

في ماي 1930 زار رئيس الجمهورية الفرنسية " دو ميرغ " (Doumergue) الجزائر، حيـث نـزل بقصـر الصيف، ثم انتقل إلى مقر المجلس الجزائري حيث ألقى خطابا أمام سلطات الاحتلال ومما جاء فيه:" أيها السادة إنـي سعيد في هذا المساء بالدعوة التي وجهتموها إلي من الجزائر، كل الجزائر، وإني حامل إليكم تحية الوطن الأم..."[378] وفي الغد زار قصر المعارض، وحديقة التجارب، وحضر الحفل العسكري بالخروبة، ومنح الأوسمة للمسؤولين المسلمين الجزائريين، وقدم هـؤلاء له هدية تتمثل في حصان عربي أصيل، للدلالة على خضوعهم واستسلامهم لفرنسا. [379] ثم انتقل إلى مدينة بوفاريك، حيث دشن هناك تمثال النصر الفرنسي تحت أصوات البارود الذي لم يتوقف منذ نـزول رئيس الجمهورية الفرنسية بالجزائر، هذا التمثال الرمز قائم على حائط أبيض طوله 40 مترا، وارتفاعه 15 متـرا، في أعلاه يبرز أبطال الاحتلال (المجرمون) وفي أسفله يبرز بوضوح أعمال المحتلين الأوائل. [380]بعد ذلك انتقل رئـيس الجمهورية إلى مدينة قسنطينة يوم 6 ماي 1930 متوجها من قصر الصيف إلى المحطة المركزية بواسـطة السـيارات، وكان موكبه بدون حراسة، حيث انطلق القطار الرئاسي على الساعة 8:15 سا في اتجاه قسنطينة التي وصلها علـى الساعة 20:59 سا، بعد توقفه في المدن الرئيسية التي مر عليها مثل بويرة، برج بوعريرج، سطيف... حيث وجد في كل مدينة يتوقف بها المسؤولين في انتظاره.[381] وفي قسنطينة وجد أمامه تمثالا رمزيا للجنرال " لامورسيير "، الـذي استسلم له الأمير عبد القادر، بناه المحتلون سنة 1927 تحضيرا لاحتفالات الذكرى المئوية، وكان هذا التمثال رافعـا سيفه ضد الجزائريين [382] بصفة عامة، و لقسنطينة

---

[377] Mahfoud kaddache, op.cit, p :238

[378] Gustave Mercier, Le centenaire de l'Algérie, t, 2, ed, P et G Soubiron, Alger, 1931, p :403

[379] Mahfoud Kaddache, op.cit :238

[380] ibid.

[381] www.menustory.com , journée du mai 1930, voyage du président en Algérie.

[382] نفس المرجع، ص ص: 323، 324

بصفة خاصة، التي قاومت الاحتلال الفرنسي بكل قوة، و لم يستطع المحتلون الدخول إليها إلا في سنة 1837، ووجد في استقباله السلطات المدنية والعسكرية، منهم "مورينو" (Morinaud) نائب، ورئيس بلدية قسنطينة الذي ألقى خطابا في بلدية قسنطينة أمام رئيس الجمهورية الفرنسية والوفد المرافق له، ومما جاء في كلمته: " ما أشبه اليوم بالبارحـــة ! أُؤَكِدُ على ارتباطنا الكامل بالجمهورية، إن عظمة وطننا، وعطفه، ووصايته على الوطنيين المغتربين في الجزائـــر، وأن السياسة الإنسانية العميقة التي توليها الإدارة تجاه الأهالي استطعنا أن نكسب بها عواطفهم..." [383]

وقد ألقى ابن باديس* كلمة ومما جاء فيها: "باسم السكان المسلمين اعترف بفضل فرنسا على الأهالي فهي رمز الحضارة والحماية." [384]

كان فرحات عباس خلال احتفالات الذكرى المئوية، مازال طالبا بجامعة الجزائر، ورئيسا للطلبة المســـلمين لشمال إفريقيا، طلبت منه إدارة الاحتلال إلقاء كلمة بمناسبة الذكرى فرفض أن يشارك في احتفالات، تعتبر إهانـــة للجزائريين المسلمين، فهذه الاحتفالات المئوية خاصة بهؤلاء المحتلين، الذين يفتخرون بإجرامهم في حق شعب طالـــب أن يعيش حرا في وطنه، هي بالأحرى احتفالات انتصار أسلحة المحتل، على أسلحة الشعب الجزائري المسلم، أو كما يسميها المحتلون احتفالات المنتصر ضد المنهزم. [385] صحيح أن أسلحة الشعب الجزائري انهزمت أمـــام الاحـــتلال، ولكن جذور الأمة الجزائرية بقيت ثابتة في أرضها بالرغم مما أصابها من جفاف.

فرحات عباس كان يتطلع إلى مستقبل أشرف وأفضل للشعب الجزائري المسلم، الذي لم يستطع أن يتخلـــى عنه، لأن جذور فرحات عباس ثابتة هي الأخرى بعمق في أرض الجزائر، ومرتبط ارتباطا عضويا بفئـــات الفلاحـــين المسلمين البؤساء.

إن ولاء فرحات عباس للجمهورية الفرنسية، ومبادئ ثورتها (1789) ربطه بشرط، هو تحـــرر الجزائـــريين المسلمين والاعتراف بقانون الأحوال الشخصية، وإلغاء إمتيازات المحتلين الإقطاعيين الكبار، إنه شخصـــية لا يقـــدم تنازلات مجانية لفرنسا، ولكنها تنازلات مشروطة. [386]

يريد أن يجعل من الشعب الجزائري المسلم، شعبا لا يشعر بأنه غريب في وطنه. [387] فالمحتلون كانوا يعتقدون، بأنهم في وطنهم، وأن الجزائر أخذوها بالقوة والدم، فهم إذن أسيادها [388] وأحق بها.

ففرحات عباس ليس بالرجل المغرور، أو الارتجالي، أو الحالم، أو رجل يحب الاقتراب من زعماء

---

[383] Gustave Mercier, op.cit, p: 412

* ذكر الكاتب اسم ابن باديس و لم يذكر الاسم الشخصي، ويظهر أنه كان متعمدا حتى يختلط الأمر على الجزائريين المسلمين، بين الشيخ عبد الحميد بـــن باديس المصلح، و والده الموظف في الإدارة الاحتلال.

[384] ibid. p: 415

[385] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 49

[386] نفس المرجع والصفحة

[387] Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :109

[388] ibid. p : 119

الاحتلال، وليس هو رجل رومانسي، بل كان يعرف حقيقة ما يفعل، ومدركا لجوهر الاحتلال، حيث يقـــول: " لقد اتهمني الأستاذ شـــارل أندري جوليان بأنني مغرور، ومتعلق بالرومانسية، بالعكس قدمايا ثابتتان على الأرض." [389]يعرف ماذا يفعل، ومتى يتدخل، متصلب، متكبر معتز بانتمائه للجزائر، و غير ناكر لانتمائه لعائلة فلاحيـــة، ذو جبهة عريضة واضحة كعرض الجزائر، ووضوح شعبها المسلم، وأنف شامخ، كشموخ جبال الجزائر، التي أبت إلا أن تبقى واقفة، شاهدة على عظمة شعب الجزائر، الرافض لأي غاز.

وفي شهر ماي 1927 أثناء التحضير لاحتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر، كتب مقـــالا في جريدة التقدم، يوضح فيه سياسته، وتطلعه لمستقبل أفضل للشعب الجزائري المسلم: " إننا ننظر إلى يوم قادم، وبفضل سياسة حكيمة، حيث تصبح جبالنا مغطاة بمنازل بيضاء، وطرقنا معبدة، والينابيع تتدفق بالمـــاء العـــذب الشـــفاف، والكوخ يتحول إلى حطام من الماضي ولن يظهر للأبد في الدواوير النائية وفي أوساط المشاتي الطينية المغطاة بالـــديس. حجرة توضع، البنيان يرتفع، المنازل تتكاثر، وفي وسطهم المدرسة، ومجلس الجماعة، والمستشفى، ومركـــز البريـــد، وثكنة الدرك، والمساعدة الطبية و الصحية، والأمن، والأهلي يسرع إلى التحرر، كمجموعات راسخة، والقرية تنشأ." [390]

وقد رفض المشاركة في احتفالات الذكرى المئوية وإلقاء كلمة باسم الطلبة المسلمين الجزائريين، واصفا تلك الاحتفالات بقوله: " البارحة مأساة، وغدا الشك. " [391] البارحة بالنسبة للجزائريين هي القتل الجمـــاعي، ســـلب الأراضي، دموع وحزن، فعلى هذا الأساس يبنى المستقبل بين شعب منهزم بسلاحه، راسخ في أرضه، ومحتل منتصـــر بسلاحه، غريب على أرض الجزائر، فهو يذكر المحتلين أن نظرتهم الفوقية للشعب الجزائـــري المســـلم، وافتخـــارهم واحتفالهم بها، ما عليهم إلى تحضير أنفسهم لغد مُعْتم. [392]

ومقاله " من المحتلة إلى المقاطعة " ما هو إلا سبب لجأ إليه بغرض تحقيق تحرر الإنسان الجزائري المســـلم مـــن القهر والظلم والقوانين الاستثنائية. [393]

" في سنة 1981 يعترف بأنه كان واهما في هذه الفترة، لقد أدرك بأن الاحتلال لا يقوم إلا علـــى الســـيطرة والاستغلال تلك قاعدته وركيزته الأساسية، وأن الطبقة الحاكـــم في فرنسا كانت متفقة مـــع ساســـة المحـــتلين في الجزائر. " [394]

---

[389] ibid. p p : 122-123
[390] ibid. p : 122
[391] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 65
[392] ibid.
[393] ibid.
[394] ibid.

في سنة 1931 يؤكد في كتابه الشاب الجزائري، بأن احتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر ستكون هي آخر احتفالات هؤلاء المحتلين، وآخر نشوتهم، على أرض الجزائر. [395] كان يدرك جيدا أن الاحتلال الفرنسي للجزائر قائم على الظلم والقهر والاستبداد، هذه المظالم لا تبني أمما ولا دولا، صمت الشعب المنهزم، لا يعني قبوله الظلم، فهو ينتظر الفرصة السانحة للانقضاض على جلاديه.

لقد علق فرحات عباس، كبقية معظم الشبان الجزائريين في تلك الفترة، أمالا كبيرة على الحاكم العام "موريس فيوليت"، هذا المحامي البارع، والسياسي المحنك. [396] الذي عرف حقيقة وجوهر الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وغاص في أعماق الشعب الجزائري، فوجده رافضا للذل والاستعباد، أراد موريس فيوليت أن تبقى الجزائر تابعة أبديا لفرنسا، ولكن على فرنسا أن تبدأ في هذه الذكرى المئوية بسياسة جديدة أقل ظلما، وأكثر إنسانية تأخذ بيد الإنسان الجزائري وتخرجه من همه وتفتح له آفاقا جديدة تزول فيها الأحقاد، ويبنى وطنا قائما على العدل والمساواة يتسع للجميع. [397] هذا ما كان يدعو إليه فرحات عباس، لكن هيهات ما بين أمله، وبين جشع المحتلين، وتكبرهم وتجبرهم، واستمرارهم في القهر والظلم، فكانت احتفالات الذكرى المئوية كنار اشتعلت في نفوس الجزائريين منبِّهة إياهم إلى لَمِّ شملهم وانتظار اليوم الموعود، هذه الاحتفالات أيقظت الأحقاد لمئة سنة مرت، وكأن الاحتلال يهدم نفسه بنفسه بتعجرفه، وتجاهله لشعب مسلم مستضعف أهلكته المقاومات المسلحة، والجوع، والمرض، والجهل. ومع كل هذا الوضع الخطير للشعب الجزائري المسلم، راح الاحتلال الفرنسي يكذب على نفسه، ولا يصدق أذنيه، فراحت صحافة الاحتلال تصف فرنسا بأنها بلد الحرية والمساواة والإخاء، وأنها نقلت إلى الجزائر الحضارة والنهضة، فقد كتبت جريدة الاحتلال " جزائري سيدي بلعباس " مقارنة بين الجزائر ما قبل 1830 وبعد سنة 1830:

جزائر قبل 1830	جزائر بعد 1830
بربرية	حضارة
وباء	شفاء
اللاأمن	طمأنينة
جوع	وضعية جيدة " [398]

هذا هو الاحتلال يناقض نفسه، ويقدم مقارنة لجزائر ما قبل 1830، وما بعد 1830، وكأن الأوضاع في

---

[395] Ferhat Abbas, Autopsie d'une guerre, op.cit, p :41

[396] www.menustory.com op.cit

[397] Ferhat Abbas,la nuit coloniale, op.cit,p :123

[398] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 243

الجزائر أصبحت جيدة وممتازة، وأن الجزائر انتقلت من السيئ إلى الأحسن، هذه المقارنة تنطبق كل التطابق على العناصر الأوروبية الجائعة الضائعة في مجتمعها، والتي تحسنت وضعيتها في أرض الجزائر بفضل سلاحها المتطور، أما الجزائريون المسلمون فإن وضعيتهم قد ساءت، أرضهم سلبت منهم، وأشرافهم قتلوا أو شردوا، وفلاحوها أفقروا، ومساجدها أهينت، ولغتها أصبحت غريبة في دارها، وثرواتها سرقت، هذه هي أوضاع الجزائريين المسلمين بعد مئة سنة من الاحتلال.

" التاريخ وضع لخدمة المحتلين... المؤرخ الكبير لشمال إفريقيا جزيل (Gsell) لا يتردد في تأكيده بقوله: التاريخ يرسم لنا واجبنا، يفرض علينا أن نكون أسيادا دائما في كل مكان نحتله. " [399]

هذا هو منطق الاحتلال التكبر والتجبر، يستعمل كل الوسائل، قمع، قتل، تجويع، تجهيل، من أجل تحقيق أغراضه، فهو لا يرحم، ولا يعرف معنى الشفقة.

ويصف فرحات عباس هذه الاحتفالات بقوله: " إن سنة 1930 هي ملك الأموات مثل سنة 1830 والخمسين سنة التي جاءت بعدها، فهي غزو، وحزن لنا، نحن لا نتاجر بتضحياتنا، ولا نعكر أرواح موتانا بطيف رقصات. هل من الضرورة استحضار الماضي بحفلات باطلة؟ إن القرن الذي مر بالنسبة لنا هو قرن من الدموع والدم، نحن الأهالي الذين بكينا، وسال دمنا... وأخيرا نتمنى من الله أن لا يعيد على الرجال ذلك القرن مع أمل أن يحضرنا إلى أيام أحسن." [400] فرحات عباس لم ينس آلام شعبه، ورفض أن يتاجر بدم الشهداء، ودموع اليتامى والأرامل، ماذا يقول في احتفالات هي إهانة لكل الجزائريين المسلمين، احتفالات المنتصر على المنهزم، ودعوة هذا المنهزم للمشاركة في جنازته، إنها حقيقة لمأساة وسخرية واستعلاء على شعب مسلم مستضعف. فلم يكن ينتظر منها شيئا سوى التضرع إلى الله لكي لا يعيد ذلك القرن المملوء بالمآسي. فالجزائريون انتظروا كثيرا من هذه الاحتفالات عسى أن تلغي فرنسا القوانين الاستثنائية وتسمح بالاندماج الواسع لكل الجزائريين. [401]

ففرحات عباس لم يهرول إلى هذه الاحتفالات بالرغم من توجيه دعوة له كممثل للطلبة. فهو ليس مغفلا أو مندفعا أو مشتاقا لإظهار فصاحته، أو الحصول على وسام مثل القياد، و الباشاغوات، وأمثالهم. [402]

الذين يتسابقون ويتفاخرون فيما بينهم على أنهم قدموا خدمة لجلاديهم، وهؤلاء منحوهم أوسمة العار للدلالة على انحطاطهم، وخيانتهم لشعبهم، أناس سلبت منهم إرادتهم بأبخس الأثمان، وهم راضون عن ذلك كل الرضا.

---

[399] ibid.

[400] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :29

[401] Jacques Bouveresse, op.cit, p : 857

[402] Amar Naroun, op.cit, p :39

" فرحات عباس كان واعيا بالدور الذي يجب أن يقوم به. "[403] يريد أن ينشأ الإخاء بين المحتلين الأوروبيين، والجزائريين المسلمين (مطلب تعجيزي، كمن يحاول إنشاء صداقة بين ذئب وخروف)، حيث يقول: " كثر الحديث مؤخرا على الإخاء إنها كلمة تستوقفني. الاحتفالات المئوية، ما هي إلا ذكرى طائشة لماضي أليم."[404] عارض هذه الاحتفالات وانتقدها بشدة كما انتقدها الوطنيون، والشيوعيون أيضا. [405]

لم يقبل أبدا أن يهان شعبه، وهو الذي جعل ثقافته وحياته في خدمته، ورفض أن يكون عبدا مطيعا لجلاديه، حاول كسب ودّهم بشرط أن يكون مبنيا على الاحترام المتبادل من كلا الطرفين، كان يعتقد أن ذلك ممكن، فقد كان صادقا مع نفسه وفي أفعاله، لم يخادع نفسه، أو ينافق غيره، فيقول عن المحتلين:" هؤلاء الأوروبيون رفضوا تقديم يدهم لنا منذ مدة، وبقينا في وضعية مادية مأساوية، تغطينا أسمالا، والجهل متفشي بيننا. من طبيعة الإنسان أن لا يتآخى مع جاره، إلا إذا بادله الاحترام... إن أي عمل خارج الإخاء يبقى رسالة ميتة بدون ثمار.[406] فالشعارات البراقة التي حملتها الذكرى المئوية لم تبهره، إنما يريد أن يراها مطبقة على أرض الواقع حيث يقول: " أن أرواحنا تتجه نحو الإخاء، والسلم الاجتماعي، وسعادة وطننا، قلوبنا خدعت، إننا لا نصنع إلا أحلاما جميلة، فعمرنا الذي نعيشه لا يسمح لنا إلا بالحلم*. " [407]

نستطيع أن نقول عن هذه الاحتفالات أنها كانت احتفالات العار، زادت الكراهية أكثر بين المحتلين والجزائريين المسلمين، و زادت الهوة بينهما اتساعا أكثر وأثبتت بأن التعايش بين مجتمعين متناقضين مستحيل، الأول غاز له كل ثروات الجزائر ظلما وعدوانا، والثاني أصيل محروم من كل خيرات بلده، وقد أدرك فرحات عباس ذلك ورفض المشاركة في هذه الاحتفالات، لأنها في نظره - وتلك هي الحقيقة - إهانة كبرى لكل الجزائريين المسلمين بدون استثناء. كانت هذه المرحلة بالنسبة لفرحات عباس اكتشاف العمق الفكري، والبعد الاستراتيجي للاحتلال، القائم على الظلم والتجبر، فأراد بأفكاره التي استمدها من الثقافة الفرنسية، والتي تأثر بها كثيرا، أن يلغي مفهوم الاحتلال عن طريق الدعوة إلى إزالة أساليبه، وخلق جزائر جديدة مبنية على أساس مبادئ الثورة الفرنسية 1789. ولكن أفكاره ومشاريعه السياسية اصطدمت بصخرة صلبة، وبقيت بدون صدى، أمام احتلال أعمى وأصم لم يحمل من مبادئ الثورة الفرنسية شيئا، وإنما كان حاملا لفكر العصور القديمة المبني على القهر والظلم، واستعمال كل الوسائل الوحشية لاستغلال المنهزم، هذا هو الاحتلال الفرنسي الذي عرفته بلادنا.

---

(403) ibid.
(404) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p p : 29-30
(405) Mahfoud Kaddache, op.cit,p :254
(406) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :30
(407) ibid. p : 31

* هذا الموضوع نشره في كتابه الشاب الجزائري مؤرخ: في الجزائر، جانفي 1930

الفصل الرابع:

مواقفه السياسية خلال الثلاثينات.

المبحث الأول: آراؤه السيـاسـيـة خـلال الثلاثـيـنـات.

المبحث الثاني: الـــوظـــائـــف الـــســـيـــاســـيـــة.

المبحث الثالث: دوره في المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول.

المبحث الرابع: موقفه من رفض مشروع بلــوم – فيــوليت.

المبحث الخامس: موقفه من العلماء وحزب الشعب الجزائري.

المبحث السادس: تأسيسه لحزب " إتحاد الشعب الجزائــري".

المبحث السابع: فرحات عباس والحرب الكونية الثـانـيـة.

الفصل الرابع
مواقفه السياسية خلال الثلاثينات

هذه المرحلة التي سنتناولها في هذا المبحث، هامة في تاريخ الجزائر بصفة عامة، والحركة الوطنية بصورة خاصة، وفيها برز فرحات عباس كشخصية ذي ثقافة فرنسية عالية، وكشاب طموح، حالم، بتكوين مجتمع جزائري مبني على العدالة الاجتماعية، ومتأثرا بعمق معارفه بتاريخ الفرنسيين، والدوافع التي حركتهم للوقوف ضد الملـــوك المســـتبدين وإعلانهم ثورة 1789، الهادفة إلى منح الحرية والمساواة والإخاء لكل أفراد الأمة الفرنسية بدون استثناء، فراح يناضـــل بدون هوادة من أجل خلق مجتمع جزائري مثالي، معتقدا كل الاعتقاد بأن ذلك ممكن، لأنه يخاطب العقل، ولكنه نسي بأن الاحتلال هو نظام و إيديولوجية توجهه الرغبة الملحة في الهيمنة على المستضعف.

هل كان بإمكان فرحات عباس المتأثر بفلسفة الأنوار (الفرنسية) التي حررت المجتمع الفرنسي من النظـــام الملكي الاستبدادي، أن يقوم بنفس الدور في الجزائر المحتلة لدفع كل الجزائريين للوقوف ضد الاحتلال والقهر، وخلق مجتمع جزائري جديد مبني على أساس مبادئ الثورة الفرنسية، وتابع مباشرة إلى فرنسا الديمقراطية ؟

وهو ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الفصل.

المبحث الأول
آراؤه السياسية خلال الثلاثينات

نعالج في هذا المبحث الآراء السياسية لفرحات عباس في الثلاثينات من القرن العشرين، حينما كـــان في أوج قوة شبابه، وحماسه، راغبا في إلغاء الاحتلال، وربط مصير الجزائريين المسلمين بالأمة الفرنسية، بعد قرن من الاحتلال والظلم والقهر ضد الشعب الجزائري المسلم، وقد كان المحتلون في هذه الفترة معجبين بسيطرتهم علـــى الجزائـــر، إن المحتلين من ناحيتهم كانوا ينظرون إلى بداية هذه الفترة على أنها انتقال إلى القرن الثاني من عمر الاحتلال في الجزائر، واعتبروا ذلك نصرا عظيما لهم، عبروا عنه خلال احتفالات الذكرى المئوية لاحتلالهم للجزائر، معتقدين أن بقائهم في الجزائر أصبح لا نقاش فيه، لأنهم في وطنهم [408] حسب رأيهم.

---

[408] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج 3 ، ط 3، م، و، ك الجزائر 1986، ص: 16

فالجيل الثاني والثالث من المحتلين ولد على أرض الجزائر، فهم مرتبطون بها من حيث المولد أكثر من ارتباطهم بفرنسا بلدهم الأصلي، أما من حيث حمايتهم من الجزائريين المسلمين فإنهم مرتبطون مباشرة بفرنسا، يعتبرون أنفسهم أسيادا في أرض غيرهم، ويصرحون بأنهم أقوياء لا أحد يستطيع زحزحتهم من أرض الجزائر سواء اليوم (خلال الاحتفالات المئوية) أو غدا، سوف يكونون كذلك أقوياء. [409] إن وجودهم في الجزائر في نظرهم يعتمد على القوة وحدها فقط، الضامنة لهم إمتيازاتهم وتفوقهم، لذلك واجهوا كل معارض لهم من الجزائريين المسلمين بالقوة، فقد وقفوا بكل وحشية، أمام كل المقاومات التي رفضت وجودهم في الجزائر، فاقت في كثير من

الأحيان وحشية العصور الماضية، " يضربون بيد من حديد على محاولات التنظيم السياسي بين الجزائريين، معتبرين كل محاولة من هذا النوع كفرانا بنعمة فرنسا على الجزائر، واصفين من يقوم بها بالخيانة أو التبعية لدولة أجنبية، أو بالإجرام.... ووسط هذا الفراغ من المعارضة السياسية للنظام الاستعماري، ظل المحتلون(الكولون) هم السلطة الحقيقية في البلاد، يؤثرون بعددهم، ونفوذهم على الحاكم العام، والأجهزة الإدارية والمالية في الجزائر." [410] المحتلون ليس لهم فكر يحللون به الوضعية العامة التي سادت الجزائر، بعد احتفالات الذكرى المئوية ، " فكانوا بذلك مخطئين حين لم يبالوا بقوة الحركة الوطنية الجزائرية." [411] ولا بزيادة كراهية الشعب الجزائري لهم، الذي حرموه من كل ثروات بلاده، وجعلوا منه بقوة سلاحهم، وقوانينهم الجائرة اللإنسانية كأداة طيعة في يدهم، يسيرونه حسب رغباتهم ومصالحهم، لكن الحقيقة أن عمق الشعب الجزائري ظلوا جاهلين له طوال مدة احتلالهم للجزائر، بالرغم من تخصيصهم أموالا ضخمة للباحثين الجامعيين المختصين، لتمكينهم من السيطرة على أجساد وعقول الجزائريين المسلمين.ويرى فرحات عباس، بأن سياسة الاحتلال تجاه المسلمين الجزائريين خاطئة من أساسها، فإذا كانوا يعتبرون أن الجزائر من صنعهم، فإن الواقع الاجتماعي للمسلمين الجزائريين في تلك الحالة يسير نحو وحدة روحية مشتركة مع المحتلين أولا، وثانيا مع فرنسا، ويجب على المحتلين العمل لخلق مجتمع متناسق يجمع الأوروبيين والجزائريين المسلمين معا، ولن يكون ذلك حسب رأيه إلا عن طريق مراحل، المرحلة الأولى والسريعة هي المدرسة. [412]

في نظره العلم هو أساس التكامل والترابط وإزالة الأحقاد، فهو يفتح العقول المغلقة، ويزيل الفكر العنصري الخاطئ، المبني على حسابات آنية.حيث يقول: " يرى بعضنا ضرورة بناء الملاعب الرياضية وتوفير

---

[409] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit p: 80

[410] نفس المرجع.

[411] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، (1900-1930)، ص: 325

[412] ibid. p: 156

السيارات، والملاهي، و زجاجات الخمر، هذا انحراف شاذ لبعض الرجال، يجب أن لا ننسى حقيقة هامة في الجزائر اليوم يوجد 800000 طفلا أهليا في سن الدراسة، لا يزاول منهم الدراسة سوى 36000 طفلا أهليا دروسهم النظامية." [413]

ففرحات عباس في هذه المرحلة كان معارضا عنيفا لسياسة المحتلين في الجزائر، وأفكارهم الخاطئة حول الشعب الجزائري المسلم، فهو لم يكن مثل أولئك الشباب الجزائري المتخرج من الجامعات الفرنسية، والباحث عن قشور الحضارة الفرنسية." هؤلاء عادة ما يكونون من الطبقة التي تربت وتغذت بلبان ثقافته (الاحتلال) فانبهرت به واسترخت إليه وسقطت في أحضانه ونامت نوما عميقا فويل للذي يفيقها من سباتها العميق...!" [414]

ثم بعد توفير الدراسة لجميع التلاميذ الجزائريين والمستشفى والطريق... الانتقال إلى مرحلة أخرى ضرورية في نظره، وهي تطبيق العدل داخل الجزائر بين كل سكانها بدون تمييز عرقي أو ديني، حيث يقول: " العدل هو القضية الأساسية للمسلمين، إذا أرادت فرنسا أن لا تنفصل عنها الجزائر وتبقى مرتبطة بها، فالإسلام وطننا الروحي، وفرنسا وطننا الثقافي." [415]

فهو يريد من الجزائر أن تبقى مرتبطة بفرنسا وجزءا منها، ولكن بشروط تزول معها القوانين التعسفية، والتمييز العنصري، وتوزيع الثروة بين الجزائريين كلهم بعدل " مثل العهد الإسلامي " [416] وإزالة مقولة أن الفرنسيين: " اشتروا الجزائر بدماء جنودهم. " [417]

وفي هذه الحالة يمكن بناء جزائر جديدة تتسع للجميع، فهو أراد أن يحارب الأفكار الخاطئة الموجودة في أذهان المحتلين تجاه الشعب الجزائري المسلم، ومعارضا في كثير من الأحيان هذه الأفكار في كتاباته الأولى، أحيانا يسخر منها، وأحيانا أخرى ينتقدها ويوضح خطورتها على مستقبل الجزائر. مثل مقولة: " آه، إننا لم ننته مع هؤلاء السكارى، اللصوص، يا لهم من حثالة ! كان من حقنا قتلهم جميعا مثل الهنود الحمر." [418]

لقد حمل فرحات عباس زبدة الفكر الفلسفي لعصر الأنوار في فرنسا، وخاطب به المحتلين الذين لا يوجد لهم عقل ولا فكر، وإنما بطون لا تشبع، وأيادي ملوثة بدماء الجزائريين الأحرار، معتقدين أن الشعب الجزائري المسلم مثل الهنود الحمر، يا لها من مقارنة غريبة ! لا تصدر إلا من أناس أغوتهم قوتهم المادية، وإجرامهم في حق شعب مسلم أصيل.

---

[413] ibid.

[414] عمار هلال، المرجع السابق، ص: 286

[415] ibid. p: 155

[416] ibid. p : 156

[417] ibid. p : 80

[418] ibid. p : 138

" لكن نظرة الفرنسيين كانت قصيرة، وقد برهنت التقارير والكتابات اللاحقة أن الفرنسيين كانوا يتحركون نصف قرن متأخرين " [419] في الجزائر.

فهم لم يكونوا يدركون مطالب النخبة في الثلاثينيات من القرن العشرين، والتي كانت هي الأساس المستقبلي لتحضير الشعب الجزائري للثورة، وقد تنبه إلى خطورتها الحاكم العام الفرنسي في الجزائر "موريس فيوليت " إذ لخصها في كتابه السابق الذكر (هل ستعيش الجزائر؟).

كما يُذَكِّرُ فرحات عباس المحتلين بقوله: " من السهولة القضاء على أناس، عندما تواجه بنادق رشاشة بنادق خشبية، أما عندما تساوى السلاح لم يكن الجزائريون أقل كفاءة من الأوروبيين، لقد أثبتوا جدارتهم، نحن عرفنا كيف نموت، أثبتنا ذلك تحت أسوار فيردان (Verdun)." [420]

فالجزائري المسلم لا تنقصه الشجاعة عندما يكون السلاح متكافئا مع سلاح العدو، فالمحتلون ومؤرخيهم يجهلون تاريخ الجزائريين في دفاعهم عن بلدهم قبل دخول فرنسا، خمسون سنة من المقاومة الشعبية ضد الاحتلال، فلم يهدأوا إلا حين انهزمت أسلحتهم المادية، ولكن مقوماتهم الأساسية لم تنهزم أبدا، طوال مدة الاحتلال الفرنسي للجزائر، لكن فرنسا لم تستطع تغيير سياستها ونظرتها المتعالية على الشعب الجزائري طوال الثلاثينات من القرن العشرين، وعلى العكس من ذلك فإن الحركة الوطنية لم تبق جامدة، فقد تفاعلت مع المستجدات الداخلية والخارجية التي أثرت على المجتمع الجزائري المسلم. [421]

لقد عبر أحمد توفيق المدني في مقال نشره في مجلة الشهاب بعنوان: " نحن بين الموت والحياة " [422] رافعا الراية الحمراء، ومنذرا بالخطر المحدق بالجزائريين، بسبب السياسة التي تتبعها إدارة الاحتلال في الجزائر ضد المسلمين الجزائريين، من محاولة لطمس الشخصية الوطنية من جميع جوانبها الدينية، واللغوية، والتاريخية، والوطنية، بعد أن هيأت المجتمع الجزائري لدس سمومها.

إن عدد المتجنسين من الجزائريين لسنة 1930، كان مرتفعا جدا لتلك السنة وقد وصل إلى 152 جزائريا متجنسا وهذا العدد السنوي لم يصل في أية سنة منذ 1865 إلى 1930. ويظهر من ذلك أن تأثير احتفالات الذكرى المئوية للاحتلال، كان له تأثير على بعض النفوس الضعيفة من الجزائريين، فلقد أبهرتهم قوة ودعاية فرنسا، وبقيت الزيادة مرتفعة طوال مدة الثلاثينات من القرن الماضي، ففي سنة 1932 وصل عدد المتجنسين إلى 127 متجنسا، وفي 1934 وصل إلى 155 متجنسا، وفي 1936 وصل إلى 142 متجنسا، وفي 1938 وصل إلى 190 متجنسا. [423]

---

[419] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، ص: 17

[420] ibid.

[421] نفس المرجع والصفحة.

[422] مجلة الشهاب، أفريل 1930، ص ص: 153-160

[423] Ali Merad, op.cit, p :406

ويعود ربما ارتفاع هذا العدد من المتجنسين إلى تأثير سياسة المحتلين، ودعايتهم داخل الجزائر، مســـتعملين في ذلك أحيانا الترغيب، وأحيانا الترهيب.[424]

فالمتجنسون يستطيعون الوصول إلى أكل فُتَاتِ بقايا أكل أسيادهم، أما الباقي من الشعب الجزائري المسلم له الجوع والقهر، ويذكر فرحات عباس حادثة اغتيال أحد العمال الجزائريين المسلمين على يد فحَّامٍ أوروبي من أصـــل أسباني، قتله مقابل 25 فرنكا فقط، ومحكمة الاحتلال برأته، معتبرة عمله الإجرامي دفـــاع شرعي عن النفس![425]

هذه هي الوضعية التي وضع فيها الاحتلال الفرنسي المسلمين الجزائريين، تتجنس تعامل كإنســـان مـــنحط، ترفض التجنس قيمتك 25 فرنكا فقط أي أقل بكثير من سعر قنطار من القمح، الذي وصل سعره إلى 160 فرنكـــا سنة 1930.[426]

وإلى فرنسا يتوجه فرحات عباس بندائه قائلا: " ساعدنا على استرداد كرامتنا، بفتح مدارسك لنا، ولا فائدة من المدرسة إذا لم تلازمها الحرية."[427] المدرسة في نظره هي أساس حرية الفرد، حيث يستطيع المتعلم أن يدافع عن حقوقه، وأن يقف الند للند أمام المحتلين المتعجرفين.

أما من الناحية الاقتصادية فإن هذه المرحلة قد تميزت بتحسن كمي في إنتاج الحبوب، صـــاحبه انخفـــاض في الأسعار فأدى ذلك إلى حدوث أزمة اقتصادية واجتماعية داخل المجتمع الجزائري، نتج عنها ارتفاع نســـبة البطالـــة بشكل فضيع.[428]

ويحاول فرحات عباس إيجاد حل لإنقاذ شعبه مما يعانيه من ظلم وقهر وفقر حيث يقول: " آه! لو أستطيع أن أكون مثل الرسول الكريم (ρ)، لقَـــبَّـــلْتُ جراح شعبي، و لصنعت معجزة تضع حدا لمشاكله، لا نســـتطيع أن نتنصَّل من وسطنا، ولا من جنسنا، ولا من ديننا، ولا من فقر إخواننا، فماسح الأحذية ذلك الطفل الصغير إنه أخي، وله حقوق علي، وعلى ثقافتي، وعلى وظيفتي، وعلى سعادتي، فالسعادة لا يمكن تصورها خارج هـــؤلاء الفقـــراء."[429] هذا الذي يقال عنه ابن قايد نسي أصله، وباع ضميره للمحتلين، ما هي إلا أحكام جائرة في حقه إمـــا عـــن جهل، وإما عن سوء نية، فهو لم يشعر أبدا بالسعادة خارج مجتمعه، ويتمنى لو كانت بيده معجزة لاستعملها لإنقـــاذ الفقراء، وليس للوصول إلى مركز عال عند المحتلين.

---

[424] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، ص : 17

[425] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 138
[426] Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op.cit, p :241
[427] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 144
[428] Ageron C. R , politiques coloniales au Maghreb, op.cit, p : 247
[429] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 146

فنضاله السياسي كله كان من أجل الدفاع عن الجزائريين المسلمين المحرومين من كل الحقوق، حيث يـــذكر بأن آلام شعبه هي التي دفعته لممارسة السياسة. [430] لكن سياسة المحتلين الفرنسيين، استعملت وسائل تقليدية تجـــاه الجزائريين المسلمين، ولهذا لم تستطع أن تحقق النجاح. [431]

لقد فرحات عباس أراد أن يصلح اعوجاج الاحتلال، وأن يلغي وجوده وفلسفته، ولكن لا حياة لمن تنادي، فالاحتلال صم، بكم، عمي، لا يقبل أي فكر خارج سياسته، ولو كان لصالحه مستقبلا، وبناء جزائر جديدة تسودها العدالة والإخاء بين جميع سكانها.

إن فرحات عباس رجل صريح ومعتز بأصله، مدافع عن شعبه، يصرح بأفكاره بكل قـــوة وشـــجاعة لأن في أعماقه فكر حر. [432] لا يقبل الاستعباد، وليست له القابلية للاحتلال، وهذا وليد الثقافة الواسعة التي تلقاها خـــلال دراسته، وارتباط جذوره بالفئات الفلاحية الجزائرية المعروفة عبر تاريخها الطويل بالدفاع عن حريتها ورفضها للعبودية و الذل، والتي لم يستطع أن يتنكر لها أبدا لأنه جزء لا يتجزأ منها فهو ريفي أصيل من أعماق المجتمـــع الجزائـــري، جذوره ضاربة في أعماق الأرض الجزائرية.

---

(430) Ferhat Abbas. La nuit coloniale, op.cit, p : 107
(431) Ageron C, R, Les Algériens musulmans et la France,op.cit, p :963
(432) Guy Pervillé, op.cit, p :227

المبحث الثاني

الوظائف السياسية

الاحتلال يبحث عن أناس من بين المنهزمين ليمنحهم مناصب تكون في خدمته، وهي إهانة للشخص الــذي يتقبلها ولمجتمعه الذي ينتمي إليه، فلا هو يحترم من طرف جلاديه الذين ينظرون إليه نظرة الدونية، ولا مــن مجتمعــه الذي ينظر إليه كخائن لأمته.

في هذا المبحث سنتعرض للمناصب السياسية التي مارسها فرحات عباس، ومبرراته في ذلك، وسنعرف هــل كان إنسانا باحثا عن المال والجاه ؟ أو صاحب مشروع سياسي حمله ودافع عنه من أجل مصلحة أمته.

بدأ فرحات عباس ممارسة النشاط السياسي في فترة العشرينات من القرن الماضي من خلال كتاباته التي يفضح فيها سياسية المحتلين في الجزائر، ومتأثرا بوضعية الفلاحين البؤساء، ومطالبا بتحسينها.

وفي سنة 1927 ينتخب رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، والتي ترأسها من 1927 إلى 1930، وفي 6 أفريل 1930 يعيين كنائب لرئيس الإتحاد الوطني لطلبة فرنسا، ويتوجه إلى بروكسيل للمشاركة في المؤتمر الثاني عشر للفيدرالية العالمية للطلبة. [433] وبرجوعه من بلجيكا يزور فرنسا، حيث التقى بممثلي جمعيات الطلبة هناك، استطاع من خلال مناقشاته معهم أن يؤثر في أفكارهم حول سياسة الاحتلال الفرنسي بالجزائر، وبالنسبة إليه مشكل الجزائــر يجب أن يطرح في كامل التراب الفرنسي، وليس في باريس وحدها. [434]كان يريد أن يستعين بالفرنسيين الأحــرار للضغط على حكومتهم من أجل إيجاد حل لمشكل الجزائريين المسلمين الخاضعين للاحتلال الفرنسي، يحــب كــثيرا مناقشة الفئة المثقفة، لأنه يدرك مدى قوة تأثيرها على المجتمع الفرنسي وبالتالي على البرلمان والحكومة الفرنسية.

في سنة 1932 ينتقل إلى مدينة سطيف لممارسة نشاطــه المهني كصيدلي، فتح صيدليته بمدينة ســطيف، 22 طريق سيليق (Sillégue) وعلى باهها توجد لافــتــة كتب عليها: " كرات الأكسجين، وآلام الوضع. " [435] والكل في سطيف سواء العرب المسلمون أو الأوروبيون ينادونه " السيد عباس " [436] أما عن أسباب اختياره لمدينة سطيف بدل مدينة جيجل لفتح صيدليته، فهناك أسباب، السبب الأول أن جماعة من أعيان مدينة سطيف اتصــلوا بوالــده بالطاهير، وطلبوا منه أن يسمح لابنه بالانتقال إلى مدينة سطيف نظرا لإعجاهم بذكائه وصداقته لهم أثنــاء مرحلــة الدراسة الجامعية ومنهم الدكتور صديقه معيزة الذي ألح عليه بالانتقال إلى مدينة سطيف، والسبب

---

(433) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 403
(434) Amar Naron, op.cit, p : 39
(435) Jean Lacouture, op.cit, p :273
(436) ibid.

لثاني قرب مدينة سطيف من أصل عائلته.[437] التي انتقلت إلى مدينة فج أم زالة حيث بقي بعض أفراد عائلته هناك، مثل عائلة معزة وابن الضاوي و بومعزة وغيرهم... وبالتالي فهو ليس بعيدا في مدينة سطيف عن أهله، أما السبب الثالث وربما الأساسي، هو النشاط السياسي الوطني الذي كان فاعلا في هذه المدينة، حيث سمح له بممارسة نشاطه السياسي والمهني في آن واحد، فتحول محله في وقت قصير من فتحه إلى نادي سياسي، تدور فيه مناقشات حية فيلتقي فيه النخبة من السطايفية، ومحله ليس بعيدا عن الثانوية، الأمر الذي جعل تداول هذه الأفكار وانتشارها في الوسط الطلابي. [438]

لقد كون صداقات واسعة مع المسلمين، ومع الأوروبيين خاصة مع رئيسي بلدية سطيف السيد: "دي لوكا " (Deluca) الذي اغتيل أثناء أحداث 8 ماي 1945، والثاني السيد: " برانكا " (brincat)، الذي نفي من الجزائر بعد أحداث 13 ماي 1958. [439] وهكذا تكون مدينة سطيف فتحت صدرها وضمت إليها فرحات عباس كأم حنون عطوف على ابنها الصغير، فهو سطايفي أكثر منه جيجلي، فجيجل أخذ عنها عزة النفس، وحافظت بأمانة على جذوره التي لم تسمح له باقتلاعها أو التنصل من أصله، أما مدينة سطيف فزادته صفاء كصفاء هوائها وشامخا كشموخ موقعها، وكأنها حارسة الجزائر، بارتفاعها عن مستوى سطح البحر الذي يصل إلى 1074 مترا، فتعلم في مدينة سطيف ما لم يتعلمه في الجامعة أو في الجزائر العاصمة، تعلم فيها صدق الرجال وإخلاصهم، ووفائهم للرجال الصادقين واستعدادهم للدفاع عنهم بدمهم، ومالهم* وفي هذه المدينة لمع نجمه السياسي بين رجال مخلصين ساندوه ووقفوا إلى جانبه في السراء والضراء (سواء أثناء فترة الاحتلال والثورة الجزائرية، أو أثناء مرحلة الاستقلال).

أما أخوه الأكبر عمار، فقد خلف والده في منصب قايد بأحجار الميس، وأخوه الثاني أحمد أصبح موظفا في بلدية الطاهير المختلطة، وأخوه الرابع حميد توفي سنة 1931 بباريس حيث كان طالبا في الحقوق، وحضر جنازته بمدينة الطاهير الكثير من الطلبة، والأخ الخامس محمد الصالح اختص في الفلاحة. [440]

تزوج فرحات عباس في سنة 1934 بفاطمة الزهراء بنت عبد الرحمن بن خلاف أحد الملاكين الكبار بمدينة جيجل.[441]

وكان هذا الزواج نزولا عند رغبة أبيه القايد، الذي كان معجبا بالعائلات الثرية في منطقته، و لم تكن لفرحات عباس أية معرفة سابقة بزوجته، فهو زواج تقليدي، حسب الأعراف والتقاليد التي كانت سائدة في هذه

---

[437] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 51

[438] ibid. p : 53

[439] ibid.

* تكريما له، سمى السطايفية جامعتهم بـ: جامعة فرحات عباس أما مدينته الأصلية جيجل فقد أطلقت اسمه على مطارها " مطار فرحات عباس "

[440] ibid. p : 51

[441] Jean Lacouture, op.cit,p : 273

المنطقة، فالعائلات التي نالت بعض الإمتيازات في إدارة الاحتلال، أدارت بظهرها لأصولها الفلاحية المتواضعة، أما البرجوازية التقليدية فكانت تسعى إلى التقرب عن طريق المصاهرة من النخبة لزيادة توسيع نفوذها، وتحقيق مصالحها. وكما يسميه بنيامين سطورا بأنه " زواج سياسي " (442) لكنه نسي بأن فرحات عباس ليس من الرجال الانتهازيين وما كان هذا الزواج إلا احتراما لوالده الذي لم يستطع الخروج عن طاعته، وليس لأغراض أخرى، رزق بطفل عاش بضعة أشهر فقط ثم توفي، وزواجه من فاطمة الزهراء لم يتكلم عنه نهائيا في كتاباته رغم أن زوجته الأولى كانت ابنة بلدته، و لم يعرف عنهما أي خصام بينهما طوال مدة زواجهما، وذلك بعكس زواجه الثاني من فرنسية الذي تكلم عنه في مذكراته.

وبعد خروجه من السجن في مارس 1946، تزوج للمرة الثانية من امرأة فرنسية (أرملة) مولودة في الجزائر (من الأقدام السوداء) بالقرب من البليدة تتقن العربية جيدا، اسمها " مارسيل ستوتزيل " (Marcelle Stoetzel) - تعرضت هي الأخرى إلى الاعتقال بسبب نشاطها السياسي معه - تزوج على الطريقة الإسلامية، وذلك بحضور الشيخ البشير الإبراهيمي الذي قرأ الفاتحة، والدكتور أحمد فرنسيس. (443)

رفضت زوجته الأولى فاطمة الزهراء رفضا مطلقا تعدد الزوجات، مدعية أنها لا تستطيع العيش مع زوجة ثانية من أصل فرنسي (ظاهريا عائلة ابن خلاف محافظة تقليدية، وعندما يتعلق الأمر بمصلحتها فهي براغماتية، وترفض تعدد الزوجات)، وطلبت الطلاق بإرادتها، فقبله فرحات عباس مباشرة، وربما يكون قد تخلص من عبء وضعه والده عليه، لم يرزقه الله من زواجه الثاني بأي ولد، فتبنى الطفل عبد الحليم ابن أخيه محمد الصالح، وحينما أخذه كان هذا الطفل في وضعية مرضية خطيرة، فاهتمت به زوجته مارسيل كثيرا، وكذلك عمه فرحات عباس حتى شفي من مرضه. (444)

وفي تلك السنة التي تزوج فيها فرحات عباس انتخب مستشارا عاما لبلدية سطيف، والتي كان عدد سكانها يقدر بحوالي 28530 نسمة، منهم 8055 أوروبي محتل، و 1300 يهودي. (445) وفي 14 أكتوبر 1934 انتخب مستشارا عاما لولاية قسنطينة، منتصرا على منافسه لعوامري بـ 3301 صوتا مقابل 886 صوتا لمنافسه. (446) هذا الانتصار في الانتخابات الولائية التي دخلها في إطار فيدرالية المنتخبين المسلمين لولاية قسنطينة، وأصبح نائبا للدكتور محمد الصالح بن جلول. (447) واستطاعت فيدرالية المنتخبين أن تتحصل على أغلبية المقاعد المخصصة للجزائريين المسلمين للهيئة الثانية.

---

(442) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit :51
(443) ibid. p : 163
(444) ibid.
(445) ibid. p : 52
(446) Jacques Bouveresse, op.cit,p : 897
(447) ibid.

عن بسكرة فاز الدكتور سعدان، وعن سوق أهراس، فاز قواهرية الزين، وعن سطيف فاز فرحات عبـــاس، وعن جيجل بن خلاف، وعن قالمة لخضري، وعن عين البيضاء ابن عبود، وعن ميلة بوالصـــوف، وعـــن الخـــروب سراوي. [(448)]

إن جماعة الفيدرالية اعتبروا فرنسا وطنا مشتركا بين المسلمين والمحتلين، و أكدوا على احترامهم للســـلطات الفرنسية، فهي لم تكن معارضة للوجود الفرنسي في الجزائر، ولكن معارضتها كانت لأســـاليب إدارة الاحـــتلال في الجزائر، ففرنسا بالنسبة لهم هي وطن الحرية والتقدم والديمقراطية. [(449)]

وقد وضعت فيدرالية المنتخبين المسلمين برنامجا لها حددت فيه مطالبها الآتية:

" 1 – تمثيل الأهالي في البرلمان.

2- المساواة في الخدمة العسكرية.

3- المساواة في التعويض للموظفين الأوروبيين و الأهالي.

4- إلغاء الإجراءات المفروضة على العمال الأهالي، والسماح لهم بالانتقال إلى فرنسا.

5- إلغاء قانون الأهالي.

6- تطوير التعليم، والتكوين المهني لدى الأهالي.

7- تطبيق القوانين الاجتماعية في الجزائر.

8- إعادة تنظيم البلديات المختلطة، وانتخاب الأهالي، حسب قانون 1910 الخاص بانتخاب المستشارين العامين في المندوبيات المالية. [(450)]

هذه المطالب مستمدة في معظمها من برنامج الأمير خالد، حيث طالب بتمثيل الأهالي في البرلمان ومساواتهم مع الفرنسيين في الحقوق والواجبات وإلغاء قانون الأهالي، وتكوين الجزائريين وفتح المدارس أمـــامهم، وتـــوظيفهم، وإلغاء المحاكم الخاصة.[(451)]

مشاركة فرحات عباس في الانتخابات، لم يكن هدفه منها الحصول على إمتيازات، أو التقرب من مســـؤولي الاحتلال من أجل منافع شخصية، إنما غايته الدفاع عن الجزائريين المسلمين وتحسين وضـــعيتهم، ضـــمن القـــوانين الفرنسية، أين أنه قاد ثورة قانونية ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو كما يسميها هو: " الثورة بالقانون."[(452)] لأن الاحتلال لم يترك للجزائريين أي سلاح بيدهم لمواجهته.

[(448)] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :127
[(449)] Mahfoud Kaddache, op.cit,p :211
[(450)] cité par Mahfoud Kaddache,op.cit,p :213 d'après Spielmann, la tribune indigène Algérienne du 25 Novembre 1927
[(451)] Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op.cit, p p :255-256
[(452)] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 10

يقول في مقدمة كتابه الشاب الجزائري في طبعته الثانية سنة 1981:" إن النخبة المسلمة لم يترك لها الاحتلال أي سلاح للدفاع عن حقوقها، فناضلت بالكلمة كسلاح وحيد سمح به القانون الفرنسي، وكنت شاهدا على هذا النضال، عرفت الأمير خالد الذي مات في المنفى بدمشق، و لمين العمودي، و دندن، وحاج عمار، ومحمد بن رحال، و علاوة بن لونسي، وأحسن بن خلاف، و فيكتور سبيلمان، والدكتور موسى، والدكتور ابن تامي، وجي طالب، وعلي صاب، وصفير، و قايد حمود، وشيكيكين، والمعلم حــدو، و طــاهرات، والعلماء أمثال عبد الحميد بن باديس، و طالب الإبراهيمي*، والعربي التبسي، ومبارك الميلي وغيرهم... صحيح أننا كنا في مواجهة أعداء، ولوبي في باريس، وسائلنا كانت ضعيفة للدفاع عن شعب ضعيف.[453]

أما عن مداخلاته في المجالس النيابية كانت لا تختلف كثيرا عن مطالب فيدرالية المنتخبين المسلمين، ومتطابقة مع برنامجهم لسنة 1927، فبالنسبة إليهم مفهوم الوطنية لم يتبلور بعد في فكرهم، فهم يعترفون بفرنسا الوطن الأم، إنما كفاحهم كان ضد المحتلين الذين وقفوا بكل قوة أمام الإصلاحات الخاصة بالجزائريين المسلمين، و لم يكــن هــؤلاء النواب يحملون شيئا من الأفكار الثورية. [454] فرحات عباس كان دائما يدعو إلى حل المشاكل باستعمال الطــرق السلمية، والتعقل، وترك أسلوب العنف، وكان نضاله ضد سياسة الاحتلال.

ويصف " جاك بيرك " (Jacques Berque) مداخلات هؤلاء النواب خلال الثلاثينات من القرن الماضي بقوله: " إنها عتبة الدخول في القضايا المنطقية المحورية الظاهرية، المرتبطة بالاحتلال الفرنسي للجزائر."[455]مطالبــهم الأولى والأساسية كانت تنحصر في طلب المساواة التامة بين الجزائريين المسلمين والأوروبيين المحتلين.

أما " جاك بوفريس " (Jacques Bouveresse) فيقول عن مداخلاتهم ما يلي:" كــانوا يتضــرعون إلى إدارة الاحتلال لتحقيق المساواة، وإلغاء القوانين الجائرة... " [456] وكان نواب المحتلين في مختلف المجالس قد وقفوا بكــل تعنت وشراسة، وشكلوا حجر عثرة أمام كل مطلب في مصلحة الجزائريين المسلمين الذي كانوا يرون فيه خطرا على إمتيازاتهم، ولا يخدم مصلحتهم الآنية، و لم يكن باستطاعة النواب المسلمين الجزائريين المطالبة أكثر من ذلك.

---

* ذكر فرحات اسم طالب الإبراهيمي، ويبدو أن الأمر قد اختلط عليه، فهو يقصد البشير الإبراهيمي الذي سجن معه بعد أحداث 8 ماي 1945، وكانت تربطه به علاقة جيدة ويعرف كذلك ابنه أحمد طالب الإبراهيمي

[453] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :23

[454] Jacques Bouveresse, op.cit, p : 872

[455] Jacques Berque, Le Maghreb entre deux guerres, ed, Seuil, Paris,1962, p :459

[456] Jacques Bouveresse, op.cit, p : 872

صرح أحد أعضاء فيدرالية المنتخبين، مولاي مصطفى، مستشار عام بالمدية، ومندوب مالي بقولـه: " إنـي صديق النظام والمساواة. " [457] فهو مع فرنسا ولكنه ضد القوانين التي فرضها الاحتلال الفرنسي في الجزائر، ويمكننا أن نعبر باختصار بأن هذا الرأي كان يتفق تماما مع الفكر السياسي لفرحات عباس.

فإذا تتبعنا فكره السياسي في هذه المرحلة نجده مرتبطا بفكر و مطالب فيدرالية المنتخبين المسلمين، فالذي كان يؤلمه كثيرا هي الوضعية المأساوية للفلاحين المسلمين، كان نضاله ينحصر في المطالـب الاجتماعيـة، و الثقافيـة، والقانونية.

لكن الشيء الإيجابي في هذا الانتخابات، هي الحملات الانتخابية التي كانت تفرض على المرشحين الجزائريين المسلمين من الهيئة الانتخابية الثانية، الاحتكاك مباشرة بالفئات الشعبية البسيطة المقهورة من أجل الحصـول علـى أصواهم، وكانت المنافسة بين المرشحين، ممثلي إدارة الاحتلال من قياد وباشاغوات، الذين كان يغلب عليهم طـابع الجهل، والامتثال الكامل لإدارة الاحتلال (أشخاص طيِّعون، لا يعصون أوامر سادهم)، ومن جهة أخرى طابع القوة و النفوذ الذي كانوا يفتخرون به أمام شعب جائع فقير مظلوم لا قوة له.

أما النخبة المثقفة المرشحة للانتخابات فكانت منافسا شرسا لهؤلاء القيـاد والباشـاغوات، وأعـوان إدارة الاحتلال فهي تكشف عيوبهم بخضوعهم التام لأسيادهم المحتلين أمام الفئات الشعبية.

فكانت هذه الحملات الانتخابية كمدرسة سياسية شعبية، فتحت عيـون الجزائـريين علـى مشـاكلهم، ومناقشتها، وطرح الحلول لها. [458]

ربما نستطيع أن نقول أن هذه الحملات الانتخابية كان لها دورا فعالا في نشر الوعي السياسي بـين أوسـاط الفلاحين الجزائريين، دون أن يدرك الاحتلال أخطارها المستقبلية.

أما المناصب السياسية التي مارسها فرحات عباس كنائب في المجالس النيابية أثناء فترة الاحتلال هـي: (انظر جدول رقم : 1) [459]

---

[457] cité par Jacques Bouveresse, op.cit, p :872 d'après le journal Dépêche Algérienne du 21 janvier 1935
[458] Jacques Bouveresse, op.cit, p : 872
[459] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 404-410

جدول رقم: 1

المنصب السياسي	السنة
ينتخب مستشارا عاما لبلدية سطيف و مستشارا عاما لولاية قسنطينة و ينتخب عضوا في المندوبيات المالية	1939-1934
يعين عضوا في المندوبيات المالية	1941
ينتخب مستشارا عاما لولاية قسنطينة ونائبا في البرلمان الفرنسي، ومستشارا في الإتحاد الفرنسي[460] ونائبا في المجلس الجزائري	1955-1946

ويبرر فرحات عباس قبوله هذه المناصب السياسية بقوله: " قبلنا النضال على أرض الميدان من أجل الدفاع عن المساواة بين الجزائريين المسلمين والمحتلين، اخترت الطريق الذي ظهر لي بأنه الأقصر والسريع، لإيجاد علاج لوضعية تزداد خطورة يوما بعد يوم، أما الانتظار فإنه سيؤدي إلى انفجار قاتل." [461] كان يعلم بأن الظلم والقهر الذي مارسه الاحتلال الفرنسي في الجزائر، لا يتولد عنه سوى ثورة الشعب الجزائري فالظلم لا ينتج عنه سوى التطرف والرغبة في الانتقام متى سنحت الفرصة لذلك.

والمناصب السياسية التي مارسها أثناء انضمامه للثورة وبعد الاستقلال هي: (أنظر جدول رقم: 2)[462]

جدول رقم: 2

المنصب السياسي	الشهر و السنة
عضو المجلس الوطني للثورة الجزائر	20 أوث 1956
عضو لجنة التنسيق و التنفيذ الثانية مكلف بالإعلام	أوث 1957
أول رئيس لأول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية	19 سبتمبر 1958
رئيس لثاني حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية	20جانفي1960
رئيس المجلس الوطني التأسيسي	20سبتمبر 1962

جعل فرحات عباس اهتمامه كله للدفاع عن فئة الجزائريين المسلمين البائسة من خلال مداخلاته ونشاطه النيابي، ويقول عنه أحمد توفيق المدني: " كان فرحات عباس من أكثر عناصر فيدرالية المنتخبين المسلمين نشاطا، ودفاعا عن مصالح المسلمين الجزائريين."[463] فهو لا يشعر بالسعادة والراحة إلا وسط فئة الفلاحين الذين تربى وعاش معهم، وكما يعبر أن ارتباطه بهم ليس عاطفيا، ولكن عضويا، عارض سياسة الاحتلال، ووقف ضد إمتيازات الطبقة الإقطاعية، فبالنسبة إليه الإصلاح ضروري، ويجب أن يكون سريعا لإنقاذ أوضاع الجزائريين المسلمين المزرية، معتمدا في ذلك على أفكار الديمقراطية الليبرالية الفرنسية التي وضع أسسها " جون جوريس".[464] فدفاعه عن المحرومين هو قضية أخلاقية بالنسبة إليه.

---

[460] Ferhat Abbas, le jeune Algérien,op. cit. p : 26
[461]Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 123
[462] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 411-416

[463] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1956، ص: 168

[464] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 52

كانت جماعة فيدرالية المنتخبين تدافع عن حقوق الجزائريين المسلمين، وتطالب بتحسين وضعيتهم الثقافية والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ولكن في إطار القوانين الفرنسية، وداعية إلى سياسة الاندماج. (465)

ويصف انتخاب الشعب له، ولجماعة فيدرالية المنتخبين المسلمين، وذلك بسبب الثقة الكبيرة التي وضعها الشعب فيهم، بالرغم من أن معظمهم مثقفون باللغة الفرنسية، وأبناء طبقة الأعيان، فإن ذلك لم يكن مانعا في وجه هذه الجماعة، المدافعة عن الجزائريين المسلمين، والمتطلعة إلى احترام حقوق الإنسان. (466)

والمشاركة بالنسبة إليه في الحملات الانتخابية، هي تربية سياسية، واجتماعية للمسلمين، لأنه استطاع بواسطتها أن يتقرب أكثر من الأغلبية العامة منهم، فتحاور معهم، واطلع على مشاكلهم وهمومهم، وآمالهم. (467) وبفضل الحملات استطاع الفلاحون أن يتجاوزوا إصلاحات 1919، وأصبحت مطالبهم، تتمثل في المساواة مع المحتلين في الأجور والمعاملات، والحقوق. (468)

لقد تميزت مداخلات فرحات عباس في المجالس النيابية بدفاعه عن الجزائريين المسلمين مطالبا بشدة تحسين وضعيتهم والأخذ بأيديهم إلى طريق التحرر، والوقوف ضد القوانين الاستثنائية التعسفية التي فرضها الاحتلال الفرنسي على الجزائريين من أجل سيطرته وهيمنته، وإذلال الشعب الجزائري.

كما جلبت له هذه المداخلات الكثير من المشاكل مع غلاة المحتلين، فأثناء الحرب الكونية الثانية طالبوا بتصفيته، لأنه في نظرهم عنصر محرض على التمرد والثورة ضدهم، وأثناء سجنه بعد حوادث 8 ماي 1945، تعرضت صيدليته بمدينة سطيف إلى النهب والتخريب.

وكان يفضح سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر بكل شجاعة في مداخلاته داخل المجالس، ومن خلال كتاباته في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي، طالب بوضع حد لها، والأخذ بيد الجزائريين المسلمين إلى ما فيه الخير والسعادة لهم، وإزالة القوانين الاستثنائية، وتكوين مجتمع جزائري مبني على العدل الاحترام.

---

(465) أحمد مهساس، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود مسعود ، ومحمد عباس، دار القصبة، الجزائر، 2003، ص: 61

(466) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane, N° 18 du 09 janvier 1936

(467) ibid.

(468) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 20 du 20 janvier 1936

المبحث الثالث

دوره في المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول

بداية الثلاثينات من القرن العشرين كانت حاسمة، فاحتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائـــر، كانت إهانة للجزائريين، وتحد لمشاعرهم.

كيف كان موقف فرحات عباس من هذه المرحلة ؟ أينفصل عن أصله ومجتمعه، وهو المثقف المتخـــرج مـــن الجامعة ؟ أم أنه جعل من نفسه مناضلا لإنقاذ أمته ؟

وهذا ما سنراه في هذا المبحث و الطرق التي لجأت إليها النخبة الجزائرية بهدف وضع حد لسياسة الاحتلال المبنية على الظلم والقهر والتعسف.

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931، برئاسة عبد الحميد بن باديس، وضمت 72 عالما جزائريا. [469]

ويعتبر هذا حدثا عظيما، عرفته الجزائر في هذه الفترة، لقد أدرك العلماء الخطر المحدق بأمتـــهم، فتحملـــوا أمانتهم بصدق، وقاموا بدور فعال برئاسة شيخهم عبد الحميد بن باديس، في إيقاظ الأمة الجزائرية المسلمة من سباتها، وفضح أساليب الاحتلال الفرنسي، وأذنابه من الجزائريين، الطرقية، والمتجنســـين، ومحاربـــة الجهـــل، والخرافـــات، والشعوذة، ونشر التعليم باللغة العربية...

كان عدد سكان مدينة قسنطينة في سنة 1931 حوالي 99600 نسمة، 12% منهم يهود، وكان تأثيرهم كبيرا على إدارة الاحتلال في هذه المدينة، فمعظم المناصب الإدارية الهامة كانت بأيدهم، فتكبروا وتجبروا على الجزائـــريين المسلمين الذين كانوا يعانون الفقر، والظلم الإداري، فنشأت كراهية كبيرة بين الفئتين، وكان من نتيجة ذلك نشوب أحداث دامية في أوت 1934 بين الجزائريين المسلمين ويهود قسنطينة، أدت إلى مقتل 23 يهودي، و4 قتلـــى مـــن الجزائريين المسلمين. [470] تدخل الشيخ عبد الحميد بن باديس، وابن جلول لتهدئة الأوضاع، كما استنكر فرحـــات عباس هذه الأحداث، واتصل برئيس جمعية الصداقة اليهودية الإسلامية " إيلي غوزلان " (Elie Gozlan) للتعبير عن أواصر الصداقة بين المسلمين و اليهود، معتبرا أن هذه الأحداث هي من صنع الاحتلال، وسببها الفقـــر، والظلـــم، واللامساواة، التي خلقها الاحتلال بين المسلمين واليهود. [471]

وشهدت مدينة سطيف في 1 فيفري 1935 أحداثا دامية سببها اليهود، فأحد أعوان الشرطة يهودي اسمه

---

[469] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 81

[470] Mahfoud Kaddache, op.cit, pp :305-306

[471] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 63-64

" سيرفان " (Sirven) أطلق النار من مسدسه في إحدى الملاهي بسطيف على جزائري وقتله، وعمـــت الفوضـــى في المدينة كلها، واتجه السطايفية إلى محافظة الشرطة معبرين عن غضبهم، فأطلقت الشرطة عليهم النار وقتلت 2 منـــهم، فكانت بذلك كمن يصب الزيت على النار، فاعتدى المواطنون على أملاك اليهود، وعم الرعب، وانتقلت أعمـــال العنف ضد اليهود إلى عدد من المدن الجزائرية وصلت حتى مدينة مستغانم. (472)

ويصف فرحات عباس هذه الأحداث بقوله: " في سنة 1935 انفجرت أحـــداث في قســـنطينة، وبجايـــة، وسطيف، وبسكرة، وكانت شرطة الاحتلال تحت تصرف رؤساء البلديات الفاشيين، الذين أمروا بإطلاق النار على الشعب فقتلوا 3 مناضلين قدماء، وجرح عدد كبير منهم." (473) على إثر ذلك تدخلت سلطات الاحـــتلال بقـــوة، واعتقلت العشرات من الجزائريين المسلمين. (474) إنه الاحتلال يواجه دائما الحقوق الشرعية للجزائـــريين المســـلمين باستعمال العنف والترهيب في غير محله بهدف بث الرعب والبلبلة في نفوس الجزائريين، ليتمكن من المحافظـــة علـــى سياسته المبنية على الظلم والاستغلال.

لقد تدخل فرحات عباس داعيا إلى التهدئة في مدينة سطيف، لأنه كان يعلم بأن الشعب الجزائري ليس لـــه القوة لمواجهة جحافل الاحتلال في تلك الفترة، وألقى التهمة على الاحتلال المتسبب في تلك الأحداث بسبب إهماله للجزائريين المسلمين، معتبرا أن اليهود، والإيطاليين، والأسبانيين، أبناءه، أما الجزائريين المسلمين فلا اعتبار لهم عنـــد المحتلين. (475) فقتلهم واستغلالهم شيء مباح له.

وهكذا تتلاحق الأحداث بسرعة، وليس بيد المنتخبين المسلمين الجزائريين القوة لمواجهة تعنت إدارة الاحتلال، فلا سلاح لهم سوى القوانين الفرنسية، التي كان يستعملها فرحات عباس كسلاح لمواجهة سياسة المحتلين في الجزائر، وهو يعلم جيدا بأن سلاحه ضعيف، كان يتمثل أولا في نشر التوعية في أوساط الفلاحين عـــن طريـــق الحمـــلات الانتخابية، من أجل تعبئتهم للدفاع عن حقوقهم، وثانيا الاعتماد على قوانين الجمهورية الفرنسية أمام غلاة المحـــتلين الذين كانوا يرفضونها، ولا يطبقونها.وطلبت فيدرالية رؤساء البلديات الجزائر من فرنسا المزيد من القوات العسكرية، وطالبت أيضا بعزل الرماة الجزائريين من صفوف الجيش الفرنسي في الجزائر، وتعويضهم بالرماة السنغاليين الـــذين لا يعصون الأوامر، ويطيعون ضباطهم طاعة عمياء، مع مطالبتهم كذلك بإنشاء فرق متنقلة من الدرك تجوب الأريـــاف الجزائرية، وتراقب أي تحرك، وألحوا على ضرورة معاقبة المشاركين في تلك الأحداث بدون رحمـــة ليكونـــوا عـــبرة للآخرين.(476) هذه هي سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، حل المشاكل الاجتماعية للجزائريين المسلمين

(472) Mahfoud Kaddache,op.cit,p : 367
(473) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit,p :127
(474) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :65
(475) ibid.
(476) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :128

بواسطة القوة العسكرية التي لا تترد في استعمال أبشع أنواع العقاب ضد الجزائريين المطالبين بحقوقهم.

أما النواب المسلمون الجزائريون وجهوا احتجاجات إلى ليبرالي فرنسا منهم رئيس الجمهورية الفرنسية، ورئيس المجلس، ووزير الداخلية، وإلى موريس فيوليت عضو مجلس الشيوخ، جاء وزير الداخلية الفرنسي "مارسيل رينيــه " (Marcel Régnier) إلى الجزائر للإطلاع بنفسه على أحوالها، واصطدم بالحالة المزرية التي كان يعيش فيها الجزائريون المسلمون، وبرجوعــه إلى فرنسا أصـــدر قرارا سمي باسمه " قرار رينيه " يهدف إلى القيام بإصلاحات. [477] تضــع نوعا ما بعض المسكنات، والهدف منها المحافظة على أمن وسلامة وأملاك المحتلين متجاهلا بذلك مصالح الجزائـــريين المسلمين.

هذه الإصلاحات كانت كسيف على رقاب الجزائريين المسلمين، لأنها تجاهلت تماما مطالبـــهم، ومنحـــت إمتيازات أكثر لرؤساء البلديات.

أمام هذه الأوضاع المتوترة والخطيرة في نفس الوقت جعلت العلماء وفيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائـــريين يعقدون مؤتمرا لهم في قسنطينة ما بين 17 و 24 نوفمبر 1935، وكونوا لجنة لتحضير دراسة من أجل تأسيس حزب سياسي يجمع صفوف الجزائريين. [478] هذه الفكرة سبق للأمير خالد أن طرحها في جريد الدفاع ليوم 13 أفـــــريل 1934، [479] وطرحها كذلك فرحات عباس و"صاطور" يوم 15 فيفري 1935 في جريدة الدفاع.[480]

لكن الشيخ عبد الحميد بن باديس لخص أمنيته في دعوته لجميع الأحزاب الجزائرية لعقد " مؤتمر إسلامي " أو "جبهة وطنية ". [481] وقد نشر ابن باديس مقالا له في جريدة الدفاع دعا إلى ضرورة اجتماع جميع زعماء الجزائريين المسلمين، والعلماء، والقضاة، والأساتذة، والمدرسين لعقد مؤتمر إسلامي جزائري، لتحديد ميثاق سياسي لمســـلمي الجزائر. [482] بهدف تكوين قوة كبرى بإمكانها الوقوف أمام الاحتلال، وفي هذه النقطة يتفق رأي فرحات عباس تماما مع رأي الشيخ ابن باديس في جمع الأحزاب الجزائرية.

نشر فرحات عباس يوم 27 فيفري 1936 مقالا له في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي بعنوان " على

---

[477] ibid.
[478] Claude Collot et Jean Robert, op.cit,p :64
[479] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 417
[480] ibid.
[481] نفس المرجع، ص: 148
[482] La défense, N° 88 du 03 Janvier 1936

هامش الوطنية – فرنسا هي أنا*" (483)

---

* مقال فرحات عباس: على هامش الوطنية، فرنسا هي أنا

هذا الموقف المتواضع، وفكر بعض الناس غير العارفين، جريدة الزمن " le temps " والتي تدعمها القوة المالية الكولونيالية، وسخافة بعض السياسيين الذين يستمرون في عداوتهم للجزائر المسلمة، حيث يطلقون عليها تسميات دنيئة، منذ 50 عاما: الوطنية ـــ التعصب الديني ـــ الوهابية ..الخ نتذكر الحملة التي نظمت ضدنا في سنة 1935، وزيارة وزير الداخلية الفرنسية الذي يعرف كيف ينظر للأشياء بذكاء السيد رينيه لاحظ طبيعة نشاطنا وما هو أحسن للسكان الذين نمثلهم، وتفحص جميع الآفاق وجميع الأفئدة ولما عاد إلى باريس صرح بشدة من أعلى منبر مجلس الأمة: " لي الثقة في الأهالي" .

كنا نعتقد أن يكون لكلامه صدى في العالم كله، وبوضعنا الثقة في الحكومة وحتى في خصومنا بالأمس، كنا ننتظر ساعة الإصلاحات وإنجازها الملموس.

كنا نتمنى نهاية مأساة الجزائريين، إنها سذاجة من هؤلاء الذين يمزجون بين العاطفة والفعل والشرف مع السياسة من جهة أخرى.

كنا نثق في الوعود التي أعطيت لنا، وقد سقطنا في لعبة خصومنا بترك الميدان حرا لهم .. التحالفات الخفية والشهوات المنظمة بقوة، هذه القوات قامت بمناورة من طراز عال بخرق قرار الحاكم، الهدنة اخترقت، دافعنا عن أنفسنا سنة 1935، وسندافع اليوم، نريد الحوار.. فلنحاور ..نريد القذف، ولكن الحقيقة تتغلب على الكذب. في جميع الميادين وبعون الله والرجال سننتصر، ليس من اختصاصي الدفاع عن الشيخ ابن باديس، والشيخ العقبي وكل العلماء. القضية التي تهمني هي التعليم باللغة العربية التي تطرقت إليها جريدة " le temps "، هذه اللغة العربية بالنسبة للدين الإسلامي، هي بمثابة الكنيسة للديانة الكاثوليكية، لا يمكنها العيش بدونها، إيمان مسلم أمي هو نسيج من هذه الإيحاءات، المسجد عندنا لا شئ، وقراءة القرآن الكريم هو الكل الذي يشكل إسمنت الإيمان. هل من الضروري في هذه الأحوال أن نؤكد تمسكنا بتعليم اللغة العربية التي هي أساس إيماننا. إن تعليم اللغة العربية مرتبط بحرية الضمير، وأن منع تعليمها هي إعلان الحرب ضد الدين الإسلامي، وخاصة إعلان الحرب ضد التعليم .. يجب أن ننظر للأشياء كما هي .. الوهابية والقومية العربية هما ستار تختفي من ورائه أهداف الاحتلال. الشعب الذي حرم من الدخول إلى المدرسة الفرنسية يجب أن يحرم من تعليم اللغة العربية، لا ثقافة فرنسية، ولا ثقافة عربيه وبالتالي يسهل استغلال الشعب بسهولة وفي حالة رفضه للاستغلال يكون مصيره السجن، وموقفنا ضد ذلك. في بلد يحرم فيه أكثر من 800 ألف طفل من التعليم، ومطلبنا هو التعليم، وهذا المطلب يترجم في تقديم تشكراتنا للمبادرات الفردية وبصفة خاصة إلى العلماء الذين فسحوا المجال لتعليم عدد هائل من أطفالنا عوض أن يكونوا في الشارع.. هل هذا المجهود المشكور الذي يجلب غيرة حكامنا إذا كان معنى كلمة التعليم ليست خيالا بالنسبة للبعض منهم؟ إذا كان العلماء عنصريين، شموليين، نحن أصدقاء الدكتور ابن جلول سنكون وطنيين. التهمة ليست جديدة، تحاورت مع شخصيات عديدة حول هذه القضية، وجهة نظري معروفة.

الوطنية هي عاطفة تدفع شعبا ليعيش داخل وطنه وهي التي خلقت شبكة من الأوطان.

لو اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنيا ولا أخجل من ذلك كمن يرتكب جريمة . الرجال الذين ماتوا من أجل الوطن إنهم يوميا يكرمون ويحترمون، حياتي ليست أغلى من حياتهم، ومع هذا لن أقوم بهذه التضحية، الجزائر كأمة هي خيال لم أكتشفها، سألت التاريخ والأموات والأحياء وزرت المقابر! لا أحد تكلم عن الأمة الجزائرية، بلا شك وجدت الإمبراطورية العربية، والإمبراطورية الإسلامية التي شرفت الإسلام وسلالتنا، ولكن هاتين الإمبراطوريتين زالتا كما زالت الإمبراطورية اللاتينية و الإمبراطورية المقدسة الرومانية الجرمانية في العصور الوسطى ظهروا لعصر وإنسانية لم تعد من زماننا.

هل هناك جزائري مسلم يفكر بجد في بناء مستقبله على غبار الماضي؟ الدونكشوطيون لم يعودوا من زماننا. لا نبني على الريح أبعدنا بصفة نهائية الأوهام لربط مستقبلنا بمستقبل فرنسا في هذا البلد، لقد كتبنا ذلك، الحفاظ على هذا العمل هو محور عملنا السياسي .. وإذا كنت بحاجة إلى دعم اتجاهنا سأذكر فعلا بحثا قمت به شخصيا كشف لي عن حقيقة، في سنة 1918 كان فيه مبلغ التأمين على الحياة عند الأهالي مئات الآلاف من الفرنكات تقريبا واليوم أصبح أكثر من 20 مليون فرنك تصورت لو كنا وطنيين ضد الوجود الفرنسي. النقطة الأولى التي يجب عملها هي ألا نضع مدخراتنا في صندوق التوفير الفرنسي سأكون ضد فرنسا، وخلال 20 أو 30 سنة سألتزم بدفع مداخلي المتواضعة للاقتصاد الفرنسي، بواسطتها أستطيع ضمان أيامي الباقية وتعليم أولادي، ولماذا لا أتوجه إلى مؤسسات أجنبية مرخص لها من قبل الدولة. إنها سخرية. مبادرتنا تتلاءم مع فكرنا. لا أحد يؤمن بجد في وطنيتنا. ما نريد مكافحته من خلال هذه الكلمة هو تحررنا اقتصاديا وسياسيا، وهذا التحرر المزدوج نريده بكل قوانا ومثلنا الاجتماعية.

إذا كان 6 ملايين من المسلمين يعيشون على هذه الأرض التي أصبحت منذ 100 سنة فرنسية، يسكنون في أكواخ وحفاة عراة وبدون خبز. هذا العدد الهائل من الجائعين، نريد أن نبني مجتمعا عصريا بواسطة المدرسة، والدفاع عن الفالحين والمساعدة الاجتماعية، نريد رفع المسلم إلى كرامة الإنسان ليكون فرنسيا، هل هناك سياسة الاحتلال أكثر نضجا، لن ننسى أبدا بدون تحرير الأهالي لا وجود لجزائر فرنسية دائمة. إن فرنسا هي أنا .. أنا هو العدد .. أنا هو الجندي.. أنا هو العامل .. أنا هو الحرفي .. أنا هو المستهلك. إبعاد تعاوني ورفاهيتي وضريبتي من العمل الجماعي خطأ فادح. مصالح فرنسا هي مصالحنا من اللحظة التي تكون فيها مصالحنا هي مصالح فرنسا.

هذه الجدية في العمل والفكر هي الحاجز للإقطاعية الجزائرية، وتجاوزات هذه الأخيرة تزداد، وتجعلنا نتأسف على أخذنا بجدية الكتب المدرسية. ربما تريد العودة بنا إلى الوراء . فات الأوان . إننا أبناء عالم جديد مكون من روح وجهد فرنسا . شعارنا: إلى الأمام. **(ترجمة: صاحب البحث)**

سطيف 1935/2/23ـ

(483) Ferhat Abbas, éditorial de l'entente franco - musulmane N° 24 du 27 février 1936

وذلك ردا على جريدة " لوطون " (le temps) العنصرية المتطرفة التي اتهمت في مقالاتها بأن الحركة الوطنية الجزائرية هي التي كانت وراء الاضطرابات التي حدثت في الجزائر. [484] في سنوات1935.

في هذا المقال طرح فرحات عباس بكل قوة وشجاعة قضية أساسية وهامة هي قضية: الوطن الجزائري والأمة الجزائرية. [485] هذا المقال أسيئ فهمه، واستعمل كسلاح ضده، أثناء مراحل الحركة الوطنية، استعمله أعداؤه الفرنسيون ضده عندما أصبح رئيسا للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، [486] وبعد الاستقلال كذلك عندما كان معارضا للنظام الشمولي، فرحات عباس رجل سياسي يتكيف مع الظروف، ويحول تطرف المحتلين إلى مكسب سياسي له للمطالبة بتحسين أوضاع الجزائريين المسلمين، وإنقاذهم من الظلم والقهر، والقوانين الاستثنائية عن طريق تحقيق المساواة، وتوفير المدرسة، وحرية التعبير ...

وإذا قرأنا مقاله هذا بسطحية، وبدون معرفة شخصية فرحات عباس، وبُعد نظرته السياسية، فإننا سنقول حتما بأنه أنكر وجود الأمة الجزائرية، ولكن إذا حللنا الموضوع تحليلا في إطار سياقه التاريخي، وعرفنا أوضاع تلك المرحلة الخطيرة التي كانت مسلطة على 6 ملايين جزائري مسلم، فإننا سنعرف بدون شك أهداف فرحات عباس من وراء ذلك الموضوع، وهي ثورة سياسية ضد المحتلين، ومصالحهم في الجزائر التي لم تكن لها حدود، ولذلك وقف المحتلون موقف الرافض ضد كل سياسة داعية إلى مساواتهم بالجزائريين المسلمين، لأن ذلك معناه في نظرهم وضع حد لسياسة الاحتلال، وتقليص نفوذهم و إمتيازاتهم.

لقد كانت ردود الفعل الوطنية قوية ضد هذا المقال خاصة من الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب.[487] ومما جاء في رده ما يلي:" البارحة قال أحد المتصوفة الكبار: الله بحثت عنك فوجدت نفسي أنا الله. واليوم متصوف سياسي يعلن: فرنسا بحثت عنك فوجدت نفسي أنا فرنسا." [488] ويضيف ابن باديس موضحا ومنتقدا لذلك المقال بقوله: " اليوم بحثنا في صفحات التاريخ، والوضعية الراهنة، ووجدنا الأمة الجزائرية متكونة وموجودة، كما تكونت ووجدت سائر الأمم، هذه الأمة الجزائرية مسلمة، وهي ليست فرنسا، ولن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسية، ولن تستطيع أن تكون فرنسية، ولو أرادت ... " [489]

" ابن باديس هو الرجل الذي أجاب بفصاحة كبيرة مؤكدا وجود الأمة الجزائرية، واستحالة كون الجزائر جزءا من فرنسا." [490]

---

[484] Claude Collot et Jean Robert,op.cit,p :64

[485] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 73

[486] Jean Lacouture, op.cit,p : 274

[487] مجلة الشهاب، أفريل 1936، ص ص: 42 – 45

[488] نفس المصدر

[489] نفس المصدر

[490] وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 51

وهكذا نجد جمعية العلماء برئاسة شيخها عبد الحميد بن باديس قد وقفت بالمرصاد لكل شخص حاول التعرض للهوية الوطنية، مهما كان مستواه ورتبته، تلك هي رسالتها الأساسية التي وهب رجالها الأجلاء أنفسهم للدفاع عنها.

أما مالك بن نبي فيذكر في مذكرات شاهد للقرن حول ذلك المقال ما يلي: " اطلعت على المقال، قطعا لم تهزني صدمة مثل التي هزتني ذلك اليوم، منذ قرأت عنوان المقال (أنا فرنسا) ورأيت اسم صاحبه (فرحات عباس)." (491) كان مالك بن نبي في تلك الفترة يعيش في فرنسا، وشغوفا بمعرفة أحوال الجزائر، وسياسة المحتلين فيها وردود فعل الجزائريين المسلمين تجاهها، كان تواقا لإحياء الشخصية العربية الإسلامية مثله مثل العلماء، ولذلك قام بكتابة مقال شيق حسب رأيه، وأرسله إلى الأمين العمودي لنشره في جريدة الدفاع، ولكن هذا المقال لم ينشر، ولما سأل مالك بن نبي، الأمين العمودي عن عدم نشره، أجابه هذا الأخير بقوله:" نعم إنني لم أنشره عن رويَّة حتى لا أحطم مستقبل (فرحات عباس) في الحلبة السياسية." (492) يظهر أن الأمين العمودي كان على معرفة بجوهر ذلك الموضوع السياسي الذي نشره فرحات عباس، فلم يتحامل عليه أو ينتقده.

ويوضح فرحات مواقفه السياسية في هذه الفترة بقوله: " في هذه المرحلة كانت لي مواقف سياسية، اليوم يستغلها المحتلون، للدلالة على أن الوطنية الجزائرية ليس لها جذور عميقة، سوء النية واضح، موقفي في ذلك الوقت معروف جدا، لا يكفي ذكر بعض الجمل من مقالاتي كحجة ضد سياسة كانت، يجب على الأقل ربطها بواقع تلك المرحلة." (493) الردود التي جاءت في تلك الفترة تميزت بالقساوة ضد فرحات عباس، وركزت كلها على العنوان فرنسا هي أنا، وبعض الجمل الواردة فيه، ولكنها لم تناقش أو ترد على صلب الموضوع الذي يريد فرحات عباس الوصول إليه، وهي تحرر الجزائريين المسلمين، وإلغاء القوانين الاستثنائية، وإدراج الجزائريين كلهم في صف المواطنة الفرنسية، وهذه الأفكار كانت شائعة في تلك الفترة في الأوساط السياسية الجزائرية المعتدلة، وحتى رد ابن باديس تجاهل عن عمد ذكر المسألة الوطنية كما كان يطرحها مصالي الحاج. (494)

فرحات عباس برغم الانتقادات القاسية التي تلقاها، لم يتسرع أو يتهور، إنما راجع جيدا ما كتب ضده، ورفض معاداة الشيخ ابن باديس أو الإساءة إليه، فهو رجل يحاسب نفسه، يعترف بأخطائه حينما يتأكد من ذلك، ينصت إلى العقل والواقع، ذهب بنفسه إلى مقر مجلة الشهاب، لتوضيح موقفه من ذلك المقال واحترامه للعلماء وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، فكتبت مجلة الشهاب عن تلك الزيارة بقولها أظهر فرحات عباس عمق معارفه وسمو نظرته السياسية وفكره. (495)

---

(491) مالك بن نبي، المرجع السابق، ص: 360

(492) نفس المرجع، ص : 366

(493) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 129

(494) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص : 65

(495) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :76

توفي الأمير خالد في 9 جانفي 1936، وهو بالنسبة للعلماء، وعلى رأسهم الشيخ بن باديس، وأصحاب نجم شمال إفريقيا بزعامة مصالي الحاج، وكذلك فرحات عباس الذي تأثر كثيرا بأفكار الأمير خالد، زعيم حركة الشبان الجزائريين الداعي إلى إلغاء الاحتلال، وإعطاء الشعب الجزائري حق تقرير المصير بنفسه، من خلال رسالته إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية " ولسن " (Wilson) سنة 1919 أثناء انعقاد مؤتمر الصلح بباريس. (496)

وكتب ابن باديس عن تلك الرسالة ما يلي: " اعتقد الأمير خالد بأن الفرصة مواتية للجزائر لتجريب حظها مثل كل الدول، حيث طرح القضية الجزائرية إلى الرئيس ولسن خلال مؤتمر فرساي. " (497)

دعا الشيخ ابن باديس في شهر جانفي 1936 إلى عقد " مؤتمر إسلامي " وفي 16 ماي 1936 فيدرالية المنتخبين لولاية قسنطينة، وجمعية علماء المسلمين الجزائريين، نشرت بيانا بعنوان " نداء إلى مسلمي الجزائر " لتأسيس جمعية من " أجل التحضير لمؤتمر إسلامي جزائري الذي سوف ينعقد في الجزائر (العاصمة) خلال شهر جوان لتحضير برنامج إصلاحي كامل." (498)

أما فرحات عباس فيذكر بأن فيدرالية المنتخبين المسلمين لولاية قسنطينة هي التي دعت إلى عقد المؤتمر الإسلامي بمشاركة كل التيارات الإسلامية الجزائرية، الاشتراكيون، الشيوعيون، المنتخبون، العلماء، الفلاحون، لتحضير ميثاق من أجل المطالبة بتطبيق مشروع فيوليت. (499)

عقدت جمعية تحضيرية في يوم 6 جوان 1936 بنادي الترقي بالجزائر، وفي الغد يوم الأحد 7جوان 1936 عقد المؤتمر الإسلامي الأول. (500) بسينما ماجيستيك (حاليا سينما الأطلس) (501) بحضور 4000 شخصية من جميع التيارات الجزائرية، العلماء، المنتخبون، قدماء الجيش، الفلاحون، الشيوعيون، الاشتراكيون، والمرابطون، والشبان، أي كل التيارات السياسية والاجتماعية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. (502)

ويستثني أبو القاسم سعد الله حضور النجم، لكن محمد قنانش يشير بأن النجم كان حاضرا بممثل فرع تلمسان، وممثل آخر عن فرع مستغانم، وأعضاء فرع الجزائر العاصمة تكلفوا بالتنظيم وذلك طول مدة أشغال اللجان، ومن باريس إدارة النجم من جهتها أرسلت برقية إلى المؤتمرين جاء فيها:" تحية أخوية إلى المؤتمر الإسلامي، إننا ندعم مطالب تحسين أوضاع الشعب، ونرفض كل اقتراح تستفيد منه أقلية فقط، ونرفض

---

(496) ibid. p : 75
(497) Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :75 d'après Ali Merad, En marge du nationalisme Algérien, R.O.M.M. N°9,1er décembre 1971.
(498) Claude Collot et Jean Robert, op.cit, p : 75
(499) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p : 128
(500) Ali Merad, op.cit, p :189
(501) Mohamed Guenaneche, Le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919-1939) traduit de l'arabe par sid Ahmed Bouali, édition, E.N.L et O.P.U, Alger,1990,p :70
(502) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 152

كذلك كل مساس بالشخصية الإسلامية." [503] سمى البشير الإبراهيمي هذا اليوم بــ " اليوم المشهود ".[504] نظـــرا لأهميته وحضور العدد الكبير من الجزائريين من مختلف الاتجاهات، أما المؤرخ " جلبير مينيه "(Gilbert Meynier) فقد اعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري أول جبهة جزائرية. [505] تمكنت من جمع كل التيارات السياسية، والفكرية الجزائرية في إطار جبهة واحدة، من أجل الضغط على إدارة الاحتلال لتحقيق بعض المطالب الإصلاحية.

وهذه طبيعة الجزائريين في أغلب المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر، وذلك منذ عهد ماسينيسا، يختلفـــون فيما بينهم، ولكنهم لا يختلفون حول طبيعة العدو الخارجي، وضرورة الاتحاد ضده.

كلمة الافتتاح ألقاها الدكتور تامزالي، ثم جاء بعده الدكتور ابن جلول، وتلاه الدكتور ابن التامي، و الدكتور عبد الوهاب، ثم جاء دور الصيدلي فـــرحات عباس، ثم خطب ابن باديس، والعقبي، و البشير الإبراهيمي. [506]

قدم فرحات عباس في مداخلته برنامج فيدرالية المنتخبين المسلمين لولاية قسنطينة. [507] مؤكدا على ضرورة بقاء النواب مرتبطين بالعامة، (بقي طوال حياته مرتبطا بهم) رافضا تكوين طبقة انتخابية خاصة، مشيرا بأن المـــؤتمر الإسلامي لم ينعقد بسبب نجاح الجبهة الشعبية، ولكن انعقد بإرادة الجزائريين المسلمين وممثليهم، [508] وشكر الحكومة الجديدة على عواطفها تجاه الأمة الجزائرية، أما قوله بأن المؤتمر الإسلامي جاء نتيجة لإرادة الجزائريين وممثليهم، فقـــد أثار ذلك نقاشا حادا بين بعض المؤتمرين لأنه أراد من ذلك أن يعيب على بعض النواب الذين لا يستطيعون ممارســـة السياسة إلا عندما يزول الخطر. [509] و تكون الظروف مساعدة لهم لكي لا يغضبوا أسيادهم، فممارسة السياسة عند هؤلاء لا تكون إلا في الخط الذي رسمه الاحتلال.

إن فرحات عباس لا يخاف من قول الحق الذي يراه مطابقا لمشروعه السياســـي مهمـــا كانـــت الظـــروف والأخطار، فهو ليس برجل انتهازي، وتم الاتفاق أخيرا بعد مناقشة حادة داخل المؤتمر على المطالب التالية:

أولا:

- إلغاء جميع القوانين والقرارات الاستثنائية الخاصة بالمسلمين.

ثانيا:

- إلحاق الجزائر بفرنسا مباشرة، وإلغاء الولاية العامة الجزائرية، ومجلس النيابات الجزائرية، ونظام البلـــديات المختلطة.

---

[503] ibid.

[504] نفس المرجع. ص: 150

[505] Gilbert Meynier, histoire intérieure du F.L.N 1954-1962, édition, Gasbah, Alger, 2003, p : 55

[506] نفس المرجع، ص: 151

[507] Jacques Bouveresse, op.cit, p :887

[508] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :79

[509] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 428

ثالثا:

-المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية مع إصلاح هيئة المحاكم الشرعية الإسلامية مطبقة لروح القـــانون الإسلامي، و تحريره.

- فصل الدين عن الدولة بصفة تامة، وتنفيذ هذا القانون حسب مفهومه ومنطوقه.

- إرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجماعة الإسلامية لتتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسســـة تأسيســـا صحيحا.

- إرجاع أموال الأوقاف إلى الجماعة الإسلامية، ليمكن بواسطتها القيام بأمور المساجد، والمعاهـــد الدينيـــة والذين يقومون بها.

- إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل استثنائية، وإلغاء اعتبارها لغة أجنبية.

- الحرية التامة لتعلم اللغة العربية، وحرية التعبير للصحافة العربية.

رابعا:

- الإصلاحات الاجتماعية: التعليم الإجباري للبينين والبنات، الشروع بسرعة في بناء المدارس لتعميم التعليم الإجباري.

- جعل التعليم مشتركا بين المسلمين والأوروبيين.

- الزيادة في معاهد الصحة من المستشفيات و مستوصفات، وفي معاهد الإغاثة، كالمطاعم الشعبية، وإنشـــاء خزينة خاصة للعاملين من العمال.

خامسا:

- الإصلاحات الاقتصادية: تساوي الأجر إذا تساوى العمل، تساوي الرتبة إذا تساوت الكفاءة، توزيع إعانات الميزانية الجزائرية للفلاحة والصناعة والتجارة والاحتراف على الجميع وعلى مقتضى الاحتياج دون تمييز بين الأجناس.

- تكوين جمعيات تعاونية فلاحية، ومراكز لتعليم الفلاحين.
- الإقلاع عن انتزاع ملكية الأرض.
- توزيع الأراضي الشاسعة البور على صغار الفلاحين والعمال الفلاحين.
- إلغاء قانون الغاب.

سادسا:

- مطالب سياسية: إعلان العفو السياسي العمومي – توحيد هيأة الناخبين في سائر الانتخابات- إعطاء الحق لكل ناخب في ترشيح نفسه – النيابة في مجلس الأمة.

قائمة الإقترحات الفردية:

-إلغاء المحاكم العسكرية.

-تكريم الرجال الذين عملوا لخير الجزائر.

-طرح كلمة (أنديجان) وهجر استعمالها.

-العفو عن المحكوم عليهم في حوادث 5 أوث. " [510]

اعتبر فرحات عباس عقد المؤتمر الإسلامي ومطالبه بأنه يوم تاريخي من أجل مصلحة الجزائر، فهو يوم لا ينسى، حدث عظيم في تاريخ الجزائر. [511] لأنه عبر حقيقة عن طموح فرحات عباس في جمع كل القوى الحية الجزائرية في إطار كتلة واحدة، تكون لها الفعالية في الوقوف في وجه الاحتلال، فهو يؤكد دائما بأن مجموعة، أو أفرادا منفصلين لا يستطيعون فرض رأيهم على الاحتلال.

وبعد شهر تقريبا من المشاورات والاجتماعات من أجل اختيار اللجنة التنفيذية للمؤتمر، تم اختيار لجنة تنفيذية متكونة من 21 عضوا، أطلق عليهم اسم اللجنة التنفيذية، وتنحصر مهامها في:

- انتخاب المكتب.

- التصويت على كل ما يعرض عليها.

- لزوم الحضور لكل اجتماع.

وكانت نتيجة الاختيار كما يلي:

قسنطينة: عن النواب: الدكتور ابن جلول – الصيدلي فرحات عباس – الدكتور الأخضري، عن العلماء: الشيخ عبد الحميد بن باديس – الشيخ محمد خير الدين، عن الشباب: السيد طاهرات. [512]

انتقلت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي إلى فرنسا، وقدموا مطالب المؤتمر إلى أعضاء الحكومة الفرنسية، وقد نشرت مجلة الشهاب (أكتوبر 1936) المقابلات الرسمية والحوار الذي دار بين اللجنة التنفيذية، وأعضاء الحكومة الفرنسية. [513]

يرى أبو القاسم سعد الله أن مطالب المؤتمر كانت في أكثرها غير سياسية ماعدا مطلب حق التمثيل النيابي، وإلغاء منصب الحاكم العام أما بقيت المطالب فهي اجتماعية، ثقافية، اقتصادية. [514]

---

[510] مجلة الشهاب، عدد جويلية 1936، ص ص: 236-237

[511] Ferhat Abbas, éditorial de l'entente franco - musulmane, N°30 du 11 juin 1936

[512] نفس المرجع، والصفحة.

[513] مجلة الشهاب، عدد أكتوبر 1936.

[514] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 158

أما محفوظ قداش فيركز على المطلب السياسي الهام الذي يتمثل في ربط الجزائر بفرنسا مع المحافظـــة علـــى الشخصية الإسلامية. [515] فهو يرى بأن المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول، ذو أهداف سياسية بالدرجة الأولى.

بعد أن اتصلت اللجنة التنفيذية بأهم مسؤولي فرنسا، عادت إلى الجزائر، و في 2 أوث 1936 عقـــد تجمـــع شعبي بالملعب البلدي بالعناصر بالعاصمة، لتقديم تقرير اللجة التنفيذية. [516] حول تلك الاتصالات والمطالب.

حضر مصالي الحاج هذا التجمع وألقى كلمة " لم يكن مبرمجا " عبر فيها عن وجهة نظر نجم شمال إفريقيـــا، ووجد الفرصة مناسبة جدا له لدعوة الشعب الجزائري إلى الانضمام إلى النجم. [517]

بدأ نجم شمال إفريقيا يجني ثمار بذور زرعها غيره من النخبة، والعلماء في الجزائر، فكان في خطبته أقـــرب إلى آمال الشعب الجزائري، الذي أنهكه القهر والجوع و التعسف، استطاع أن يكسب شهرة، ما كان يحلم بها أمام أكثر من 20000 حاضرا، فكانت خطبته كعصا النبي موسى أمام فرعون وسحرته، فقد أبهر الحاضرين بلغتـــه الخطابيـــة، وقدرته على التبليغ وبساطة أسلوبه مع التعبير مباشرة بدون لف أو دوران عن حقيقة آمال الجزائريين.

فحوّل الحاضرين من الاعتدال إلى التطرف، ومن المطالبة بالقليل إلى المطالبة بالكثير، ومن الدعوة إلى المساواة عن طريق الاندماج إلى نقذ الاحتلال، ورفضه نهائيا، والدعوة إلى التحرر، بالرغم أن كلمة الاستقلال الوطني لم ترد في خطابه هذا. [518]

بعد تلك الخطبة التي كان صداها واسعا داخل الجزائر، خاصة في الأوساط الشـــعبية التواقـــة إلى الإنعتـــاق والتحرر في أسرع وقت، فالاحتلال الفرنسي لم يترك الفرصة للشعب الجزائري المقهور والجائع، ليكون معتـــدلا في مطالبه مثل جماعة النخبة الذين كان معظمهم يعيشون في الرفاهية تتقارب أحيانا مع رفاهية المحتلين.

نظام الاحتلال متطرف في حكمه ناكر لوجود الشعب الجزائري المسلم، فجَوْرُهُ و حيفه، ونكرانه للعـــدل، أدى إلى خلق فئة كبيرة من الجزائريين المسلمين متطرفة كل التطرف من أجل القضاء عليه بكل الوسائل، فتطـــرف الاحتلال في جوره، أدى إلى تطرف الشعب الجزائري المسلم في فكره وفعله، ولذلك فإن ثمار المؤتمر الإسلامي الأول جناها مصالي الحاج الذي عبر حقيقة عن رغبة الأغلبية الكبرى من الشعب الجزائري المسلم بكل صراحة وغير معترف بسياسة المراحل، و لم يستطع المؤتمر الإسلامي الأول أدنى مطالبه، ولكنه مكن مصالي الحاج من توســـيع شـــعبيته في الجزائر.

---

[515] الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص : 33

[516] Mahfoud kaddache, op.cit,p :437

[517] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 160

[518] Voir le discours prononcé par Messali Hadj au meeting organisé par le congrès musulman Algérien le 02 août 1936 au stade municipal d'Alger, Claude Collot –Jean Robert Henry, op.cit, p p : 82-85.
Ou voir le journal ELOUMA du septembre, octobre 1936

المبحث الرابع

موقفه من رفض مشروع بلــوم – فيــوليت

بنجاح الجبهة الشعبية الفرنسية في انتخابات 1936 ووصولها إلى الحكم في فرنسا، عمت فرحــة عارمــة في الجزائر كلها لأن الشعب الجزائري، وخاصة النخبة منه أمثال فرحات عباس وغيره، كانوا ينتظرون بفــارغ الصــبر منحهم بعض الحقوق القانونية لمواجهة غلاة المحتلين الذين تجبروا في الجزائر، وفي هذا المبحث سنرى موقف فرحــات عباس من رفض مشروع بلوم – فيوليت، والآمال التي علقها عليه، ورأيه في منح الجنسية الفرنسية للنخبة الجزائريــة المسلمة.

أرسلت حكومة " ليون بلوم " (Léon Blum) في مارس 1936 لجنة تحقيق إلى الجزائر لدراســة الأوضــاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها وكانت تحت رئاسة مجموعة من البرلمانيين، و اتصلت بالجزائريين المســلمين، وبالمحتلين كذلك، وبناء على تقريرها قررت حكومة بلوم إصدار مشروع إصلاحات. [519]

وكان فرحات عباس من مؤيدي ومناصري هذه الإصلاحات، التي أطلــق عليها اسم مشــروع " بلــوم – فيوليت "، هذا المشروع تم وضعه من قبل الحاكم العام الفرنسي موريس فيوليت، ويقول عنه فرحات عباس إنه رجل عظيم يعرف جيدا المشكل الجزائري، وضع مشروع قانون يسمح بدخول الجزائريين المسلمين في المواطنة الفرنســية. [520] وقد برر فرحات عباس في مذكراته فيما بعد، قبوله ذلك المشروع بقوله: " حاولنا إنقاذ الشعب بالوسائل التي كانت موجودة، فضعفه البدني والفكري كان غائصا في الوحل." [521] أي أنه في رأيه يجب إنقاذ الشعب الجزائــري المسلم بأية وسيلة ولو كانت بسيطة جدا، ما دام أنها تمنح ولو بصيصا من الأمل، ليتمكن فرحات عباس بعدها مــن الانتقال إلى مطلب أخر متبعا في ذلك سياسة خطوة خطوة.

العلماء الذين اتهموا بالتعصب والتطرف، وافقوا مباشرة على المشروع، ودافعوا عن حسن نيتهم عن الشعب الجزائري المسلم وإنقاذه من الظلم و القهر، فالشيخ عبد الحميد بن باديس أجاب بدون تردد قبوله بالإصلاحات التي وعدت بها حكومة بلوم – فيوليت. [522] وهو المدافع عن الهوية الوطنية، والرافض للمتاجرة بها، ولا يمكننا أن نشك في نيته الحسنة أبدا، وإنما وجد أمامه شعبا مستضعفا من جميع الجوانب، واحتلالا أعمى، فحاول أن يقبل بالقليل من أجل المطالبة بأكثر فيما بعد، وهو دارك بأن الشعب الجزائري لا يستطيع أن يكون

---

(519) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit , p : 129
(520) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane, N°31 du 29 Avril 1937
(521) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 129
(522) Ferhat Abbas L'indépendance confisquée, édition Garnier, France, 1984, p :209

فرنسيا ولو أراد ذلك، فهو شعب أصيل، والأصيل كمعدن الذهب.

كان فرحات عباس يريد دمج الجزائريين كلهم في فرنسا، ورافضا للتجنس الفردي، ففي نظره أن مشـــروع هذا القانون يسمح للجزائريين بالارتباط بفرنـــسا بطريقة سليمة وبسيطة كمجموعة مسلمة في العائلـــة الفرنســـية الكبيرة. (523)

أماني فرحات عباس بدأ أفقها يلوح، وحلمه في ضم الجزائريين إلى فرنسا يكاد يصبح حقيقة، ولكن رغبـــة المحتلين شيء آخر، فحلمهم يختلف تماما عن حلم فرحات عباس، لذلك كان هناك تصادما فكريا وقانونيا وعمليا بين الجزائريين المسلمين، والمحتلين، فمطالبة دمج الجزائريين بفرنسا في تلك الفترة هي إهانة وتحد كبير للمحتلين.

" أصبح قرار الاندماج فجأة بالغ الأهمية مع ظهور حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا بقيادة " ليون بلوم " عام 1936، وكان الليبراليون، الذين وضعوا آمالهم الكبيرة في حكومة بلوم قد كوفئوا عندما أرسلت الحكومة إلى الجمعية الوطنية مشروع قانون وهو اقتراح بلوم- فيوليت." (524)

وضع مشروع بلوم – فيوليت على مكتب الجمعية العامة، يوم 23 ديسمبر 1936. (525) ونشر في الجريـــدة الرسمية الفرنسية يوم 30 ديسمبر 1936. (526)

وهذا المشروع يمنح الحقوق السياسية لبعض الجزائريين للحصول (الارتقاء) على الجنسية الفرنسية، بـــدون التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، وهم الضباط القدماء، وأصحاب الشهادات الجامعية، و النواب. (527)

هدف المشروع سلخ الفئة المثقفة، أو التي لها تكوينا عسكريا، أو مهنيا، أو سياسيا عن فئة العامة، وبالتالي فإن هذا المشروع يقدم خدمة كبيرة للاحتلال الفرنسي في الجزائر، فهو شبيه بالظهير البربري في المغرب الأقصى، الاحتلال يمارس سياسة فرِّق – تسد.هذا المشروع أسال الكثير من الحبر، وأقام الدنيا و لم يقعدها، لنعـــد إلى حقيقـــة ذلـــك المشروع من خلال الدراسة التي قامت بها إدارة الاحتلال، فقد أحصت 30546 ناخبا في الانتخابـــات التشـــريعية القادمة لسنة 1940 إذا حذفنا منهم 4229 نائبا تنتهي مدتهم سنة 1940، فعدد الناخبين يكون قد وصل إلى 26317 ناخبا جديدا ينتخبون في الهيئة الأولى. (528) أي 10% من الجزائريين الناخبين ينتخبـــون في الهيئـــة الأولى (Premier collège) (529)(انظر جدول رقم: 03) يسلخون من 423000 ناخبا جزائريا مسلما في الهيئـــة الثانيـــة (Second collège)، مقابل 202426 ناخبا فرنسيا في الهيئة الأولى (Premier collège) (530)

---

(523) ibid.

(524) وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص : 45

(525) Jacques Bouveresse, op.cit, p :888

(526) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :85,86

(527) Mahfoud Kaddache, op.cit,p :406

(528) ibid.

(529) Gilbert Meynier, op.cit,p :55

(530) Mahfoud Kaddache, op.cit, p :406

جدول رقم : 03

عدد الناخبين الجزائريين بالتقريب لسنة 1940 [531].(في الهيئة الأولى، في حالة قبول مشروع بلوم - فيوليت).

الفئة	العدد	ملاحظات
ضباط متقاعدون	300	رقيب أول والرتب السامية باستثناء صف الضباط
صف ضباط بعد خمسة عشر سنة	3000	ومن بينهم حاملي البكالوريا بمعدل 40 في السنة
ميداليات عسكرية و صليب الحرب....................	10000	مشروطة بالشهادة الدروس المتوسطة بمعدل 50 في
دبلوم التعليم العالي. بكالوريا..........................	1600	السنة، وكذلك العدد الضخم في حالة النجاح في
شهادة الدروس العليا و شهادة الدروس المتوسطة..........	2000	البكالوريا حيث يصل المعدل إلى 30 في السنة،
الشهادة الابتدائية، والشهادة الابتدائية للمدرسة،وشهادة		يضاف إليهم حاملي الشهادة المتوسطة حيث يصل
المدارس الكبرى الوطنية................................	1200	المجموع إلى 2516.
موظفون مسجلون بمسابقة في الغرفة التجارية	1500	التجارة: 19، الفلاحة: 17 .200 في بداية السنة
الفلاحية..	36	الأولى. و 50 لكل سنة.
معينون من قبل المجلس الإداري للنواحي الاقتصادية........	1050	
معينون من قبل الغرف التجارية...........................	1050	
مندوبون ماليون	21	
قدماء المندوبين الماليين	10	
مستشارون عامون	32	
قدماء مستشارين عامين..................................	40	
مستشارون في البلديات (الكاملة السلطات)............	1235	
قدماء المستشارين في البلديات	2400	
رؤساء الجماعة	1268	233 جماعة (بلديات كاملة السلطات) و 1035
قدماء رؤساء الجماعة	1000	جماعة (بلديات مختلطة).
باشاآغا	20	قياد متقاعدون: 779 ، من بينهم الضباط القدماء،
آغا...	40	وصف الضباط، بمعدل 100 في السنة (من 50 سنة
قياد، وقدماء القياد.....................................	1714	إلى 60 سنة).
قائد فارس في الفرق الشرفية.............................	60	
ميداليات العمل	1000	عدد قليل من أمناء النقابات من الأهالي الذين مارسوا
أمناء النقابات..	20	هذه المهنة خلال 10 سنوات.
المجموع	30546	

[531] Cité par Mahfoud Kaddache, op.cit, p 407 d'après le rapport du conseiller général, dans L' Echo d'Alger ,du 31 octobre 1936

كمشروع بلوم – فيوليت كما هو واضح من خلال العناصر التي ستنضم - في حالة قبولـــه – إلى المواطنـــة الفرنسية، ذو أغراض خبيثة وخطيرة على المجتمع الجزائري المسلم، فهو يهدف إلى زوال مفهوم الوطنيـــة الجزائريـــة، وعزل النخبة الجزائرية المسلمة نهائيا عن عامة الشعب، وربطها بالحضارة الفرنسية مباشرة. [532] وجعل هذه الفئـــة المتجنسة في خدمة فرنسا، وربما نستطيع أن نقول أن الاحتلال الفرنسي رجع إلى سياسة الاحتلال الروماني التي طبقها في شمال إفريقيا وغيرها من المناطق التي احتلها، أي ضم إليه كل من يرى فيهم عناصر القوة، وترك العامة كعبيد له، فنظرة بسيطة للجدول رقم: 03 توضح جيدا الفئات التي كان مشروع بلوم - فيوليت يريد ضمها إلى فرنسا.

وهذا ما كان يريده " موريس فيوليت " من سياسته، وقف نمو الوطنية الجزائرية، التي بدأت ملامحها تنتشر عبر كامل الجزائر خاصة بعد الحرب الكونية الأولى، وقرارات مؤتمر الصلح بباريس، ومبادئ " ولسن " الداعية إلى إعطاء حق تقرير المصير لكل الشعوب الخاضعة للاحتلال.

وعن ذلك يقول " موريس فيوليت ": " إذا كان محتلو الجزائر لا يفهمون أنه من واجبهم الانحياز إلى سياسة الاندماج بتبصر، وبحكمة وبصدق، فما عليهم إلا أن يعلموا بأنهم بذلك الرفض، يعملون على خـــلــــــق وطنيـــة جزائرية، تتخذ بالضرورة شكلا ثوريا، ككل الحركات الوطنية." [533]

الذين وقفوا ضد هذا المشروع هم ممثلو المحتلين في باريس – الذين يشكلون لوبي قويا – وفيدرالية رؤســـاء بلديات الجزائر، ونجم شمال إفريقيا. [534] لقد خصص رؤساء بلديات الجزائر 200 مليون فرنكا للصحافة من أجـــل الدعاية لإفشال المشروع. [535] الفكر السياسي للاحتلال الفرنسي بمقارنته مع الفكر السياسي للاحتلال الروماني نجده أقل إدراكا ووعيا منه بنتائج المستقبل، فهو يتشابه نوعا ما مع سياسة الاحتلال البرتغالي.

وعبر فرحـــات عباس عن رأيه في ذلك الرفض من خلال مقال له في جريدة الوفاق الفرنســـي الإســـلامي بعنوان " أنريد إضاعة الجزائر " ومما جاء فيه: " إننا نعلم أن حكومة الجبهة الشعبية عند وصولها إلى الحكم، وضعت مشروع قانون يسمى (مشروع بلوم- فيوليت) موّقع من طـــرف الســـادة: شـــاتون (Chautemps)، و دلاديـــه (Daladie) يمنح الجنسية الفرنسية لعدد من الجزائريين المسلمين... المشروع رفض بالرغم أنه غـــير مـــؤذ (لا قيمـــة له).... يسمح لــ 20 ألف، أو 25 ألف من الأهالي بإغراقهم في الهيئة الانتخابيـــة الأولى.... المـــؤتمر الإســـلامي والعلماء، وكل مؤيدي الجبهة الشعبية، وافقوا على ذلك المشروع، ولكنهم وجدوا عداوة من بعض المئات من

---

[532] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 408
[533] Cité par Mahfoud kaddache, op.cit, p :408d'après le journal L'Echo d'Alger du 25 octobre 1936.
[534] Jacques Bouveresse, op.cit, p :888
[535] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :85

الأوروبيين، نواب وكبار المحتلين، وذلك خوفا على إمتيازاهم." [536]

المصالح الآنية هي التي تتحكم في أصحاب النفوذ ونظرهم ضيقة قصيرة المدى، ويذكر فرحات عباس مدى جهل هؤلاء بالمستقبل، حيث يورد مجادلة وقعت بينه وبين رئيس بلدية الأصنام، حينما قال له فرحات عباس:" إنه من واجبنا العمل معا على تحضير مستقبل يسوده السلم والإخاء بين أبناءنا." فأجابه رئيس البلدية بقوله: " المستقبل لا يهمني، نحن الآن سادة، ومن بعدنا الطوفان." [537] وبالفعل جاءت ثورة أول نوفمبر 1954 وكانت طوفانا على المحتلين، فهم كانوا يعملون في الجزائر كأهم سيمكثون فيها للأبد، ولكن هذا الأبد الذي يخصهم وحدهم دون التفكير في أجيالهم التي ستأتي بعدهم، أو في زيادة كراهية الشعب الجزائري لهم، وانتظار الفرصة المواتية للانقضاض على الاحتلال، فهم في أغلبهم لم يكونوا واعين بتلك الخطورة.

عقد رؤساء بلديات الجزائر في يوم 14 جانفي 1937 مؤتمرا لهم، تحت رئاسة "غابريال أبو" (Gabriel Abbo)، مندوب مالي لتيزوزو، ورئيس بلدية، وهو كذلك رئيس فيدرالية رؤساء بلديات الجزائر، حضر هذا المؤتمر 300 رئيس بلدية. [538] وذلك من أجل الوصول إلى الاتفاق فيما بينهم للضغط على الحكومة الفرنسية لإلغاء مشروع بلوم – فيوليت.

" وقد أيد المؤتمر جميع أميار القطر تقريبا، وعارض الحضور مشروع بلوم – فيوليت، وأن هذا المشروع سيتسبب قطعا في القضاء على نيابة وتمثيل الوطنيين الفرنسيين بالمجالس الاستشارية، وسيؤدي إلى إحداث قلاقل، و اضطرابات خطيرة، تؤدي إلى نتائج مهلكة." [539] فالخوف عند هؤلاء يكمن في وصول الجزائريين المسلمين إلى المجالس النيابية، ووقوفهم ضد القوانين الاستثنائية التي تخدم فئة دون أخرى.

ويظهر أن هذا ما كان يسعى إليه فرحات عباس، وهي تحقيق المساواة بين المحتلين والجزائريين المسلمين عن طريق قوة القانون، ولا يمكن لهذا القانون أن يطبق إلا بوجود جزائريين بنسب مرتفعة في المجالس النيابية والاستشارية، ولكن لم تكن هذه السياسة خافية عن أصحاب الإمتيازات من المحتلين، فهم بيدهم الإدارة والأموال والصحافة، والانتهازيين والخونة من بعض الجزائريين الذين يستغلوهم لتحقيق أغراضهم، وعن هؤلاء يقول فرحات عباس: " لم يكن عدد المعارضين من المحتلين كبيرا إنما إمكانياهم ضخمة، بيدهم الإدارة والأموال الكثيرة، فقد وضعوا أنفسهم حكاما على الجزائريين." [540]

---

[536] Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 39 du 23 septembre 1937
[537] Ferhat Abbas, Autopsie d'une guerre, op.cit, p :15
[538] Jacques Bouveresse,op.cit, p :888
[539] جريدة النجاح، عدد 1948، 17 جانفي 1937
[540] Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 39 du 23 septembre 1937

تورطت إدارة الحكومة العامة في الجزائر مع رؤساء البلديات، ودبرت مؤامرة قتل مفتي الجزائر الشيخ كحول، وألقت التهمة على العلماء، ووضعت الشيخ العقبي، وعباس التركي في السجن، بتهمة الاغتيال، فالهدف حسب فرحات عباس واضح هو ضرب المؤتمر الإسلامي و الحركة الوطنية الجزائرية. (541)

ويقول فرحات عباس عن ذلك:" أن المناورة كانت ناجحة من الجهتين، المؤتمر الإسلامي أهمل من طرف رئيسه الدكتور ابن جلول، و مشروع بلوم – فيوليت لم يناقش." (542)

اجتمعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي يوم 29 أوث 1937، وتم الاتفاق على تقديم استقالة جميع النواب المسلمين، وقطع المشاركة في مداولات المجالس النيابية ابتداء من 29 أوت 1937، وحددت 30 سبتمبر آخر أجل لتقديم استقالات النواب. (543)

وقد استجاب فرحات عباس وجماعة فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين لولاية قسنطينة لذلك، حيث يقول: " ليس أمامنا كنواب مسلمين سوى تقديم استقالاتنا، رافضين الديكتاتورية والأتوقراطية المالية التي تضغط بقوة على الوطن." (544)

هؤلاء أصحاب النفوذ لهم تأثير مباشر على الحكومة الفرنسية في باريس، فهم الذين يوجهون سياستها في الجزائر، ويفتخر رئيس فيدرالية رؤساء بلدية الجزائر" غابريال أبو " بقوله: " في سنة 1936 خربت مشروع بلوم– فيوليت، والحكومة ركعت أمامي.... كلما أعطينا للعرب أكثر طالبوا بأكثر منه، ثقوا بي، إنني أعرف كيف أقهرهم." (545) أي منطق يفهمه هؤلاء المحتلون ؟ إنهم يفتخرون بهمجيتهم، ولا يخجلون من ذلك !

استجابت فيدرالية منتخبي ولاية قسنطينة لقرار اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي، وفي يوم 30 سبتمبر 1937 قدم 2500 منتخبا استقالتهم منهم فرحات عباس والدكتور ابن جلول.

أما في ولاية الجزائر فلم يقدم سوى 150 منتخبا مسلما استقالتهم، وفي ولاية وهران كانت الاستجابة ضعيفة جدا، فلم تتعدى سوى بضعة عشرات، فقط من المنتخبين المسلمين الذين قدموا استقالتهم. (546) والسبب واضح أن ولاية قسنطينة كانت أكثر حركية سياسية في تلك الفترة لوجود الشيخ عبد الحميد بن باديس بها، وتأثيره الواسع على الخاصة والعامة، إلى جانب نشاط فرحات عباس والدكتور ابن جلول في فيدرالية المنتخبين المسلمين. فكيف كان رد رؤساء بلديات الجزائر على تلك الاستقالات ؟

يذكر فرحات عباس أن معظم رؤساء البلديات كانوا سعداء عندما قدم النواب المسلمون استقالتهم

(541) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 137
(542) ibid.
(543) Jacques Bouveresse, op.cit, p :890
(544) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N°39 du 23 septembre 1937
(545) Cité par Ferhat Abbas, l'indépendance confisquée, op.cit, p : 210, d'après le journal PARIS PRESSE du7 mai 1947
(546) Jacques Bouveresse, op.cit, p :890

ومنهم رئيس بلدية جيجل " مورينو " (Morinaud) الذي طلب من والي قسنطينة قبول استقالة النواب. (547) بدون تردد، لأنهم في نظره عناصر مشاغبة ومضرة.

فرؤساء البلديات عنصريون يقلقهم وجود نواب مسلمين في المجالس، وعبر فرحات عباس عن ذلـــك: " إن استقالتنا لها معنى آخر، وهو إعطاؤها قوة شرعية للمعارضة ضد الرجعيين أمثال رئيس بلدية جيجل...إلى الأمام من أجل الإصلاحات... إلى الأمام من أجل جزائر فرنسية تضمن الاحترام لكل أحد، والعمل والخبز للجميـــع." (548) دافع فرحات عباس من أجل ربط الجزائريين بفرنسا، وقف المحتلون ضده و الشعب الجزائري رفض ذلك. ألم يكـــن فرحات عباس في هذه الفترة طالبا المستحيل، أو يسعى إلى تحقيق مجتمع مثالي ؟

قام فرحات عباس سنة 1937 بزيارة إلى فرنسا*، وسأل أعضاء الحكومة الفرنسية عن سبب رفض مشروع بلوم - فيوليت حيث يقول: " في خلال لقاء بيني وبين الرئيس " ألبير سارو " (Albert Sarraut) ووزيـــر الداخليـــة الفرنسية، دافعت عن شرعية مطالب المسلمين واستطعت إقناع وزير الداخلية، الذي كان ضعيفا أمام ظلم الإقطاعيين المحتلين، فرد وزير الداخلية على فرحات عباس بقوله: " استقبلت في هذه الأيـــام بـــعض النـــواب الجزائـــريين (الأوروبيين) و تحاورت معهم في موضوع مشروع بلوم- فيوليت لأكثر من ساعة، أدليت لهم بنفس الحجـــج الـــتي عرضتموها علي، وحاولت إقناعهم بذلك، وناشدتهم باسم وطنيتهم أن يتفهموه باسم العقل والقلب، ولكنني تيقنت بأن هؤلاء السادة لا عقل ولا قلب و لا وطنية لهم، ما هم إلا أجهزة هضم." (549)

ترأس فرحات عباس في سنة 1938 بعثة المؤتمر الإسلامي إلى فرنسا، والتقى ب" دلاديه " (Daladier) الذي خلف " بلوم " (Blum) (انتزع من الحكم من قبل مجلس الشيوخ) وأعلمهم بأن البرلمان الفرنسي رفض مشـــروع بلوم – فيوليت لأنه لا يتماشى مع الشريعة الإسلامية، وطلب منهم مساعدته لتوفير الأمن في الجزائر، مجيبا إياهم أنه في حالة عدم احترام النظام فإن فرنسا ستضطر لاستعمال القوة التي تملكها. (550)

إن فرنسا تلوح بالقوة أمام أي معارض لها في الجزائر، وبالفعل قد استعملتها منذ احتلالها للجزائر، فهـــي في هذه الأمور جادة وسريعة جدا، أما حل مشاكل الجزائريين المسلمين فإن الوقت بالنسبة إليها غير مناسب والظروف غير ملائمة، والملفات موجودة فوق مكاتب المسؤولين الفرنسيين، وما على الجزائريين المسلمين سوى الانتظار الذي دام أكثر من قرن !

ويرد فرحات عباس على " دلاديه " بقوله: " إن احترام حق الفرد، أهم من جميع الأسلحة. " (551) هذا

---

(547) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N°40 du 7 octobre 1937
(548) ibid.

* انظر الصورة رقم: **03** فرحات عباس في لقاء صحفي في باريس للإدلاء برأيه حول مشروع بلوم – فيوليت.

(549) Ferhat Abbas, la nuit coloniale,op.cit,p p :131,132
(550) ibid. p : 132
(551) ibid.

الصورة رقم: 03

فرحات عباس في لقاء صحفي بباريس للإدلاء برأيه حول مشروع بلوم – فيوليت (سنة 1937)

هو غرور الاحتلال يعتقد أن سلاحه وقوته قادرة على إخضاع شعب مسلم خانه سلاحه في الدفاع عن أرضه، ولكن قيمه لم تخنه بقيت ثابتة راسخة كأرض الجزائر، عبر مراحلها التاريخية.

وأضاف فرحات عباس قائلا له: " إن هذه الطريقة التي ترتكزون عليها ستؤدي بدون شك إلى زوال الأمـــل وسينتج عنها الطلاق، وعلى الحكومة الفرنسية أن تتحمل مسؤوليتها أمام التاريخ." [552] إن سياسة العدل والمساواة هي التي تكون مجتمعا عادلا، وحكومة قوية وليس السلاح أو الكذب يستطيعان أن يؤسسا حكومة قويـــة بإمكانهـــا توفير الأمن والسلام لمدة طويلة.

لقد قرر النواب المستقيلون في 15 ديسمبر 1937 سحب استقالتهم، والمشاركة في انتخاب المندوبيات المالية وقد شارك فيها فرحات عباس، وجرت يوم 6 فيفري 1938، وفاز فيها [553] وأصبح مندوبا ماليا.

أما مشروع بلوم – فيوليت فقد أهمل، وبقي حبرا على ورق " في 8 فيفري 1938 بقي مشـــروع بلـــوم – فيوليت بلا مناقشة في مكتب الجمعية الفرنسية، وأمام تهديد رؤساء البلديات بالاستقالة الجماعية في حالة مناقشة هذا المشروع استجابت حكومة بلوم لضغطهم وسحبت المشروع نهائيا." [554]

و أمام هذه السياسة الرافضة لأية إصلاحات لصالح الجزائريين المسلمين، كان على فرحات عباس أن يختـــار طريقا آخر حتى لا تتجاوزه الجماهير الشعبية، فعمل على تأسيس حزب " اتحاد الشعب الجزائـــري " لأن الحكومـــة الفرنسية رضخت لمطالب رؤساء بلديات الجزائر، وسحبت مشروع بلوم - فيوليت نهائيا." [555] و لم تنصت لمطالب الحركة الوطنية الجزائرية.

بينما صديقه الدكتور ابن جلول أسس حزب " التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري " [556] كل واحد منهما اتخذ طريقا رآه مناسبا لأفكاره و أحلامه، ففرحات عباس أصيب بخيبة أمل كبرى، و عرف المحتلين وحكومة باريس وبرلمانها على حقيقتهم. " إن فشل مشروع بلوم – فيوليت، استطاع أن يضع حدا نهائيا لسياسة الانـــدماج، وفـــتح الباب أمام الجزائريين للمطالبة بحقوق أخرى. " [557] وتيقن الاندماجيون بأن مطالبهم ذهبت في مهب الريح، وتأكد فرحات عباس من استحالة تحقيق سياسته الداعية إلى الاندماج، ورأى بعينيه كيف يتلاعب المحتلون، وحكومة فرنسا بمصالح الجزائريين المسلمين، ولو كانت مطالبهم بسيطة، لأنهم في نظرهم كلما منحوا شيئا للجزائريين طلبوا بـــأكثر منه، لذلك عملوا بكل قوة على غلق أبواب الإصلاحات بشدة.

---

[552] ibid.
[553] Jacques Bouveresse, op.cit, p : 891
[554] وليم ب . كواندت، المرجع السابق، ص: 55
[555] Jacques Bouveresse, op.cit,p :891
[556] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :91
[557] أجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص : 145

المبحث الخامس

موقفه من العلماء وحزب الشعب الجزائري

سنتعرض في هذا المبحث إلى قضيتين، الأولى موقف فرحات عباس من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الداعية إلى المحافظة على الهوية الوطنية، والثانية موقفه من حزب الشعب الجزائري (الثوري) الداعي إلى استقلال الجزائر. فإلى أي جهة يميل فرحات عباس ؟ وما هو التيار الأقرب إلى أفكاره ومشروعه السياسي ؟ هذا ما نريد معرفته في هذا المبحث.

موقفه من جمعية العلماء: عندما نتكلم عن جمعية العلماء المسلمين في هذه الفترة التاريخية، فإن الحديث في معظمه يخص الشيخ ابن باديس، فلولاه لما كان أثر لهذه الجمعية، بالرغم من وجود نادي الترقي بالعاصمة، وعمر إسماعيل الذي يذكر عنه توفيق المدني أنه من دعاة تأسيس جمعية العلماء المسلمين. [558] فالشخص الذي كان له تأثير كبير وفعال، والذي استطاع أن يجمع كلمة العلماء الجزائريين في جمعية واحدة هو الشيخ عبد الحميد بن باديس، فنشاطه تعدى كسر الواقع المفروض على الشعب الجزائري المسلم، الذي ساهم فيه الاحتلال، والقوى الخائنة الرجعية العميلة من طرقية، وقياد، وباشاغاوات، وغيرهم، وعاملا على تكوين جيل جزائري مسلم جديد ساهم كثيرا فيما بعد في إعطاء الثورة التحريرية دفعا صلبا وقويا، وإعادة بناء جزائر مستقلة ومرتبطة بالإسلام والعروبة. [559]

ويصف فرحات عباس الظروف التي جاء فيها عبد الحميد بن باديس في مدخل كتابه الشاب الجزائري، الذي أعاد طبعه سنة 1981 بقوله: " إن زعماء العرب و الأرستقراطية القبلية زالوا، والقبائل اندثرت، وانقسمت إلى دواوير صغيرة لتسهيل مراقبتها، عسكريا أولا، ومدنيا ثانيا.... وأصبحت هذه القبائل كغبار إنساني، هذا الغبار الإنساني اليائس بقي على قيد الحياة، الشيخ ابن باديس أحزنه زوال الشخصية الإسلامية، وهو الذي قال يوما (الشيخ ابن باديس): شعب يجمعه طبل، ويفرقه شرطي، إنه ليس بشعب." [560]

إن الشيخ ابن باديس آلمه أن يرى الشعب الجزائري المسلم خاضعا للقهر المسلط عليه من طرف إدارة الاحتلال، والجهل السائد في تلك الفترة، ونشاط الطرقية الضال العميل للاحتلال، والمشوه لحقيقة وجوهر الدين الإسلامي، ويقول فرحات عباس عنه: " الشيخ ابن باديس أحد كبار علماء الدين، دَرَّسَ في الجامع الأخضر بقسنطينة، وفسر القرآن الكريم في مدة 25 سنة، وترأس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي أسسها بمشاركة

---

[558] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 83

[559] الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 264

[560] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 132

الشيخ العقبي، وطالب الإبراهيمي، ومبارك الميلي، والعربي التبسي، وغيرهم، وفي المجال السياسي أجاز ربط الأمة (الجزائر المسلمة) بالأمة السياسية، ولهذا دعَّم مشروع بلوم– فيوليت سنة 1936، الذي يُسوي بين الجزائريين والفرنسيين مع احتفاظ الجزائريين بأحوالهم الشخصية الإسلامية." (561)

وقد صرح ابن باديس أثناء ذهابه إلى باريس كعضو في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي بقوله: " إنني مسرور بالإصلاحات التي وعدت بها حكومة بلوم." (562) ولكن لم تكن تلك غايته، إنما كان يطمح إلى أكثر بكثير من ذلك.

وعند التقائه في باريس مع الحاج مصالي صرح ابن باديس لمصالي حينما لامهم على سياسة الارتباط، وكان ذلك بحضور فرحات عباس: " إنها سياسية جديدة، ووسيلة تسمح للجزائريين للاستفادة من الحقوق الفرنسية." (563) ولكن ابن باديس تراجع فيما بعد عن موقفه الداعي إلى ربط الجزائر بفرنسا سياسيا، وانفصل عن المجموعة المساندة لمشروع بلوم – فيوليت، حينما تأكد بأن الاحتلال الفرنسي يرفض منح أية إصلاحات للجزائريين و أدى ذلك إلى حدوث خلاف بينه وبين الشيخ العقبي. (564) ونستطيع أن نقول أيضا أنه تراجع حينما أدرك خطورة ذلك المطلب، هذه هي طبيعة الشخصيات المثقفة، فإنها تَحْتكم للعقل و المنطق، وتتراجع بكل شجاعة عن آرائها الخاطئة خدمة للصالح العام.

لقد كان فرحات عباس معجبا كثيرا بشخصية عبد الحميد بن باديس حتى أنه وصفه بقوله:" يضيء وجهه نور كأنه نبي." (565) وهذا دليل قاطع على مدى تأثير شخصية ابن باديس على فرحات عباس بمظهره وخلقه وفكره و طريقته في التربية والإصلاح، وتكوين جيل جزائري جديد مسلح بالعلم والمعرفة وحب الوطن.

إن جمعية العلماء برئاسة شيخها جددت الإسلام والعروبة في الجزائر، وهذا ما كان يدافع عنه فرحات عباس، الذي بقي طوال حياته مرتبط بدينه وأصله، بالرغم أنه مثقف باللغة الفرنسية، حيث يقول: " إنني مرتبط جدا بالإسلام*." (566) والإسلام هو إحدى المقومات الأساسية للأمة الجزائرية.

---

(561) ibid.

(562) Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :79

(563) ibid. p : 81

(564) بنيامين ستورا، مصالي الحاج 1898-1974 رائد الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة صادق عماري، ومصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999 ص : 140

(565) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :133

* أدى فرحات عباس فريضة الحج سنة 1969، وكان ينصح أقاربه بأدائها، ففي سنة 1975 أرسل السيد عمرو معزة ابن خاله لأداء فريضة الحج على حسابه (كان هذا الشخص في مثل سنه)، وأن أموال الزكاة كان يرسلها كل سنة إلى أقاربه الفقراء، وقد بنى مصلى على حسابه الخاص كذلك سنة 1966 في منطقة بوحمدون، في مقبرة أجداده (هذه المنطقة تابعة لقبيلة بني عمران التي ينتمي إليها فرحات عباس وهي تابعة إلى بلدية الأمير عبد القادر حاليا دائرة الطاهير ولاية جيجل)

(566) Ferhat Abbas, l'indépendance confisquée, op.cit, p :19

لقد كان فرحات عباس يكره كثيرا إسلام الطرقية والمشعوذين، ويرى أنه عائق كبير أمام الإسلام الصحيح الذي يدعو إليه الدين الإسلامي، فهو يحث على طلب العلم وتحرير الإنسان من الجهل و العبودية، ويقول عن جمعية العلماء: " تأسست جمعية العلماء سنة 1931 برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وبمجموعة من النخبة المثقفة بالعربية... هدفها تجديد الإسلام، ومحاربة الطرقية العميلة للاحتلال، وتكوين الإطارات العربية، ولها جريدتان: الشهاب، و البصائر، وينشران فكر العلماء، إلى جانب فتح المئات من المدارس من أجل استعادة اللغة العربية، إنه الطريق الوحيد لإنقاذ الشعب العربي، وأن الثقافة الفرنسية يجب أن تكون مكملة للثقافة العربية، وأن تكون بابا يفتح لنا على التقنية والعلوم العصرية." (567) أي امتزاج الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية من أجل إلحاق الشعوب العربية الإسلامية بالركب الحضاري.

فجمعية العلماء أسعدت كثيرا فرحات عباس، لأنها جاءت حسبه لإعطاء الدين الإسلامي مفهومه الحقيقي، وتحرير الإنسان من العبودية والقهر وخلق إنسان حر مبدع، تلك هي حقيقة الإسلام التي يؤمن بها فرحات عباس، وهي بالفعل جوهر الدين الإسلامي الذي عمل الشيخ ابن باديس على إحيائه في الجزائر.

ويتساءل فرحات عباس عن الصلاة التي يؤديها المسلمون الجاهلون لدينهم وحقيقته، ففي نظره أنهم يقرؤون القرآن أثناء الصلاة وهم لا يفهمون شيئا مما يقولون، وليست تلك غاية الآيات القرآنية الكريمة، إنهم يعرفون شيئا ويعملون به وهو قتل إخوانهم في الدين، هذه هي طريقة الزوايا و الطرقية، مؤكدا أن الصلاة يجب أن تعطي المسلم فكرا حرا، فهؤلاء الجهلة الذين يدعون الدين في نظره هم أعداء الدين الإسلامي، الذي أرسله الله، ويقول عن ذلك الوضع: " لو رجع الرسول (ع) لقال: أمتي ماذا بقي لك من كلام الله؟ ماذا فعلت بقانون الاجتهاد والعمل ؟ والتي هي أساس سعادة الشعوب، أين ذهبت المساواة و الأخوة، وموعظتي في جبل عرفات ؟ ملوككم تحيط بهم الجاريات وهم في أيدي الأجانب كموميات قديمة، يكسوهم الذهب، وهم في حالة خزي، لأن إخوانهم المسلمين يعيشون في الفقر." (568)

إن معرفته و حبه للدين الإسلامي لم يكن عن طريق المدرسة الفرنسية اللائكية وإنما عن طريق عائلته، فوالده كان مخالطا للعلماء ومحبا لهم، وأمه من عائلة محافظة، كان يقوم أفراد عائلتها بتعليم القرآن الكريم والصلح بين المتخاصمين في قبيلتهم، وكانت أمه ترجع أسباب انهزام الجزائريين المسلمين أمام الكفار الغزاة بسبب إهمال الجزائريين المسلمين لدينهم الإسلامي، تعلم هذا وهو صغير قبل أن يدخل المدرسة. إن جمعية العلماء بالنسبة إليه تقوم بعمل عظيم من أجل نشر المعرفة، وفتح عقول الجزائريين المسلمين، ويرفض التهم التي توجه لهم، فكتب

---

(567) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit,p :126
(568) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit,pp :113,114

يقول: " كتب صحافيو فرنسا في جرائدهم الرسمية، إن العلماء المصلحين يرسلون أبناءهم للدراسة في الجامعات الفرنسية، وهم متأثرون بهذا الثقافة، تلك شهادة على مدى قدرة تجاوب هؤلاء العلماء مع الحضارة الغربية، فمعرفتهم العلمية، ونهضتهم الاجتماعية، تجعلهم مدافعين ومحترمين لحقوق الإنسان، والحريات الفردية، وبهذا سوف يقومون بدورهم جيدا في تطبيق التعاليم التي جاء بها الإسلام." [569]

ويستشهد فرحات عباس بحديث الرسول (ε): " ابحثوا* عن العلم ولو في الصين"، " ابحثوا عن العلم ولو عند الكفار" [570] وكما رأينا فيما سبق أن الشيخ عبد الحميد بن باديس حينما عاب على فرحات عباس ذلك المقال الذي ينكر فيه وجود أمة جزائرية، تريث فرحات عباس، و لم يتسرع ضد العلماء خاصة منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، لأنه كان يعلم بأنه شخصية دينية محترمة هدفها تحرير الشعب الجزائري من الخرافات، والشعوذة، وربطه بهويته، التي هي أساس تحرر وتقدم الشعوب.

لقد كان هناك تفاهم وتنسيق بين فرحات عباس وجمعية العلماء، ففي سنة 1943 وقفوا إلى جانب البيان، وفي سنة 1944 دعموا حركة أحباب البيان، وفي سنة 1946 ساعدوا فكرة الجمهورية الجزائرية. [571] فالعلماء رأوا فيه الحكمة والحنكة السياسية، و التعقل لذلك ساندوه ويقول عنهم: " إنهم دليلي الروحي." [572] ويقول عن الإسلام إنه " وطني الروحي " [753] ويضيف قائلا: " الإسلام هو ثقافة الأسرة التي هي الخلية الأساسية في المجتمع، الإسلام هو الديمقراطية، المدعمة بالثقافة، والعالم الديني هو ذاك النبيل العبقري، إنه الرجل السامي." [754]

هذه هي رؤيته للشيخ ابن باديس والعلماء المخلصين لدينهم وأمتهم، فقد رأى فيهم أملا كبيرا للنهوض بالجزائريين المسلمين عن طريق نشر وتعليم تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، فالسلم والأمن حسبه لا يطبق من خلال المبادئ الديمقراطية وحدها فقط، يجب أن يكون مدعما أساسا بالدين، فالعدالة الاجتماعية يجب أن تدعم بمفهوم ديني، ففي نظره أن العقلانية والدين مرتبطان ببعضهما، لكن يجب أن يكون هناك فصل بين السياسة والدين، وهذا يتفق مع الشيخ ابن باديس، الذي دعا فرنسا إلى عدم التدخل في الدين الإسلامي، وترك أموره للمسلمين. [575]

ولنعد إلى القضية الثانية، وهي موقف فرحات عباس من حزب الشعب الجزائري. فرحات عباس تقريبا له نفس سن مصالي الحاج (اسمه الحقيقي أحمد مسلي). [576] ولد مصالي الحاج يوم 16 ماي 1898 من عائلة

---

[569] Ferhat Abbas, Autopsie d ’une guerre, op.cit , p p :16,17

* ابحثوا عن العلم ولو في الصين ورد في الحديث: أطلبوا العلم ولو في الصين. أما ابحثوا عن العلم ولو عند الكفار فقد ورد في الحديث: الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها.

[570] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit,p : 20
[571] ibid. p : 20
[572] Ferhat Abbas, l’indépendance confisquée,op.cit,p : 126
[573] Ferhat Abbas, le jeune Algérien,op.cit,p : 27
[574] ibid. p : 94
[575] Guy Pervillé, op.cit,p : 130
[576] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :82

كرغلية والده ولد في وَجْدَة بالمغرب الأقصى. [577] وهو ينتمي إلى عائلة فقيرة، وعاش وسط الفقر والحرمان، والده كان حارسا ليليا في مدينة تلمسان، ويروي مصالي الحاج عن حادثة أثرت فيه كثيرا، أوردها بنيامين سطورا في كتابه مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية، عندما عاد والده من حراسته الليلية في يوم بارد حيث قال أمام ابنـــه الصـــغير مصالي الحاج: " عندما أفكر في أنه يجب حراسة أولئك الذين سرقوا بلادنا..." [578]

إن هذه الكلمة " سرقة بلادنا " كان لها وقْع كبير على نفسية مصالي الحاج، وفهم أن الاحتلال الفرنســـي سرق بلادنا من أهلها الشرعيين، كان ذلك بمثابة بداية التفكير الفعلي لتحرير الجزائر من المحتلين، و ضرورة اللجـــوء إلى الكفاح المسلح [579] (الثوري).

لقد تبنى مصالي الحاج الراديكالية منذ طفولته وكراهيته للاحتلال الفرنسي، وضرورة استعمال العنف ضده، ولذلك اختار الاتجاه الاستقلالي منذ بداية نشاطه السياسي. [580] فهو لم يتعلم كيفية تحرير الجزائر من الاحتلال عن طريق المدرسة، وإنما تعلم ذلك من الواقع الذي فرضه المحتلون على الشعب الجزائري.

التقى فرحات عباس بمصالي الحاج لأول مرة سنة 1930 عندما عاد من بروكسيل لتمثيل الطلبـــة، وذلـــك بشارع السيد لوبرانس (Monsieur le prince) بباريس، في مقهى يديره أحمد بلغول - صديق مصالي- ودار بينـــهما نقاش ودي حول مستقبل الجزائر. [581] فاشترك فرحات عباس في جريدة النجم باستمرار منذ ذلك الوقت إلى ســـنة 1936، وتبادل الرسائل مع مصالي الحاج. [582]

لا يُرجِّع فرحات عباس بداية ظهور الحركة الوطنية ذات الاتجاه الاستقلالي لمصالي الحاج، كما يتفق في ذلك معظم المؤرخين الذين كتبوا عن الحركة الوطنية، ولكن يرجعها إلى الأمير خالد سنة 1924، حينما عقد ندوة بباريس حضرها عمال شمال إفريقيا وتعالت الأصوات فيها منادية بـــ " تحيا أفريقيا الشمالية مستقلة" [583] وكانت تلك البداية الأولى لظهور الاتجاه الاستقلالي في الحركة الوطنية، ويقول فرحات عباس بعد ذلك، في منتصـــف ســـبتمبر 1924 تأسس نجم شمال إفريقيا بباريس، لأهداف اجتماعية، تتمثل في الدفاع عن مصالح عمال شمال إفريقيا في فرنسا، ولكن من وراء تلك الواجهة توجد حقيقة النجم، وهي العمل على استقلال بلدان شمال إفريقيا. [584]

---

[577] نفس المرجع، ص : 19
[578] نفس المرجع، ص : 20
[579] نفس المرجع والصفحة

[580] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit,p :82
[581] ibid.

[582] نفس المرجع، ص : 101

[583] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :135
[584] ibid. p : 136

ويضيف فرحات عباس بأن أول رئيس لنجم شمال أفريقا هو: سي محمد جفال، ويصفه بالشرف والشجاعة.[585] أما مكتب النجم فضم، حاج عبد القادر، وأحمد بلغول، و مصالي الحاج.[586]

أما مصالي الحاج فكان عضوا في المكتب التنفيذي، وأحمد بلغول، مكلف بالاتصال مع الأمير خالد.[587] في سنة 1926 استقال سي محمد جفال من رئاسة النجم، فتولاها أحمد بلغول، وفي شهر أوث 1926 اعتقل في بلدة الحمام (بوحجر) بالجزائر، فتولى رئاسة النجم مصالي الحاج.[588]

لقد حل النجم سنة 1929 تحت تأثير فيدرالية رؤساء بلديات الجزائر (العنصريون)، ونواب الاحتلال، وسجن الحاج مصالي من 1933 إلى 1935، وأصبح مهددا بالسجن مرة أخرى بسبب نشاطه السري، فانتقل إلى جنيف وفيها التقى بـ " شكيب أرسلان " المناضل من أجل القومية العربية.[589] وهذا اللقاء بينهما قد حول الحاج مصالي إلى مناضل من أجل القومية العربية، والاعتماد على مساندة العالم العربي الإسلامي له.[590] أما استعماله للدين الإسلامي فكان لأهداف سياسية،[591] ومتأثرا بذلك بالحركة الدينية التي ظهرت في المغرب عن طريق جامعة القرويين، وبتونس عن طريق جامعة الزيتونة، وبالجزائر عن طريق ابن باديس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " هذه الحركات كان لها تأثير كبير على الفكر السياسي لمصالي الحاج.[592] الذي أصبح يستعمل الدين الإسلامي من أجل كسب أكبر عدد من المناضلين لتحقيق غرضه السياسي، لأنه عرف بأن إهماله للدين الإسلامي في مشروعه السياسي لا يسمح له بالنفوذ في أوساط العامة من الجزائريين المسلمين، لأن المحرك الأساسي لكل المقاومات التي ظهرت ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر، كان الدين الإسلامي محركا أساسيا هاما لها.

وبوصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا سمحت لمصالي الحاج بالعودة إلى فرنسا، ومنها إلى الجزائر، حيث استطاع أن يشارك اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي عند تقديمها لتقريرها بعد عودتها من فرنسا، وذلك بالملعب البلدي بالعناصر – الجزائر – يوم 2 أوث 1936، وأخذ الكلمة باسم الوطنيين الجزائريين، معارضا في ذلك برنامج بلوم- فيوليت، ومطالب المؤتمر الإسلامي، خاصة المطلب السياسي المتعلق بربط الجزائر بفرنسا.[593]

وقد اتهمت جريدة الأمة الناطقة باسم النجم، فرحات عباس والدكتور ابن جلول بالعمل من أجل مصلحتهما الشخصية، وهما في نظرها من جماعة بني وي- وي[594] مضيفة بأن فرحات عباس يريد تطبيق

---

(585) ibid.
(586) ibid.

(587) أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، ج 1، م.و.ك، الجزائر 1986، ص : 95
(588) نفس المرجع والصفحة.

(589) ibid. p : 136

(590) بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 130
(591) نفس المرجع.
(592) نفس المرجع. ص ص : 103-104

(593) ibid. p : 137
(594) Jacques Bouveresse, op.cit, p : 882

مشروع بلوم - فيوليت في الجزائر الذي يمنح الجنسية لــ 5000 مسلما جزائريا فقط، والسماح لهـــم بالـــدخول في المواطنة الفرنسية، أما 6 ملايين جزائري مسلم لا تهم فرحات عباس وأمثاله من النخبة، وفيدرالية المنتخبين المسلمين.[595] وهذا كذب و زور ضد شخصية فرحات عباس، ففي كتابه الشاب الجزائري يقول عن التجنس الفردي* مـــا يلي: " إن التجنس الفردي ليس حلا، فلماذا يتجنس جزائري؟ أمن أجل أن يكون فرنسيا ؟ فهو كـــذلك مـــادام أن الجزائر أرض فرنسية، هل من أجل التمتع بالقوانين الفرنسية، والهروب من القوانين الاستثنائية ؟ إنها رغبـــة شـــرعية بدون شك، ولكنها لا تغير من وضعية الجزائريين المسلمين، فإعطاء الجنسية لطبقة دون العامة، تؤدي إلى خلق فوضى اجتماعية، وتقسيم الوطن، إننا نريد أن نرفع هذا الوطن إلى مرتبة أعلى وليس تقسيمه."[596] أكره شيء عند فرحات عباس هو الكذب، ففي نظره لا يمكن أبدا بناء أمة على أسس كاذبة، فالسياسية عنده أخلاق والتـــزام، فالانـــدماج الذي دعا إليه لم يكن أبدا يعني النخب البرجوازية دون عامة الناس، وذلك كما كان يريده الاحتلال من أجل سلخ النخبة عن العامة، فهذه التهم كانت توجه ضده من أجل كسب الفئات الشعبية البسيطة، عن طريق النفاق، ولـــيس عن طريق الإقناع الذي كان أسلوب فرحات عباس في كسب الأنصار، أو أسلوب جمعية العلماء الذي ركز علـــى تربية الفرد أولا تربية إسلامية وطنية سليمة.

فهذه الأساليب التي كان يستعملها النجم مرفوضة عند فرحات عباس، حيث يقول: " إن الدولة، والأمـــة، والمجتمع، والقوانين لا ترتجل، ولا تنقل من الجار، إنها تخرج من عمق الشعب كما يخرج الطفل من بطن أمه، الثقافة، والأرض، وطبيعة الإنسان هي التي تصنع مؤسسات دولة." [597]

لقد كان حزب الشعب الجزائري ينشر عن فرحات عباس أفكارا خاطئة وأكاذيب من أجل كسب العامة من الشعب الجزائري، ولو على أساس غير سليم.

" أخذ النجم وحزب الشعب بأسلوب عمل يمكن وصفه ((بالغوغائية))، من أجل إثارة الحماس الـــوطني في الأوساط العمالية، وتأكيد النضج السياسي." [598] فله إيجابيات منها رفضه لمشروع بلوم- فيوليت، ودفاعـــه عـــن القومية الجزائرية، وسلبياته تتمثل في رفض مصالي الحاج قيام وحدة مع الحركة الوطنية في تلك الفترة، لأنه كان خائفا من الزعامة أن تفلت منه، [599] وتنتقل إلى غيره من المثقفين المعتدلين أمثال فرحات عباس وغيره.

---

[595] ibid.

* رفض فرحات عباس وكل أفراد عائلته من والده القايد، وأخيه عمار الذي خلف والده في منصبه، وأخوه أحمد الذي كان موظفا في بلدية الطاهير، وكذلك أخيه الصغير محمد الصالح، وأخوال فرحات عباس، ومنهم: معزة أحمد بن محمد الذي كان مستشارا في بلدية ستراسبورغ، الكاملة السلطات (الأمير عبد القادر حاليا)، ومالكين للأراضي بهذه البلدية، تقديم حتى طلب التجنس، بالجنسية الفرنسية، برغم أن قانون 1865 وقانون 1919 يسمح لهم بها.

[596] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :112

[597] Ferhat Abbas, autopsie d’une guerre op.cit, p :22

[598] عبد الحميد زوزو، المجلة التاريخية المغربية، عدد 5، جانفي 1976، تونس، ص ص: 46

[599] نفس المرجع، ص ص : 46 - 47

ويعبر فرحات عباس عن تلك الأساليب بقوله: " بالفعل، حزب الشعب الجزائري يستعمل الأكاذيب، مثل الاحتلال الفرنسي الذي يستعمل السوط." [600] فالكذب عند فرحات عباس لا يختلف عن السوط، فكلاهما عنده أسلوبان من أساليب القهر، ويهدفان إلى استغلال الإنسان بطرق غير شريفة، ولكن أثناء القبض على مصالي الحاج يوم 27 أوث 1937 مع بعض أنصاره، والحكم عليه بسنتين سجنا نافذا، استنكر فرحات عباس ذلك واعتبره تعدي على حقوق الإنسان وحرية الاجتماعات والرأي، وشبهها بطريقة الدكتاتوريين أمثال هتلر و موسوليني، [601] فهو يكره أساليب الكذب التي كان ينشرها حزب الشعب، ولكن عندما سجن مصالي الحاج، رفض واحتج، و لم يهلل لذلك أو يستغل الفرصة للانتقام من مصالي الحاج وتقديم الشكر للجلادين، فحرية الرأي والتعبير عنده جزء لا يتجزأ من كرامة الإنسان.

فرحات عباس سياسي، مثقف، صريح في أقواله، وأفعاله، يرفض أن يستعمل الأساليب الدنيئة لتحقيق مشروعه السياسي، فهو ليس ميكيافلي، ولا يؤمن بنظرية (الغاية تبرر الوسيلة)، لذلك كان متفقا مع أسلوب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في طريقة العمل التربوي الإصلاحي، ويعلق على حزب الشعب في مذكراته بقوله: " حزب الشعب الجزائري، إنه ليس بحزب سياسي متفتح على الحوار، فهو بالأحرى طائفة سياسية دينية حاملة، لروح الزوايا، وتضامن الماسونية، وسلوك الستالينية." [602] ولكنه استطاع تجنيد الشعب الجزائري وراءه في تلك الفترة، وربما يظهر بأن ذلك الأسلوب هو الأنجع مع شعب غلب عليه الجهل والخرافات والقهر.

فحزب الشعب في نظره عاش في صراع مستمر من أجل الزعامة، وبقي هذا الصراع حتى أثناء الثورة التحررية، وما بعدها. [603] صراع في معظمه مبني على الكذب وإلصاق التهم الكاذبة بالناس، ويروي حادثة وقعت له أثناء انضمامه إلى الثورة مع أحد قدامى مناضلي حزب الشعب، العقيد أوعمران، سنة 1956 بالقاهرة، حيث قال له هذا الأخير: " لاحظتك، ولكنك حيَّرتني كثيرا، إنك لا تدخن، ولا تشرب الخمر، وتحترم الدين، رؤساؤنا قالوا لنا إنك (M'tourni) تأكل لحم الختزير، وتشرب الخمر، ولا تصوم رمضان، أنهم كذبوا علينا." [604]

إن فرحات عباس رجل نزيه ومتسامح، ولا يحمل الحقد لأحد، حيث يقول عن حزب الشعب ورئيسه مصالي الحاج:" من واجبنا أن نسامحه، لأن المهمة التي كان يحملها ثقيلة، ومملوءة بالأخطار." [605]

تميزت فترة الثلاثينات من القرن الماضي بظهور ثلاثة وجوه جزائرية صنعوا الحركة الوطنية الجزائرية،

---

[600] Ferhat Abbas, L'indépendance confisquée, op.cit, p :43
[601] Ferhat Abbas, éditorial de L'entente Franco - musulmane, N°36 du 02septembre 1937
[602] Ferhat Abbas, L'indépendance confisquée, op.cit, p p :43- 44
[603] ibid. p : 44
[604] ibid. p : 43
[605] ibid.

كانوا مشتركين في الغاية، ومختلفين في الأساليب، مصالي الحاج رجل من الغرب الجزائري، من عائلة فقيرة، يميل لحل قضية الاحتلال بالطرق الراديكالية، تكوينه عصامي، ينقصه التنظير، رجل متحمس وشجاع، وعملي، لذلك كان فكره السياسي قريب جدا من فكر البسطاء من الشعب الجزائري الذين جعلهم الاحتلال متطرفين في فكرهم، ميالين للعنف متى سنحت الظروف ضد حكام محتلين متطرفين متجبرين، همهم بطونهم و لا نظرة مستقبلية لهم، تطرف الحاكم الظالم، يُولد مباشرة تطرف المحكوم المظلوم، ورجلان من الشرق الجزائري، عاشا في عائلتين ميسورتين، والديهما موظفان في إدارة الاحتلال، هما فرحات عباس، والشيخ عبد الحميد بن باديس.

إن فرحات عباس أقرب في فكره السياسي المعتدل المبني على العقل والمنطق والمراحل، إلى سياسية وفكر الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان يعلق آمالا كبيرة على النشء الصاعد بعد تكوينه، وتثقيفه دينيا أولا، وسياسيا ثانيا للقيام بواجبه عن إدراك ووعي، وفرحات عباس كان هو الآخر يريد أولا أن يكسب الشعب الجزائري العلم والثقافة، لأنها في نظره أقوى سلاح يملكه الشعب، وبواسطته يستطيع أن يصل إلى طريق التحرر المبني على أسس متينة وسليمة.

ثلاث رجال ضحوا بشبابهم وحياتهم كلها من أجل تحرير الإنسان الجزائري من الاحتلال، والجهل، إن فرحات عباس عرف كيف يوفق بين الأصالة و العصرنة، منهجيته كانت سلمية إصلاحية عقلانية مشابهة لمنهجية عبد الحميد بن باديس في كثير من النواحي، يتفق مع الشيخ ابن باديس في جوهر الإسلام الحقيقي الذي يقوم على العدل، والإنسانية، والحرية، و العلم، والديمقراطية، وفرحات عباس رجل سياسي يكره استعمال الكذب في عمله مثله مثل الشيخ ابن باديس، يعرف كيف يصحح أخطاءه بكل شجاعة وعقلانية، فالخطأ عنده إذا لم يصحح بالحقيقة يتحول إلى رذيلة تلتصق بالشخص.

أما مصالي الحاج فكان فكره السياسي أقرب إلى فكر العامة في بساطته وتحليله للوقائع والأحداث، وميله إلى الاتجاه الراديكالي، وعدم اعترافه بسياسة المراحل.

ونستطيع أن نقول بأن هؤلاء الرجال الثلاثة عبروا عن حقيقة الاتجاهات السياسية التي سادت المجتمع الجزائري في فترتهم.

كان فرحات عباس زعيم النخبة الجزائرية، وممثل الطبقة الوسطى والمعبر عن الفكر السياسي للمثقفين الجزائريين المتأثرين بالثقافة الفرنسية و ديمقراطيتها وعلومها والهادف إلى جعل الإنسان الجزائري جزءا من إنسان الشعوب الحرة كفرنسا التي لم يستطع أن يعلن انفصاله عنها في هذه الفترة نظرا لتأثره بها، ونبذه لأسلوب ملوك العرب المسلمين في ممارسة حكمهم وقهرهم لشعوبهم، وسوء استغلالهم للدين الإسلامي الحنيف من أجل فرض ديكتاتوريتهم، وتركهم لشعوبهم في الجهل والتخلف.

والشيخ عبد الحميد بن باديس المعبر عن عمق وجوهر و أصالة الأمة الجزائرية والمدافع عنها، والهـــادف إلى تكوين إنسان جزائري مسلم حر مسلح بالدين و العلم، هذا الإنسان بطبيعة الحال يــرفض أن يعــيش تحـــت نــير الاحتلال.

أما مصالي الحاج فهو زعيم العامة والتي تكوّن الأغلبية من الشعب الجزائري، المدافع عن تخليصهم من القهـــر والاستغلال، والمعبر عن آمال الجزائريين في الاستقلال، فأسلوبه يختلف عن أسلوب فرحات عباس، والشـــيخ عبـــد الحميد بن باديس، فهو لم يكن يهتم بالتكوين والتربية إنما كان يهتم بجلب المناضلين إلى حزبه، وإعـــدادهم لليـــوم الموعود (الذي رفض المشاركة فيه حينما وصل) ولطالما حلم بذلك اليوم.

ولكن أهداف هؤلاء الزعماء الوطنيين كانت شريفة، و لم يكن عملهم ونضالهم من أجل مصالحهم الشخصية، وإنما من أجل مصلحة الجزائر كلها، ولقد استطاع فرحات عباس الزعيم السياسي أن يلتحق بـــالثورة التحريريـــة، ويساهم بذلك مساهمة فعالة في تحرير الجزائر من الاحتلال، بينما الجيل الذي كونه الشيخ ابن باديس أعطى دفعا قويا للثورة عندما أعلنت جمعية العلماء المسلمين انضمامها إلى الثورة التحريرية.

المبحث السادس

تأسيسه لحزب " إتحاد الشعب الجزائري "

نتناول في هذا المبحث الأسباب التي دفعت فرحات عباس إلى التخلي عن فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين وتأسيسه لحزب " إتحاد الشعب الجزائري "، هل كان يريد من ذلك البحث عن الزعامة ؟ أم كانت له أغراض غير ذلك ؟

إن رفض مشروع بلوم – فيوليت، من طرف البرلمان الفرنسي كان ضربة قاسية تلقاها فرحات عباس من فرنسا و لسياسته الاندماجية، وأمام هذا الفشل الذريع لسياسته التي ناضل من أجلها قرابة عشرين سنة، والتي انتهت بهزيمته، و لم تعد فرنسا وطنه، لأنها رفضت العامة من الشعب الجزائري الارتباط بها، فكان عليه أن يعيد تصحيح موقفه تجاه سياسة الاندماج.

إن فشل مشروع بلوم - فيوليت أرغم فرحات عباس على الخروج من تحفظه وتراجعه عن دعوته " من المحتلة إلى المقاطعة "، فقد نشر في افتتاحية جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي الصادرتين يوم 16 و 23 ديسمبر 1937 مقالين بعنوان: " نحو حزب سياسي، اتحاد الشعب الجزائري، من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان، والمواطنة. " [(606)] لأنه رأى بأن الطريق الصحيح يتمثل في تأسيس حزب سياسي حامل لمشروعه.

لقد كان المحتلون ينظرون إلى مشروع بلوم – فيوليت أنه خطر عليهم، وأن إمتيازاتهم سوف تنتهي بالجزائر بعد تطبيقه، لأنه يمنح الجنسية الفرنسية لحوالي 20 ألف أو 25 ألف جزائري كمرحلة أولى، وبالتالي يصبح تأثير الجزائريون كبيرا في المجالس النيابية، وهذه هي الطريقة التي كان يبحث عنها فرحات عباس من خلال مطالبته بالاندماج كخطوة أولى نحو استقلال الجزائر، فلقد " دلت الحوادث المتوالية بعد ذلك، خاصة بعد قيام ثورة أول نوفمبر1954، على صدق ما كان يدعيه من أن سياسة المساواة والإدماج، مع تقدم وعي الجماهير الشعبية في الميدان الاجتماعي، والاقتصادي ستؤدي إلى استقلال الجزائر." [(607)] بدون اللجوء إلى استعمال العنف أو سفك الدماء، فتعليم الجماهير الجزائرية ونشر الوعي في أوساطها يؤدي بدون شك إلى زوال الاحتلال، لأن الإنسان المتعلم، تصبح إمكانية استعباده صعبة، وفي أكثر الأحيان مستحيلة، ولن تكون لهذا القابلية للاحتلال.

فاختلف مع صديقه ورفيق دربه الدكتور محمد الصالح بن جلول، حينما رآه بأنه مازال متساهلا مع المحتلين وفرنسا ومنتظرا تحقيق سياسة الاندماج، فأعلن فرحات عباس عن تأسيس حزب (إتحاد الشعب الجزائري) يوم 28 جويلية 1938. [(608)] منفصلا بذلك عن ابن جلول الذي أسس هو الآخر حزب (التجمع الفرنسي –

(606) Jacques Bouveresse,op.cit,p :891

(607) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص : 55

(608) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :91

الإسلامي الجزائري) بعد ثلاثة أيام من تأسيس فرحات عباس لحزبه. [609]

هل كان تأسيس ابن جلول لحزبه منافسة فرحات عباس على أرض الميدان، بسبب اختلافهما حول سياسة الاندماج، التي عملا معا من أجل تطبيقها ؟ أم كان باحثا هو الأخر عن الزعامة الشخصية ؟ على كل حال إن تأثير حزب ابن جلول كان ضعيفا، ويكاد وجوده يقتصر على ملفه الذي قدمه لولاية قسنطينة.

وفي نفس اليوم الذي أسس فيه فرحات عباس حزبه (اتحاد الشعب الجزائري) نشر نداء في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي يدعو فيه كل المناضلين المسلمين من أجل القضية الجزائرية سواء كانوا من الشبان الجزائريين أو النواب أو اشتراكيين أو شيوعيين أو علماء أو فلاحين أو تجار، الانخراط في حزبه حتى يكون حزبا قويا بإمكانه مواجهة، قوة الاحتلال. [610] حيث يتطلب ذلك تضافر جهود جميع الجزائريين للوقوف أمام الاحتلال كتلة واحدة.

أما شعار حزبه فهو (من الشعب وإلى الشعب*). [611] في نظره أن حزبا منفصلا عن القوة الحية في الوطن لا يستطيع أن يواجه قوة المحتلين، فإتحاد النخبة مع الشعب يكون قوة فعالة ضد أصحاب المصالح من المحتلين والقياد، والباشاغوات، وشيوخ الزوايا، الذين وقفوا ضد الإصلاحات لصالح الجزائريين المسلمين، فثقته في هذه الفئة منعدمة حيث يقول: " لكي ننتصر يجب أن تعتمد على الشعب، الأسواق، المقاهي والأكواخ هي ميادين مقاومة." [612] وقد لخص أهداف ومبادئ حزبه على بطاقات الانخراط، وهي:

- المساواة والحرية السياسية.
- الخبز.
- الأجر الأدنى.
- التعليم باللغة العربية.
- تكوين الشباب المسلم.
- حرية الديانة.
- الصحة الاجتماعية.
- الأخوة الإنسانية.
- ضد الإمبريالية. [613]

أما برنامج حزبه، فقد ركز فيه على الإصلاحات الخاصة بالمجتمع الريفي الذي بقي تحت الظلم والفقر

---

[609] ibid.
[610] Mahfoud Kaddache, histoire du nationalisme Algérien, T2, p p :582, 583
* هذا الشعار تبنته جريدة المجاهد التي أسستها جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة التحريرية.
[611] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :91
[612] Ageron,C. R, in revue d'histoire Maghrébine, N°4 du juillet 1975, Tunis, p :125
[613] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 92

ومما جاء فيه:

-تحويل الدواوير إلى مجالس بلدية، تكون تحت إدارة جماعة منتخبة منه.

-إنشاء ملكيات زراعية صغيرة مقسمة بين الأهالي، وقدماء المحاربين، وتؤخذ من أملاك الدولة.

-تحديد حد أدنى للأجور يكفل معيشة العمال.

-المحافظة على الملكية الفلاحية الصغيرة لدى الأهالي، وتوقيف احتلال الأراضي من طرف المحتلين، وذلك لضمان بقاء الفلاحين مرتبطين بأرضهم.

-منح قروض فلاحية للفلاحين.

-إعادة تنظيم ديوان الحبوب.

-إلغاء قانون استغلال الغابات. [614]

ولقد ركز كثيرا في برنامجه الحزبي على الجانب الاجتماعي الريفي، لأنه عاش وسط بيئة فلاحية فقيرة * وهو يختلف بذلك عن مصالي الحاج الذي ولد في حي شعبي بتلمسان، و لم يخالط الفلاحين، وإنما خالط البروليتاريا العمالية في باريس، فيقول عن فرحات عباس أنه عرفه سنة 1930 حينما عاد من بروكسيل، ويعرف تاريخ نجم شمال إفريقيا، وشارك في جريدة الأمة التي كانت تصله إلى سطيف. [615] وقال فرحات عباس عن مصالي الحاج: " تكلمت مع مصالي، وكانت رؤيتنا مختلفة، هو يرى الجزائر من خلال جو باريس، وقوانينها التي تحمي الحريات، وأنا أرى الجزائر من خلال الدوار الذي ولدت فيه، والبلديات المختلطة، وأرض الجنوب، أعرف ثقل القوانين الاستثنائية المفروضة على بني عافر، وأمثالهم. " [616]ففي بداية 1939 كثر من جولاته داخل الجزائر من أجل تشكيل فروع لحزبه، معتمدا على الفئة الشبانية المثقفة، مدافعا عن الحريات الفردية، وتعليم اللغة العربية، ومنتقدا الإمبريالية الكولونيالية، ومطالبا بحرية العبادة ومنع تدخل سلطات الاحتلال فيها، وكان بذلك قريبا جدا من مطالب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. [617] ورافضا ذكر سياسية الاندماج نهائيا، ومنتقدا النخبة التي مازالت تطالب بها، وكان يكتب في ورقة الاستعلامات التي تقدمها الفنادق لنزلائها في خانة الجنسية: " نصف فرنسي " [618] وذلك استهزاء منه بالقوانين الفرنسية، ففكره السياسي تجاوز كثيرا النخبة الجزائرية المفرنسة، وكذلك أغلبية السياسيين الجزائريين المسلمين الذين عرفتهم الحركة الوطنية، وكانت سلطات الاحتلال في الجزائر تنظر إليه على أساس أنه سياسي خطير يعرف كيف يناور، وطالب المحتلون ووكيل النيابة في سطيف باعتقال فرحات عباس، بسبب سياسته المعادية، للمحتلين ، وراسل

[614] Ferhat Abbas,(brochure) Pourquoi créons-nous l'union populaire Algérienne,Alger,1938,

* دوار بني عافر الجبلي، حيث نشأ وترعرع فيه فرحات عباس، تتميز هذه المنطقة الفلاحية بالفقر، وكرم وشجاعة سكانها.

[615] Ferhat Abbas, autopsie d'une guerre,op.cit,p :59

[616] ibid.

[617] Ageron, C. R, in revue d'histoire maghrébine, op.cit, p :126

[618] ibid

الحاكم العام للسماح له بذلك، ولكن جاءه الرفض من الحاكم العام يوم 3 سبتمبر 1937 مبررا عدم اعتقاله بالشعبية الواسعة التي يتمتع بها فرحات عباس في الأوساط الشعبية، والتي ستؤدي بدون شك إلى إحداث اضطرابات. [619]

ولكنه بقي متأثرا و مرتبطا بالأفكار الديمقراطية الغربية، حيث يرى أن الديمقراطية الغربية، هي تحرر للإنسان من ظلم الحكام وتختلف عن دكتاتورية حكم ملوك العرب، لذلك ألح على ضرورة بقاء الشعب الجزائري حرا ولكن في إطار الوحدة الفرنسية، وليس الوحدة القومية العربية، التي تأثر بها مصالي الحاج.

فقد كتب في كتيبه " لماذا أسسنا حزب إتحاد الشعب الجزائري " ما يلي: " أحسن وسيلة لتطوير بلادنا هي مساعدة الفلاحين، منذ 108 سنوات الجزائريون المسلمون لم تصلهم أية مساعدة، ورفضوا كل الأعمال الوحشية للغزو الفرنسي لبلادهم، ولكنهم قابلون بأن يعيشوا أحرارا في إطار الوحدة الفرنسية... فهما كَيَدَينِ (فرنسا و الجزائر) مرتبطين مع بعضهما فوق بحيرة البحر المتوسط إنهما رمزان للتطور و المستقبل السعيد." [620]

يلح فرحات عباس على بقاء الجزائر مرتبطة بالغرب فالشرق في نظره رمز للقهر، والعبودية، واستقلاله كان إذلالا للفئات الشعبية البسيطة، وإهانة لها من طرف ملوكهم، وأمرائهم، حيث يقول: " بقدر ما أحس بأنني شرقي بفعل الدين الإسلامي، وتسامحه، وإيماني به، بقدر ما أكره الشرق السياسي، إنه شرق الملوك، والأمراء، والدسائس، والقهر، والاستبداد. " [621] هل كان فرحات عباس محقا في رأيه هذا ؟ أم متناقضا مع نفسه ؟ فهو يرى بأن العلم هو المرحلة الأولى للتحرر، ولذلك كان يلح على سلطات الاحتلال في الجزائر على نشر العلم فالشعوب العربية في تلك الفترة التاريخية كان يغلب عليها الجهل والأمية، والجاهل الأمي في أي مكان لا يهاب إلا من العصا، ومنحه الحرية والديمقراطية جريمة في حقه، فالديمقراطية كالاستقلال تؤخذ ولا تعطى، فوعي الجماهير هي التي تفرض الديمقراطية، وما على الحكام إلا الخضوع لرغبات الجماهير الواعية من شعوبهم، ويظهر من ذلك أن فرحات عباس كانت تنقصه الدراسة السوسيولوجية للأمة العربية فوصول أي فرد للحكم خارج عن الإرادة الشعبية (الانتخابات النظيفة) الواعية يكون بالضرورة ديكتاتوريا.

توقف فرحات عباس في هذه الفترة عن طلب التجنس الجماعي للشعب الجزائري نهائيا، ربما يكون قد استجاب للفتوى التي أصدرها الشيخ ابن باديس يوم 10 أوث 1937، حيث حرم فيها التجنس، معتبرا أن كل متجنس جزائري مسلم حرام، وردة عن الإسلام. [622]

طلب فرحات عباس في خريف 1938 مقابلة رئيس الجمهورية الفرنسية " ألبير لوبرون " (Albert Lebrun) - وتم له ذلك- حيث طلب منه فرحات عباس السماح للجزائريين بالمشاركة في البرلمان الفرنسي

[619] ibid. p : 125
[620] Ferhat Abbas, U.P.A (brochure)
[621] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 583
[622] Claude Collot, op.cit, p :126

فأجابه رئيس الجمهورية بقوله: " يا سيدي، لا أريد مشاركة المسلمين في البرلمان الفرنسي، اليوم الجزائر، ثم المغرب، ثم تونس، وفيما بعد الكل، ويصبح الفرنسيون أقلية فيه." [623] عاد خائبا إلى الجزائر، و لم يجن شيئا من مقابلته مع رئيس الجمهورية الفرنسية أو مع وزرائه، ورجع آملا من الشعب الجزائري أن يجعل منه قوة ضاغطة ومنظمة، في إطار حزب " إتحاد الشعب الجزائري " ففي سنة 1939 استطاع، أن يكوِّن عدة فروع له، وكل فرع يضم أكثر من 50 منخرطا، منها 50 فرعا في ولاية قسنطينة * و 4 فروع في وهران، و 1 فرعا في الجزائر، وحسب سلطات الاحتلال فإن عدد المنخرطين في حزبه وصل إلى 10000 منخرطا في نهاية 1938. ومعظم المنخرطين كانوا من النخبة، والطبقة البرجوازية المتوسطة المسلمة. [624] إن عدد المنخرطين كان قليلا في حزبه، لأن النخبة في تلك الفترة كانت قليلة حوالي 5000 جزائري مسلم متحصل على شهادات عليا. [625] كان معظمهم يرغب في الوصول إلى البرلمان الفرنسي، لأن حزب "إتحاد الشعب الجزائري " كان يطالب بـ 5/2 من المقاعد للجزائريين المسلمين في كل المجالس النيابية الفرنسية، وهذه كانت رغبة المنتخبين منذ سنوات مضت. [626] ولقد قامت أجهزة الاحتلال في نهاية 1938 بدراسة وضعية الأحزاب السياسية، والجمعيات المسلمة في الجزائر، ومدى تأثيرها على الجزائريين المسلمين.لاحظ جدول رقم:04

الأحزاب الوطنية في نهاية 1938[627]

جدول رقم:04

الحزب ، والجمعيات	رئيسه	المنخرطون	تأثيره على الأشخاص
اتحاد الشعب الجزائري	فرحات عباس	10000	300.000
حزب التجمع الفرنسي- الإسلامي الجزائري	ابن جلول	-	360.00
حزب الشعب الجزائري	مصالي الحاج	-	100.00
الحزب الشيوعي الجزائري	عمار أوزقان	-	240.00
جمعية العلماء الجزائريين المسلمين	الشيخ ابن باديس	-	300.00
الزوايا	شيوخ الزوايا	-	120.000

[623] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 94
[624] ibid. p p : 94-95

* أثناء عمله في تنصيب فروع حزبه بمدينة الطاهير ولاية جيجل، سأله أحد البسطاء حينما كان جالسا معه في مقهى بوسط الطاهير، على كرسي طويل يسمح بالجلوس عليه لعدة أشخاص. كيف تستطيع يا عباس أن تخرج فرنسا (العامة يعبرون بعفوية عن آمالهم، ورغبتهم في استقلال الجزائر بسرعة بدون حساب الأخطار التي تنجم عن ذلك) بقي فرحات عباس مسترسلا في حديثه ولكنه من جانب آخر بدأ يزحزح سائله عن الكرسي حتى كاد أن يسقطه أرضا، فغضب ذلك السائل وصاح في وجه فرحات عباس: لقد أسقطتني أرضا ! فرد عليه فرحات عباس قائلا: لم أرد من ذلك سوى إجابتك عن سؤالك.

[625] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :95
[626] Vatin Jean Claude, l'Algérie politique histoire et société, édition, Armand Colin et Fondatin nationale des science politique,septembre,Paris,1974,p :181
[627] Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, , op.cit,p :95 d'après l'archives outre mer ,A.O.M. Aix-en-Provence,série 10 H 87,10 H48 « situation politique » et « surveillance des indigènes »

يظهر من هذه الإحصائيات أنه يوجد فيه تضخيم كبير للأشخاص الخاضعين لتأثير حزب (اتحاد الشعب الجزائري)، فمعظم المؤرخين الذين كتبوا في هذه الفترة عن امتداد هذا الحزب في الأوساط الشعبية المسلمة يذكرون أن تأثيره كان ضعيفا، ومنهم محفوظ قداش، حيث يقول: " إن برنامج حزب إتحاد الشعب الجزائري لم يجد استجابة شعبية، وكان يقتصر على بعض أصدقاء فرحات عباس، المتأثرين بشخصه كزعيم للمنتخبين، أكثر من تأثرهم بالحزب." [628] وإن الشعب الجزائري المسلم في هذه الفترة كان أكثره خاضعا لتأثير الزوايا.

إن ظروف قيام الحرب الكونية الثانية، لم تسمح لحزبه بالتوسع عبر التراب الوطني، وأن تأثير فرحات عباس هو الفاعل في ذلك الحزب، لقد حاول جاهدا جمع شمل الجزائريين المسلمين في إطار حزب ليجعل منه قوة قادرة على الوقوف أمام الاحتلال، وتحقيق المرحلة الأولى من مشروعه السياسي الهادف إلى تحرر الإنسان الجزائري ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا بالدرجة الأولى، لتأتي فيما بعد المرحلة الأخيرة من مشروعه وهي التحرر السياسي للجزائر، ولن تكون هذه المرحلة إلا بعد تحضير الإنسان تحضيرا فعالا لذلك، حيث يستطيع الفرد الجزائري تحمل مسؤوليته وهو في كامل وعيه.

---

[628] Mahfoud Kaddache,op.cit,p : 584

المبحث السابع

فرحات عباس والحرب الكونية الثانية

نتناول في هذا المبحث النشاط الميداني والسياسي لفرحات عباس خلال فترة الحرب الكونية الثانية. هل كان يتمنى سقوط فرنسا أمام هتلر ؟ أم كان رافضا للاحتلال والقهر أينما وُجد ؟ هل أثرت الحرب الكونية الثانية على فكره السياسي ؟

بدأت الحرب الكونية الثانية في سبتمبر 1939، وكانت فرنسا تمر بفترة ضعف سياسي، وعسكري، فلم تكن لها لا حكومة قوية، ولا جيش بإمكانه الوقوف أمام هتلر. [629]إن فرنسا قبيل اندلاع الحرب الكونية الثانية، رفضت القيام بإصلاحات فعلية في الجزائر تلبي رغبات، الأحزاب الوطنية، وعند بدايتها ألقت القبض على زعماء حزب الشعب، وحلت حزبهم، وكذلك فعلت مع الحزب الشيوعي الجزائري، أما حزب إتحاد الشعب الجزائري فلم يصبح بعد حزبا سياسيا، ذو امتداد شعبي. [630]فقبيل بداية الحرب الكونية الثانية، كَثَّـر فرحات عباس من نشاطه السياسي، بعد رفض مشروع بلوم- فيوليت، لقد أصبحت إدارة الاحتلال والمحتلون ينظرون إليه كرجل سياسي خطير، يعرف كيف يناور ومتجاوزا بذلك معظم جماعة النخبة المثقفة ثقافة فرنسية، فوكيل النيابة بسطيف طلب من الحاكم العام إلقاء القبض على فرحات عباس بسبب نشاطه السياسي المتزايد والمعادي للاحتلال، وذلك يوم 03 سبتمبر 1937، ولكن الحاكم العام رفض طلبه، نظرا لازدياد شعبية فرحات عباس في نظره وأن الظروف لا تسمح بذلك. [631]وأثناء هبوب رياح الحرب الكونية الثانية، أصدرت حكومة " دلاديه " (Daladier) مرسوم ماي 1939، الذي يسمح للجزائريين بالمشاركة في الانتخابات التشريعية الفرنسية، فانتقل فرحات عباس مع الدكتور ابن جلول إلى باريس معتبرا أن ذلك المرسوم هدفه إشراك الجزائريين في الحرب الكونية الثانية إلى جانب فرنسا، فغضب منه " دلاديه " معتبرا ذلك ابتزازا لفرنسا في تلك الظروف الصعبة، وأجاب فرحات عباس، بقوله:" إن فرنسا لها القوة الكافية من الأسلحة والجنود للدفاع عن إمبراطوريتها الكولونيالية. " [632] وكتب فرحات عباس رافضا ذلك التهديد: " لا نستطيع أن ندفع عشرات الآلاف من الجزائريين للتضحية من أجل اللاشيء، المسلمون لا يستطيعون أن يستمروا في الموت دفاعا عن حرية الآخرين، وهم محرومون من هذه الحرية، فالتضحية من أجل الآخرين، يجب أن تكون مسبوقة بتحررهم الكامل." [633]

---

[629] أبوا القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص : 169

[630] Mahfoud Kaddache,op.cit,p :599

[631] Ageron, C. R, in revue d'histoire maghrébine, op.cit, p : 125

[632] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :96

[633] ibid. p : 97

إن فرحات عباس رفض مشاركة الشعب الجزائري المسلم في الحرب إلى جانب فرنسا بـــدون مقابل، فقبول مشاركة الجزائريين حسب رأيه يجب أن يكون مربوطا بشروط مسبقة تعيد لهم حريتهم وكرامتهم.

ووجه فرحات عباس نداء للفرنسيين، قائلا لهم: " لا تنتظروا حـــربـــا أصبحت إجبارية علـــيكم، بســـبب تراجعكم في ميونيخ، لتقولوا لرعاياكم: تعالوا لكي تموتوا من أجل الجمهورية، التي تنبذكم ظلما، ومن أجل الحريات، التي لا فائدة لكم منها، ومن أجل حياة محترمة ترفضكم، ومن أجل تعليم لا يستفيد منه سوى 10 % من أبنائكم. " (634)

ولكن عند اندلاع الحرب الكونية الثانية بعد غزو ألمانيا لبولونيا في 1 سبتمبر 1939، فبعد ثلاثة أيام من ذلك التاريخ نشر فرحات عباس مقالا له في افتتاحية جريدة الوفاق الإسلامي، وهو عبارة عن رسالة مفتوحة لأصـــدقائه النواب يعلن فيها عن توقيف النشاط السياسي لحزبه (إتحاد الشعب الجزائري)، (635) ومما جاء فيه:

" أصدقائي الأعزاء،

اليوم في هذه الساعة الصعبة، أصبحت حرية الأمم الديمقراطية مهددة، يعلن حزبنا عن توقـــف أي نشـــاط سياسي، ويتحول كليا للدفاع عن سلامة الأمة التي يرتبط بها مستقبلنا، لأنه في حالة زوال فرنسا الديمقراطية، مَثَلنا في الحرية سيضمحل للأبد... نؤكد في هذه الساعة بالأعمال، إيمانا بانتصار فرنسا، إنه انتصار للحرية عندنا، وفي العالم كله.... إن مكاني هو في الجيش إلى جانب رفاقي في الفيلق... أنا ذاهب، إذا مت، أطلب منكم أن تحتفلوا بذكراي، مع بقائكم أمناء لحزبنا، وللطريق الذي رسمه... وإن عدت، سوف أستأنف معكم، وبـــنفس الشـــجاعة، وبـــنفس التضحية، الدفاع عن قضيتنا المقدسة، تحيا الجزائر، تحيا فرنسا." (636)

وهرول معه شيوخ الزوايا، والنواب، والنخبة (المفرنسة)، للوقوف إلى جانب فرنسا في حربها ضـــد ألمانيـــا، وعلى رأس النخبة الدكتور ابن جلول الذي طلب المشاركة في الحرب كمتطوع في الصفوف الأمامية، وليس كطبيب في الصفوف الخلفية، وقدم شكره للجزائريين المسلمين الذي لبوا نداء الوطن (637) (فرنسا).

وقد أعلن الفرنسيون بأن الجزائريين مخلصون لهم، ومستشهدون على ذلك بما يرد عليهم من تأييد من أتباعهم من الجزائريين المسلمين. (638) هؤلاء المؤيدون لفرنسا في حربها ضد ألمانيا هم الذين استفادوا من الاحتلال الفرنســـي للجزائر على حساب إخوانهم، فزوال فرنسا بالنسبة إليهم هو زوال صاحبة نعمتهم وجاههم.

ولقد نشرت جرائد الاحتلال معظم رسائل التأييد التي كانت تأتيها من هذه الفئة، وسأذكر رسالة أرســـلها رؤساء جمعية الزوايا إلى الحاكم العام، وإلى الرأي العام الجزائري المسلم، ومما جاء فيها: " مثل أجدادكم

(634) ibid.
(635) Ferhat Abbas, éditorial de L’entente franco - musulmane N° 127 du 4 septembre1939
(636) ibid.
(637) Mahfoud Kaddache, op.cit, op.cit, p:603
(638) نفس المرجع، ص : 170

في سنة 1870، ومثل آبائكم وإخوانكم، وأنتم كذلك في سنة 1914، وهذا يؤدي إلى ضمان مستقبلكم، بصفة جيدة لكم ولأولادكم، وبمشاركتكم في الحرب تحافظون على شرف وجاه فرنسا، وتضمنون انتصار السلام، والحرية والديمقراطية." [639]

ووقف كذلك القياد والباشاغوات، وشيوخ العرب إلى جانب فرنسا في حربها ضد النازية، وطلبوا من الجماهير المشاركة بقوة في الحرب، وادعى الحاكم العام " لوبو " (LeBeau) بأن الجزائريين المسلمين يقفون إلى جانب فرنسا. [640] ولكنه لم يوضح من هم هؤلاء المسلمين الذين وقفوا معها، وفي الحقيقة ربما يمكننا أن نجعل هذه الفئة جزء من فئة المحتلين، و لربما أخطر لأنهم كانوا يتكلمون باسم الجزائريين المسلمين، وتلك هي الطامة الكبرى، حيث تمكن الاحتلال من ترويض فئة من الجزائريين المسلمين للدفاع عنه.

ففي الأربعين سنة من عمره فرحات عباس يعلن تطوعه في الجيش الفرنسي ضد العدوان النازي ويُوجه إلى وحدة قتالية. [641] وذلك دفاعا عن مثله العليا في الديمقراطية والحرية، فزوال فرنسا بالنسبة إليه، هو ترسيخ الفكر الكولونيالي النازي، ويصبح بذلك قاعدة." فعندما اندلعت الحرب في أوروبا، هرع فرحات عباس بولاء إلى فرنسا في ساعة محنتها." [642]ومنحت له رتبة عسكرية – مساعد – ووجه للعمل كصيدلي في مخبر في وحدة صحية بالجزائر، ثم أرسل فيما بعد إلى مدينة تروا (Troyes) حيث شاهد بعينيه هزيمة الجيش الفرنسي أمام الجيش النازي. [643] وسرح فرحات عباس في شهر أوت 1940 من الجيش الفرنسي وعاد إلى الجزائر. [644] حيث رجع إلى مدينة سطيف بعد أن قضى تقريبا سنة كاملة في خدمة الجيش الفرنسي، ترك البندقية والمخبر، وعاد إلى سطيف ليحمل القلم لمواجهة الاحتلال، أي استمرارية النضال في نظره من أجل انتصار الحق أينما كان، فهو وهب حياته للدفاع عن الحرية والعدل، والوقوف ضد الظالم ونصرة المظلوم، وهو القائل: " إني أكره العنف، بقدر ما أكره الظلم. " فالاحتلال عنده شيء فظيع يجب محاربته أينما كان ووُجد.

شارك فرحات عباس في الحرب الكونية الثانية إلى جانب فرنسا مثله الأعلى في الحرية والديمقراطية، ولكن أمله لم يكن متوقفا على حرية فرنسا فقط، بل كان يأمل أن تنتقل الحرية والديمقراطية إلى أرض الجزائر لتشمل كل سكانها بدون تمييز، فذلك هو هدفه من المشاركة في الحرب، ولكنه نسي بأن الاحتلال الفرنسي ينظر إلى الشعوب العربية الإسلامية نظرة احتقار، فكان على فرحات عباس أن يواجه عراقيل أخرى، وظروف أقسى وقعت عليه لكي يعرف حقيقة الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

---

[639] Cité par Mahfoud Kaddache,op.cit,p :603 d'après l'Afrique Française,1939,pp :214,215

[640] نفس المرجع و الصفحة.

[641] Jean Lacouture,op.cit,p :277

[642] وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص : 56

[643] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :98

[644] Jean Lacouture, op.cit,p :277

الفصل الخامس:

مواقفه خلال الأربعينات.

المبحث الأول: عودتـه من الحرب الكونية الثانـية.

المبحث الثاني: بـيـان الـشـعـب الجـزائـري.

المبحث الثالث: إنشاء حركة أحباب البيان والحريـة.

المبحث الرابع: فرحات عباس وحوادث 8 ماي1945.

المبحث الخامس: تأسيسه لحزب " الإتحاد الديمقراطي

للبيان الجزائري "

الفصل الخامس

مواقفه خلال الأربعينات

إن فترة الأربعينات كانت هامة جدا للحركة الوطنية الجزائرية بصفة خاصة، والحركات التحررية العالمية بصفة عامة، فالحرب الكونية الثانية، نتجت عنها تغيرات سياسية عالمية هامة منها انهزام الديكتاتورية النازية، والفاشية الإيطالية، وانتصار الديمقراطية، وظهور منظمات عالمية للدفاع عن السلم والأمن مثل منظمة الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية.

ربما نستطيع أن نقول بأن الحرب الكونية الثانية فتحت عصرا تاريخيا جديدا تمثل في بداية انهيار الاحتلال الأوروبي الحديث، و انتشار الفكر التحرري، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية كبرى، ينافسها في ذلك الاتحاد السوفيتي (سابقا)، لم يكن الجزائريون منعزلين عن الأحداث العالمية أو الوطنية، وإنما تفاعلوا معها و عملوا على تحرير وطنهم من الاحتلال الفرنسي، وكان من نتيجة ذلك قيام ثورة أول نوفمبر 1954.

المبحث الأول

عودته من الحرب الكونية الثانية

بعد سقوط فرنسا في يد النازية، أطلق سراح فرحات عباس من الجيش، وهو في 41 سنة من عمره، وشاهد بعينيه انهزام فرنسا، وسقوط حكومتها، وجيشها، أمام قوة احتلالية أكبر منها، وهذا ما كان يخشاه فرحات عباس انتصار القوى الديكتاتورية على الديمقراطية الفرنسية مَثَله الأعلى في الحرية، كيف كان موقفه من الاحتلال الفرنسي في هذه الفترة ؟ الشعوب الحرة تدافع عن حريتها وتدفع أغلى ما تملك من أجل أن تبقى سيدة على أوطانها. إلى أين توصل فرحات عباس بسياسته الاندماجية ؟ كيف تفاعل مع التطورات الداخلية والعالمية ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المبحث.

رجع فرحات عباس إلى مدينة سطيف في شهر أوث 1940 بعد أن زار عائلته في الطاهير، وأخواله ببوحمدون (في قبيلة بني عمران)، وعاد لممارسة نشاطه السياسي من جديد في مدينة سطيف، ولكن بفكر سياسي جديد، فزعيم الاندماج قبل الحرب الكونية الثانية، يتحول إلى زعيم وطني، مدافع عن الوطن الجزائري، حيث صرح بقوله: " إن الوطن الجزائري الذي لم أجده سنة 1936 في أوساط العامة من المسلمين، وجدته اليوم."[645]

---

[645] Ageron, C. R, in R. H. M, op.cit, p : 125

في الحقيقة لم يكن يشعر أبدا بأنه بعيد أو غريب عن وطنه، فقد كتب في إحدى مذكراته الجيبيـــة، يـــوم 6 سبتمبر 1939 " في أي مكان يضع المصير قبري، فإن آخر فكري يبقى لمهدي. " [(646)] رجـــل مـــرتبط بأصـــالته، وسياسية الاندماج ما هي إلا مناورة سياسية، لأنه كان يعلم جيدا استحالة نكران الذات والأصل، وما تلك السياسة التي كان ينادي بها، إلا وسيلة لتحرر الشعب الجزائري، لكن هذا التطور في فكره السياسي يحتاج إلى دراسة أوسع، من طرف المؤرخين، فهو رجل يتطور حسب الظروف والأحداث، ومستخلصا نتائج دروسه من وعي العامـــة مـــن الجزائريين، الذين يقول عنهم بأنه لم يجد عندهم في سنة 1936 وطن الجزائر، حيث كان الجهل سائدا، والبحث وراء لقمة الخبز هو الطابع الاجتماعي السائد في الجزائر في تلك الفترة، اعتقد عن صدق بأن الحل الوحيد لتحرر الجزائريين وإخراجهم من ضياعهم لن يكون إلا عن طريق التجنس الجماعي، ووقف مدافعا عن مشروع بلوم- فيوليت، ومؤيدا بكل قوة مطالب المؤتمر الإسلامي، لكن صدقه وأحلامه وجدت أمامها حاجزا منيعا أقامه محتلون ساديون أعمتـــهم أمراضهم النفسية، تجاه شعب منهزم بسلاحه، ولكنهم لم يستطيعوا هزم مقوماته الشخصية.

فبعد عودته إلى مدينة سطيف، بأقل من شهر، أي يوم 7 أكتوبر 1940، ألغت إدارة الاحتلال قرار كريميـــو 1870 الذي منح المواطنة الفرنسية ليهود الجزائر. [(647)] إن الكثير من المحتلين والجزائريين استقبلوا هذا الإلغاء بالفرح، لأنه جرد يهود الجزائر من الجنسية الفرنسية، فرئيس بلدية قسنطينة السابق (مورينو) ورئيس بلدية جيجل فيما بعـــد، عبر عن سعادته بإلغاء هذا القرار وعودة اليهود إلى أصلهم الطبيعي مع الأهالي الجزائريين، وفي نظره أن هذا القـــرار عمل رديء أصدره اليهودي " كريميو " سنة 1870. [(648)] إلا أن فرحات عباس وبعض أعضاء النخبـــة والعلمـــاء رفضوا ذلك الإلغاء. [(649)] واعتبروه عملا غير منطقي. ويدخل ذلك في إطار التمييز العنصري المفروض على الشعب الجزائري سواء المسلمين منه أو اليهود، ففي جوان 1942 عند رئاسة فرحات عباس لوليمة أقامتها الجمعيـــة العامـــة للطلبة المسلمين، صرح قائلا للفرنسيين:" إن ما عملتموه ليهود الجزائر، المندمجون في الحضارة الفرنسية فهـــو بفعـــل مبادرتكم وإرادتكم، وليس بمبادرة العدو الذي لا يهتم بإلغاء قرار كريميو؛ إن عنصريتكم تـــذهب بكـــم في كـــل الاتجاهات،إنكم اليوم ضد اليهود، وأنتم دائما ضد العرب. " [(650)]

هذا هو الاحتلال يصدر قوانين ولا يحترمها، فبانهزام فرنسا أرادت حكومتها أن تقدم ولاءها لألمانيا، بإلغـــاء قـــرار كريميو، حتى هي أصبحت تكره اليهود بعد 70 سنة من دمجهم في المواطنة الفرنسية، وكان ذلك درسا للجزائـــريين المسلمين.

[(646)] Ferhat Abbas, archives privées saisies en mai 1945, I . R, boite N° 13, A.W.C

[(647)] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 106

[(648)] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 60

[(649)] ibid.

[(650)] Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, op. cit, p : 107 d' après Lucien Adés, L'Aventure Algérienne, 1940, 1944, éd.Belfond, Paris,1979, p :74

خصوم فرحات عباس من الفرنسيين بعد نزول الحلفاء في الجزائر في نوفمبر 1942، اتهموه بالتعاطف مع نظام فيشي، وعابوا عليه معارضته لإلغاء قرار كريميو. [651] إن وضع الثقة في الاحتلال غباوة سياسية، لذلك كان على دعاة الاندماج اختيار طريق آخر.

ففي السنة التي عاد فيها فرحات عباس إلى سطيف، كانت كل النشاطات السياسية في الجزائر متوقفة، من حزب " إتحاد الشعب الجزائري "، وفيدرالية المنتخبين، والمجالس النيابية، وحزب الشعب الجزائري. [652]

قامت مظاهرة في 12 أكتوبر 1940 في شوارع مدينة سطيف بسبب عزل مدير مدرسة من مهامه لكونه يهودي يساري، بسبب احتجاجه على تعليق المجالس العامة المنتخبة. [653]تدخل فرحات عباس وحرك سكان مدينة سطيف، وأمرهم بالخروج إلى الشوارع متحدين بذلك سلطات الاحتلال من جهة، ومن جهة أخرى تأكيده على مدى وَضْعِ ثقتهم في شخصيته عن طريق تفعيل رجل الشارع، وبذلك كان فرحات عباس عند وعده، الذي التزم به في حالة عودته سالما من الحرب الكونية الثانية بقوله السابق الذكر. – إذا بقيت حيا، ورجعت إلى الجزائر، سأواصل معكم الكفاح بنفس الشجاعة، مع نكران الذات للدفاع عن قضيتنا المقدسة -

قرر الحاكم العام في 12 ديسمبر 1940 تعيين مجلس مالي لتعويض المندوبيات المالية المنتخبة. [654] فرفض فرحات عباس هذا التعيين وأدانه، حيث وجه رسالة احتجاج إلى الحاكم العام الأميرال أبريال (Abrial) يوم 16 ديسمبر 1940 ومما جاء فيها: " إن هذا الاختيار تنكيدي، تقريبا فكل الجزائريون المعينون هم شيوخ زوايا، وهم أميون ولا ضمير لهم ومتعصبون." أما عن الجانب الفرنسي فيقول عنهم، بأن معظمهم يمتازون بعدوانيتهم تجاه الجزائريين المسلمين. [655] ويضيف قائلا:" إن زمن الموظفين الكبار قد وَلَّى." [656]وفي رسالة أخرى وجهها إلى رئيس فيدرالية المنتخبين المسلمين، يوم 26 مارس 1941 و مما جاء فيها: " إن سكان قسنطينة، وكذلك سكان سطيف لم يستقبلوا هذا التعيين بالفرح، لأنه لا يحل مشكل الأكواخ القذرة... إن تعيين السيد سيسبان هو انتصار جديد للمحتلين، وليس انتصارا للمسلمين." [657]

لقد رفض ذلك القرار بكل شجاعة، وقدم نصيحة إلى الحاكم العام ينصحه فيها بالاعتماد على العناصر الجزائرية المسلمة المثقفة، فهي الوحيدة القادرة في نظره على فهم مشاكل الجزائريين، وليس الجهلة الذين لا يعرفون سوى مصلحتهم الشخصية الضيقة، ولا تهمهم العامة من إخوانهم الذين يعيشون في الفقر والجهل والذل، معتبرا

(651) Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 126
(652) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op. cit, p : 107
(653) Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 126
(654) ibid.
(655) ibid.
(656) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 107
(657) Lettre de Ferhat Abbas, à Mr : le président de la, F.E.M, de Constantine, (documents inédits du mouvement national) N° 12, novembre 1981, A.W.C

أن هذه الطريقة الدنيئة، أدت إلى قـــتل فرنسا في قلوب الجزائريين المسلمين. [658] فمن إيجابيات الحـــرب الكونيـــة الثانية بالنسبة للجزائريين أنها أضعفت كثيرا تأثير الأعيان من القياد، و الباشاغوات، وشـــيوخ الزوايـــا في نفـــوس الجزائريين، وأظهرتهم على حقيقتهم، و لم يعد لهم الاحترام أو الهيـــبة التي كانوا يتمتعون بها من قبل.

إن فرنسا قد سقطت في يد ألمانيا، فهذه القوة العظمى التي كان ينظر إليها العامة من الجزائريين المسلمين، بأنها قوة لا تقهر، ها هي تسقط، وبالتالي تُبَّعُهَا من بعض الجزائريين سقطت قيمتهم في أعين الجزائريين، وفتح المجال للفئة المثقفة من أمثال فرحات عباس، وابن جلول، والعلماء وغيرهم، فهذا الجيل الجديد من الشـــباب المثقـــف النشـــط المتحمس لإلغاء الاحتلال، وذيوله المنتشرة عبر الأرياف خاصة، والبلديات المختلطة، ولكن هذا الشباب كان ينقصه التنظير. [659] لأنه معظمهم كان يعتقد بأن الحل يأتي من إدارة الاحتلال، عن طريق الاحتجاجـــات، و اســـتعمال الوسائل القانونية، مع احتلال استيطاني بشع بنى مجده عن طريق اختراقه كل القوانين السماوية، والوضعية، متركبـــا جرائم حرب إنسانية من أجل السيطرة على أملاك غيره.

وكان تأثير احتجاج فرحات عباس لدى الأميرال " أبريال " مقلقا، حيث استدعاه إلى الجزائـــر العاصـــمة لاستفساره عن ذلك، فانتقل فرحات عباس من سطيف مستجيبا دعوة أبريال، وكان النقاش بينهما حـــادا، اتهـــم الأميرال أبريال فرحات عباس بالعمل على: " التحريض ضد فرنسا " [660] موضحا له بأن اللجنة المالية التي اختارها كان ذلك عن قناعة وثقة كبيرة فيهم، ومتهما استياء فرحات عباس منها بسبب كرهه لفرنسا، ومحاولـــة اســـتعماله الفلاحين لتحقيق أهدافه السياسية، ثم هدده بإلقاء القبض عليه، وأمره بالخروج من مكتبه. [661]فأراد فرحات عباس أن يقوم برد عنيف، ولكنه تحكم في أعصابه، وتجاوب مع " أبريال " بكل كبرياء قائلا له: " لا تطردني سأنسحب. " [662]هـــدوء فرحات عباس، وكبريائه زاد من غضب " أبريال " أكثر من رسالة الاحتجاج التي وجهها له، فأراد أن يسجنه، ولكن مستشاريه نصحوه بعدم الإقدام على ذلك، بسبب ازدياد شعبية فرحات عباس. [663] فهو سياســـي، وضع نفسه في خدمة الجزائريين المسلمين حسب قناعته، وبالتالي فإن التهديد لا يخيفه، بل يزيده قناعة وثقة بما يعمل.

أما بنيامين سطورا ، فيذكر أن النقاش بينهما كان أكثر حدة، حيث لجأ الأميرال " أبريال " إلى دفع فرحات عباس بقوة خارج الباب، وأراد إلقاء القبض عليه، ولكن الجنرال " ويڤان " (Weygand) هو الذي هـــدَّأ غضـــب "أبريال". [664]

---

[658] Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 127

[659] Annie Rey –Goldzeiguer, Aux origines de la guerre d’ Algérie 1940-1945, édition, Gasbah, Alger, 2003, pp :181, 182

[660] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 108

[661] Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 127

[662] ibid.

[663] ibid.

[664] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 108

إن تهديدات الحاكم العام " أبريال " لفرحات عباس كان صداها واسعا، وشكّلت شعبية جديدة لفرحات عباس مع صديقه الدكتور سعدان، وانخفاض شعبية الدكتور ابن جلول، [665] لأن الجزائريين المسلمين يظهر من ذلك، أنهم كانوا ينتظرون فعلا حقيقيا ضد المحتلين، وليس كلام الصحف والجرائد، والخطابات.

أسس الحاكم العام " أبريال " في 24 جانفي 1941 " المجلس الوطني " بناء على رغبة حكومة فيشي التي طلبت منه ذلك بشرط أن يكون متساو بين المحتلين والجزائريين، ولكن الحاكم العام عين 5 مستشارين من المحتلين*، و 4 مستشارين من الجزائريين** المسلمين. [666]

أما المسلمون الذين قبلوا هذه المناصب فقدوا كل احترام شعبي لهم، واتهموا بالخيانة والبحث عن المناصب والمكاسب بطرق غير شريفة، ماعدا شيخ المدرسة ابن زكري الذي قبل سكان الجزائر العاصمة تعيينه بكل فرح، وذلك نظرا لصدقه وشعبيته ووقوفه إلى جانب المستضعفين، أما ولاية قسنطينة فلم يتم تعيين أي ممثل عنها لأسباب تبقى مجهولة لحد الآن. [667]

لقد رفض فرحات عباس رفضا مطلقا هذا التعين الذي يسئ للجزائريين، وفكر في إرسال مندوبين إلى المارشال بيتان (Pétain)، ولكن الدكتور ابن جلول رفض المشاركة في هذه اللجنة معلنا اشمئزازه من العمل السياسي. [668]إن سلطات الاحتلال شدت قبضتها على أعضاء الحركة الوطنية الجزائرية والشعب، و لم يسلم من ذلك حتى الجنود الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي، ففي يوم السبت 25 جانفي 1941 على الساعة 9:15 ليلا، تمرد المئات من القناصة الجزائريين في ثكنة الدار البيضاء بالعاصمة يقودهم ضابط جزائري، واحتلوا مدينة الدار البيضاء لعدة أيام، ونادوا بالجهاد. [669] و لم تتمكن سلطات الاحتلال إلا بعد جلب قوات فرنسية كبيرة للقضاء على ذلك التمرد، وخلفت تلك المواجهة العشرات من الضحايا بين الجانبين. [670] هل كان ذلك التمرد بداية ثورة ضد الاحتلال فشلت في مهدها بسبب عدم تجاوب الشعب معها، والمجندون الجزائريون في الثكنات الأخرى، هذا التمرد العسكري مازال يحتاج إلى دراسة للإطلاع على خفاياه وأهدافه، وقبل هذا التاريخ بثلاثة أشهر

---

[665] Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 127
[666] ibid.

* المستشارون المحتلون هم: الجنرال فرنسوا (François) رئيس فيلق المحاربين – إيميل بوردير (Emile Bordères) رئيس سابق للمندوبيات المالية – أندري مالرمي (André Mallarmé) وزير سابق وسيناتور – و اثنان من نواب اليمين هما: ستانيسلاس ديفو (Stanislas Devaud)، و بول سوران (Paul Saurin)

** أما المستشارون المسلمون فهم: عبد الرحمان بو خردنة، رئيس سابق لفيدرالية المنتخبين المسلمين لولاية الجزائر –سيسبان الشريف، رئيس سابق لفرع العرب في المندوبيات المالية – الآغا بن شيحة بوسيف، نائب رئيس فيدرالية الفلاحين – الشيخ ابن زكري، أستاذ في المدرسة بالجزائر.
المرجع: Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p: 151-151

[667] Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 127
[668] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 108
[669] Mahfoud Kaddache,op.cit,p :618
[670] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 186

فرحات عباس حرك الشارع السطايفي بواسطة مظاهرات شعبية ضد سلوك إدارة الاحتلال، ولكن أثرها بقي محصورا في سطيف كتمرد القناصة في الدار البيضاء، وكان من الصعوبة جدا في تلك الفترة القيام بعمل موحد على مســـتوى الوطن نظرا لنقص الوعي والتنظيم الوطني السياسي الجيد.

حكم على مصالي الحاج في 17 مارس 1941 بـــ 16 سنة سجنا مع الأعمال الشاقة. [(671)] لأنه أصبح عنصرا خطيرا على الاحتلال الفرنسي في الجزائر، بسبب تغلغل نشاطه السياسي داخل الجزائر.

وأمام عدم التنسيق السياسي بين مختلف جهات الوطن، وسجن زعماء الأحزاب، ووفاة الشيخ ابن بـــاديس، وزيادة شدة أجهزة أمن المحتل داخل الجزائر، ونقل القناصة الجزائريين إلى فرنسا، وعدم مقدرة الشـــعب الجزائـــري المسلم على القيام بأي تحرك منظم ضد الاحتلال، قام فرحات عباس بمبادرة سياسية فريدة في وقتها هذا، حيث قـــرر أن يتوجه مباشرة للمارشال فيليب بيتان (Philippe Pétain) بواسطة ماكس بونافوس*(Max Bonnafous) وزيـــر التموين في حكومة فيشي، وبذلك "رجع فرحات عباس إلى التضرع للصيغة القديمة « آه ! لو كان الملك يعلم ؟ " [(672)] واتصال فرحات عباس بهذا الوزير كان بواسطة " أوغستان بيرك " (Augustin Berque)، والد المستشـــرق " جاك بيرك " (Jacques Berque). [(673)]

أرسل فرحات عباس تقريرا إلى الماريشال بيتان، يوم 10 أفريل 1941، ونشره في كتابه الشاب الجزائري، (الذي أعاد طبعه سنة 1981) ويقول عنه بأنه أخر محاولة لـــه لطلب المســـاواة في الحقوق في إطـــار الجمهوريـــة الفرنسية. [(674)] لينتقل بعدها إلى مرحلة سياسية أخرى، وقدم تبريرات لذلك العمل السياسي، حيث اعتقد بأن الوقت مناسب لتغيير سياسي حقيقي في الجزائر، معللا ذلك بمحاولة إنقاذ الأمة الجزائرية من الغرق، لأن كل الأبواب قـــد أغلقت في وجه الجزائريين المسلمين. [(675)] وكل محاولات الإصلاح باءت بالفشل قبل هذا التاريخ، و لم تستجب إدارة الاحتلال، وفرنسا لمطالب الجزائريين، المتمثلة في المؤتمر الإسلامي، ورفض البرلمان الفرنسي المصادقة على مشروع بلوم – فيوليت، بسبب تعنت وتجبر المحتلين في الجزائر، ووقوفهم ضد أية إصلاحات تخص الجزائريين المسلمين ولو كانت بسيطة، لأن في نظرهم قبولها سيسمح للجزائريين بطلب المزيد، وهكذا حتى يصبح المحتلون أقلية غير فعالة في الإدارة والسياسة، وبالتالي فقدان الإمتيازات التي جاؤوا من أجلها لاحتلال الجزائر.

[(671)] ibid.

* كان أستاذا للفلسفة، اشتراكي، ثم واليا على قسنطينة، استدعاه بيتان لمنصب وزير التموين.

[(672)] Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 128

[(673)] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 108

[(674)]Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :169

[(675)] ibid. p p : 196-171

بدأ فرحات عباس تقريره إلى المارشال بيتان، بقوله:" إن مصير بلادنا متوقف على الله، وعلى حكــومتكم، إنكم حكام على وضع ثقيل علينا، وهذا الوضع وقف ضد تطور الجزائريين، فلم تكن أية حكومة سابقة لها الشجاعة والحرية، لمواجهة المشكل الجزائري، وإيجاد حل له." [676]

ويقول " جون لاكوتير " عن هذا التقرير: " فرحات عباس استعمل أسلوبا نبيلا في تقريــره هــذا، متــأثرا بأسلوب الكتاب الفرنسيين الكبار أمثال شاتو بريان." [677] فهذه هي طبيعة الفرنسيين الأسلوب السياسي المهــذب ينسبونه إليهم، والسيئ ينسبونه للعرب، نسوا وحشيتهم و إجرامهم في حق الجزائريين المسلمين، فرحات عباس كان قادرا على وصف الأحداث والأوضاع التي يعيش فيها الجزائريون بطريقة عقلانية ومؤثرة أحيانا، خاصة بعض جملــه التي وردت في هذا التقرير مثل قوله:" إن الرجال الذين لهم شرف توجيه هذا التقرير إلى رجل الدولة الفرنسية المحترم، ولدوا تحت الحشفة." [678] ويضيف مؤكدا على صحة ما جاء فيه قائلا: " إن هذا التقرير يمكن أن تكون فيه أخطاء، ولكنه خال من الكذب." [679] رجل صريح مع نفسه وأفعاله، لا يستعمل أساليب الغش، والنفاق، والتملق للوصول إلى أهدافه، صريح حتى مع أعدائه، وتلك هي إحدى عوامل قوة فرحات عباس السياسية، لم ينكر يوما جملة أو مقالا كتبه، كان يأمل من هذا التقرير أن يحقق هدفه: " آمل أن يحدث تغييرا لائقا في الجزائر، في إطار النظــام الجديــد، لفرنسا الجديدة." [680] كان يأمل فقط، و لم يكن متيقنا من قبول هذا التقرير، ولكنه يثبت لأعدائه بأن في الجزائــر رجال مخلصين لشعبهم، ومعتدلون، ويكرهون الظلم، بقدر ما يكرهون العنف، فاستعمال لغة المنطــق، والــدلائل الدامغة من الممكن الوصول للهدف، ولكن ليس مع محتلين ساديون متطرفون أو كما وصفهم أحد وزرائهم بــأنهم عبارة عن أجهزة هضم لا عقول لهم، كان ينتظر الحل أن يأتي من حكومة باريس، مذكرا إياهم بمبادئ فرنسا الحرة، وثورتها الكبرى (1789) التي قامت ضد التجبر، والظلم.

لكنه كان يعلم بأن تقريره هذا موجه لأعدائه، ووضع الثقة فيهم صعب حيث يقول في هذا التقريــر:" مــن الخطأ في السياسة، أن تعتمد على حكمة أعدائك." [681] فبرغم مبادئ الثورة الفرنسية الداعية إلى الحرية، والمســاواة والإخاء، هذه المبادئ البراقة فهو لا يثق في فرنسا، ولكن رغم ذلك لجأ إليها طالبا إصــلاح أوضــاع الجزائــريين المسلمين، ويبرر فعله هذا بأنه أضعف الإيمان، فكل الأبواب موصدة أمام الجزائريين. وتقريره هذا هو في

---

[676] ibid. p : 147
[677] Jean Lacouture, op.cit, p :279
[678] ibid.
[679] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :174
[680] ibid.
[681] ibid. p : 187

حقيقته دراسة تاريخية و سوسيولوجية للجزائر، وتدل على مدى إطلاعه على الأوضاع العامة في الجزائـــر، ســـواء بالنسبة للجزائريين المسلمين أو المحتلين، حيث قدم حوادث تاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية بشكل معمق، وقال " جون لاكوتير ": " إن هذا التقرير مستمد من قراءة فرحات عباس لــ " غوتييه " (Gautier)، و" أغوستان برنار " (Augustin Bernard)، و " وليام مارسييه " (William Marçais)"، وأضاف قائلا:" إن فرحات عباس كان صـــريحا جدا في وقت كثر فيه التملق." [682] فهو لم يقدم نفسه في التقرير كرجل نسى فئته وتنصل منها، فلـــم يســـتطع أن ينسى فئة الفلاحين الذين عاش بينهم في منطقة ريفية جبلية معزولة عن كل مظاهر الحضارة، وبقيت تعيش كأنها في العصور الوسطى أو ما قبلها، حيث وصفهم في تقريره بقوله:" إن حياة الفلاحين المسلمين روتينية وحزينة، وذلك مثل طرقهم الـــمُغبَّرة والتي تشبه أفعى لا نهاية لها، وهذه الطرق تمتد بين الروابي القاحلة، تحت أشعة الشمس، ومتواصـــلة بغير انقطاع وذلك كبؤس الفلاحين ومعاناتهم التي لا تنقطع. " [683] يقدم وصفا دقيقا لمعاناة الفلاحين المستمرة منذ ولادتهم إلى مماتهم لا أحد يهمه مستقبلهم، أبعدوا إلى مناطق نائية، فقيرة، ذات أرض قاحلة، فلا مدرسة ولا طريـــق معبَّد ولا مستشفى، قياد وباشاغوات سُـــلِّطوا عليهم لمراقبتهم ومساعدة جباة الضرائب، فهذا الوضع يؤلمه ويقلقـــه كثيرا، الفلاحون أحباؤه، و لم يستطع التخلي عنهم، [684] وكذب تقارير المحتلين التي يقولون فيها بأنهم طوروا الجزائر، و أخرجوها من الجهل، والتخلف، فهم لم يطوروا سوى أنفسهم والعناصر التي جاءت من إيطاليا وأسبانيا ومالطا بحثا عن الرزق، وأضافوا إليهم يهود الجزائر، أما 6 ملايـــين شرقي " جزائري " فقد تركوا في العصور الوســـطى." [685] فالاحتلال الفرنسي للجزائر كوَّن مجتمعين متناقضين ومتنافرين، مجتمع المحتلين المتطور والظالم، ومجتمـــع المســـلمين المتخلف و المظلوم.

ويقول عن هذا المجتمع الثاني:" إنهم العرب والبربر الذين تحملوا وحدهم عبء الاحتلال، وقوانينه الاستثنائية الجـــائرة." [686]

وقدم فيه دراسة مقارنة للحياة الاقتصادية والاجتماعية للمحتلين، والجزائريين المسلمين. [687] وصف فيهـــا نوعية الزراعة و مردودها، ومداخيل العمال، وحياتهم الاجتماعية، والصحية، والتعليمية، مستخلصا النتيجة التاليـــة:" إن المحتلين الكبار ما هـــم إلا إقطاعية فلاحية جعلـــوا هياكل الجزائر كلها في خدمتهم." [688] وعن

---

[682] Jean Lacouture, op.cit , p :280
[683] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit , p :182
[684] Jean Lacouture, op.cit, p :279
[685] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :177
[686] ibid. p : 175
[687] ibid. p : 176
[688] ibid. p : 177

الجزائريين المسلمين وصل إلى النتيجة التالية: " تراجع الجزائريون المسلمون إلى الوراء، إلى حياة ما قبل التاريخ، حياة الكهوف." [689]

لقد استطاع أن يثبت بأن حياة الجزائريين المسلمين، كانت أحسن بكثير قبل سنة 1830، عما هي عليه الآن، وأن يوفق إلى حد كبير في محاكمة الاحتلال، وإبراز جرائمه وأكاذيبه التي لا تنتهي." [690]

ولكن ما هي الأسباب التي جعلته يوجه هذا التقرير إلى رئيس الدولة الفرنسية "بيتان" بالذات؟ لقد أكـــد أن الأبواب كانت من قبل موصدة في وجه الجزائريين لإيصال معاناتهم، ولكنه أكد في تقريره بأنه مصمم على مواصـــلة النضال في كل الظروف والأحوال، وتحت كل أنواع الأنظمة، حتى يطبق القانون الواحد على الجميـــع في الجزائـــر، وإلغاء الإمتيازات الطبقية، والقضاء على الإقطاعية الفلاحية المالكة للأرض، والمسيرة، لـــ 6 ملايين جزائري مسلم. [691] طلب من رئيس الدولة الفرنسية بعد إطلاعه على حقيقة الجزائر بأن يقوم بتغيير ثوري وتحضير النهضة الحقيقية لـــ " جزائر الغد "، بالقضاء على الإقطاعية المزدوجة للمحتلين والمسلمين معا. [692] فهو يرفض الإقطاعيـــة ســـواء كانت عند المحتلين أو عند الجزائريين المسلمين، ويعتبرها إهانة للإنسان وظلم، وجور، عاشتها الشعوب في العصـــور الوسطى مرغمة.

فأراد من تقريره هذا أن يحقق مصالحة حقيقية بين فئتين متناقضتين: المحتلون والجزائريون المسلمون. [693] أي المصالحة بين إنسان شرقي سلبت منه حقوقه وله مقوماته وخصائصه الثقافية والدينية، وإنسان غربي محتـــل متكـــبر ومتعجرف ينظر نظرة الدونية إلى الإنسان المشرقي، فالتعايش بينهما مستحيل.

إن فرحات عباس دافع تقريبا مدة 20 سنة عن سياسته الداعية إلى الاندماج، ولكن نتيجتها دائما الفشـــل، ومع ذلك لم يفقد الأمل، وبقي طوال هذه المدة يعتقد في إمكانية تحقيق النجاح، وفي هذه المرة وضع ثقته في المارشال بيتان، على الأقل لتحقيق أدنى إصلاحات للجزائريين المسلمين. [694]

وعلى كل حال فإن هذه المبادرة السياسية، في هذه الفترة، هي الوحيدة في الجزائر، و التي قام بها فرحات عباس، بإرسال تقرير إلى الماريشال بيتان. [695] في هذا التقرير لم يذكر نهائيا مصطلح التجنس الجماعي للجزائريين المسلمين، ولكنه ركز على سياسة المساواة بين المحتلين والجزائريين المسلمين.

---

[689] ibid. p : 181

[690] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 83

[691] Ageron, C. R, in, R.H.M, op.cit, p: 128

[692] ibid.

[693] André Noushi, La naissance du nationalisme Algérien, 1914-1954, édition, de minuit, Paris, 1962, p :129

[694] Annie Rey Goldzeiguer, op.cit, p :89

[695] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص : 189

ويرى "بنيامين سطورا" بأن ظاهر هذا التقرير يدعوا إلى سياسة الاندماج، بأخذ المواطنة الفرنسية كاملة لكل الجزائريين، ولكن من خلال دراسة تحليلية لهذا التقرير، نجد فيه ملامح الوطنية الخاصة بـــالجزائريين.(696) ويلخـــص فرحات عباس تقريره قبل تقديم اقتراحاته وحلوله لمشكل الجزائر، بقوله: " إن خلاصة هذا العرض بسيطة، من خلال الاتصال اليومي بالمجتمع الأوروبي، فإنه يتضح من خلاله إهمال المجتمع العربي الإسلامي، فلا يكفي إيقاظه من ســباته فقط، فالمجتمع الجزائري يوجد فيه عالمين، واحد ميت، والآخر غير قادر على النشوء، إننا في مفترق الطـــرق، يجـــب الاختيار، نتقدم من أجل توسيع الحياة العصرية، أو نستسلم، ليأتي يوم ونرى فيه عالم الشرق، عالم العصور الوسطى يغرق كله، وتنهار كل منجزاته.(697) فهو يعلم بأن الصراع شديد بين جنسين مختلفين في الثقافة أحدهما ظالم معتدي يتمثل في جنس المحتلين، والآخر مظلوم مسلوب الحقوق يتمثل في الجنس الأصلي للجزائر، البربر، و العـــرب الـــتي وحدت الحضارة الإسلامية والتاريخ عناصرهما.

ففرحات عباس هو من الرجال الذين تأثروا بالتقنيات الغربية وديمقراطية فرنسا، و ليبراليتها، وإيمانـــه بـــأن الجزائري يستطيع أن يقتبس هذه العناصر الأساسية للتطور، حيث يقول:" إن جيلنا اختار، إننا نريد أن نتقدم، لأننـــا نؤمن بالنهضة بواسطة التقنيات العصرية، وتطور الإنسان، وقدرة جنسنا على الاقتباس، إننا نريد أن نتقدم، لأننا على يقين بأن الشعب سيسير وراءنا، وسينصاع لنا، وذلك أمر لا مفر منه، إننا نريد أن نتقدم، لأن لنا الثقة في الشـــعب الفرنسي، وفي عبقريته الخلاقة." (698)

ففي نظره أن الشعب الجزائري لا يمكن أن يتقدم ويكتسب العلوم العصرية، إلا بمساعدة أمة كبيرة كفرنسا، تقوم بمساعدته والأخذ بيده، إلى التطور ويضرب أمثلة بذلك بالمنجزات التي حققها أتاتورك في هذه الفترة، لأن وراءه أمة كبيرة ساعدته على التطور.(699) فهو في هذا التقرير يرى بأن التقدم لا يمكن أن يكون للشعوب المتخلفة مثـــل الشعب الجزائري إلا إذا وجد أمة متطورة تساعده على اكتساب التكنولوجيا العصرية، ويرى أن هذه الأمة لن تكون إلا فرنسا، ويؤكد بأن الشعب الجزائري عدوه الوحيد هو الظلم، والجور، والقوانين الاستثنائية، والطبقة الإقطاعيـــة المسيطرة من المحتلين وبعض المسلمين، العملاء للاحتلال " شعبنا لا عدو له، ســـوى الطائفـــة الأقليـــة المســـيطرة، والإقطاعية الأوروبية، والمسلمة. " (700)

ويتمنى أن تتحقق المساواة والإخاء بين الجزائريين، والفرنسيين، وأن استمرار سياسية اللاعدل الـــتي يطبقهـــا المحتلون في الجزائر فإنها ستؤدي مستقبلا إلى حدوث كارثة حتمية. (701)

---

(696) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 111
(697) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :185
(698) ibid.
(699) ibid.
(700) ibid. p : 186
(701) ibid.

فهذه الكارثة بدون شك ستكون الثورة، وبعد أن قدم عرضا وافيا لوضعية الجزائر، يقدم حلولا سماها بـــــ "مخطط تجديد الجزائر المسلمة " [702] وهنا تكمن القدرة السياسية لفرحات عباس، يصف أوضاعا، ويقدم حلولا، لا يكتفي بالبكاء وتشخيص المرض، إنما يقدم علاجا، فهو سياسي، حامل لمشروع مجتمع.

ويبدأ الحلول بعد أن قسمها، حسب أهميتها، و أولويتها وتأثيرها على الجزائريين المسلمين.

بدأ أولا بالمشكل الأخلاقي: " احترام الشعب المهزوم، من قبل المنتصر، وإزالة مصطلح الانهـــزام، واحتـــرام كرامة الجزائريين المسلمين. " [703] لأن الإنسان الذي يشعر بالإهانة، والذل لا يمكن الاعتماد عليه، لبنـــاء مجتمـــع متطور ومتحرر، فلا يمكن تحقيق أي تطور إلا برد الكرامة الإنسانية للإنسان الذي هو أساس كـــل تقـــدم، وهـــذه الكرامة كانت كلازمة لفرحات عباس منذ بداية نشاطه السياسي. [704] فالحل الأول الأساسي في نظـــره هـــو رد الكرامة للإنسان الجزائري المسلم، قبل الشروع في أي إصلاح، بعد ذلك يأتي إلى النقطة الثانية من الحلول وهي:

المشكل الزراعي، ويقترح إصلاح الفلاحة، بإبقاء الفلاحين في أراضيهم الفلاحية، وإعادة تشـــكيل طبقـــة الفلاحين عن طريق منحهم قروضا فلاحية، والوسائل الفلاحية العصرية لتحسين المردود، وتطوير المجتمع الريفي عـــن طريق حماية الدولة لملكية الفلاحين. [705] ويمثل هذا الاقتراح مشروعا إصلاحيا حقيقيا للقطاع الفلاحي عن طريـــق استعادة الدولة للملكيات الفلاحية الكبرى، وتوزيعها على الفلاحين، وتـــقديم الدعم المادي والتقني لهـــم، وبنـــاء مساكن عصرية لهم فيها، وإقامة تعاونيات زراعية جماعية أو فردية، ومنع الفلاحين من بيع أراضيهم أو إهمالها. [706] ويقترح حماية القطاع الفلاحي، ولا يتحقق ذلك إلا بسن قوانين تحمي القطاع الفلاحي، كإنشاء صـــندوق فلاحـــة يخضع للشؤون الإسلامية التابع للحكومة العامة، وتأسيس الولاة في كل دائرة لجان فلاحية تحت مســـؤولية رؤســـاء الدوائر، للإشراف على شراء الأراضي، وتوزيعها، وإنشاء لجان فلاحية... [707]

ثم ينتقل إلى الاقتراح الثالث، وهو تطوير التعليم، ففي نظره أن أي إصلاح لا يمكن أن يتحقق في الجزائـــر إلا عن طريق التعليم، الذي لا يمكن أن يكون إلا ببناء المدراس وجعل التعليم إجباريا لكل أبناء الجزائر ذكورا وإناثـــا، وهذا يسمح للجزائريين المسلمين بالتفاعل مع الحياة العصرية، واقتباس التكنولوجيا. [708] والخروج مـــن ظلمـــات الجهل، ثم يستمر في اقتراح الحلول حسب الأولوية، ودرجة أهميتها بالنسبة للجزائريين المسلمين.

لقد تلقى فرحات عباس إجابة متأخرة عن طريق الجنرال "لور" (Laure) [709] وغير واضحة من المارشال

---

[702] ibid. p : 187
[703] ibid. p : 188
[704] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 110
[705] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :190
[706] Jean Lacouture, op.cit, p :282
[707] Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p p :190 – 191
[708] Jean Lacouture, op.cit, p :282
[709] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 113

بيتان يوم 4 أوث 1941، أكد له فيها بأنه سيوف يأخذ هذه الاقتراحات بعين الاعتبار. [710]

ويعلق " أجيرون " على ذلك بقوله: " إن فيشي لم يفهم أنه حينما يريد تجنب ثورة، يجب أن يقوم بها هـو بنفسه." [711] أي صنع أزمة أو ثورة ثم تسييرها حسب رغبته وفي الأخير الخروج منها منتصرا على العدو.

وجه فرحات عباس يوم 4 أوث 1941 رسالة إلى رئيس فيدرالية المنتخبين المسلمين ابن جلول يعلمه فيهـا، عن تقديم استقالته من نيابة رئاستها، بسبب الأخطاء الإدارية المرتكبة من قبل هذه الفيدرالية وإعلانها عـن قبـول التعاون مع النظام الجديد في إطار السياسة المعادية للمسلمين، مبررا استقالته بقوله: " إن سكوتنا عن ذلـك خـداع لشعبنا." [712] لأن إدارة الاحتلال لم تقدم أية إصلاحات فعلية للجزائريين المسلمين.

ولقد ساءت الوضعية الاقتصادية في الجزائر كثيرا، مابين 1940 – 1942، منها انخفاض في إنتاج الحبـوب خاصة في منطقة القبايل وارتفاع نسبة البطالة، وانتشار مرض التيفوس (بقي إلى سنة 1946) في الأوساط الريفية التي عانت من سوء التغذية كذلك ونقص الثياب، حتى أن الناس في هذه الفترة في الريف الجزائري كانوا يرتدون الأكياس المخصصة للحبوب. [713] انتشرت الفضائح المالية والسوق السوداء، وتم تقنين المواد الغذائية لأن معظـم المنتجـات الجزائرية كانت ترسل إلى فرنسا. [714] وترك السكان الجزائريون مهملون يتخبطـون في مشـاكلهم الاقتصـادية، والاجتماعية، و لم تتدخل حكومة فيشي لحل ولو جزء من هذه المشاكل، بل بالعكس راح الماريشال بيتـان ينصـح الجزائريين المسلمين بقبول واقعهم لأنه في نظره قضاء و قدر، وعلى الإنسان الجزائري أن يكفِّر ذنوبه التي ارتكبها في حق الله ! [715] خاطب بيتان الجزائريين المسلمين بلغة شيوخ الزوايا، شيء عجيب ! الجوع، والظلم، والفقر، هـي عقاب إلهي للإنسان الجزائري الذي حرم من أبسط حقوقه الإنسانية التي وهبها الله للبشر، استعمال الدين الإسلامي لتبرير ظلم الإنسان للإنسان، على كل حال هذه طبيعة الحكام الظالمين، يغلقون أفواه رجال الحق، ويفتحون أفـواه رجال الباطل، ويستغلون الدين أسوأ استغلال من أجل استمرار ظلمهم، حتى الماريشال بيتان أصبح واعظـا دينيـا للشعب الجزائري المسلم، مستغلا بذلك الجهل الذي كان سائدا في المجتمع الجزائري. إن فرحات عباس كان يناضل في عدة جبهات فالجبهة الأولى تتمثل في وضع حد لسياسة الاحتلال ومواجهة غلاة المحتلين واللوبي الكولونيـالي في باريس، والجبهة الثانية تتمثل في نشر الوعي التحرري في أوساط العامة من الشعب الجزائري التي كان يغلب عليهـا طابع الأمية والجهل أو سيادة ثقافة الجهل، والوسائل التي كانت بيده ضعيفة أمام أبشع احـتلال اسـتيطاني عرفتـه الجزائر.

---

(710) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 128
(711) ibid.
(712) Lettre de Ferhat Abbas, à M^r : le président de la, F.E.M, de Constantine(documents inédits du mouvement national) N° 12, novembre 1981, A.W.C
(743) Ageron C. R, in R.H.M, op.cit , p p : 128-129
(714) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، 1930-1945، المرجع السابق، ص: 184
(715) نفس المرجع والصفحة.

المبحث الثاني

بيان الشعب الجزائري

نتعرض في هذا المبحث إلى قضية هامة من النضال السياسي لفرحات عباس، فقد تراجع نهائيا عن سياسة الاندماج، ما هي الظروف التي أدت إلى تطور فكره السياسي ؟ ولصالح من كان هذا التطور ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المبحث.

قدم فرحات عباس استقالته في شهر جويلية 1942 من اللجنة المالية الجزائرية. [716] ورَفض تعيينه رئيسا شرفيا للجنة المسلمين لمساعدة فرنسا. [717] كان هذا الموقف منه إهانة للحاكم العام "شاتيل" (Chatel) حيث استدعاه ولكنه رفض دعوته، هذه الاستقالة ورفض دعوة الحاكم العام زادت من شعبيته، [718] وبرهنت على موقفه الحقيقي الصريح والمعادي للاحتلال من رجل طالما اتهم بحبه لفرنسا ونكرانه لوطنه، وحاول أن يواجه الاحتلال بطرق ثورية قانونية مستمدة من قوانين فرنسا اللبرالية، ولكن الواقع أثبت له بأن فرنسا الديمقراطية ليست هي فرنسا الكولونيالية، فالمحتلون ما هم إلا أجهزة قهر ضد الجزائريين، فمصالحهم كانت همهم بالدرجة الأولى، لقد وقفوا إلى جانب حكومة فيشي، وساروا وراء مصلحتهم الشخصية، ويذكر فرحات عباس أن 80% من المحتلين في الجزائر كانوا موالين لحكومة فيشي كان همهم مصلحتهم والاحتفاظ بالجزائر تحت سلطتهم وقد عبروا عن ذلك بقولهم: " لقد ارتكبت فرنسا أخطاء، وعليها وحدها أن تدفع الثمن، ولسنا على استعداد لدفعه بدلها ".ويقول فرحات عباس في هذا الصدد: " فَكَّرنا بعد آلام فرنسا، بأن المحتلين سيعملون على رد الاعتبار للقضية الجزائرية، لكن كان العكس أن معظم المحتلين مالوا إلى حكومة فيشي حفاظا على مصالحهم، واتصلوا بالضباط الألمان، وحاولوا إقناعهم بالوقوف ضد الجزائريين المسلمين، ووصفوهم بأنهم شيوعيون، وثوريون، خطيرون." [719]

طالب فرحات عباس نهائيا بالتخلي عن سياسة الاندماج تماشيا مع الظروف وتطور وعي الجزائريين المسلمين، موقفه هذا خيب آمال كل الاندماجيين الجزائريين الذين كانوا يعتبرون فرحات عباس الزعيم الاندماجي الذي يقتدى به، هل تخلى فرحات عباس عن أصدقائه الاندماجيين ؟ أم أن مصلحة الجزائر قد جعلها فوق مصلحته الشخصية ؟

---

[716] Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 130
[717] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 113
[718] Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 130
[719] ibid.

وقد عبر الحاكم العام " شاتيل " قبل ذلك من خلال ملاحظاته لفرحات عباس أثناء لقائه به في مقر الحكومة العامة، لمدير ديوانه الأستاذ " ماروجي " (Maroger) بقوله: " إن فرحات عباس شخص ممتاز، يجــري وراء غايتــه، ولكنه لم يستطع القبض عليها." [720]

نزلت قوات الأنغلو – أمريكية بشمال إفريقيا يوم 8 نوفمبر 1942، ولقد استغرب الجزائريون مــن هزيمــة فرنسا أمام ألمانيا سنة 1940، وشاهدوا بأنفسهم تغيير نظام فيشي في الجزائر بعد نزول قوات الحلفاء سنة 1942.
وقبله كان الحكم الفرنسي تحت رقابة ألمانيا، صراع ومؤامرات بين الفرنسيين من أجل الحكم، الجزائريون اســتغلوا الفرصة لطرح القضية الجزائرية على الحلفاء وعلى الفرنسيين كذلك. [721]

ويرى بعض الفرنسيين بأن يوم 8 نوفمبر 1942 هو يوم الخديعة. [722] ربما كان هذا صحيحا، لأن الجزائريين أدركوا حقيقة قوة فرنسا أمام قوات الولايات المتحدة الأمريكية، والقتال الذي حدث بين القوات الفرنسية في الجزائر والحلفاء الوافدين إلى الجزائر، وأدى إلى مقتل و جرح حوالي 750 من الجانبين، وتدمير عدد من الآليات العسكرية. [723] وتبعته محاكمات ومداهمات للذين شاركوا في هذا القتال سواء من العسكريين أو المدنيين الفرنسيين.

أما الجزائريون المسلمون فقد رحبوا بنــزول الحلفاء على أرض الجزائر، لأنهم في نظــرهم جــاؤوا لتحريــر الشعوب المحتلة، وتطبيق ميثاق الأطلسي. [724]

تميزت هذه الفترة من الناحية السياسية بنشاط فرحات عباس، وجماعة النخبة، والنواب، الذين سمحت لهــم الظروف (برغم الحرب) بالتحرك بكل حرية، وكذلك الشيوعيون، أما مناضلي حزب الشعب، والعلماء فكــانوا محاصرين. [725]

وكان فرحات عباس على اتصال بــ "روبير مورفي" (Robert Murphy) قنصل سابق للولايــات المتحــدة الأمريكية في الجزائر، ومكلف من الإدراة الأمريكية بمتابعة القضية الجزائرية. [726] وآخر اتصال به قبل نزول قــوات الحلفاء كان يوم 7 نوفمبر 1942، وقد وصف "مورفي" فرحات عباس بأنه وطني جزائري متحمس وله قدرة التــأثير على الجزائريين المسلمين ولكنه رجل معتدل، وعاقل. [727]

---

[720] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 113
[721] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 628
[722] Annie Rey – Goldzeiguer, op.cit, p : 114
[723] ibid. p : 116
[724] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 190
[725] نفس المرجع، ص: 189
[726] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p: 114-115
[727] نفس المرجع، ص: 196

ففرحات عباس له القدرة على الإقناع، والتأثير، واتصاله بمورفي كان من أجل التحضير لاستقلال الجزائر " في هذا الاجتماع أراد فرحات عباس أن يعرف رأي الحكومة الأمريكية، نحو إقامة دولة جزائرية مستقلة ذاتيا (أوتونوم)، لكن مورفي كما أخبره سابقا، إن أمريكا تتعاطف مع كل رغبات الاستقلال، ولكنها في الوقت الراهن حددت هدفها في هزيمة ألمانيا."[728]

ثم بعد نزول قوات الحلفاء، فرحات عباس يكثر من نشاطه، واتصاله بهم، وكان يرى في الولايات المتحدة الأمريكية بأنها دولة فتية متحررة من الذهنية المتناقضة، وبأن مستقبل العالم سيكون لها، وكان معجبا بأفكار الأمريكيين الداعية إلى تحرر الشعوب من سيطرة الاحتلال، والداعية أيضا إلى تطبيق ميثاق الأطلسي، فالفرنسيون في سطيف علقوا على صيدليته صورة الرئيس الأمريكي "روزفلت"، وبعض جمل مأخوذة من إعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية. [729]

إن رغبة فرحات عباس في إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا، لم يستمدها من مرجعية النظام الفيدرالي للولايات المتحدة الأمريكية، ولكن " تأثير مورفي على عباس كان سريا و فعالا"،[730] فهو إنسان سياسي ينطلق من ذاته، ووعي الجزائريين المسلمين، يستمد مشروعه السياسي من الواقع الجزائري، وقد عبر عن ذلك كما مر علينا بأن السياسة لا ترتجل ولا تقلد من الجار، ولكنها تخرج من أعماق وثقافة الشعب نفسه، ويقول محفوظ قداش عن دعوة فرحات عباس إلى إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا، مع فرنسا ما يلي: " رأى فرحات عباس بأنها مرحلة منطقية للجزائر ستقودها فيما بعد إلى الاستقلال التام." [731] وكان يريد فرحات عباس بكل إخلاص تطبيق مبادئ ميثاق الأطلسي على الجزائر، آملا من الأمريكيين تقديم المساعدة له، وقد أعلن لخليفة بن عمار، وأحمد بومنجل، وشوقي مصطفاي، بأن له وعْدا من الأمريكيين لتأسيس حكومة جزائرية، ومن أجل ذلك عمل على تحضير مطالب لتقديمها للأمريكيين ويعتمد عليها كأساس. [732] وبناء على ذلك بدأ في تحضير رسالة قدمها للسلطات الفرنسية، والحلفاء، يوم 20 ديسمبر 1942، ثم أتبعها بثانية مع إدخال تغيير عليها يوم 22 ديسمبر 1942، وهذه الأخيرة موقعة من طرف فرحات عباس، وعبد القادر السايح*، والدكتور تامزالي**.[733]

وهذا عنوان الرسالة الأولى: " رسالة من ممثلي المسلمين الجزائريين إلى السلطات المسؤولة ".

---

[728] نفس المرجع، والصفحة.

[729] ibid. P: 114

[730] Mahfoud Kaddache, op.cit, p :630

[731] ibid.

[732] Mohamed Harbi, le F.L.N, mirage et réalité, édition, Jeune Afrique, Paris, 1980, p p : 45, 62

* رئيس الفرع العربي في المندوبيات المالية

** رئيس فرع القبايل للمجلس المالي

[733] ibid.

" ممثلو المسلمين الجزائريين، أمام الأحداث الخطيرة التي يعيشها بلدهم منذ 8 نوفمبر 1942 يوجهون إلى السلطات المسؤولة الرسالة التالية: بعد أن اكتسحت الحرب كل القارات، ومزقت فرنسا مشعل الحضارة و الثقافة تصل اليوم إلى الجزائر.لو كانت هذه الحرب كما يصرح بها السيد رئيس الولايات المتحدة، حرب تحرير الشعوب، والأشخاص، دون تفرقة في الأجناس والأديان، لشارك المسلمون الجزائريون فيها بكل قواهم، وبكل التضحيات في هذا الكفاح التحريري، وهكذا سيضمنون تحررهم السياسي، وفي نفس الوقت تحرير فرنسا، ولكن يجب التذكير أنهم يمثلون سكانا محرومين من الحقوق والحريات الأساسية التي يتمتع بها السكان الآخرون لهذه البلاد، رغم التضحيات التي قبلها هؤلاء، ورغم الوعود الثابتة والقطعية التي أعطت لهم في عدة مرات، وعليه قبل أن تشارك الجماهير المسلمة في أي جهد حربي، يطلبون ندوة تجمع المنتخبين و الممثلين المؤهلين من جميع المنظمات المسلمة، هدفها إنشاء قانون سياسي، واقتصادي، واجتماعي لمسلمي الجزائر، في الواقع هذا القانون يؤسس على العدالة الاجتماعية، يمنح لمسلمي هذا البلد الوعي الكامل حول واجباتهم الحالية." [734]

هذه الرسالة موقعة من الشخصيات الثلاثة المذكورة، و 12 عضوا من اللجنة المالية، 9 شخصيات (المجموع 24 شخصية) ربطوا فيها مشاركة المسلمين الجزائريين في الحرب بناء على طلب الجنرال "جيرو" (Giraud)، والأميرال " دارلان " (Darlan) وذلك يوم 11 ديسمبر 1942 من ممثلي المسلمين بتكوين جيش جزائري مسلم يصل إلى 300 ألف عسكري، دون الإشارة إلى الحقوق، فرحات عباس كتب رسالة وقدمها إلى الأمين العام للحكومة العامة " قونون " (Gonon) وإلى الحلفاء طالبوا فيها بربط مشاركة المسلمين في الحرب إلى جانب الحلفاء بإصدار قانون جديد للجزائر مبني على أساس العدالة الاجتماعية، وضامنا للحرية السياسية، رفض الحاكم العام شاتيل تلك الشروط، وذكر لهم بأن الحرية السياسية لا تتم بتلك الشروط، وأنها لا تكون إلا في إطار فرنسي، فطلب فرحات عباس من الشخصيات الموقعة معه على تلك المطالب بعقد اجتماع فوري، وتم الاتفاق فيه على توجيه رسالة ثانية إلى الحاكم العام يوم 22 ديسمبر 1942، اعترفوا له فيها بسيادة فرنسا على الجزائر وقدموا مشروع إصلاحات للتخفيف من معاناة الجزائريين. [735] و لم يوجهوها للحلفاء، حتى لا تشعر سلطات الاحتلال بالإهانة أو محاولة تجاوزهم.

وهذه الرسالة الثانية تعتبر كمسودة لبيان الشعب الجزائري فيما بعد، ويرى بعض المشككين أنه استمدها من " مورفي ". [736]

وغير عنوانها وجعله كما يلي: " رسالة من ممثلي المسلمين إلى السلطات الفرنسية ".

---

[734] Claude Collot –Jean Robert Henry, op.cit, p p : 153-154

[735] Ageron, C. R, in, R.H.M, N°4 juillet 1975, op.cit, p : 132

[736] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 115

" ممثلو الجزائريين المسلمين أما الأحداث الخطيرة التي أصبحت بلدهم مسرحا لها منذ 8 نوفمبر 1942 يوجهـــون إلى السلطات الفرنسية الرسالة التالية: بعدما عمت الحرب كل القارات، ومزقت فرنسا مشعل الحضارة، و الثقافة تصل اليوم إلى الجزائر، لو كانت هذه الحرب كما صرح بها السيد رئيس الولايات المتحـــدة حـــرب تحريـــر الشـــعوب والأشخاص، بدون تفرقة في الأجناس والأديان، لشارك المسلمون الجزائريون بكل قواهم، وبكل التضحيات في هـــذا الكفاح التحريري، وهكذا سيضمنون وفي إطار فرنسي بحث، تحريرهم السياسي، وفي نفس الوقت تحرير فرنسا، لكن يجب التذكير أنهم يمثلون سكانا محرومين من الحقوق، والحريات الأساسية، التي يتمتع بها السكان الآخرون لهذه البلاد، رغم التضحيات التي قبلها هؤلاء، و رغم الوعود الثابتة، والقطعية التي أعطت لهم في عدة مـــرات. فـــالرأي العـــام للمسلمين يبقى مضطربا بعمق. ويريد أن يشارك في المصير المشترك، وليس في مجال التضحيات وحدها.وينبغي منـــذ ذلك الوقت أن نبين له بإنجازات واقعية، وعاجلة إرادة فرنسا الإصلاحية، وعليه يطلب الممضون أســـفله اســـتدعاء عاجلا لندوة تجمع المنتخبين المؤهلين و الممثلين من جميع المنظمات المسلمة، هـــذه
الندوة سيكون هدفها إنشاء قانون سياسي، واقتصادي، واجتماعي لمسلمي الجزائر، في الواقع هذا القانون يؤسس على العدالة الاجتماعية، يمنح لمسلمي هذا البلد، الوعي الكامل حول واجباتهم الحالية." [737]

قدم فرحات عباس بنفسه هذه الرسالة للأمين العام للحكومة العامة " قونون (Gonon) وكان معه بومنجل، والدكتور سعدان، وبعد محادثة لطيفة، قبل الأمين العام الرسالة، وذلك قبيل اغتيال " دارلان ". [738]

إن الرسالة الثانية قد حدد فيها السلطة الفرنسية وحدها دون الآخرين لتحمل مسؤوليتها كاملة تجاه الجزائريين المسلمين، وربط فيها تحرر الجزائر السياسي من الاحتلال بتحرير فرنسا، وطلب بسن قانون سياســـي، واقتصـــادي، واجتماعي للجزائر مبني على أساس العدالة الاجتماعية. [739]

وقد أعلن الجزائريون المسلمون في الرسالتين عن استعدادهم للمشاركة في الحرب الكونية الثانيـــة لتحريـــر الشعوب من الاحتلال بشرط أن يدخل هذا في إطار تحريرهم الذاتي سياسيا، ومؤكدون بأن الجزائـــريين المســـلمين مازالوا محرومين من أبسط الحقوق الأساسية التي يتمتع بها باقي سكان الجزائر، وفي الرسالتين طالبوا بضرورة عقـــد ندوة عاجلة لإعداد قانون سياسي، واقتصادي، واجتماعي خاص بالجزائر.

" والمقارنة بين النصين مفيدة، فالأول يتغافل عن ذكر سلطة فرنسا السياسية، والثاني يقر إبقاء الجزائر في

[737] Claude Collot –Jean Robert Henry, op.cit, p p : 154-155
[738] Annie Rey - Goldzeiguer,op.cit,p : 189
[739] Alistaire Horne, histoire de la guerre d'Algérie, édition, Albin Michel, Paris, 1980, p :185

الإطار الفرنسي، لكنه لا يشرك الفرنسيين في تحرير النظام الخاص بالمسلمين، وهو ما يجردهم بالفعل من أحد اختصاصاتهم الأساسية." [740] فالسياسيون الجزائريون المسلمون استولت عليهم الحمى غداة نزول قوات الأنغلو- أمريكية بالجزائر يوم 8 نوفمبر 1942 " التشكيلات السياسية لما قبل الحرب، بدأت تجتمع لوضع مخطط عمل."[741] لإنقاذ الشعب الجزائري المسلم من نظام الاحتلال الجائر " فالوطنية الجزائرية انطلقت." [742] باحثة عن الوطن الجزائري، وفرحات عباس ينتقل إلى مجال الوطنيين.[743]

ويلاحظ في أسلوب هاتين الرسالتين اختلافا واضحا عن الرسالة التي وجهها فرحات عباس إلى الماريشال "بيتان"، حيث كانت هذه الأخيرة تحتوي على عبارات الاحترام والتقدير، أما الرسالتين فأسلوبهما جاف، ويرجِّع ذلك "شارل أندري جوليان" إلى " الحضور الأمريكي أعطى التحرير صبغة احتلال أجنبي أكثر من استرجاع فرنسا لنفوذها." [744]

إن سلطات الاحتلال وحلفائها في الجزائر كان هدفهم الأساسي يتمثل في القضاء على المحور، أما مشاكل الجزائريين المسلمين فإنها بالنسبة إليهم غير مهمة، و لم يحصل فرحات عباس وجماعته على أي وعد محدد.[745] وقد قال الجنرال "جيرو" (Giraud) الذي خلف "دارلان" لوفد من الجزائريين المسلمين " اليهود للدكاكين، والعرب للمحراث " [746] وصرف الوفد الذي قاده فرحات عباس قائلا لهم أيضا:" إنه يحارب ولا يشتغل بالسياسة." [747] وقد علق فرحات عباس على ذلك قائلا: "إن الجزائر وجدت أمامها رجالا من سالف الزمان، مثقلين بذكريات " التعقل " التي تمنعهم من التجديد ".[748]

فرجال الاحتلال هم من نمط واحد منذ 1830، ينظرون إلى الجزائر والعرب المسلمين، كضيعة لهم وجدت من أجل مصلحتهم، وأن أية معارضة لهم، أو المطالبة بأبسط الحقوق الإنسانية، يعتبرونها عصيانا وتهورا، تستحق القهر، والإذلال.الجنرال " جيرو " كان قاسيا مع فرحات عباس لأنه غضب منه بسبب اتصالاته بالأمريكيين، والتي بدأها فرحات عباس بمورفي قبل إنزال الأنغلو- أمريكية، ثم بعد 8 نوفمبر 1942 كانت له اتصالات مع الأمريكيين بواسطة عسكري أمريكي مسلم من أصل لبناني " حاج محمد سيبليني " الذي التقى بفرحات عباس، والدكتور

---

[740] شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية، والسيادة الفرنسية) ترجمة المنجلي سليم، وآخرون، طبعة، الدار التونسية للنشر، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس 1976، ص ص: 312-313

[741] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 138,139

[742] Annie Rey - Goldzeiguer, op.cit, p :181

[743] ibid. p: 188

[744] نفس المرجع، ص: 313

[745] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص : 192

[746] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :116

[747] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص: 313

[748] ibid. p p : 116-117

سعدان، والصالح هني، وقد أقام الدكتور تامزالي مأدبة غذاء شارك فيها القنصل مورفي، وفرحات عباس،[749] وابـــن جلول و الأخضري، والنتيجة التي توصل إليها المجتمعون، أن الجزائر يجب أن لا تبقى تحت الإكراه، وتمت اتصـــالات أخرى تم التعرض فيها إلى إمكانية تأسيس حكومة جزائرية. [750]

وأمام تعنت إدارة الاحتلال، وعدم ترحيب قوات الحلفاء بمطالب فرحات عباس السابقة. [751] كان لزامـــا عليه أن يختار طريقا آخر أكثر راديكالية، لأن أبسط مطالبه رُفضت، فدعا إلى عقد اجتماع في مكتب المحامي بومنجل بالعاصمة، حضره الدكتور تامزالي، رئيس الفرع القبايلي في المندوبيات المالية، وغرسي أحمد، مستشار مالي، وقاضي عبد القادر مستشار عام ورئيس جمعية الفلاحين، والدكتور لمين دباغين، و عســـلة، عضوان في حـــزب الشـــعب الجزائري، والشيخ التبسي، والشيخ خير الدين، والشيخ توفيق المدني، من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفرحات عباس، والدكتور ابن جلول، ومستشارون عامون، ومندوبون ماليون، ومحمد الهادي جمام رئيس الجمعيـــة للطلبـــة المسلمين، والدكتور سعدان مستشار عام، هؤلاء الحاضرون، اتفقوا على إصدار ميثاق جديد خاص بالجزائر. [752]

وبعد استشارته مع هذه الشخصيات، تم الاتفاق فيما بينهم على تكليف فرحات عباس بتحرير تقرير يقدم إلى ســـلطات الاحتلال والحلفاء، ويقول فرحات عـــباس: " بعد عودتي إلى سطيف كتبت بيان الشعب الجزائـــري." [753] حرره وحده في بيته بسطيف، ويقول عنه بأنه ملخص موضوعي لـــ 130 *سنة مـــن الاحـــتلال الفرنســـي للجزائر، واستقراء للماضي، وتعبير صادق عن مطامح الشعب الجزائري، بدون حقد، ولا انفعال فهو يحدد المشـــكل الجزائري بصدق [754] في نظره.

وقد وضع عنوانا للبيان " الجزائر أمام الصراع الدولي، بيان الشعب الجزائري " [755] وتركز على 5 مطالب أساسية هي:

" 1- إدانة الاحتلال وتصفيته، بمعنى إنهاء سياسة الإلحاق، واستغلال شعب لشعب آخر، إن هذا الاحتلال ما هو

---

[749] نقلا عن وليم ب. كواندت، المرجع السابق،ص: 56 ،" من كتاب « دي غول » تأليف جون لاكوتير ص: 117، حيث يرى أن دي غول لم يسامح عباس على تعامله مع الأمريكان و البريطانيين قبل الاتصال بفرنسا الحرة أثناء الحرب العالمية الثانية، وأنه مازال دي غول يحمل سوء النية على عباس الذي أصبح فيما بعد رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. ويشير لاكوتير إلى أن دي غول مارس الضغط على جبهة التحرير الوطنية عندما عرض التفاوض بشرط إزاحة فرحـــات عباس عن الرئاسة وحصل ذلك في آب 1961، وبعدها استمرت المفاوضات بسرعة، وفي مقابلة مع المؤلف بـــيـــن فرحات عباس انه(كذا) ان الكاتب مصيب في تعليله. "

[750] Mahfoud Kaddache, op.cit, p p : 629 - 630

[751] نفس المرجع والصفحة.

[752] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :140

[753] ibid.

* لقد أخطأ في المدة الزمنية فهي 112 سنة (في تلك الفترة) من الاحتلال وليس 130 سنة .

[754] ibid.

[755] Anonyme, du Manifeste à la république Algérienne, édition, libération, Alger, 1948, p :25

إلا شكل جماعي للعبودية الفردية في القديم، والاستعباد في العصور الوسطى، ومن جهة أخرى فهو أســـاس رئيســـي للمنافسات والمنازعات بين القوى العظمى.

2- تطبيق مبدأ تقرير المصير لكل الشعوب سواء كانت صغيرة أو كبيرة (هذا المطلب الثاني مـــأخوذ مـــن ميثـــاق الأطلسي 14 أوث 1941، وكذلك المطلب الأول مستمد منه).

3- منح الجزائر دستورا يضمن لها:

أ – الحرية والمساواة المطلقة لكل سكانها بدون تمييز عرقي، أو ديني.

ب- إلهاء الملكيات الإقطاعية، بتطبيق إصلاح زراعي، وحق العيش برخاء، للطبقة الواسعة من البروليتاريا الفلاحية، (هذا المطلب ورد في برنامج حزب اتحاد الشعب الجزائري، وفي الرسالة التي قدمها إلى " بيتان"1940)

ج- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية (ورد في برنامج حزب إتحاد الشعب الجزائري)

د- حرية الصحافة، وحق الجمعيات.

هـــ - التعليم المجاني والإجباري لكل الأطفال، ذكورا وإناثا (ورد في برنامج حزب إتحاد الشعب الجزائري).

و- حرية الديانة لكل السكان، وتطبيق فصل كل الديانات عن الدولة (ورد في برنـــامج حـــزب إتحـــاد الشـــعب الجزائري).

4- المشاركة الفورية والفعالة للمسلمين الجزائريين، في حكومة بلدهم، مثلما فعلت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية وحكومة الماريشال بيتان والألمان في تونس، وهذه الحكومة تستطيع في جو من الوحدة المعنوية الواضحة أن تشـــرك الشعب الجزائري في الكفاح المشترك. (هذا المطلب أخذه من تأسيس الحكومة السورية في عهد الجبهة الشعبية).

5- إطلاق سراح جميع المساجين السياسيين المحكوم عليهم، مهما كان الحزب الذي ينتمون إليه." [756](قد رفـــض سجن مصالي الحاج منذ 1937، وأشار في ذلك في كتاباته السابقة رافضا الاعتداء على حرية التعبير، لأنها في نظـــره جزء من الكرامة الإنسانية).

أما أسباب اختيار فرحات عباس لمصطلح " البيان " فقد استمده من مرجعية " كـــارل مـــاركس " (Karl Marx) حتى يظهر بأنه أكثر هجوما من تعبير مصطلح الميثاق، وبالتالي انتقل فرحـــات عبـــاس مـــن الاعتـــدال إلى الراديكالية. [757] في مواقفه السياسية، وقد عبر المحامي أحمد بومنجل عن ذلك البيان بأنه نضال سياسي، سيؤدي إلى إحداث القطيعة نهائيا مع الاندماج، ويقوي الروح الوطنية عند الجزائريين. [758] واستطاع فرحات عباس في

---

[756] ibid. p p : 40-41
[757] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 118
[758] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص : 88

هذا البيان أن يجمع بين أفكار حزب الشعب الجزائري، وجمعية المسلمين الجزائريين، وهذا ما كان يريده منذ تأسيسه لحزب الشعب الجزائري، لأنه كان يرى بأن مواجهة الاحتلال الفرنسي تتطلب تعاون الجميع.

" تمثل هذه الوثيقة أول خرق لفكرة الاندماج عند فرحات عباس. " [759] وقد اعتبر " شارل أندري جوليان " بأن فرحات عباس هو الرجل الصاعد لما بعد الحرب. [760]

لقد كتب فرحات عباس البيان و وقعه باسم المنتخبين لولاية قسنطينة، وحسب عمار نارون فإن أحمد فرنسيس قد شارك فرحات عباس في كتابته [761] وأعطاه لمقرر منتخبي ولاية الجزائر الذي يظهر بأنه لم يزد عليه أية إضافات.

أما هذا البيان فهو مؤرخ بتاريخ 10 فيفري 1943، و موجّه إلى سلطات الحلفاء، وقدم إلى السلطات العليا للاحتلال الفرنسي بالجزائر، ويذكر شارل روبير أجيرون بأن عدة نسخ من هذا البيان موجودة في أرشيف الحكومة العامة تحمل عدة توقيعات* مختلفة، واحدة منهم تحمل 6 توقيعات فقط هم " السايح، الدكتور تامزالي، والدكتور ابن جلول، وابن خلاف، و زروق، وفرحات عباس. " ونسخة أخرى تحمل 9 توقيعات هم " سيسبان، تامزالي، بن علي الشريف، زروق، عباس، بن زكري، بن غانا، قاضي، و شحراوي. " ونسخة ثالثة تحمل 37 توقيعا. [762]

أما الاختلافات في نصوص البيان فإنها توجد في نسختين فقط، نسخة الطبعة الأولى، موجهة للحلفاء،

---

[759] وليم ب. كواندت، المرجع السابق ص: 56

[760] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 119

[761] Amar Naroun, op.cit :163

* البيان الذي نشره أبو القاسم سعد الله يحتوي على22 توقيعا (أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، 1930-1945 المرجع السابق، ص ص: 265-266).

والتوقيعات على البيان الذي نشره كلود كولو، وجون روبير هنري (Claude Collot-Jean robert Henry.op.cit, pp : 164,165.) يحتوى على 31 توقيع.

وعدد التوقيعات في كتاب عبد القادر ميموني (Abdelkader Mimouni, Le Manifeste Algérien dans la presse Française,2eme édition,édition,Mimouni Alger,1991,pp :21,22)يحتوى على 28 توقيعا.

والبيان الذي نشره يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص: 86-87، يحتوي على 30توقيع.

أما في القرص المضغوط (Cédérom Microsoft Encarta 2003, Ferhat Abbas) فإنه يذكر عدد التوقيعات: 28 توقيعا.

ويذكر أندري نوشي أن عدد التوقيعات بلغت الخمسينات توقيعا (André Noushi,op.cit,p :133).

أما شارل أندري جوليان، فيذكر أن عدد التوقيعات 55 توقيعا (شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص :314)

ملاحظة: التوقيعات على البيان مختلفة، وغير مضبوطة، ربما يعود ذلك إلى تقديم كل مرة للحكومة العامة نسخة من البيان كلما زاد عدد الموقعين، من أجل الضغط عليها، لذلك جاءت التوقيعات مختلفة، أما التاريخ الذي كتب فيه البيان 10فيفري 1943 ثابتا وغير متغير برغم تغيير التوقيعات.

[762] Ageron, C. R, in, R.H.M, N°4 juillet 1975, op.cit, p p : 132-133

ورد فيها 5 مرات تعبير" الأمم المتحدة " هذه العبارة مكتوبة باللغة الإنجليزية، أما النسخة الثانية الموجهة للسلطات الفرنسية، ورد فيها تعبير" الأمم المتحالفة " مرة واحدة وهذه العبارة مكتوبة باللغة الفرنسية.

والسلطات الفرنسية لم ترد في هذه النسخة إلا مرة واحدة على شكل خط مائل جاء فيه: " إلى جانب الجنرال "جيرو"، وجيوش الأنغلو- أمريكية. " وهذه النسخة الثانية قدمت إلى الحاكم العام "بيرتون" (Peyrouton) يوم 31 مارس 1943 مع إدخال تغييرات بسيطة عليها بالمقارنة مع النسخة الأولى الموجهة للحلفاء. ففي النسخة الأولى، ليوم 10 فيفري 1943 طلب فرحات عباس بـ " دستور جمهوري واجتماعي ".بمعنى " دستور خاص بالجزائر" مضيفا: " المشكل الجزائري... ليس فقط جنسي أو ديني ولكن بالدرجة الأولى هو مشكل صراع الطبقات."[(763)]

أما في النسخة الثانية الموجهة للسلطات الفرنسية يوم 31 مارس 1943 [(764)] فقد وردت فيها: " أن المشكل الجزائري... جنسي وديني." وطالب فرحات عباس بـ " تكوين حكومة مؤقتة نابعة من الشعب "
وورد فيها كذلك: " مشاركة المسلمين الجزائريين في حكومة بلدهم " [(765)]

ويقول فرحات عباس: " في يوم 31 مارس 1943 قدم وفد متكون من الدكتور ابن جلول، و السايح عبد القادر، والدكتور تامزالي، و أُرابح، و دن علي الشريف، والدكتور الأخضري، وأنا أيضا، هذا التقرير إلى الحاكم العام السيد "مارسيل بيروتون" (Marcel Peyrouton) الذي استقبلنا، وسلمناه هذا القرير، وفي الغد قدمناه إلى ممثلي الولايات المتحدة، وبريطانيا العظمى، والاتحاد السوفيتي، وبلغناه كذلك إلى الجنرال دي غول (de Gaulle) بلندن، وحكومة القاهرة. [(766)]

إن مبادرة كتابة البيان التي قام بها فرحات عباس جاءت نتيجة لفشل سياسة حكومات الجمهورية الثالثة التي لم تستطع تحقيق إصلاحات تلبي مطالب الجزائريين المسلمين، فجاء هذا البيان ليطالب بحكم ذاتي للجزائر.[(767)]

ويتهم الحزب الشيوعي الجزائري فرحات عباس بأنه استمد كتابة هذا البيان من ممثل الولايات المتحدة، مورفي، ومدير شؤون المسلمين بالحكومة العامة السيد بيرك، فيرد فرحات عباس عن هؤلاء المتشككين من الشيوعيين وغيرهم من الأصوات المعادية له، بقوله: " يقولون بأن السيد بيرك، مدير شؤون المسلمين، والسيد روبير مورفي، ممثل الولايات المتحدة الأمريكية، هما اللذان ساعداني في كتابة البيان، فلا شيء من ذلك صحيح،

---

(763) ibid. p : 133
(764) Mémoire, remis le 31 mars 1943, à M. Le Gouverneur Général, par MM. Ferhat Abbas, Bendjelloul, Benkhellaf, docteur Tamzali, Saiah Abdelkader et Zerrouk Mahieddine, op.cit, A.W.C.
(765) Ageron, C. R, in, R.H.M, N°4 juillet 1975, op.cit, p: 133
(766) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p : 145
(767) www.herodote.net, ferhat abbas

هاتان الشخصيتان، لم تعلما بقضية البيان، إلا بعد تقديمه رسميا للسلطات، وهذا البيان جاء كاستمرار للتقرير الـــذي قدمته للماريشال بيتان في أفريل 1941. " [768]

وقد ورد تشكيك آخر (يضاف إلى تشكيك الشيوعيين الجزائريين سنة 1943) في كتاب ابن يوسف بـــن خدة، أصول أول نوفمبر 1954، حول كتابة هذا البيان، فقد ذكر شهادة لـــ " لمين دباغين " الذي يذكر بأنه هـــو الذي كتب هذا البيان، وأعطاه لفرحات عباس، الذي قدمه فيما بعد إلى السلطات الفرنسية والحلفاء، بعد أن عـــدل فرحات عباس بعض الكلمات فيه. [769]

على كل حال لا يمكن تصديق ذلك، فهو بعيد عن الحقيقة، لأن كتاب ابن يوسف بن خدة، طبعه بعد وفاة فرحات عباس بأربع سنوات أي سنة 1989، و لم يستطع لمين دباغين أن يذكر ذلك في حياة فرحات عباس، وكـــان بإمكانه وهو طبيب وكاتب كما يقول أن ينشر ذلك في الجرائد، صحيح أن فرحات عباس قبل كتابة البيان تشـــاور مع عدة شخصيات جزائرية في مكتب المحامي بومنجل بالعاصمة، وكان من بينهم العلماء، وأعضاء من حزب الشعب الجزائري، وبحضور لمين دباغين كذلك، فدار النقاش حول صيغة لتقديم مطالب الوطنيين الجزائـــريين إلى الســـلطات الفرنسية والحلفاء لإيجاد حـــل لمشـــكل الجزائر، وبطبيعة الحال قدَّم الحاضرون اقتراحاتهم من الممكـــن أن تكـــون شفهية أو كتابية، وبرجوع فرحات عباس إلى مدينة سطيف كما ذكر كتب البيان في بيته، فاستشارته لجميع التيارات الجزائرية، وسماعه إليهم، وأخذه بما اتفق عليه الجميع، تلك هي سياسته المبنية على احترام الآراء، والديمقراطية، وإيمانه الراسخ بأن الاحتلال الفرنسي للجزائر لا يمكن لفئة واحد مواجهته إذا لم تتضافر جهود الجميع.

لقد حَّقق " شارل روبير أجيرون " في بيان الشعب الجزائري، حلَّل أسلوبه، وأفكاره، وقارنه مـــع كتابـــات فرحات عباس منذ العشرينات في الجرائد التي جمعها في كتاب الشاب الجزائري (1931)، ووجد أن خطة البيان هي نفس خطة التقرير الذي أرسله إلى الماريشال بيتان، وثانيا توجد فيه انتقادات مطوَّلة لنظام الاحتلال، واقتراح الحلول، واحتوائه على الأخلاقيات، وهذه كلازمة لفرحات عباس، الذي يركز كثيرا على الجانب الأخلاقي، وتوصل بعـــد التحقيق الواسع في البيان بأن كاتبه الحقيقي هو " فرحات عباس " [770]

ويؤكد كذلك أبو القاسم سعد الله بقوله:" أن البيان أعده فرحات عباس. " [771]

---

(768) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p : 140

(769) Benyoucef Benkhedda, les origines du 1er novembre 1954, édition, Dahleb, Alger, 1989, p :90

(770) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 133

(771) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص : 204

فالأعضاء الذين اجتمعوا في مكتب المحامي بومنجل في العاصمة، بعد اتفاقهم على الخطوط العامة، والمبدئية، قرروا تقديم مطالبهم على شكل ميثاق يحتوى على مطالب الشعب الجزائري، وتم الاتفاق فيما بينهم على تكليف فرحات عباس بتحريره في إطار تلك المبادئ والخطوط، وبرجوعه إلى سطيف كما رأينا سابقا قام بتحرير البيان. [772] حيث اعتمد في تحريره كثيرا على كتاباته السابقة، خاصة مقالاته التي جمعها في كتابه الشاب الجزائري.

فكل المؤرخين الذين كتبوا عن هذا الفترة سواء كانوا جزائريين أو أجانب يؤكدون بأن كاتب المقال هو فرحات عباس.* وليس كما يشاع ظلما بأنه من إيحاء " أوغسطين بيرك "، أو " روبير موريي "، أو كما ورد في رواية ابن يوسف بن خدة.

إن البيان يعتبر بحق عمل ثوري لمطالبته بالتنديد بالاحتلال وإلغائه ورفضه لسياسة الاندماج، و المطالبة بالجنسية الجزائرية والمواطنة.

وإن مصالي الحاج لم يكن معارضا لمضمون البيان، ولكنه لم يوقعه لأنه كان مسجونا في عين صالح. [773]

وقد برهن فرحات عباس أن الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ سنة 1830 لم يجلب للجزائريين المسلمين سوى الدمار، والخراب والتمييز العنصري، وحرمان الشعب الجزائري من أبسط الحقوق الأساسية. [774]

وبرغم أن الجزائريين المسلمين قد قاوموا الاحتلال الفرنسي منذ 1830، ورفضوه رفضا مطلقا، و لم يسكتوا عنه أبدا إلا حينما انهزمت أسلحتهم، فهو مرفوض لديهم.

أما لجوء فرحات عباس وأصدقائه إلى الحلفاء، فلأن الحكومات الفرنسية رفضت، أو فشلت في سياسة الإصلاح. [775] فالجزائريون المسلمون مستعدون للمشاركة في الحرب الكونية الثانية إلى جانب الحلفاء، ولكنهم

---

[772] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 66

*حسب دراستي المتواضعة لأسلوب وأفكار فرحات عباس، أنه هو كاتب بيان الشعب الجزائري، فمقالاته السابقة يعتمد فيها على مؤرخين فرنسيين أمثال، غوتييه، ومارسييه، وشارل أندري جوليان، لإعطاء الدليل على فظاعة الاحتلال، وهي نفسها أعادها في البيان، ومطالبته بتحسين أوضاع الفلاحين المسلمين، وفتح أبواب التعليم أمام جميع الجزائريين، هي نفس المطالب التي كان يدعو إليها منذ الثلاثينات من القرن العشرين.

وقد أشرت حين تعرضت إلى المطالب الخمس للبيان، مصدر كل مطلب، بهدف توضيح أصلها ، وتحليله لوصف الجزائر خلال 113 سنة من الاحتلال معظمها مستمدة من كتاباته السابقة، الشاب الجزائري جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي، مطالب النخبة خلال الحملات الانتخابية، وفي مداولات المجالس النيابية، ومطالب المؤتمر الإسلامي، ومبادئ حزب إتحاد الشعب الجزائري، مع إضافة بعض مطالب حزب الشعب الجزائري أما الأسلوب فهو يتطابق تماما مع أسلوب فرحات عباس، أما أسلوب لمين دباغين فإننا نجهله... وربما يقول أحد المتشككين بأن فرحات عباس إنسان اندماجي، فعليه الرجوع إلى نشاطه بعد عودته من الحرب الكونية الثانية، ورسائله وتقاريره إلى سلطات الاحتلال، حيث يلاحظ بدون عناء تحول الفكر السياسي لفرحات عباس، فهو القائل كما مر علينا " إن الوطن الجزائري الذي لم أجده سنة 1936 وجدته الآن."

[773] ibid. p : 134

[774] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 204

[775] الجيلالي صاري، ومحفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 72

رفعوا شعار الرئيس الأمريكي " روزفلت "، الذي أعطى ضمانا باسم الحلفاء في إطار النظام العالمي الجديد، "حق كل الشعوب الصغيرة، أو الكبيرة ستكون محترمة "، وهذا الحق لم يرد الشعب الجزائري أن يُفقده.[776]

وهذا ما كانت تهابه سلطات الاحتلال، وفرنسا كانت تتشدد في القيام بإصلاحات حقيقية في الجزائر، خوفا من أن ينتقل الجزائريون إلى مطالب أكثر راديكالية، لذلك كانت الإصلاحات التي تمت في الجزائر حتى تاريخ كتابة البيان هزيلة، ونستطيع أن نقول بأنها إهانة للإنسان الجزائري المسلم، أمام نقص الإصلاحات تحولت النخبة التي كانت تطالب بالاندماج بالتخلي عنه نهائيا " ففزعت الإدارة عندما لاحظت ابتعاد زبائنها "[777] واقترابهم من العلماء و مناضلي حزب الشعب الجزائري، فسياسة الاحتلال الهادفة إلى تكوين جيل من الجزائريين مثقف بالفرنسية، موالي لفرنسا، باءت بالفشل، باستثناء الشيوعيين الجزائريين (الحزب الشيوعي الجزائري) الذين أزعجهم مضمون البيان، فعارضوه، ورفضوه، ففي نظرهم أن الوطنية التي يدعو إليها البيان، هي تعبير عن تيار مصالح البرجوازية العربية - البربرية، وطالبوا بالتضامن مع العمال الأوروبيين في الجزائر، والديمقراطية الفرنسية.

وقد رد عمار أوزڤان في سنة 1943 على هذا البيان بإعادته للكلمات التي جاءت في خطاب "موريس ثوريز " (Maurice Thorez) سنة 1939 بقوله: " الجزائر أمة في طور التكوين، وشعبها سيكون خليطا، من عناصر ذات أصول أوروبية، وبربرية، وعربية، هؤلاء الذين انصهروا في جيل جديد، ولكن هذه الأمة لم تنضج بعد لتكوين وطن، الحزب الشيوعي هو الوحيد الذي بقي مرتبطا بسياسة الاندماج."[778] فـ (ح.ش.ج) بقي مرتبطا بسياسة الاندماج، فإذا كان البيان قد أقلق الشيوعيين الجزائريين، فإن حزب الشعب الجزائري، والعلماء قبلوه بدون تحفظ.[779]

قَبِلَ حزب الشعب الجزائري البيان لأنه يدعو إلى تأسيس حكومة جزائرية، ورافضا الاحتلال، ومطالبا بإدانته وإلغائه، وقبل العلماء البيان لأن جماعة النخبة تراجعت عن مطلب التجنس وطالبت بوطن جزائري، ويرى الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف: " كان (ذلك) ناتجا أساسا عن تطور النخبة، ويأسها من الديمقراطية الفرنسية، أما قبول العلماء التعاون مع هؤلاء فقد كان ناتجا عن قناعتهم بالمواقف الجديدة التي أثبتت منذ سنة 1943 قطيعة رجال النخبة نهائيا مع المستعمر من جهة، والإمكانيات السياسية التي كان يتمتع بها أعضاء النخبة من جهة أخرى."[780] فالعلماء كان هدفهم يتمثل في كيفية العمل على المحافظة على الشخصية الوطنية الجزائرية، وإعداد

---

[776] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 643

[777] نفس المرجع، ص: 73

[778] Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p : 134

[779] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 645

[780] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945 (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص: 286

جيل للدفاع عن الوطن الجزائري، بعد تربيته وتعليمه تعليما عربيا إسلاميا، ويدافعون عن بقاء الشعب الجزائري حتى لا يزول، أو يندثر، وفرحات عباس كتب البيان باسم الشعب الجزائري [781] وكان بذلك معبرا حقيقة عن آمال الشعب الجزائري، وتطلعه لوطن جزائري مستقل، "ومع بيان الشعب الجزائري توصل فرحات عباس، وأتباعه أخيرا إلى النتيجة أن استقلال الجزائر بشكل ما، مطلب مرغوب فيه." [782]

إن البيان لم يذكر نهائيا إقامة حكومة فيدرالية، كما تعرض في ذلك فرحات عباس، في رسالته، الموجهة لسلطات الاحتلال يوم 22 ديسمبر 1942 والتي جاء فيها كما مر علينا، بأن الجزائريين (سيضمنون في إطار فرنسي بحث، تحريرهم السياسي) ولا في ملحق البيان، كذلك، فالبيان يذكر بمشاركة المسلمين الجزائريين الفعلية في حكومة بلدهم " ولا تسلم حيثيات الملحق لفرنسا إلا بحق مراقبة الجزائر " الأمة ذات السيادة " وفي هذا نفي للنظام الفيدرالي بالذات " [783] لذلك لم يعارضه لا العلماء، ولا حزب الشعب الجزائري، وحتى بعض المنتخبين الموالين لفرنسا قد وقعوه، ولكن بعد أن تغيير الوضع بعد 8 أشهر تخلى 12 منهم عن البيان، بعد سجن فرحات عباس، ولغة التهديد التي أصبحت الحكومة العامة تستعملها، ويعترف " شارل أندري جوليان " بأن:" البيان فتح عهدا جديدا للعمل الوطني. " [784] بتخلي جماعة النخبة، وعلى رأسهم زعيمهم فرحات عباس في هذه الفترة عن سياسة الاندماج، ومما جاء في البيان:

" إن الجنسية الجزائرية والمواطنة الجزائرية، هما اللتان تمنحان المسلم الجزائري الأمن الأوفر، لكونه جزائريا مسلما" فرحات عباس، لم يعد يطالب نهائيا بالتجنس الجماعي للجزائريين المسلمين، لأن الزمن أثبت له استحالة تحقيق ذلك، " فالمعسكر الأوروبي، والمعسكر الإسلامي، ظلا متميزين أحدهما عن الآخر دون روح مشتركة تجمعهما، وفيما يلي لن يطلب الجزائري المسلم أكثر سوى أن يكون جزائريا مسلما "، ولقد انتقد " شارل أندري جوليان " الجانب السياسي منه معتبرا أن هذا البيان يستمد أفكاره من الثقافة الفرنسية، والغربية التي تلقتها النخبة الجزائرية المسلمة، وأن قوتهم، وبراهينهم، مستمدة من مبادئ الثورة الفرنسية، و أدبياتها، ومن تقاليد الشعب الفرنسي في الحرية والديمقراطية، ويضيف قائلا:" لذلك يشهرون بالنظام الاستعماري المفروض على الشعب الجزائري، والذي قام على المظالم، والجرائم " [785] ويستشهد بفقرة وردت في البيان " أن سياسة الاندماج التي طبقت على هؤلاء دون أولئك جعلت المجتمع الإسلامي في أتم العبودية. " وفي خدمة الغزاة، وهنا يثبت "شارل أندري جوليان " عنصريته (المهذبة)، وكأن الجزائريين لا يتعلمون كيفية الدفاع عن حقوقهم إلا

---

[781] Jean Claude Vatin, op.cit, p : 182

[782] وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 56

[783] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص: 314

[784] نفس المرجع والصفحة.

[785] نفس المرجع، ص: 315

بعد تلقيهم للثقافة الفرنسية، ومبادئ ثورتها، إنه تحليل غريب، ويضيف " شارل أندري جوليان " محاولا إثبات صحة رأيه بقوله: " نخبة من المثقفين، والفلاحين، وأصحاب الصناعات التقليدية، والعمال، استطاعت أن تتكـــون، وقـــد كونتها الثقافة، والتقنية الغربية. " [786] ويحاول إظهار حقيقة جرائم الاحتلال التي استدل بها البيان، مـــن جـــرائم " بيجو " و " سانت ارنو " و " مونتانياك " فهو لا ينفيها، ولكنه يقارنها بعمل الحجاج بن يوسف في العراق، والفاتحين العرب المسلمين لشمال أفريقيا، والأعمال التي ارتكبها هؤلاء الفاتحون من أجل نشر الإسلام،[787] يا لها من مقارنة ! وكأنه يقول للجزائريين المسلمين لماذا ترفضون الاحتلال الفرنسي لوطنكم وتنددون به ؟ لماذا هذا البيان ؟ وربما نسي أن يستشهد بمقال فرحات عباس " فرنسا هي أنا " الذي كتبه سنة 1936.

أما في الجانب الاقتصادي، فقد أوضح البيان عجز الاحتلال الفرنسي في تحقيق توازن اقتصادي واجتمـــاعي، بين الغزاة وأغلبية السكان الأصليين، (ماعدا اليهود، والقياد، و الباشاغوات) حيث ورد فيه: " أما مـــن الناحيـــة الاقتصادية، فإن الاحتلال، قد أظهر عجزه في تحسين الأوضاع، وحل المشاكل الكبرى التي كونها، وهكذا فإن الجزائر لو أديرت إدارة جيدة، وسُيرت تسييرا متقننا، وجهزت تجهيزا حسنا لكان في استطاعتها أن تُوفر العيش لــ 20 مليون نسمة على الأقل في حالة رخاء، وأن تجعلهم في حالة جيدة، سلام اجتماعي، ولكن ما دامت أسيرة نظام الاحتلال، فهي لن تستطيع أن توفر العيش، ولا أن تعلم، ولا أن تكسي، ولا أن تسكن، ولا أن تجد العـــلاج، حـــتى لنصـــف سكانها الحاليين، تجهيزها هذا يكفي فقط لضمان رفاهية فئة قليلة تمثل 8/1 من مجموع سكانها، هذا التجهيز سيظل سطحيا وسخيفا، لطالما أن الجزائر ليست لها حكومة مستمدة من الشعب ولفائدته، إن الحقيقة التاريخية تكمن هنـــا وليس في مكان آخر." فالبيان يؤكد أن العدل في توزيع الثروة على الجزائريين لا يمكن أن يكون إلا بوجود حكومـــة نابعة من الشعب الجزائري نفسه، وغياب هذه الحكومة يضيف البيان واصفا حالة الجزائريين: " الجزائريون المسلمون سيكونون محرومين، ومستعبدين، لدرجة أنهم يظهرون في وطنهم كأجانب حقيقيين، خدمات عامة، جـــيش، إدارة، تجارة، بنوك، صحافة، الكل في أيدي الأقلية الأوروبية، الأهلي هو عبارة عن لاشيء."

وذكر البيان الإحصائيات العامة لأملاك المحتلين من الأراضي منذ سنة 1830 أي بداية النـــهب الاحـــتلالي، والقوانين التي وضعها فيما بعد الاحتلال لصالح المحتلين، ولكن فرحات عباس لم يذكر لنا إحصائيات أملاك القياد، و الباشاغوات، فمعظم هؤلاء كانوا إلى جانب المحتلين، ونالوا إمتيازات على حساب إخوانهم المسلمين، وقدموا خدمات عظيمة للاحتلال، ربما عجز حتى بعض المحتلين عن تقديمها لنظام الاحتلال.

---

[786] نفس المرجع والصفحة.

[787] نفس المرجع، ص : 321

قدم البيان للحاكم العام " بيرتون " (Peyrouton) يوم 31 مارس 1943 من طرف وفد مكون من الموقعين عليه من بينهم فرحات عباس، فقبل منهم " بيرتون " البيان، ووعدهم بأنه سوف يأخذه بعين الاعتبار، وسيجعل منه ميثاقا أساسيا لجزائر المستقبل.

ويذكر فرحات عباس بأن الحكومة العامة لم تتفاجأ بالبيان ولكن الذي أدهشها، و لم تجد له تفسيرا، هو موقف بعض النواب المسلمين الذين صنعهم الاحتلال حسب مقاسه، وجعلهم كأداة طيعة له، وعملاء جيدين، فإذا بهم يديرون له ظهورهم ويعودون إلى إخوانهم*. (788)

ويقول فرحات عباس عن هؤلاء المنتخبين البرجوازيين الذين وقعوا على البيان بأن: " تضامنهم مع إخوانهم المسلمين شيء جديد، ولكنه مؤكد "، فالاحتلال لم يفهم بأن الباطل لن يدوم، والحق سوف يسود على أرض الجزائر، ويؤكد في مذكراته بأنه منذ سنة 1943 إلى سنة 1954 وهو يبذل جهودا كبيرة لتدراك الأخطاء، ومحاولة تجنب المصائب التي تحيط بالشعب الجزائري، وقدَّم إلى فرنسا نصائح ثمينة لمنع وقوع كارثة كبرى في الجزائر، فكان دائما يناشد الجزائريين المسلمين برباطة الجأش، وعدم التسرع، والنظر إلى الأمور بنظرة منطقية متزنة، وأكد لفرنسا من خلال كتاباته ومداخلاته في المداولات النيابية بأن التمسك الأعمى بأهداف ومبادئ الاحتلال، ستؤدي إلى الهلاك، ويضيف قائلا: " إن عجلة التاريخ تدور بسرعة، والأحداث تتوالى الواحدة تلو الأخرى، بلا هوادة، وكنا نغتنم كل فرصة سانحة لنعرض على فرنسا حلولا إيجابية، ومعتدلة، تحدونا رغبة واحدة هي ضمان الحرية، والكرامة لشعبنا، وليس ذلك بمستحيل، كما كان هدفنا يدور حول فكرة واحدة، وهي منح الجزائر دستور دولة ذات سيادة بطرق سلمية، أو ما يسمى بـ " الثورة بالقانون " كان ذلك اعتقادنا الأساسي، وكان طريقنا يهدف إلى نقل الديمقراطية الفرنسية، في إطار جمعية جديدة مبنية على أساس الاعتراف واحترام مواطنة الشعوب المحتلة، وشعارنا " التحرر و الاتحاد " (789) وقد طلب " بيرتون " من الوفد تحديد برنامج دقيق وملموس قابل للتطبيق. (790)

ويذكر فرحات عباس بأن الحاكم العام " بيرتون " وعدهم بأنه سيأخذ البيان بعين الاعتبار، وأمر بإنشاء لجنة لتحضير، إصلاحات، فورية. (791)

فشكل الحاكم العام يوم 3 أفريل 1943 " لجنة دراسة القضايا الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين " (792) وعينت إدارة الاحتلال في هذه اللجنة مندوبين تابعين لها، بهدف إجهاض تلك الإصلاحات المزمع القيام بها، فقد

---

* حينما تشدد الحاكم العام كاترو، وهدد الموقعين على البيان تراجعت مجموعة منهم، إلى بيت الطاعة.

(788) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 143
(789) ibid. p p : 143-144
(790) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 134
(791) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 145
(792) Jean Lacouture,op.cit,p :287

عُين فيها 8 باشاغوات (من جماعة بني وي - وي)، فاحتج فرحات عباس على ذلك مبررا قوله بأن هذه اللجنة لا تضم عناصر من حزب الشعب الجزائري. (793) ويظهر من تلك العناصر العميلة بأن الحاكم العام لم تكن لــه النيــة الحسنة في القيام بإصلاحات فعلية لصالح الجزائريين المسلمين، فلجأ إلى أسلوب المناورة، وربح الوقت، أو كما يقال إذا أردت إفشال مشروع ما، فأسنده إلى لجان – وأخطر من ذلك إسنادها إلى عملاء -

وكان أول اجتماع لهذه اللجنة ما بين 14 و 17 أفريل 1943، (794) ولم يتم التوصل إلى أي اتفاق حــول كيفية تطبيق الإصلاحات بسبب تناقض مواقف أعضائها، وتأجلت الاجتماعات وبذلك استطاع الحاكم العام تحقيق جزء من مناوراته، ولكي يظهر نيته الحسنة، دعا في يوم 22 ماي 1943 المندوبيات المالية لاستئناف نشــاطها بعــد انقطاع دام 3 سنوات، ورجع إليها بيرتون طالبا منها (بدل اللجنة التي أسسها في 3 أفريل) وضع اقتراحات واقعيــة قابلة للتطبيق، للإصلاحات الواردة في البيان. (795)

لقد أطلق سراح مصالي الحاج من السجن يوم 26 أفريل 1943 أي بعد 5 أشهر ونصف من نــزول قــوات الأنغلو- أمريكية في شمال إفريقيا وأطلق كذلك سراح الديغوليين، والشيوعيين و التروتسكيين، والديمقراطيين، الذين أدانتهم محاكم فيشي، أطلق مصالي من سجن " لامبيز"، وحوِّل إلى الإقامة الجبرية في قصر البخاري، وخلال نقله من سجن لامبيز بباتنة إلى قصر البخاري توقف بمدينة سطيف، وقد اتصل به فرحات عباس مع الدكتور لمين دبــاغين، وحضر ذلك اللقاء الشيخ البشير الإبراهيمي (من جمعية العلماء)، و "موريس لابور"، وقال فرحات عباس لمصــالي الحاج*:" يا مصالي، بالأمس كنت ضدك، مناصرا متحمسا للاندماج، وحاربتك، لكن الأحداث أثبتت أنك علــى صواب، وإنني على خطأ، واليوم فأنني أثق فيك**. " (796)

بعد هذا اللقاء تمت لقاءات أخرى بينهما في أواخر شهر ماي، واقترح مصالي الحاج على عباس إضافة أخرى إلى البيان تضمنت ما يلي: " في نهاية الحرب تقام في الجزائر دولة جزائرية، مزودة بدستور خاص بها تعــده جمعيــة جزائرية تأسيسية منتخبة، بالاقتراع العام، من طرف جميع السكان. " (797) وتضمنت الإضافات التي قدمها

---

* حسب شهادة السيد ممشاوي، التي أوردها بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 186

(793) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 134

(794) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 145

(795) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 134

** أثناء تنقل مصالي الحاج من لامبيز إلى قصر البخاري يوم 26 أفريل 1943 نزل ضيفا على فرحات عباس بسطيف.وقضى ليلية عنده، ومن بعد ذلك كانت اتصالات عديدة بينهما، ويقول فرحات عباس عن ذلك اللقاء في بيته مع مصالي :" تحادثنا وكونا علاقات جيدة بالرغم من الهجومات التي استهدفتني من فبل أتباعه، الذين نسبوا إلي أكاذيب عديدة، كنت احترمته دائما، لأن هدفه كان نبيلا. " Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, pp : 122,123

(796) بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 186

(797) نفس المرجع، ص ص: 186-187

مصالي الحاج إلى فرحات عباس تغيير مفهوم " الجنسية "، إلى مفهوم " أمة ذات سيادة " ومن مفهوم " دستور ممنوح " إلى مفهوم " الجمعية التأسيسية "[798] وبذلك نقلت هذه الإضافات بيان الشعب الجزائري إلى صيغة أكثر ثورية حيث طرح القضية الأساسية وهي: " الاعتراف بالدولة الجزائرية، والمواطنة الجزائرية "[799]

وبناء على ذلك قام فرحات عباس بإضافة هذه التغييرات التي اقترحها الحاج مصالي، بالاتفاق مع زملائه في المندوبيات المالية، يوم 26 ماي 1943 ووقعت هذه التغييرات من طرف 21 مندوبا ماليا عربيا و قبايليا.

وفي يوم 30 ماي 1943 سلم إلى الحكومة العامة، تحت عنوان " مشروع إصلاحات "[800] وسمي كذلك بـ " ملحق البيان " [801] وفي يوم 10 جوان 1943 قدمت نسخة منه إلى الجنرال " دي غول ". [802]

ويلاحظ في الملحق أنه تناول نفس النقاط التي تعرض إليها البيان، بادئا أولا بالأسباب الداعية إلى إضافة الملحق " عند تسليم بيان الشعب الجزائري إلى ممثلي فرنسا، يوم 31 مارس 1943 طلب السيد الحاكم العام من المنتخبين المسلمين أن يكملوا مطالبهم باقتراحات فعلية من أجل الموافقة على مبادئها. المندوبون الماليون العرب، والقبايل، الممثلون الشرعيون للسكان المسلمين، جاؤوا اليوم بهذه الاقتراحات السهلة، والسريعة التطبيق، في إطار المبادئ التي كانوا قد طرحوها باسم الجزائر كافة في بيان 10 فيفري. " ومؤكدا على تشكيل دولة جزائرية ومما جاء فيه: " لهذه الأسباب، ولوضع حد للضجة المغرضة التي تدور حاليا، إن المندوبين الماليين العرب، و القبايل يطالبون بضمان وحدة التراب الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى الاعتراف بالاستقلال الذاتي السياسي للجزائر في إطار أمة ذات سيادة مع حق الرقابة لفرنسا، والمساعدة العسكرية للحلفاء في الحرب، إن تشكيل هذه الدولة الجزائرية لا يستبعد من جهة أخرى الانضمام مع المغرب وتونس لتنظيم اتحاد فيدرالي لدول شمال إفريقيا، أو اتحاد شمال إفريقيا الذي يبدو لكثير من الأذهان بأنه أحسن وسيلة للمستقبل. " ويظهر هنا تأثير مصالي الحاج على الملحق واضحا، حيث قال لفرحات عباس كما أورد ذلك في كتابه ليل الاحتلال: " إني أثق فيك لإقامة جمهورية جزائرية مشتركة مع فرنسا، وفي المقابل لا أثق أبدا في فرنسا، إن فرنسا لن تعطيك شيئا، إنها لا تتنازل إلا بالقوة، ولن تعطي إلا ما ينتزع منها." [803] وتضمن الملحق قسمين، القسم الأول تعرض للإصلاحات التي يمكن تأجيلها إلى ما بعد الحرب حيث ستقوم الجزائر كدولة جزائرية، مجهزة بدستور خاص، الذي سينجز من طرف مجلس جزائري دستوري منتخب

---

[798] نفس المرجع.

[799] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 123

[800] Projet de réforme, faisant suite au manifeste du peuple Algérien musulman du 10 février 1943, présenté par les délégués financiers arabes et kabyles le 26 mai 1943, I . R boite N° 13, A.W.C.

[801] ibid.

[802] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 202

[803] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 151

بواسطة الاقتراع العام من طرف كل سكان الجزائر، تم التأكيد فيه على ضمان سلامة القطر الجزائـري ووحدتـه الترابية، والاعتراف باستقلال الجزائر.[804] وبذلك تحولت مطالب النخبة مـن سياسـة الانـدماج، إلى سياسـة التجمع.[805] (الدولة الجزائرية مع الدولة الفرنسية)

والقسم الثاني يحتوي على الإصلاحات السريعة والممكنة، التي يجب تطبيقها مباشرة لأنها مطلـب الشـعب الجزائري المسلم من اجل تحضير مستقبله، وقد تضمن ثلاثة أقسام:

القسم الأول: " المشاركة الفورية، والفعالة لممثلي المسلمين في حكومة وإدارة الجزائر، وتحويل الحكومة العامة إلى حكومة جزائرية متكونة من وزراء بعدد متساو بين الفرنسيين، والمسلمين، والإدارة الحالية تصبح إدارات وزراء، ورئيس الحكومة، سيكون الحاكم العام الذي سيحمل لقب سفير، أو المحافظ السامي الفرنسي في الجزائـر، التمثيـل النيابي في المجالس يكون متساويا بين المنتخبين الفرنسيين، و المسلمين (المجلس الأعلى للحكومة، المندوبيات الماليـة، المجالس العامة، المجالس البلدية، غرف التجارة، والفلاحة، ممثلي نقابات العمال، والدواوين... وإعطاء الإدارة الذاتية للدواوير في البلديان المختلطة طبقا للقانون البلدي لسنة 1884، والجماعة ستصبح تحت رئاسة مجلس بلدي، ورئيس بلدية الدوار يسمى (رئيس الدوار) ودخول الجزائريين كل الوظائف العمومية على أساس المساواة مع الفرنسـيين، وإلغاء كل القوانين الاستثنائية، وتطبيق القانون العام في كل الجزائر. "

القسم الثاني: تناول" المساواة أمام ضريبة الدم، وإلغاء نظام تجنيد الأهالي والخدمة العسكرية، المعمول بها تحت عنوان "صفة أهلي "، وتوحيد نظام التجنيد، المساواة في الرواتب والمكافآت.... ورفع العلم الجزائـري في الفـرق الجزائرية العاملة إلى جانب العلم الفرنسي لفرع معنويات الجنود الجزائريين. "

أما القسم الثالث: فتناول " الإصلاحات الاقتصادية، والاجتماعية "، إنشاء مصلحة للفلاحة الجزائرية لمساعدة الفلاحين الأهليين، وإنشاء وزارة عمل تشرف على تطبيق القوانين الاجتماعية على العمال بجميع أصـنافهم، إلغـاء التعليم المسمى بالأهلي، و منح الحرية في تعليم اللغة العربية، وتوفير السكن، وحرية الدين الإسلامي، وحرية الصحافة باللغتين، والترخيص بإنشاء ثلاثة صحف إسلامية في الجزائر، ووهران، و قسنطينة لإطلاع وقيادة الرأي الإسـلامي، ويضيف الملحق، بأن هذه الإصلاحات، مؤقتة، ورمزية، في انتظار تحرير فرنسا. " فملحق البيان قدم اقتراحـات، لإصلاحات راديكالية في الجانب السياسـي، والاقتصادي، والاجتماعي للجزائر."[806]

بعد يومين من قبول الحاكم العام بيرتون لملحق البيان، قدم استقالته من منصب الحاكم العام يوم 1 جوان 1943

[804] أحمد مهساس ، المرجع السابق، ص: 196

[805] Annie Rey - Goldzeiguer, op.cit,p :206

[806] André Noushi,op.cit,p :136

وعوضه في منصبه الجنرال كاترو (Catroux)، وهو مولود في الجزائر بسعيدة من الأقدام السوداء، وخبيرا بشؤون الجزائر، وله إطلاع واسع بأحوال العرب والمسلمين، وتقلد مناصب في سوريا، والمغرب، وهو ليبرالي، واستقبل تعيينه كحاكم عام في الجزائر على أنه سيكون بداية عهد جديد لإصلاحات حقيقية في الجزائر، ولكن كان عكس ذلك، [807] ففي هذه الفترة بدأ حكم الجنرال " دي غول " ، والجنرال "كاترو" في الجزائر، وأصبحت أعمالهما تصدر باسم (لجنة فرنسا الحرة) وكان كاترو من أنصار بقاء الجزائر فرنسية، و لم يعترف بما جاء في البيان أو ملحقه، قائلا: " أنتم المسلمون إذا لم تجدوا مكانا لكم في الوحدة الفرنسية، وهو مكانكم الشرعي، وباستطاعتكم التعبير عنه، وأعتقد دائما في ذلك، وقد علمتكم أن هذا المكان يجب أن تأخذوه. "

وكان هذا الحاكم العام يكره العرب ويميل إلى اليهود حيث أعاد لهم قرار كريميو، ولكي يقضي على مطالب الجزائريين المسلمين، أعلن تهديده لأي شخص يمس سيادة فرنسا في الجزائر بالسجن، وسمح للحزب الشيوعي الجزائري بالعودة إلى ممارسة نشاطه السياسي لأن هذا الحزب رفض البيان وعارضه، وكذلك عارض تأسيس أمة جزائرية، لأن الوقت في نظرهم لم يحن، وهذه الأمة الجزائرية مازالت في طور التكوين، وقد أطلق كاترو على البيان الجزائري اسم (العاصفة)، ووعد بالقضاء عليه بكل الوسائل المتاحة لديه معتبرا أن هذه العاصفة جاءت من الشرق ومن وراء الأطلسي، فوق شمال إفريقيا. [808] معلنا بأن هدفه الرئيسي هو ربح الحرب، والقضاء على النازية. [809] ورافضا الالتزام بسياسة سلفه. [810]

وبذلك أصبح فرحات عباس أمام وضعية جديدة و صعبة، فأجل الاجتماعات، ورأى أنه من الضروري إرسال وفد إلى الجنرال كاترو، ومطالبته بقبول البيان وملحقه، لكن ابن جلول وبعض العناصر رفضت ذلك، في يوم 10جوان 1943، قدم وفد ملحق البيان إلى الجنرال " دي غول "، وإلى الحاكم العام كاترو يوم 11 جوان.

وصرح الحاكم العام " كاترو " في 23 جوان 1943 أمام اللجنة بأن مطالب البيان وملحقه سابقة لأوانها، ومن الممكن أن تؤدي هذه الإصلاحات إلى خلق اضطرابات ستؤثر على سير الحرب. [811] و لكن فرحات عباس استطاع أن يناور وأن يتحصل على موافقة اللجنة التي عينتها الحكومة العامة كما وافق عليه ممثل الحكومة، وذلك يوم 26 جوان 1943، خاف المحتلون عن مصالحهم ووقفوا معارضين لذلك [812] "وكان الاعتراض المنتظم

---

[807] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص : 209

[808] نفس المرجع، ص: 210

[809] نفس المرجع والصفحة.

[810] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 96

[811] André Noushi,op.cit,p :136

[812] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 210

للمعمرين على أي إصلاح، يمثل بالنسبة للحكومات الفرنسية المتعاقبة، مبررا مناسبا يتيح لها أن لا تـــوفي بوعودهـــا بالإصلاح التي قطعوها للجزائريين. " [813]و في نفس الشهر وقع حادث في مدينة سكيكدة ارتكبه الجنود السنغاليون في حق جزائريين في أحياء سكيكدة، هذه المؤامرة الخبيثة دبرها الضباط الفرنسيون، بسبب إهانة الضباط الأمريكيين و الإنجليز لهم في تونس، فأرادوا رد الاعتبار لهم بتحريض الجنود السود بقتل الجزائريين، و لم تتحرك السلطات الفرنسية لمعاقبة فاعليها الذين تسببوا في قتل حوالي 30 جزائريا مسلما. [814]

أصدرت الحكومة العامة 6 مراسيم في 6 أوث 1943 تخص دخول بعض المسلمين في الوظـــائف العامـــة، و التجنس، و إنشاء منصب للمسلمين كنائب لرئيس البلديات الكاملة السلطات، وتوسيع التعليم الأهلـــي الابتـــدائي العام، والخاص. [815] وهي إصلاحات هزيلة وبعيدة كل البعد عن مطالب البيان وملحقه.

وقد رفض فرحات عباس حضور جلسة الوفود المالية ليوم 23 سبتمبر 1943 مطالبا بشدة بضرورة الاعتراف بما جاء في البيان وملحقه، ورافضا الاعتراف بالإصلاحات الهزيلة التي أقرتها الحكومة العامة، ووقف معـــه كـــذلك مندوبو الوفود المالية، وعلى إثر ذلك أعلن الحاكم العام عن حل المندوبيات المالية، واعتقل فرحات عبـــاس ورئـــيس المندوبيات المالية العربية عبد القادر السايح، وقام بنفيهما إلى بني عباس في تابلبلا (Tablbala) في الجنـــوب الغـــربي للصحراء الجزائرية، قام "كاترو" بهذا العمل بهدف تخويف مناضلي الحركة الوطنية من مواصلة مطالبـــهم الشـــرعية، وجس نبض قوة الموقعين على البيان وملحقه، ومدى تأثيرهم على الرأي العام الإسلامي الجزائري، وقد توصـــل إلى حقيقة أسعدته وهي تراجع واعتذار 12 من الموقعين على البيان، مؤكدين له عن ولائهم التام لفرنسا، فهذا الموقـــف الجبان أدى إلى ضعف تماسك الحركة الوطنية التي بدأها فرحات عباس بجمع كل التيارات الجزائرية الإسلامية بـــرغم إدراكه المسبق لذلك، ودافع الفرنسيون عن أنفسهم أمام الحلفاء باتهام فرحات عباس، وعبد القادر السياح بأنهم قاموا بعمل خطير أثناء الحرب وهو (العصيان المدني وإحداث الشغب في وقت الحرب)، وأن اعتقالهما في صالح الجزائـــر الفرنسية، والحلفاء، و لم يكن الحلفاء داركين الوضع بالضبط [816] في الجزائر.

ويعلق فرحات عباس على ذلك النفي بقوله: " كان ذلك هدفنا، حيث أجبرنا العدو على كشف حقيقتـــه، وربحنا الجولة الأولى. [817] أي كشف حقيقة الاحتلال للحلفاء ورفضه التخلي عن سياسة القمع والقهر.

---

[813] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص : 198

[814] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :148

[815] André Noushi,op.cit,p p :136-137

[816] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945 ، المرجع السابق، ص ص: 209-210

[817]Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 149

فقامت مظاهرات في الجزائر، و سطيف، و قسنطينة، وغيرهم من المدن الجزائرية يوم 30 سبتمبر 1943 رافعين لافتات كتب عليها: " من أجل ميثاق الأطلسي وجزائر حرة " ومنادين بإطلاق سراح فرحات عباس، و عبد القادر السايح. [818] إن شعبية فرحات عباس توسعت أكثر خاصة بين سكان المدن الجزائرية الكبرى الذين كـــانوا أكثـــر إطلاعا على الأحداث الوطنية، والعالمية، وذلك بعكس سكان الريف الجزائري الذي يضم أغلبية السكان الجزائـــريين المسلمين حيث بقي بعيدا عن تلك الأحداث بسبب انتشار الجهل والأمية فيه، ووجود النخبـــة في المـــدن، وأطلـــق سراحهما يوم 2 ديسمبر 1943. [819]

وعاد فرحات عباس إلى منـــزله في سطيف واستقبل استقبال الأبطال، ليبدأ بعدها مرحلة أخرى من النضال السياسي، وهو أكثر تجربة وحنكة مما كان عليه من قبل، فالظروف الصعبة أحيانا ضرورية لصنع رجال أشداء مقتنعين .بمطالبهم الشرعية، حيث تزيدهم هذه الظروف قوة وإيمانا للدفاع عن مصير أمتهم التي تنتظر منهم إنقاذها من ليـــل مظلم عاصف فرضه الاحتلال عليهم بكل قوة و جبروت ومن أجل غد مشرق ينعم الجميع بأنواره، ويزول فيه الظلم والقهر، وتتحقق العدالة الاجتماعية للجميع.

إن الوسائل التي استعملها فرحات عباس من أجل الحصول على إقامة دولة جزائرية كانت ضعيفة أمام احتلال لا يعترف بمنطق الحق الذي طالب به الجزائريون، احتلال فرض نفسه على الجزائر بالقوة والدم، وبالتالي لن و لم يفهم إلا أسلوب العنف فقط الذي فرض به وجوده على أرض الجزائر وشعبها، وكانت الثورة التحريرية محقة في لجوئها إلى استعمال أسلوب العنف.

---

(818) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :126
(819) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 149

المبحث الثالث

إنشاء حركة أحباب البيان والحرية

أدرك فرحات عباس أن الاحتلال الفرنسي لا يتردد أبدا في ترهيب وسجن المناضلين المدافعين عن القضية الوطنية، ويستعمل أساليب دنيئة لتحقيق غرضه ذلك، وتيقن بأن تيارا واحدا من الحركة الوطنية لا يمكنه مواجهة الاحتلال، لذلك عمل كل جهده من أجل جمع كل اتجاهات الحركة الوطنية في إطار حركة واحدة، بإمكانها أن تفرض مطالبها بقوة على إدارة الاحتلال، وتجمع معظم الفئات الشعبية حول مشروعها السياسي.

ونتعرض في هذا المبحث إلى نشاط فرحات عباس بعد إطلاق سراحه من السجن. فهل حقق الاحتلال هدفه في ترويض فرحات عباس ؟ أم أن ذلك زاده قوة وصلابة وإيمانا بقضيته ؟

أطلق سراحه من المعتقل بالجنوب الغربي لوهران، مع زميله عبد القادر السايح في 2 ديسمبر 1943، وذلك على إثر وساطة "بيار بلوخ" (Pierre Bloch) لدى الحاكم العام.[820] ولكن إطلاق سراحهما كان للضرر المعنوي الذي لحق بسمعة فرنسا، ورفع قيمة فرحات عباس في أعين الجزائريين المسلمين.[821] فالاحتلال لا يريد أن يصنع زعماء وطنيين، فاعتقالهما كما عبر عنه فرحات عباس انتصارا له، نظرا لازدياد شعبيته.

وقد سجلت مصالح الاستعلامات العسكرية الملاحظة التالية: " علم سكان قسنطينة بإطلاق سراح فرحات عباس قبل أن تنشره الصحافة، واستقبل ذلك الخبر بفرح كبير من طرف السكان المسلمين، وخاصة في الأوساط المثقفة... وانتشرت دعاية تقول بأن فرحات عباس سيرجع إلى سطيف في طائرة أمريكية. "[822]

وهذه الدعاية كانت لصالح فرحات عباس، حيث زادته قوة وإيمانا أكثر بسياسته الهادفة إلى إقامة حكومة جزائرية وإلغاء الاحتلال، ولكنه وجد أن الجنرال كاترو استطاع أن يزرع بذور التفرقة في أوساط المنتخبين الجزائريين المسلمين، فبعضهم خضع للتهديدات، و الابتزاز، ويقول فرحات عباس عن ذلك: " كان ذلك أمرا متوقعا فمجموعة من المنتخبين المسلمين، أصبح تعاونهم مع الاحتلال كطبيعة ثانية. "[823]

ويشير في ذلك إلى المنتخبين الإثنى عشر الذين تراجعوا عن مطالب البيان، وملحقه، لذلك قام بكتابة رسالة يوم 9 ديسمبر 1943،[824] (سبعة أيام بعد خروجه من المعتقل) وجهها إلى الدكتور تامزالي رئيس

---

[820] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :127

[821] نفس المرجع، ص: 212

[822] ibid.

[823] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 149

[824] Lettre de Ferhat Abbas à monsieur le Dr Tamzali Président de la section Kabyle des Délégations Financière le 09 décembre 1943, (document inédits du mouvement national) N° 12, novembre 1981 A.W.C.

الفرع القبايلي في المندوبيات المالية، ومما جاء فيها: " خلال اعتقالي، قدمتم إلى السيد الحاكم العام، باسم المندوبين الماليين للأهالي تصريحا يغير مسار سياستنا الجزائرية، إن هذا التصريح مُملى ومفروض عليكم من إدارة الشؤون الإسلامية، و لم يستشر فيه السكان المعنيين، لي الشرف أن أعلمكم من جانبي بأنه ملغى، وغير جاد، وإنني سأبقى وفيا، لبيان 10 فيفري 1943، ولليمين الذي أقسمته مثلكم، أما إصلاحات الهياكل، والتي صرحتم بها، فهي تلميح محتشم، وأنشئت من طرف لجنة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين بمساعدة محافظ الحكومة لأجل هذا الغرض، وأنتم تنتمون إليها، وتعتقدون بذلك العودة إلى أساليب الماضي العقيمة، وهي مصدر كل الآلام التي تراكمت على الجزائر المسلمة. سيدي الرئيس لقد اتخذتم مسؤولية أمام شعبنا، ولا أستطيع مشاركتكم فيها *." " استطاع بيرك أن ينجح بواسطة التواطؤ مع الدكتور تامزالي بإدخال 12 منتخبا إلى حظيرة الإدارة، وقبلوا بطلب الأمان. "[825]

لذلك حمل فرحات عباس مسؤولية الخيانة للدكتور تامزالي، الذي أقسم اليمين معه على العمل من أجل تجسيد ما جاء في البيان وملحقه، وفرحات عباس عمل أكثر من 20 سنة من أجل سياسة الاندماج، وتوصل إلى حقيقة ثابتة بأن هذه السياسة لا يمكن أن تنجح، فيواصل في رسالته، وكله ثقة بما يقول: " إن السياسة الزائفة لإدماج الجزائر في المجتمع الفرنسي قد فشلت، وذلك منذ 1865، حيث كانت كحَبْل على أعناقنا لضمان إخضاعنا، وتمكين المحتلين من استغلالنا... لقد استنكرنا سياسة الاندماج بصفة قطعية... ولا أحد سيستطيع أن يفرضها علينا من جديد... سيدي الرئيس، تصريحكم، ليس له معنى آخر سوى استرجاع عهدتكم، والحصول على بعض المقاعد الجديدة، ويعتبر ذلك كتحفيز جيد لطفل... رجال ونساء يقبلون المنفى، ويفرطون في كل شيء من أجل الحصول والمحافظة على الخير الإلهي، الذي يتمثل في الحرية... وتقبلوا سيادة الرئيس تحياتي الخالصة.

التوقيع: فرحات عباس."

ألقى الجنرال " دي غول " في 12 ديسمبر 1943 خطابا في قسنطينة.[826] باسم اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني، أعلن فيه عن عزمه القيام بإصلاحات تتمثل في منح الجنسية الفرنسية لعدة آلاف من الجزائريين

---

* بعد اعتقال فرحات عباس وعبد القادر السايح، مجموعة من المندوبين الماليين المسلمين استقبلهم الجنرال كاترو الحاكم العام، والسيد قونون (Gonon) الأمين العام للحكومة، والسيد بيرك (Berque) مدير الشؤون الإسلامية، يوم الجمعة 15 أكتوبر 1943 وذلك بطلب منهم، وقدم الرئيس تامزالي عبد النور إلى الحاكم العام، اعتذاره باسم زملاءه، ومؤكدا على التزامهم باحترام النظام، وعدم الخروج عنه، وولاءهم الخالص لفرنسا، وهؤلاء المندوبون الماليون الذين تراجعوا عن البيان وملحقه هم: " الدكتور تامزالي، الدكتور ابن جلول، الدكتور لخضري، رينيه فضيل، أحمد غرسي، شنتوف عدة، حاج حسان باشتارزي، أ. عباسة، طالب عبد السلام، خيار، غراب، خليل تامزالي. " وعددهم 12 مندوبا ماليا.
(Anonyme, du manifeste à la république Algérien, op.cit, p p : 57-58)

(825) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 650

(826) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 149

مباشرة مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية الإسلامية، وزيادة نسبة عدد النواب الجزائريين في المجالس النيابية.[827] بعد هذه الخطاب كلفت لجنة فرنسا الحرة محافظ الدولة بتأسيس جمعية مختلطة لتحضير الإصلاحات.[828]

وتكونت هذه اللجنة يوم 14 ديسمبر 1943 من 16 عضو منهم 4 موظفين سامين، و6 أعضاء من الفرنسيين المحتلين، و6 جزائريين مسلمين* [829] ويلاحظ جيدا عدم التوازن بين الجزائريين، والمحتلين، وقد اختارت فرنسا كما نرى الجزائريين المسلمين الموالين لها، حتى تطمئن لمطالبهم التي لا تقلقها، فاختيارهم كان مدروسا، وحتى الشيخ الطيب العقبي المعين في هذه الجنة كان من مؤيدي فرنسا في الحرب، وقد استقال من المجلس الإداري لجمعية العلماء قبل الحرب الكونية الثانية، " و لم تكن هذه اللجنة في الحقيقة سوى واجهة غير صلبة للديمقراطية الفرنسية."[830]

وعلى إثر ذلك وجه فرحات عباس يوم 15 ديسمبر 1943 رسالة إلى رئيس المندوبيات المالية بالجزائر،[831] ومما جاء فيها: " في 23 سبتمبر 1943 بناء على قرار السيد والي الجزائر، اعتقلت مع السيد السايح، رئيس الفرع العربي للمندوبيات المالية، في منطقة الجنوب الغربي لوهران، هذا الاعتقال أعلن ضدنا أثناء ممارستنا الشرعية لعهدتنا، وذلك عندما كنا في مداولات خاصة، وبدون إساءتنا للنظام العام، أو المجهود الحربي." وهي التهمة التي وجهتها سلطات الاحتلال لفرحات عباس، وعبد القادر السايح (تحريض زملائهم على العصيان المدني، ومحاولة منع الجمعية من أداء عملها، وإثارة الشغب العام خلال الحرب.) [832] ويلوم فيها رئيس المندوبيات المالية عن عدم تدخله، " ومكتب مجلسنا لم يقدم اعتراضا ضد الاستغلال السيئ للسلطة. " هذا الاعتقال كان بطلب من بعض مندوبي الاحتلال الذين بدأوا يحتاطون ويهابون من تطور الفكر السياسي لفرحات عباس أثناء الحرب الكونية الثانية، ويؤكد ذلك في رسالته " بعض مندوبي الاحتلال، توجهوا عشية اعتقالنا إلى رئيس المحتلة من أجل اتخاذ إجراءات ردعية ضد نظرائهم المسلمين، وفي الغد هللوا لحل مندوبية الأهالي، وللعقوبات التي اتخذت ضدنا، هذه الإجراءات، و التهليلات تشكل وصمة عار، وهذه الطريقة ألقت الضوء على عقلية الإقطاعيين وحول تصورهم للحرية... بالأمس انخرطوا في الثورة الوطنية لتدعيم وضمان حكومة فيشي بقوة، واليوم حلوا في المراتب الأولى للديغولية، وتعلقوا بسيف جنرال،

---

[827] Annie Rey - Goldzeiguer, op.cit, p : 196
[828] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 652

* هؤلاء الأعضاء هم: الشيخ العقبي، والشيخ قاسيني، والدكتور ابن جلول، والدكتور تامزالي، و فضيل رينيه، وقاضي عبد القادر، وابن قانة.
نقلا عن (André Noushi,op.cit,p :138)

[829] André Noushi, op.cit, p :138

[830] نفس المرجع، ص: 214

[831] Lettre de Ferhat Abbas, à Monsieur le Président des délégations Financières, Sétif, le 15 décembre 1943(document inédits du mouvement national),N° 12, novembre 1981, A.W.C.
[832] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 650

لتهديد الأهالي، ومحاولين إهانتهم وتقسيمهم، وغدا سيتمرغون بين أرجل الشيوعيين... سيدي الرئيس إني أعلم بأن التخلص من ألمانيا الهتلرية، أسهل من التخلص من الإقطاعية الجزائرية وفاشيتها... إنني سيدي الرئيس طلقـــت مـــرة واحدة وللأبد هذا التعاون، ولا أريد أن أضيع وقتي في التدليس والنفاق وسط جمعيات أوليغارشية، وإقطاعية صنعها المحتلون لأجلهم... إن اليوم الذي تكون فيه الجمعيات الجزائرية قائمة على أسس ديمقراطية، وجمهورية، سأســـتأنف نضالي مع ثقة الشعب، تقبلوا سيدي الرئيس تحياتي الخالصة، التوقيع: فرحات عباس."

بدأت هذه اللجنة اجتماعاتها منذ 21 ديسمبر 1943 إلى 8 جويلية 1944. [(833)] وقد تمنى فرحات عبـــاس وصديقه عبد القادر السايح من لجنة فرنسا للتحرير الوطني أن تقوم بإصلاحات كبيرة وثورية تكون في خدمة الجزائر، وفرنسا، والإنسانية. [(834)] جميعا ويلغى فيها مفهوم الاحتلال.

وقد قدم الشيخ البشير الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثلاث اقتراحات لهذه اللجنة وهي:

أولا: إصلاح العدالة الإسلامية.

ثانيا: قضية التعليم العربي الحر.

ثالثا قضية المساجد وموظفوها، وأوقافها.

وتعرض كذلك للجانب السياسي، مطالب بإنشاء المواطنة الجزائرية، ومساواة جميع سكان الجزائر دون تمييز، لا في الجنس، ولا في الدين، ولا في الحقوق والواجبات، وتغيير نظام الاحتلال بنظام " الحكومة الجزائريـــة " تكـــون مسؤولة أمام برلمان جزائري. [(835)]

أما اقتراح مصالي الحاج لهذه اللجنة، فهو أن الجزائريين المسلمين لا يطالبون سوى بجزائر حـــرة ومســـتقلة، وببرلمان جزائري منتخب بطريقة ديموقراطية على قدم المساواة بين العرب، والأوروبيين، والإسرائيليين بكل أخـــوة، وإتحاد، يعمل كل واحد منهم حسب كفاءته من أجل جزائر حرة، وسعيدة. [(836)] بعد الاستشارة الواسعة وأخذ آراء الطبقة السياسية الجزائرية وآراء المحتلين، ويهود الجزائر، نتج عنها إصدار أمر 7 مارس 1944. [(837)]

وقد صرح " دي غول " قبل هذا في شهر جانفي 1944 ببرازافيل بأن هدف السياسة الفرنسية هو إعطـــاء الحرية للشعوب المحتلة لحكم نفسها في إطار إتحاد فيدرالي مع فرنسا، ولكنه لم يتعرض لذكر الجزائر، لأنه كان يعتبرها جزء من التراب الفرنسي. [(838)]

(833) André Noushi,op.cit,p :138
(834) Claude Collot - Jean robert Henry. op.cit, p : 177
(835) ibid. p p : 179-182
(836) ibid. p : 184
(837) André Noushi, op.cit, p :138
(838) ibid.

ولذلك جاء أمر 7 مارس 1944 مخيبا لآمال الجزائريين، باسم لجنة فرنسا الحرة الحاكمة من مدينة الجزائر التي أصبحت عاصمة لفرنسا الجديدة قبل تحرير باريس من الاحتلال النازي. [839]

إن هذه الأمرية ما هي إلا تأخير لمشروع بلوم – فيوليت، ومطالب النخبة الجزائرية في العشرينات، والثلاثينات من القرن العشرين، حيث سمح لحوالي 50 ألف جزائري للدخول في المواطنة الفرنسية بدون التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية (مضاعفة العدد الذي جاء به مشروع بلوم – فيوليت)، وإلغاء القوانين الاستثنائية، ومساواة الجزائريين بالفرنسيين أمام القانون، وتوسيع مشاركة الجزائريين في المجالس النيابية، وفي الجانب الاجتماعي تعرضت إلى تطبيق نظام الضمان الاجتماعي على العمال الجزائريين، وحرية الهجرة إلى فرنسا، وتعميم التعليم[840]...

إن هذه الإجراءات التي اقترحتها حكومة فرنسا الحرة برئاسة الجنرال " دي غول " لم يقبلها الجزائريون، لأن الوقت قد فات، حسب تعبير فرحات عباس، وأصبح الجزائريون يطالبون بجنسية جزائرية، رافضين الجنسية الفرنسية، وأن الجماهير الشعبية المسلمة التفت حول الأحزاب الوطنية، والعلماء، والشخصيات المدافعة عن مطالب البيان، لأنها يئست من إقناع الحكومة الفرنسية بتحقيق إصلاحات حقيقية للجزائريين المسلمين. [841]

ويقول فرحات عباس عنها: " أمر 7 مارس 1944 ليس بشيء جديد قد أعاد مشروع بلوم – فيوليت كله لسنة 1936، هذه الإصلاحات تجاوزها الزمن، الشعب يدينها مطلقا، فهي قبل كل شيء لا تجمع سوى بعض النواب الخائفين، والمهمومين، لإرضاء السلطات من أجل الحفاظ على مصالحهم. " [842]

إن فرحات عباس الاندماجي في الثلاثينات يتراجع نهائيا عن سياسته، ويعتبر أمر 7 مارس 1944 مهينا للجزائريين، وغير ديمقراطي، ومعاد للمجتمع، والسنوات الماضية بالنسبة لنا قرون (ويقصد بها السنوات التي كان يطالب فيها بسياسة الاندماج.)

وقد وصف أحد الصحفيين الفرنسيين رفض فرحات عباس، لأمرية 7 مارس 1944، متهكما بقوله: "فرحات عباس هو الصيدلي الوحيد الذي لا يحب الأمريات (les ordonnances)." [843]

إلى جانب رفض فرحات عباس لها، نجد كذلك رفض جمعية العلماء، فرئيسها الشيخ الإبراهيمي صرح بأن كل الإصلاحات في الإطار الفرنسي تجاوزها الزمن، وكذلك رفضها حزب الشعب الجزائري. [844]

---

[839] نفس المرجع، ص: 215

[840] المرجع السابق، ص ص: 215-217

[841] الجيلالي صاري، ومحفوظ قداش، المرجع السابق، ص ص: 76-77

[842] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 149-150

[843] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 131

[844] ibid. P: 128

و لم يساند هذا الأمر سوى الحزب الشيوعي الجزائري، ولكن تأثير هذا الحزب على الرأي العام الجزائري المسلم كان ضعيفا جدا. [845] ويؤكد فرحات عباس بقوله: " بعد الإعلان عن القانون الجديد، أسسنا في سطيف يوم 14 مارس، حركة " أحباب البيان و الحرية "، ووضعت بنفسي قانونها في ولاية قسنطينة. " [846] وتمكن فرحات عباس بذلك من إنشاء حزبه الكبير الذي كان يحلم به، وهو " الجزائر الحرة "، ولكن أطلق عليه اسم " أحباب البيان والحرية" [847]، وبتأسيس هذه الحركة استطاع فرحات عباس أن يملأ الفراغ السياسي الذي غاب عنه المرحوم الشيخ ابن باديس، و مصالي الحاج الذي كان مسجونا. [848]وقد لخص أهداف حركة البيان والحرية*، فيما يلي:

أولا: الهدف الأساسي الدفاع عن البيان كمهمة مستعجلة، وحرية التعبير، والكرامة، ونشر أفكار البيان والاستنكار النهائي لنظام الاحتلال، وتمييزه العنصري، وجبروته.

أما وسائل العمل فقد أوضحها كما يلي: " إنقاذ كل ضحايا القوانين الاستثنائية، وظلم الاحتلال، إنشاء تيار فكري مستمد من البيان، ونشر فكرة الأمة الجزائرية، وتأسيس جمهورية جزائرية مستقلة ذاتيا ومتحدة فيدراليا مع الجمهورية الفرنسية، وهي ضد الاحتلال والإمبريالية، وخلق روح التضامن بين جميع الجزائريين باختلاف أجناسهم ودياناتهم يهود، مسيحيون، مسلمون، وبث روح التضامن الجزائري، والشعور بالمساواة والرغبة في التجمع بينهم في السراء، والضراء." [849]

" عندما أنشأ فرحات عباس حركة أصدقاء البيان والحرية، في مارس 1944 للدفاع عن المطالب التي قدمت للحكومة الفرنسية في سنة 1943، انضم إليها كل العلماء، و مناضلي حزب الشعب، وتكونت جمعية جماعية سطرت برنامج عمل مشترك بين جميع القوى الوطنية... وبانضمام العلماء إليها زادت قوتها." [850] وأصبحت هذه المنظمة بعد هذا التدعيم ذات تأثير فعال في المجتمع الجزائري المسلم لأنها أصبحت تعبر حقيقة عن رغبة الأغلبية العظمى من الجزائريين، وقد قامت بحملات واسعة عبر التراب الوطني منددة بأمر 7 مارس، وكتبت أحباب البيان والحرية لافتات بالعربية، وعلقتها في أهم المدن الجزائرية مكتوب عليها " لا للجنسية الفرنسية، نعم للجنسية الجزائرية، تسقط الجنسية الفرنسية، وتعيش الجنسية الجزائرية للجميع. " [851]

---

[845] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 204

[846] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 150

[847] Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 Juliet 1975, op.cit, p: 142

[848] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 217

* انظر قانون أحباب البيان والحرية كاملا في: Claude Collot - Jean Robert Henry, op.cit, p p :186,187

[849] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :150

[850] عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص: 285

[851] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945 ، المرجع السابق، ص: 218

وقد أسس فرحات عباس جريدة أسبوعية " المساواة " يوم 15 سبتمبر 1944 لنشر أفكار أحبـاب الحريـة والبيان،و الدفاع عنها، ويقول عن النجاح الكبير الذي حققته: " أن عدد المنخرطين في أحباب البيان والحرية وصـل إلى 500 ألف منخرطا، إلى المقر الاجتماعي الكائن بـ 6 ساحة الكاردينال لافيجري بالجزائر (Cardinal Lavigerie) وكنت أمينها العام، والمدير السياسي لجريدة المساواة، وكنت على اتصال بالإدارة العليا مـن أجـل الـدفاع عـن الإصلاحات، مسؤوليتنا كانت ثقيلة، وتحملتها بصدق، وكنت متخوفا خاصة من استفزازات الشرطة." [852] أمـا عدد الفروع لحركة أحباب البيان والحرية، فقد تجاوز 150 فرعا على مستوى الوطن. [853]

تأكد الحاكم العام " كاترو " الذي كان مسؤولا إلى الجانب الجنرال "دي غول" عن إصدار أمر 7 مـارس 1944 بأن الوطنيين الجزائريين المسلمين رفضوه، [854] و لم يقبله سوى الشيوعيون، وبعض القياد الذين أسسوا تجمعا لهم أطلقوا عليه اسم " أصدقاء الديمقراطية والحرية " الذي وافق على سياسة الاندماج. [855]

ففرحات عباس كانت له كما يظهر بعض الثقة في فرنسا المقاومة للاحتلال الألماني والـتي جربـت معـنى الاحتلال وعانت من ظلمه وجبروته، حيث عبر عن ذلك بقوله: " لم يكن يخطر ببالي أنها ستخذلنا وتخدعنا "، وتوقع أن تنجح سياسة " الثورة بالقانون " الصالحة للجزائر، وتونس، والمغرب... وهذه هي الأفكار التي دافـع عنـها في جريدته " المساواة ". [856]

عزل الجنرال " كاترو " في سبتمبر 1944 وعيين بدله حاكم عام " إيف شـاتينيو " (Yves Chataigneau)، يقول عنه فرحات عباس: " إنه دبلوماسي محترف يعرف مشاكل الإسلام والعالم العربي، ليبرالي بعيد النظر، ومن نظرة أخرى فهو الخليفة المباشر لـ " موريس فيوليت " (Maurice Viollette). " [857]

أما المحتلون فكانت دائما نظرتهم ضيقة وقفوا ضد أمر 7 مارس 1944، وضد أحباب البيان والحرية، و عملوا بكل إرادتهم لإفشالها. [858]

إن فترة عودة فرحات عباس من الحرب الكونية الثانية كانت مليئة بالنشاط السياسي، رجل تعلم من تجاربه واستخلص الدروس جيدا، ودخل في مواجهة حقيقية مع إدارة الاحتلال والمحتلين، وهو أكثر صلابة، ووعيا وتجربة مما كان عليه في الفترات السابقة، تعلم أن الالتحام بالجماهير هو الضمان الوحيد لنجاح سياسـته الداعيـة إلى إلغـاء الاحتلال، واستطاع أن يلتحم بالجماهير الشعبية، وأن يعمل مع زملائه على زيادة نمو الوعي الشعبي

---

[852] ibid. p : 152

[853] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 213

[854] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ص: 219

[855] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 208

[856] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 152

[857] ibid. p : 153

[858] ibid.

الجزائري، ولذلك طلب فرحات عباس بتأسيس دولة جزائرية ديمقراطية اجتماعية، متحدة فيدراليا مع الجمهورية الفرنسية، وكانت هذه المرحلة الأولى في نظره لتحقيق الاستقلال التام للدولة الجزائرية فيما بعد أي حينما تتهيأ الظروف المناسبة للشعب الجزائري لكي تكون له القدرة والكفاءة على التسيير، وإدارة شؤون الدولة، داعيا إلى التعقل ونبذ العنف، واستعمال الوسائل السلمية لتحقيق ذلك، لأن القوى الشعبية الجزائرية المسلمة في هذه الفترة كانت تنتظر الفرصة لوضع حد نهائي للاحتلال الفرنسي للجزائر، ولو عن طريق استعمال العنف.

المبحث الرابع

فرحات عباس وحوادث 8 ماي 1945

في بداية سنة 1945 أصبحت الحرب الكونية الثانية تسير لصالح الحلفاء وأصبح نصرهم على النازية وشيكا، وشهدت هذه الفترة كذلك انتشار الأفكار التحررية عند الشعوب الخاضعة للاحتلال، وأصبحت هي الأخرى تنتظر بفارغ الصبر تحررها من الاحتلال، آملين في تطبيق وعد الحلفاء (ميثاق الأطلسي) بإعطائها حريتها لتقرير مصيرها، وقد تأثر فرحات عباس بذلك وكذلك الحركة الوطنية الجزائرية في مجموعها باستثناء الحزب الشيوعي الجزائري الذي بقي مرتبطا بالحزب الشيوعي الفرنسي.

يتناول هذا المبحث، الدور الذي قام به فرحات عباس قبيل نهاية الحرب الكونية الثانية، والآمال التي كان يريد تحقيقها للجزائر، ومعرفة الوسائل التي اعتمد عليها في تحقيق مشروعه السياسي الداعي إلى إقامة جمهورية جزائرية ؟ والنتائج التي ترتبت عن ذلك سواء بالنسبة له كشخصية جزائرية سياسية معتدلة داعية إلى نبذ العنف والاحتلال معا، أو بالنسبة للحركة الوطنية ككل، وأثر حوادث 8 ماي 1945 على الجزائر.

هذا ما سنقوم بمحاولة دراسته في هذا المبحث.

لقد وصل تجمع أحباب البيان والحرية قمته في ربيع 1945، واستطاع أن ينفذ بواسطة أفكاره الداعية إلى التحرر من الاحتلال في الأوساط الجماهيرية، مما جعل سلطات الاحتلال تحسب له ألف حساب وتراقب نشاطات مناضيله وأقوال زعيمه فرحات عباس.[859] لأنها أصبحت تزعج كثيرا المحتلين في الجزائر.

فخلال المؤتمر الأول لأحباب البيان و الحرية المنعقد بالجزائر مابين 2 و 4 مارس 1945 تم التأكيد فيه على تأسيس " جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع الجمهورية الفرنسية " وانتخب فرحات عباس رئيسا لـ " الجمعية المؤقتة للجزائر المستقلة " من طرف النواب، والعلماء، و المصاليين.[860] وأصبح بذلك فرحات عباس زعيما سياسيا للجزائر عن طريق اقتراع مناضلي الحركة الوطنية له بمختلف اتجاهاتها.

أما المحتلون في الجزائر كانوا خائفين من حركة أحباب البيان والحرية، وامتدادها الواسع، ففي الوقت الذي كانت فيه هذه الحركة تتوسع كان المحتلون يتآمرون عليها، ويبحثون عن أسلوب للقضاء عليها، وخاصة على زعيمها فرحات عباس هذا السياسي الجزائري المحنك الذي يعرف كيف يجادل أعدائه من المحتلين، حيث يقول: " كان خصومنا يريدون إبعاد أحباب البيان والحرية لمنعها من المشاركة في الانتخابات البلدية التي انطلقت من

[859] نفس المرجع، ص: 229

[860] Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet1975, op.cit, p: 143

فرنسا، وبالفعل استطاعوا تأجيلها في الجزائر لتجنب نجاح القوى الشعبية." [861] هذه المؤامرة الأولى تمكنوا من النجاح فيها، لكنهم فزعوا من كثرة نشاطاتها وانضمام العلماء إليها، ومناضلي حزب الشعب الجزائري الذين زادوها قوة وشعبية واسعة، فلذلك رأى المحتلون ضرورة تدبير مؤامرة كبرى للقضاء عليها، وعلى أمر 7 مارس 1944، لأن فكرهم السياسي كان جامدا، و لم يستطع أن يتطور مع المتغيرات الداخلية والخارجية التي حدثت بفعل الحرب الكونية الثانية.

" في أفريل 1945 أخبر والي قسنطينة " لوستراد كاربونيل " (Lestrade Carbonnel) الدكتور سعدان أحد مسؤولي أحباب البيان والحرية، بواسطة أحد الإداريين في بلدية مختلطة، بقوله: " إن بعض الاضطرابات ستحدث، وستؤدي إلى حل حزب كبير." [862] الحزب الكبير بدون شك هو أحباب البيان والحرية، الذي وجد صدى واسعا في الأوساط الشعبية، وساعدته أكثر الأزمة الاقتصادية الحادة التي كانت تعاني منها الجزائر بالإضافة إلى ميلاد الجامعة العربية، وما صاحبها من ارتفاع لمعنويات العرب الخاضعين للاحتلال، ومنهم الجزائريين. [863]

فمناضلي حزب الشعب الذين أمرهم الحاج مصالي بالانخراط في أحباب البيان والحرية.[864] كانوا أكثر راديكالية وتمردا على الاحتلال، وينتظرون الأوامر من مسؤوليهم لبداية التمرد، ففرحات عباس كان يؤمن بفكرة " الثورة بالقانون " ولكنه يعلم بأن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا بتعبئة كل الفئات الشعبية بمختلف اتجاهاتها في إطار حزب شعبي قادر على فرض كلمته، لذلك فتح منذ البداية أحباب البيان والحرية على كل التيارات، وقد حاولت سلطات الاحتلال كعادتها زرع بذور الشقاق، عساها أن تفلح في القضاء على أحباب البيان والحرية، وتفريق صفوفه وإضعافه، ولما فشلت سلطات الاحتلال على مواجهة أحباب البيان والحرية في ربيع 1945، قامت بإرجاع مصالي الحاج إلى السجن في بوغار يوم 18 أفريل 1945، فقامت على إثر ذلك مظاهرات شعبية مطالبة بإطلاق سراحه سواء من مناضلي مصالي الحاج، أو من مناضلي فرحات عباس، فنقل إلى قصر الشلالة، حيث زاره فرحات عباس هنالك، ويقول بأنه وجد الشعب في هذه المنطقة مرتبطا بقضية التحرر الوطني، فقصر الشلالة مثله مثل كل الجزائر، الشعب يسأل عن مستقبله، ومتابعا الحرب الكونية الثانية بشغف. [865] وفي قصر الشلالة، ومنطقة بوغار و البرواقية لاحظ المحتلون زيادة عدد المنخرطين في أحباب البيان والحرية، وكان معظمهم من مناضلي مصالي الحاج. [866]

فإدارة الاحتلال دبرت عملية استفزازية ضد البدو الرحل من قبيلة لعشاشبة في منطقة الشلالة بسبب

[861] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 153
[862] ibid.
[863] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 226
[864] Mahfoud Kaddache, op.cit,p : 670
[865] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op. cit, p p : 206-207
[866] Mahfoud Kaddache, op. cit, p : 690

المرعى، اتخذها والي الجزائر " لويس بيرلييه " (Louis Périllier) الذي انتقل بنفسه إلى تلك المنطقة كذريعة، وأمـــر إلقاء القبض على مسؤولي أحباب البيان والحرية. [867]

و يظهر مـــن ذلك أن إدارة الاحتلال بـــدأت تقوم بعملية جـــس النبض من أجل تهيئة الجو للقضاء على الحركة الوطنية، وحملت الحاج مصالي مسؤولية مـــا حدث، وقامت بنقله إلى مدينة القليعة في الجنوب الجزائري. [868]

وقام رئيس فيدرالية رؤساء البلديات "أبو"(Abbo) من جانبه مرددا بأن أحداث شغب كـــبرى ســـتندلع في الجزائر، وستجبر الجنرال " دي غول " على تراجعه عن إصلاحاته (أمر 7 مارس 1944). [869] ومن القليعة نقـــل مصالي الحاج إلى برازافيل بإفريقيا، رفض الجزائريون هذا التعنت واعتبروه إهانة وتَـــحَدٍ لهم، في الوقت الذي كانت تستعد فيه الجزائر لاحتفالات الحلفاء بانتصار الحرية والديمقراطية. [870] على الديكتاتورية.

وأصبح الجو مشحونا بالتوتر بين الجزائريين المسلمين والمحتلين، وقاطع الجزائريون دكاكين الفرنسيين ومقاهيهم، ففي مارس 1945 كتب النقيب " فريس " (Fraisse) من الحرس الجمهوري الملاحظة التالية " من جانب المحتلين الوضعية تتطور بسرعة، وأصبح من الصعوبة العيش في طمأنينة في بلد أكثرية سكانه من الأهـــالي، وأصـــبح اللاأمن هو السائد، وأن الوضعية ستطول، بعض أملاك الأوروبيين في الجزائر بدأت تباع، وانتقل ملاكها إلى فرنسا، والجيش الحاضر سيعطي الأوروبيين أوهاما في المحافظة على الأمن." [871]

وقد اتفق فرحات عباس، والعلماء، وبعض زعماء حزب الشعب الجزائري على تنظيم مظاهرة كبرى يـــوم 1ماي 1945 الهدف منها إظهار قوة الحركة الوطنية للمحتلين ولفرنسا والحلفاء، وإبراز قدرتهم على تجنيد الجزائريين المسلمين حول القضية الوطنية، لكن هذه المظاهرة المحددة في هذا اليوم قد اعتراها خلل و لم تحدث في ذلك اليوم إلا في بعض جهات من الوطن. [872]

ويقول فرحات عباس:" أن حزب الشعب الجزائري احتج، وتفاعل بشجاعة في مناسبة احتفالات أول ماي بمظاهرة كبيرة في الجزائر، فتحت الشرطة النار على المتظاهرين، وقتلت واحدا منهم، وجرحت أعدادا كبيرة، المؤامرة مدبرة من السلطات العليا، وتطورت كأنها مخطط لها. " [873] هذه المظاهرات التي قادها مناضلي حـــزب الشـــعب الجزائري، نادوا فيها بإطلاق سراح مصالي الحاج، واستقلال الجزائر، رافعين العلم الوطني، وامتدت هذه المظاهرات إلى عدد كبير من المدن الجزائرية كبجاية، وبسكرة، و سطيف، ووهران، و قالمة، وغيرهم لكنها كانت

---

[867] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op. cit, p : 207
[868] ibid.
[869] ibid.
[870] نفس المرجع، ص: 229
[871] Annie Rey – Goldzeiguer, op.cit, p :228
[872] نفس المرجع والصفحة.
[873] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op. cit, p : 207

أقل عنفا من العاصمة.[874]

صرح فرحات عباس يوم 2 ماي 1945 بمدينة سطيف أمام أكثر من 2000 سطايفي قائلا: " أمام فرنسا حلين في مواجهتها: الحفاظ على النظام الإمبريالي، وبذلك تحتاج إلى الرشاشات والسنغاليين، أو تقبل بالاستقلال الذاتي للجزائر، وستجد بذلك صديقة لها. "[875] هل كان فرحات عباس على علم بحوادث 8 ماي 1945 ؟ أم أنه كان يقصد بأن الاحتلال مآله الزوال، ولو عن طريق العنف كنتيجة حتمية للتطور التاريخي ؟ ويظهر أنه كان يقصد ذلك، فهو يكره أسلوب العنف، وبالتالي فإنه يؤكد بأن الاحتلال هو الذي سيلجأ لاستعمال الرشاشات ضد الجزائريين المطالبين بحقوقهم الشرعية.

انتشرت دعاية في الأوساط الشعبية الإسلامية، تقول بأن فرحات عباس على اتفاق مع القوات الأنغلو-أمريكية على استقلال الجزائر، و أنه التقى مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية " روزفلت " (Roosevelt)، و لم يتدخل فرحات عباس في خطابه هذا لنفي الدعاية.[876] فالشعب الجزائري المسلم آمن بهذه الدعاية لأنها تعبر عن أمانيه، وتتماشى مع ما يريد أن يسمعه، ولقد أصبح في هذه الفترة ينتظر بفارغ الصبر استقلال الجزائر.

إن خطابات فرحات عباس الداعية إلى إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا أو مع دول شمال إفريقيا تحت حماية فرنسا، كانت الجماهير المسلمة تفهم من هذا على أن ذلك استقلال تام للجزائر، و نهاية الاحتلال الفرنسي، ونداءه للتعقل، والمطالبة بالاستقلال متناقضان، الفئات الشعبية البسيطة كانت تنتظر استقلال الجزائر مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، فلقد أكد فرحات عباس في تجمع شعبي في سطيف يوم 29 أفريل 1945، بأن ندوة سان فرانسيسكو تضمن الحرية لجميع الشعوب، وأن الشعب الجزائري سيستفيد من تلك المزايا.[877] و معنى ذلك أن الدول الكبرى ستقف إلى جانب الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي، وهذه في نظري هي الفكرة التي استخلصها الجزائريون المسلمون من كلامه، لذلك قاموا بتلك المظاهرات، ومنها مظاهرة 8 ماي 1945 التي نتجت عنها جرائم إنسانية في حق الجزائريين.

وكانت عناصر حزب الشعب الجزائري المنخرطة في أحباب البيان والحرية تستمد أفكار فرحات عباس وتنقلها بين الأوساط الشعبية، وتحرض من خلالها على استعمال العنف ضد الاحتلال، ونشروا بأن أول ماي 1945 سيكون سببا مباشرا وسريعا لمظاهرات ينتج عنها تمردا ضد الاحتلال.[878]

إن مناضلي حزب الشعب كانوا يحضرون لعصيان وتمرد ضد الاحتلال من أجل استقلال الجزائر، بينما فرحات عباس و مناضليه كانوا ينادون إلى التعقل ونبذ أسلوب العنف، فأحباب البيان والحرية أصبحت غطاء

---

[874] نفس المرجع، ص: 230

[875] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op. cit, p : 143
[876] Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 Juillet 1975, op.cit, p: 143
[877] ibid.
[878] ibid.

للمصاليين الذي انخرطوا فيها بكثرة، وكانوا يرون بأن الوقت قد حان للقضاء نهائيا على الاحتلال، فأسبوعية " المساواة " الصادرة يوم 4 ماي 1945 نشرت نداء تدعوا فيه إلى الهدوء، والحكمة والتعقل، والابتعاد عن الكراهية والعنف. (879)

ويقول فرحات عباس أنه كان على علم، بأن أحباب البيان يضم عناصر من حزب الشعب، ويدعون إلى العنف لكنه سكت عنهم لأن هذه الفترة في نظره كانت تتطلب مواجهة الأحداث، والوقت مناسب لها.(880)

يرجع أبو القاسم سعد الله حوادث 8 ماي 1945 إلى أحباب البيان والحرية التي قامت بنشاطات ودعاية واسعة ضد الاحتلال، ومحاولتها تكوين جبهة متحدة تضم جميع العناصر الوطنية المؤمنة باستقلال الجزائر، وإنهاء الاحتلال، واتصالات فرحات عباس العلنية والسرية بقادة الحركة الوطنية من أجل تأسيس جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا، فقبل 8 ماي 1945 لم يكن زعماء الاحتلال في وضعية تسمح لهم بالقضاء النهائي على أحباب البيان والحرية، لذلك انتظروا الفرصة المناسبة لمحو أي حركة وطنية تنادي بالاستقلال. (881)

وكما رأينا في المظاهرات التي قامت في 1 ماي 1945، والتي شارك فيها عشرات الآلاف من الجزائر عبر أهم المدن الجزائرية، فقد سادها الانضباط والهدوء كانوا رافعين شعارات تنادي بـ " استقلال الجزائر، نهاية الاحتلال، تحرير مصالي... " وحاولت الشرطة استفزاز المواطنين، وإطلاق النار عليهم في الجزائر، وبجاية، فقتلت 2 منهم وجرحت المئات، 2 منهم كانا حاملان للعلم الجزائري (بولحفاف، و زيار) وانتشر الذعر، في أوساط المحتلين، وانتظروا الفرصة المناسبة، أما الجزائريين المسلمين، فإن خبر إطلاق النار على المتظاهرين استقبلوه بنوع من التحدي والصمود، وزادهم ذلك شجاعة وقوة وتماسكا ضد المتحلين المتجبرين. (882) ورأوا بأن الوقت مناسب لتحرير الجزائر من الاحتلال، وإقامة دولة جزائرية مستقلة ذات سيادة.

حررت اللجنة المركزية لأحباب البيان والحرية على إثر تلك الأحداث منشورا بعنوان: " نداء إلى كل الفرنسيين " تندد فيه بنفي مصالي الحاج، و ردع مظاهرات أول ماي، فأحباب البيان والحرية نددوا لاستعمال العنف من طرف الشرطة، و أعلنوا تضامنهم الفعلي مع عناصر حزب الشعب الجزائري، وهذا البيان وقعه فرحات عباس، والدكتور سعدان، والشيخ الإبراهيمي، والشيخ خير الدين، والشيخ العربي التبسي، و ميموني عبد القادر، وأحمد بومنجل، و صاطور، وغرسي محمد، وعباس التركي، و جمام، و دردور جمال...(883)

صمم الشعب الجزائري في 8 ماي 1945 على إعادة تنظيم مظاهرات أول ماي، وذلك بمناسبة يوم انتصار الحلفاء على الألمان، وأن تكون هذه المظاهرات عبر كامل التراب الوطني، واكتسبت أهمية أكبر في ولاية قسنطينة،

(879) ibid.
(880) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op. cit, p: 143
(881) نفس المرجع، ص ص: 223-224
(882) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 237
(883) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 701

وتعتبر الحوادث الأليمة التي نتجت عنها من الأصول الأولى لثورة أول نوفمبر 1954.[884]

ويصف فرحات عباس هذه المظاهرات بقوله: " الاضطراب الصغير أدى إلى صنع سيناريو، لإيجاد مبرر لتصفية أحباب البيان والحرية، والرجوع إلى الوراء، هذه المظاهرات تحولت إلى أحداث كبرى، وهكذا تفسر أحداث 8 ماي 1945." [885] في نظره أن هذه الأحداث هي من تدبير سلطات الاحتلال من أجل القضاء على الحركة الوطنية بزعامته، وهي التي دفعت الفئات الشعبية للقيام بأعمال شغب من أجل إيجاد مبرر للقيام بأعمال إجرامية وحشية ضد الجزائريين المسلمين تجبر الجنرال " دي غول " على التراجع عن سياسته، وحل أحباب البيان والحرية.

وسمحت هذه الأحداث بزيادة الحقد و الضغينة بين الجزائريين المسلمين، والمحتلين الذين أرادوا الانتقام من انتفاضة الحاج المقراني لسنة 1871. ويقدم فرحات عباس وصفا ليوم 8 ماي 1945 بمدينة سطيف، "... كان هذا اليوم، هو يوم الثلاثاء يعقد فيه السوق الأسبوعي، يتوارد على مدينة سطيف حوالي 5 ألاف من الفلاحين يتقاطرون من أرجاء الناحية، وكانت سلطات الاحتلال قد أعطت رخصة القيام بمظاهرة زاعمة أن بعض المسلمين رغبوا في وضع إكليل من الزهور على نصب الأموات." إن إدارة الاحتلال هي التي منحت الرخصة للمتظاهرين، ويتساءل فرحات عباس لمن سلمت هذه الرخصة ؟ لقد ادعى رئيس دائرة سطيف بأنه سلم الرخصة شفويا لأحد مسؤولي أحباب البيان والحرية، دون أن يشترط عليه تقديم طلب كتابي أو استظهار بطاقة التعريف الوطنية حسب ما ينص عليه القانون، أما رئيس بلدية سطيف فإنه لم يكن على علم بهذه المظاهرة، وبالمقابل فإن والي قسنطينة كان على علم بها ووافق عليها، بشرط ألا يحمل المتظاهرون الراية الجزائرية*.[886]

فالحكومة العامة يظهر أنها كانت على علم أكيد بأنه سوف تحدث مظاهرات واضطرابات بين الجزائريين المسلمين والفرنسيين، فالحاكم العام " شاتينيو " راسل قبل شهر ماي كل الولاة ورؤساء الدوائر لأخذ الإحتياطات الأمنية الضرورية حول الاضطرابات التي ستقع بين المسلمين والمحتلين في يوم الاحتفال بعيد النصر.[887]

إذا كان رئيس دائرة سطيف قد أعطيت له التعليمات وللولاة بأخذ الاحتياطيات الضرورية، وترك الأمور تسير بشكل عفوي، فإننا نشك بأن الأمر كان مدبرا، فمن المستحيل أن يمنح رخصة شفوية لتنظيم مظاهرة، اللهم إلا إذا كان من أحد العناصر المخططة لإعطاء ضربة قوية للحركة الوطنية، ورد الاعتبار للمحتلين وجنودهم، أمام

---

[884] الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 79

[885] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 154

[886] ibid. p p : 154-155

[887] André Noushi, op.cit ,p : 141

* يذكر فرحات عباس أن الراية التي حملها المتظاهرون في يوم 8 ماي 1945 كانت هي راية الأمير عبد القادر، باللونين الأبيض، والأخضر Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 15، وكذلك بنيامين سطورا يذكر بأن الراية الجزائرية التي حملها المتظاهرون في هذا اليوم كانت بلونين، أخضر، و أبيض. (بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 190)

أعين الجزائريين، بسبب زيادة الكراهية من طرف الجزائريين تجاه المحتلين، ولكن الكثير من المؤرخين لا يشـــيرون إلى زيادة حقد و كراهية المحتلين الشديدة للجزائريين المسلمين الذين أصبحوا يسخرون منهم بسبب انهزامهم أمام ألمانيا، فالقوة التي كان يتظاهر بها هؤلاء أصبحت محل سخرية بين الجزائريين، لذلك يظهر أن هذه المظاهرات و الاضطرابات كان ينتظرها المحتلون لرد الاعتبار لأنفسهم، وإدارتهم لإعطاء ضربة قوية للحركة الوطنية، ولتكون درسا مســـتقبليا للمطالبين بتأسيس حكومة جزائرية، فهذه المظاهرات كانت في أكثر الاحتمالات أنها مؤامرة، ولكنها كانـــت مـــن أحدى العوامل الهامة، والأساسية لثورة أول نوفمبر 1954، السحر ينقلب على الساحر، وتصـــل الكراهيـــة بـــين الجزائريين المسلمين، والمحتلين أقصى مراحلها، و لم يعد بالإمكان نهائيا لـــمّ الجرح، وأصبح الطريق الوحيد للجزائريين المسموح لهم السير فيه، هو طريق الرصاص.

ويضيف فرحات عباس واصفا تلك المظاهرة بقوله:" تشكل الموكب في المحطة قرب المسجد الجديد، ثم توجه إلى المدينة، وكان محفوفا بالشرطة، وسار هذا الموكب 1000 متر تقريبا وكان في مقدمته شابا حاملا الراية الجزائرية، ولكن لما اقترب الموكب من أحد المقاهي وسط المدينة برز محافظ الشرطة، وحاول نزع الراية من يد ذلك الشـــاب، فصمد له هذا المناضل الجزائري، فأطلقت الشرطة الرصاص عليه، و أردته قتيلا، وجرحت عددا من المتظـــاهرين." [888] وهنا نتأكد من أن الشرطة طبقت أوامر والي قسنطينة، لمنع المتظاهرين من حمل العلم الجزائري.

" فاضطرمت نار الفتنة، واندلع لهيبها، فتصدى المتظاهرون لمطاردة الأوروبيين، وأطلقت الشرطة الرصـــاص، وتدخل الجند لتعزيزهم، ومليشيات المحتلين الذين انتحلوا حـــق محاكمة الجزائريين المتظاهرين وإطلاق النار علـــيهم، فاستشهد عدد كبير، وجرح الكثير من إخواننا، ودفع شباب أحباب البيان والحرية الثمن غاليا، وتكالبـــت جيـــوش اللفيف الأجنبي، والسنغاليون، والطابور المغربي على قرانا، و دواويرنا، باعثين الذعر أمـــامهم، فالنســـاء مســـبيات، والأرواح مزهقات، وأطلق المحتلون العنان لهمجيتهم، ووحشيتهم، فلم يروا مسلما إلا قتلوه، وجريحـــا إلا أجهـــزوا عليه." [889]

برغم أن المظاهرات في اليوم الأول كانت سلمية، وهادئة فتعليمات منظميها نصت على عدم الـــرد علـــى استفزازات المحتلين، والشرطة، وفي هذا اليوم لم تسجل أية حالة استعمال السلاح من طـــرف المتظـــاهرين، لكـــن الاحتلال مع ذلك قتل في هذا اليوم حوالي 29 متظاهرا، وجرح عددا كبيرا منهم بالرصاص. [890]

فلماذا الأحداث في سطيف اتخذت ردا همجيا من طرف الاحتلال، الذين كما رأينا اتخـــذوا الاحتياطيـــات اللازمة لها وذلك تطبيقا لأوامر الجنرال "مارتان" الذي أرسل برقية يوم 7 ماي 1945 إلى الجيش يأمره فيها بأخذ

---

[888] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 155

[889] ibid. p : 156

[890] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 239

أقصى درجات الحذر استعدادا ليوم الثلاثاء 8 ماي.[891]

اتخذت المظاهرات أحداثا دامية في سطيف لأسباب عديدة، فقد ذكر ابن يوسف بن خدة إحدى أسبابها في نظره أن مدينة سطيف أصبحت عاصمة سياسية للجزائر منذ 1942 لوجود فرحات عباس بها، زعيم المنتخبين المسلمين، و حزب إتحاد الشعب الجزائري، وحاج مصطفاي، وأحمد معيزة، أمين صندوق المال لجمعية العلماء المسلمين.[892] فرحات عباس قام بدور كبير لا ينكر في توعية الجماهير، والمطالبة باستقلال الجزائر، صحيح أنه كان يدعو إلى التعقل، لكن استقلال الجزائر في نظر الإنسان الجزائري البسيط لا يكون إلا عن طريق الثورة، الشارع أحيانا يتجاوز تفكير النخبة، لكن ينقصه التنظيم، فبعد 8ماي أي يوم 9 و 10 و 11 منه استعمل الجزائريون السلاح ضد المحتلين، هذه الأسلحة، تحصل عليها الجزائريون من الجيش الألماني في تونس، ومن الجيش الإنجليزي* الذي باعها للجزائريين بالأموال، أو نسيها في مراكزه في شمال إفريقيا بعد انتقاله لإيطاليا.[893]

والسبب الثاني أن المحتلين أرادوا أن ينتقموا بكل قوة من انتشار الأفكار التحررية في هذه المدينة بشكل مقلق لهم، نتيجة لنشاط فرحات عباس السياسي في هذه المدينة خاصة.

أما السبب الثالث فيتمثل في كون مدينة سطيف منطقة التقاء وعبور لسكان الصحراء وشرق الجزائر وشمالها وغربها، ومنها كانت تنتقل لزوارها الأفكار التحررية لذلك أراد الاحتلال ضرب مركز هذه الأفكار بقوة، والمناطق المجاورة لها، ويسترسل فرحات عباس واصفا تلك الأحداث بقوله: " في سطيف وضواحيها، وفي خراطة، و وادي مرسى، و قالمة، و عنابة المحتلون تجمعوا في إطار مليشيات أرْووا غليلهم، وحقدهم، و أطلقوا النار على الآلاف بعد أن عرضوهم لأبشع أنواع التعذيب، وعادت من جديد(صيد العرب) كما كانت في زمن روفيغو، و سانت ارنو، والسفينة الحربية دوغاي تروين (Dugay - Trouin)، قصفت دوار البلديات المختلطة في تاكيتونت، ووادي مرسى (بناحية خراطة).واستعملت الطائرات الحربية والدبابات لقصف الأحياء المدنية، و الدواوير، وكل هذا تحت قيادة الجنرال " دوفال " (Duval)، وأسفرت الأحداث عن مقتل 102 من الفرنسيين،

---

[891] Annie Rey - Goldzeiguer,op.cit,p : 260
[892] Benyoucef Benkhedda, op.cit, p :90

* ذكر لي والدي (محمد معزة)، ومجموعة من الأشخاص، أنه في شتاء 1943 في شاطئ تاسوست ببني عمران (بلدية الأمير عبد القادر حاليا، ستراسبوغ سابقا) على بُعد حوالي 7 كلم شرق مدينة جيجل، أخرجت الرياح سفينة عسكرية بريطانية إلى الشاطئ، وبقيت هنالك إلى نهاية الحرب الكونية الثانية، حيث تمت عملية إخراجها من الرمال.

وأن الجيش الإنجليزي الذي كان فيها ترك علبا كثيرة من أسلحة خفيفة متنوعة، مسدسات، رشاشات، قنابل يدوية، هذه الأسلحة كما يذكر هؤلاء الشهود نقلت في اتجاه جبال البابور نحو ابن ياجيس، و سلمت لمناضلي حزب الشعب الجزائري الذين كانوا على اتصال بجماعة سطيف، ربما تكون هذه الأسلحة هي التي استعملت في أحداث 9 – 10 – 11 – 12 ماي في سطيف، وخراطة وغيرها، وقد قام الجيش الفرنسي بتفتيش دقيق لهذه الجبال بحثا عن الأسلحة المتبقية بعد نهاية الأحداث، وامتد هذا التفتيش إلى ناحية بني عمران تبعته اعتقالات (هذه السفينة البريطانية المذكورة هنا لم يشر إليها أي أحد من المؤرخين). (صاحب البحث)

[893] Paul Emile Sarrasin, La crise Algérienne, édition, du Cerf, Paris, 1949, p :18

وعشرات الآلاف من إخواننا، وكل هذا باسم المدنية، والحضارة. "[894]

بعض المؤرخين يرجعون هذه الأحداث إلى أسباب اجتماعية مثل بنيامين سطورا، حيث يـــرى أن الأزمـــة الاقتصادية والمجاعة التي انتشرت في الأرياف هي التي أدت إلى هذه الأحداث.[895] و هذا العامل في نظري ضعيف جدا، لأن المنطقة التي جرت فيها الأحداث بشكل عنيف، تعتبر من المناطق الغنية في زراعـــة الحبـــوب في الجزائـــر، والمتظاهرون لم يكونوا يطالبون بالخبز أو العمل، إنما كانوا يحملون العلم الجزائري ويطالبون بإطلاق سراح مصـــالي الحاج واستقلال الجزائر، ويناقض " بنيامين سطورا " نفسه حيث يذكر الشعارات التي كان يحملها المتظـــاهرون في سطيف وغيرها " تحيا الجزائر، أطلقوا سراح مصالي، يسقط الاستعمار و الفاشية، تحيا الجزائر المستقلة. "[896] لمـــاذا هذا التحريف والتزوير في تاريخنا المعاصر ؟ هل أن الشعب الجزائري لا تحركه إلا بطنه ؟ تلك تفاسير خاطئـــة ذات أهداف غير بريئة وبعيدة عن الحقيقة العلمية.أما " سارازن " (Sarrasin) فيرى بأنها مظاهرات ذات مطالب سياسية، وليست اجتماعية.[897] فبعض قادة مناضلي حزب الشعب الجزائري كونوا لجنة تضم لمين دباغين، طالب محمد، و مزرنة، وعبدون، و شرشالي، أعطوا الأوامر لمناضليهم لعصيان عام مسلح وركزوا على ناحية قســـنطينة والقبائـــل، وجنوب العاصمة، لأسباب منها كثرة مناضليهم في هذه المناطق وتنظيمهم الجيد، وكثرة الجبـــال الصـــالحة لحـــرب العصابات، وحددوا اليوم 23 أو 24 ماي 1945، ولكن أحداث 8 ماي سبقتهم.[898]

لقد وصف فرحات عباس أحداث 8 ماي 1945 كما مر علينا، ولكنه لم يكن شاهدا عليها، ففي هذا اليوم حيث يذكر: " أوقفت مع الدكتور سعدان في غرفة الانتظار التابعة للحكومة العامة بالجزائر، يوم 8 ماي 1945 على الساعة 10:30 ، ذهبنا باسم أحباب البيان والحرية لتهنئة ممثلي فرنسا على النصر. "[899]

و لم يعلم بالأحداث إلا بعد مرور أسبوعين عليها.[900] أما الرسالة التي كان يحملـــها إلى الحـــاكم العـــام "شاتينيو" جاء فيها: " إن تجمع أحباب البيان و الحرية الذي يضم كل المسلمين المخلصين بمختلف آراءهـــم يوجـــه رسالة باسمهم، في هذا اليوم الوقور بمناسبة انتصار الديمقراطية... إن أحباب البيان والحرية باسم مناضـــليه بمختلـــف الاتجاهات:مثقفون، علماء، مصاليون، شيوخ الزوايا، اشتراكيون، شيوعيون (هذه الكلمة الأخيرة مشطوبة من النص)، يعبرون عن رغبتهم بمناسبة النصر المشترك لتحقيق الوفاق النهائي لكل المنظمات الديمقراطية من أجل الدفاع الفعال ضد بقايا التمييز العنصري... وأخيرا يعبرون عن إرادتهم لمواصلة دفاعهم بالاتفاق الكامل مع

[894] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 156

[895] بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 189

[896] نفس المرجع، ص: 190

[897] Paul Emile Sarrasin, op.cit, p : 21

[898] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 711

[899] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 157

[900] ibid.

الشعب الفرنسي، فرنسا الجديدة والأمم الكبيرة الديمقراطية الجهد الضروري لضمان النصر النهائي والحرية... وتحقيق الأمن الذي سيصبح قاعدة ضرورية لضمان الأمن والسلام. تحيا الجزائر، تحيا فرنسا، تحيا الأمم المتحدة."[901]

رسالة لم يستطع فرحات عباس والدكتور سعدان تقديمها للحاكم العام، ولكنهما وجدا رجال الأمن العسكري في انتظارهما، وكانت نتائج أحداث 8 ماي 1945مجزرة حقيقية، وجريمة إنسانية في حق الجزائريين، والإنسانية جمعاء مقتل 45 ألف جزائري أبرياء لا ذنب لهم، سوى أنهم طلبوا بحقهم الشرعي وأن يعيشوا أحرارا في وطنهم كبقية جميع شعوب العالم الحرة.

" الأوليغارشية الكولونيالية تجيب الجزائريين بواسطة القمع." [902] المحتلون طالبوا إعدام فرحات عباس، وكل الذين حرضوا على هذه الأحداث. [903] وكذلك كان مطلب الحزب الشيوعي الجزائري بزعامة أمينه العام أوزقان الذي طالب: " بمعاقبة منظمي هذه الاضطرابات بسرعة وبلا رحمة، وإعدام المحرضين على هذا التمرد بالرصاص، وكذلك الرجال المنفذين الذين قادوا الشغب الشعبي. " [904]

اعتبر فرحات عباس ثورة أول نوفمبر 1954 غير مفاجئة لأن الشعب الجزائري كان ينتظرها منذ 8 ماي 1945 بعد أحداث سطيف، و قالمة، التي وضعت حدا نهائيا للعلاقة بين الجزائريين المسلمين، والمحتلين. [905] بعد إلقاء القبض على فرحات عباس وصديقه الدكتور سعدان، صيدليته في سطيف تعرضت للتخريب، والغلق، ومنعت جريدته المساواة يوم 15 ماي 1945 من الصدور وبعد بضعة أسابيع من سجنه يلقى القبض على رفيقته في النضال " مارسيل ستوتزيل " ووضعت في السجن، و لم يطلق سراحها إلا يوم 16 مارس 1946 مع فرحات عباس وبقية المساجين السياسيين. [906] المحتلون، والشيوعيون الجزائريون و الفرنسيون، وبعض المنتخبين المسلمين طالبوا بتطبيق عقوبة الإعدام على مصالي الحاج، وفرحات عباس، ودافع " ألبير كامو " عن فرحات عباس حيث كتب في جريدته " النضال " ما يلي: " الرجل الذي كتب (لن يموت إفريقي واحد من أجل هتلر) يملك وعيا سياسيا حذرا، ولا يكمن أن يوافق على مثل هذه التجاوزات. " [907] وقد عبر كاتب ياسين عن أحداث سطيف، بأنها رسخت وطنيته. [908] اتهمت المحكمة الفرنسية فرحات عباس بالمساس بالسيادة الفرنسية، (حسب قرار ريينه) والتهمة الثانية المساس بالسيادة الداخلية للدولة، والتهمة الثالثة المساس بالسيادة الخارجية للدولة، وانتقل بين أربعة سجون من العاصمة إلى السجن العسكري بقسنطينة، ووقف أمام ثلاثة قضاة عسكريين. [909]

---

[901] Claude Collot - Jean Robert Henry, op.cit, p : 207
[902] Ferhat Abbas, autopsie d 'une guerre, op.cit, p : 20
[903] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :148
[904] نفس المرجع، ص: 191
[905] Ferhat Abbas, autopsie d 'une guerre, op.cit, p : 46
[906] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :149
[907] ibid. p : 150
[908] ibid.
[909] Ferhat Abbas, autopsie d 'une guerre, op.cit, p p : 157-158

أثناء سجن فرحات عباس بعد أحداث 8 ماي 1945 حرر مقالا بعنوان " وصيتي السياسية * ". [910] هذه الوصية وجدها المؤرخ الفرنسي "شارل روبير أجيرون" في أرشيف الجيش البري الفرنسي، ونشرها سنة 1994، ولكن قبله قد كتب جزءا منها فقط الجنرال" ماسو " في كتابه ((معركة الجزائر الحقيقية)) سنة 1972 وقد تحصل الجنرال "ماسو" على تلك النسخة سنة 1957من زوجة قائد السجن العسكري الملازم "لافون" (Lafond)، (الذي كان مسؤولا عن السجن العسكري في الجزائر من 1941 إلى 1945، وتوفي سنة 1954)، ويظهر أن هذه النسخة تعرضت للمصادرة أو الاختلاس من طرف "لافون"، أو تحصل عليها الجنرال "ماسو" خلال معركة الجزائر سنة 1957 حينما نقلت وثائق السجن العسكري إليه. [911]

كتب فرحات عباس هذه الرسالة في بداية سنة 1946 في السجن، هذه الوصية يؤكد فيها عن تعبه من العمل السياسي الذي دام لمدة 25 سنة من النضال، وهي بمثابة استقالة من السياسة، وكتبها ليدافع عن شرفه، و لتبرئة نفسه، وأحباب البيان والحرية من أحداث 8 ماي 1945، فيقول في بدايتها: " أؤكد بشرفي، وأقسم أمام الله، أن "أحباب البيان" غرباء عن أحداث سطيف، وأن أيادينا نقية من أي دم إنساني... "، وتناول فيها قضايا أساسية رئيسية في نظره منها تحرر الفلاحين، وإخراجهم من وضعيتهم المأساوية، قائلا: " الكل متحالف من أجل استغلاله، سرقته، معاملته بقسوة، رفضه، شتمه، وكأنه ينتمي إلى جنس ودم آخر، بدون شك هذا الرجل له الكثير من العيوب، وهي مؤكدة، لكن من أين له أن يتعلم الصفات الحسنة ؟ " هذا الفلاح الجزائري تعرض للاستغلال منذ الاحتلال الروماني، والعهد العثماني، والاحتلال الفرنسي، وترك منبوذا مهملا، مستغلا، لا يحتاجه المحتلون إلا لاستغلاله في العمل، ودفع الضرائب، وتقديم أبنائه للجيش للدفاع عن المحتلين.

" إن مصير هذا الإنسان، وسعادته، ومآسيه هي التي تحدد مستقبل الجزائر، ليس هناك مشكلة نخبة، لأن من السهولة حلها، ولكن هناك مشكل العامة غير، المثقفة، والفقيرة، والبائسة، وحلها مستعصي. " اهتم فرحات عباس في وصيته هذه بضرورة وضع حد لاستغلال الفلاح، والعمل على التحرر، قائلا: " العامة تتغير عندما تتغير السلطة التي تستغلها، وتصبح تعمل لصالحها. " أما إذا بقي الفلاح على حالته فإن من السهولة استغلاله، وتوجيهه للعنف، والانتحار الجماعي، ظل فرحات عباس رافضا العنف وحل المشاكل عن طريق القوة، فهو يرى أن العقل قادر على حل كل المشاكل مهما استعصت بالطرق العقلانية السلمية بدون اللجوء لسفك الدماء، فهو يؤمن

*** انظر ملحق الوثائق رقم: 04**

[910] Ferhat Abbas « Mon testament politique », manuscrit inédit, retrouvé et publié par Charles – Robert Ageron, dans la Revue Française d ' histoire d ' outre – mer, t.LXXXI, 1994, N ° 303, p p : 187-197

[911] ibid. p : 181

بالقدرات الفكرية للإنسان، ويرى بأن الإنسان الأمي الفقير المستغل، من السهولة توجيهه للعنف، وهنا تكمن نقطة الاختلاف بين فرحات عباس، و مصالي الحاج، فهذا الأخير معاد لكل حل ينبع من فكر متنور، " فهو يؤمن بالعفوية وبالتصورات السياسية الناتجة عن التطوعية، لهذا كـــان يمقت المثقفين، حتى تكونت لديه مـــا يمكن تسميته بعقـــدة المثقف، التي انفجرت داخل حزبه سنة 1949." [912]

ففرحات عباس يرى في وصيته بأن العمل، والعلوم وحدهما القادران على إعطـــاء الحريـــة للشـــعوب، وأن السياسة في نظره هي مسألة شرف، وعلى من يمارسها عليه أن يعرف كيف يتمسك بالتزاماته، ويبتعد عن الأنانيـــة ومصالحه الخاصة، و ألا يلجأ للكذب والنفاق، فليس عن طريقهما يمكن تربية شعب، وإعداده للمستقبل، ففي هذه الوصية التي كتبها في السجن، استخلص فيها، تجربته السياسية وتأملاته الفلسفية، والأخلاقية، ووضع فيها أسس تحرر الشعوب وتقدمها، وحدد ذلك بالعلم والإيمان، بالمبادئ والعقيدة الدينية، ومبادئ الحرية، والإيمان بفضيلتي العمـــل، والعلم وضرورة تجديد الأفكار و الابتعاد عن الأنانية، والنفاق، والكذب.

تبرأ فرحات عباس من أحداث 8 ماي 1945، لكن سلطات الاحتلال، والمحتلون اعتبروا فرحـــات عبـــاس مسؤولا مباشرا عن الأحداث التي جرت في سطيف، وامتدت إلى بقية المناطق الأخرى، من الشرق الجزائري، وذلك بسبب نشاطه السياسي المكثف خلال الحرب الكونية الثانية الداعي إلى إقامة جمهورية جزائرية، والـــرافض لسياســـة الاندماج، والارتباط بفرنسا. صحيح أن فرحات عباس لا يدعو إلى استعمال العنف، ولكنه يرفض الظلم والقهـــر، والطغيان.

بعد العفو عليه، وعلى زملائه في 16 مارس 1946، انتقل إلى فرنسا للدفاع عن نفسه من تهمة التحريض على أحداث 8 ماي 1945، ففي تسجيل صوتي له في ندوة صحفية بباريس قال: " أنا لست مسؤولا عن أحداث 8 ماي 1945، ولا أصحابي، أتحمل المسؤولية الكاملة في قولي الحقيقة، جئت إلى باريس، وإلى البرلمان طالبا إرســـال لجنـــة تحقيق، لكشف الحقيقة الكاملة، حول تلك الأحداث ومدبريها. " [913]

إن حوادث 8 ماي 1945 والنتائج التي ترتبت عنها، زادت الهوة اتساعا بين الاحتلال والشعب الجزائـــري المسلم، وكشفت حقيقة الاحتلال للجيل الجزائري المسلم الذي ولد بعد نهاية المقاومات الوطنية، ومنه فرحات عباس، وبرهنت بحقائق دامغة بأن الاحتلال الفرنسي للجزائر لا يتردد في القيام بحرب إبادة ضد الجزائريين المســـلمين، وأن سياسة الاعتدال التي انتهجها فرحات عباس في نضاله لا تؤدي إلى تحقيق أماني الشعب الجزائري في العيش حرا على أرض وطنه.

---

[912] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 103

[913] céderom, La guerre d ' Algérie (V2.0 Française)

المبحث الخامس

تأسيسه لحزب " الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري "

بعد إصدار عفو شامل عن المساجين السياسيين الذين اتهمهم الاحتلال بتدبير حوادث 8 ماي 1945 رجع فرحات عباس إلى ممارسة نشاطه السياسي وهو كله ثقة وإيمانا بقضيته الوطنية العادلة.

وسنتناول في هذا المبحث الأسباب التي جعلت فرحات عباس يتراجع عن وعده الذي قطعه على نفسه في " وصيته السياسية " وهي تخليه عن العمل السياسي. هل عاد من أجل الانتقام من جلاديه، وتبرئة نفسه وحركته من أحداث 8 ماي 1945 ؟ أم عاد للنضال السياسي من أجل مصلحة الجزائر كلها ؟

ذكر فرحات عباس حادثة وقعت له في السجن العسكري بقسنطينة، وكان معه في نفس الزنزانة الشيخ البشير الإبراهيمي وهي: " زارنا الجنرال "دوفال" (Duval) مسؤول عن القمع الدموي في منطقة سطيف، و قالمة، ومعه العقيد "بورديلا" (Bourdila) وسألنا هل نحتاج شيئا ؟ أجبته بشيء من الحيوية: سيدي الجنرال، إننا تحتاج الحرية. " [914] الحرية، والكرامة الإنسانية هما لازمتان سياسيتان ارتبطتا بالفكر السياسي لفرحات عباس طوال حياته، وبالتالي فإنه لم يستطع الوفاء بترك العمل السياسي الذي وعد به في وصيته السياسية حتى أثناء نضاله ضد الاحتلال، كان يحترم القانون الفرنسي، فالظلم، والقهر المسلط على إخوانه من الجزائريين هو دلالة على الخير للأيام القادمة. [915] فهي لا تتسع إلا عندما تضيق، وبالتالي فإن الدماء البريئة التي سالت أثناء حوادث 8 ماي 1945 لن يكون من وراءها إلا الخير للجزائر، وأكد له الشيخ البشير الإبراهيمي بعد ذلك بقوله بأن هناك قاعدة إسلامية تقول: "لا تتخلى أبدا، عندما تكون مدافعا عما هو حق. " [916] وهذا ما كان يؤمن به فرحات عباس، قول الحق دائما حسب ما يراه حقا.

إن مرحلة ما بعد 1946 إلى بداية الخمسينات من القرن العشرين تميزت بمرحلة صعبة اقتصاديا، واجتماعيا، وكانت تنذر بالحرب، ارتفاع نسبة البطالة، وتقريبا انعدام مناصب الشغل، ارتفاع أسعار المواد الغذائية، وصعوبة الحصول على الغذاء، وارتفاع نسبة النمو السكاني [917]، و لم تقدم فرنسا أي مجهود فعال لحل هذه المشاكل، فهي من الناحية السياسية لم تعاقب مجرمي 8 ماي 1945، و ألقت الاتهام على الأبرياء، ولجنة التحقيق التي أرسلها الجنرال " دي غول " تحت قيادة الجنرال " توبير " (Tubert)، ألقت اللوم على الجزائريين المسلمين الذين تعرضوا للجنود الفرنسيين، والمحتلين، وأملاكهم. [918] وكأنهم يقولون لنا بأن كل ما ارتكبه

---

(914) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 155
(915) ibid. p. 156
(916) ibid.
(917) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 735

(918) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 243

الجيش الفرنسي وميلشيات المحتلين، كانت دفاعا عن النفس ! و لم تكشف هذه اللجنة نهائيا عن المحرضين الحقيقيين لتلك الأحداث، إلى يومنا هذا.

لكي تلهي فرنسا الجزائريين المسلمين أصدرت قانون سبتمبر 1947، حيث منحت فيه المواطنة الفرنسية لكل الجزائريين، ولتطبيقه لجأت إلى تزوير الانتخابات، استهزاء، ومكر سياسي، وتطاول في اللسان، وكأن الجزائريين المسلمين لا ينتظرون من الاحتلال سوى قوانين لصالحهم بقيت حبرا على ورق، إن قالوا ليس لنا حقوق، أشاروا عليهم بقانون سبتمبر 1947، وإن أرادوا الكرامة والحرية، قالوا لهم إنكم جزء من أمة عظيمة، وهذا فخر لكم ! في وقت لم يعد فيه الجزائريون يطالبون سوى بالجنسية الجزائرية.

لقد رفض فرحات عباس وكل الأحزاب الوطنية ماعدا الشيوعيين الجزائريين أمر 7 مارس 1944 كما مر علينا، وقامت أحباب البيان والحرية بنشر حملة واسعة ضده بواسطة مناشير بالعربية، والفرنسية ومما جاء فيها: "أنت مواطن فرنسي؟ لا. أمواطن جزائري؟ نعم. تسقط المواطنة الفرنسية، تحيا المواطنة الجزائرية للجميع. " [919]

أعلن فرحات عباس في أفريل 1946 عن تأسيس حزب سياسي جديد، تحت اسم " الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ". [920] وهو الوريث لبرنامج أحباب البيان والحرية. [921] ويهدف إلى جمع المناضلين في برنامج أحباب البيان والحرية، ونواته متكونة من المثقفين، الأعيان، محامون، أمثال بومنجل، و قدور صاطور، وأطباء أمثال الدكتور سعدان، والدكتور ابن خليل، والدكتور أحمد فرنسيس، ومدرسون ميرزون أمثال محداد، وحميد بن سالم، و ابن قادة وغيرهم. [922] فهو حزب الطبقة المتوسطة، والمثقفون البرجوازيون[923]، وبقي هذا الحزب قائما إلى سنة 1956 حيث حل، وانضمت عناصره بما فيهم زعيمه فرحات عباس إلى جبهة التحرير الوطني. [924]

وجه فرحات عباس في 1 ماي 1946، نداء إلى الشباب المسلم، والفرنسي ومما جاء فيه: " في 8 ماي 1945، عندما ذهبت مع الدكتور سعدان إلى الحكومة العامة لتقديم التهاني لرئيس المحتلة بمناسبة الانتصار النهائي للحرية الفرنسية والحلفاء، ضابط من المحكمة العسكرية ألقى القبض علينا... وبقينا في السرية التامة و لم يسألنا أحد إلا في شهر سبتمبر عندما نقلنا إلى السجن العسكري بقسنطينة... ماذا أقول عن التمييز العنصري، إنه مرض مزمن للاحتلال... ماذا أقول لهؤلاء الضباط الذين استحموا بدماء العرب ؟... إن القضية هي تحرير الجزائر من نظام قديم قائم على الاستغلال الكولونيالي، لقد تركنا نهاية الطرق القديمة المعهودة لنسلك الطريق الكبير، طريق الوطن الجزائري، أعني المساواة والحرية، لا اندماج ولا سيد جديد و لا انفصال، شعب فتي يقوم بتثقيفه

---

[919] Cité par Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 679, d’après le journal l’Egalité de septembre et octobre 1944
[920] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 730
[921] Ferhat Abbas, autopsie d ’ une guerre, op.cit ,p :15
[922] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 730
[923] Jean Lacouture, op.cit,p :295
[924] Claude Collot - Jean Robert Henry, op.cit, p : 214

الديمقراطي والاجتماعي... ديمقراطية فتية وحديثة المولد تقودها الديمقراطية الفرنسية الكبيرة... لا للجمهورية الخادعة للطبقات المالكة، و لا الأوهام التي تتغذى بالشعارات الموروثة عن ماض بائد يمكنها أن توقف عملنا الرزين ولا زحفنا إلى الأمام." [925]

إن فرحات عباس يريد من هذا النداء الابتعاد عن مناضلي حزب الشعب الجزائري. [926] فعبر في هذا النداء عن أفكاره الديمقراطية، داعيا إلى عدم استعمال الدين لأغراض سياسوية ضيقة كما فعل حزب الشعب الجزائري، وأن الجزائر بحاجة إلى وطنيين مخلصين يعملون بإخلاص من أجل القضاء على النظام الكولونيالي، ولكن في إطار الشرعية، وبالتعاون الفرنسي الإسلامي، ملحا على ضرورة تأسيس دولة جزائرية جديدة متحدة فيدراليا مع فرنسا.

أما مناضلو حزب الشعب الجزائري اعتبروا هذا النداء خيانة من فرحات عباس للقضية الوطنيـــة، واعتقـــد المحتلون أن فرحات عباس يريد رميهم في البحر، و أما العلماء فقد ظلوا مؤيدين له، [927] لأنهم يعرفون غرضه جيدا فهم مثله يبحثون عن جزائر جديدة ولا يعانون من مرض الزعامة، ويتفقون معه في دعوته إلى تربية الشعب وتعليمـــه وجعله واعيا بالأعمال التي يقوم بها، وبالتالي لا يستطيع أحد استغلاله لصالحه.لقد رفض الفرنسيون في 5 ماي 1946 المصادقة على الدستور الذي عرض عليهم، والذي نص على أن: " فرنسا تتكون من اتحاد مؤسس على اتفاق حر. " يضمن لكل الشعوب المواطنة الفرنسية، أعلن فرحات عباس في 24 ماي 1946 بسعيدة مخاطبا الفئات الشعبية قائلا: " عندما تكونون في مواجهة محافظ الشرطة، أو واليا، أو وزيرا، حدقوا في وجهه جيدا وقولوا له: هذا ما أريده، إنـــك قوي، اقتلني إن شئت فأنا أملك الإيمان." [928]

شارك حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في الانتخابات التأسيسية الثانية (البرلمانية) يـــوم 2 جـــوان 1946، وتحصل على 11 مقعدا* من مجموع 13 مقعدا مخصص للجزائريين المسلمين من الهيئة الانتخابية الثانية.[929]

وتحصل الإتحاد الديمقراطي على 71% من الأصوات المعبر عنها أي 458000 صوتا من مجموع 633000 ناخبا

---

[925] ibid. p p : 219-223

[926] الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 86

* قائمة (المنتخبون 11) هم: ولاية قسنطينة: فرحات عباس صيدلي بسطيف، مصطفاي الهادي محامي بسطيف، الدكتور ابن خليل طبيب في باتنة، قدور ساطور محامي بالجزائر العاصمة، باي العقون مالك بعنابة، حاج السعيد محامي بقسنطينة، في ولاية وهران: محداد أستاذ بثانوية وهران، احمد فرنسيس طبيب بغليزان، قـــادة بوطاران أستاذ في تيارت، وفي ولاية الجزائر: تحصلت على مقعدين من مجموع 4 وهما، الدكتور سعدان، طبيب ببسكرة، بن قداش موظف في التجارة بميشلي، أمـــا المقعدان الباقيان فقد قام والي العاصمة بيريلييه (Périllier) بتزوير الانتخابات لمنع أحمد بومنجل المحامي بالعاصمة، و محمد بن سالم المختص في الإشهار بالأغواط من الحصول عليهما (Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit,p p : 162-163)

[927] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 108

[928] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 162

[929] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 165- 166

ناخبا، والاشتراكيون تحصلوا على 86329 صوتا، والشيوعيون 53396 صوتا. [930] مجموعة كبيرة من المتعاطفين مع حزب الشعب الجزائري انتخبوا لصالح الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. [931]نسبة المقاطعة كانت مرتفعة نتيجة لدعوة حزب الشعب لذلك حيث بلغت 700000. [932]

ويقول فرحات عباس عن هذا الانتصار الانتخابي: " إنه انتصار مُسَلَّمٌ به." [933] برغم أن حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لم يؤسس بعد. [934] وأصبح فرحات عباس وزملائه الناطقين الرسميين للوطنيين الجزائريين. [935]

إن دخول فرحات عباس البرلمان الفرنسي اعتبره نهاية العزلة السياسية للجزائريين المسلمين وانتصار الجزائر في معركة كبرى، ولكنه يؤكد بأن الأمور ليست سهلة لأن الوسائل التي يملكها هؤلاء النواب ضعيفة و 90% من البرلمانيين الفرنسيين يجهلون وضعية الجزائريين المسلمين، ودورهم في البرلمان الفرنسي هو تغيير عقلية البرلمانيين الفرنسيين تجاه الجزائريين المسلمين. [936] لكن هل يمكن لـ 11 برلمانيا من الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري تغيير عقلية كبار الملاك الفرنسيين الذين تربطهم بالمحتلين مصالح مشتركة، حاول فرحات عباس أن يقنعهم مستعملا في مداخلاته مبادئ الثورة الفرنسية وفلسفتها، وقوانين الجمهورية الفرنسية الديمقراطية الليبرالية، مستغلا بذلك كل تجاربه السياسية، وذكائه وقدراته الخطابية لكسب البرلمانيين الفرنسيين وتأييده في إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا.

قدم فرحات عباس مع جماعته من البرلمانيين الجزائريين في 9 أوث 1946 للبرلمان الفرنسي مشروع " دستور الجمهورية الجزائرية " في حين يقول بأن فرنسا في هذه الفترة لم يكن لها دستور [937] وتضمن هذا المشروع ما يلي:

" المادة الأولى: تعترف الجمهورية الفرنسية للجزائر بسيادتها، وفي نفس الوقت تعترف فرنسا بالجمهورية الجزائرية، والحكومة الجزائرية، والعلم الجزائري.

المادة الثانية: تصبح الجمهورية الجزائرية عضوا في الاتحاد الفرنسي، بصفتها دولة شريكة، وتكون العلاقات الخارجية، والدفاع الوطني مشتركا مع الجمهورية الفرنسية ذلك من صلاحيات الاتحاد الذي تعتبر الجزائر طرفا فيه.

---

[930] André Noushi, op.cit, p : 144
[931] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 749
[932] André Noushi, op.cit, p : 144
[933] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 163
[934] Jean Lacouture, op.cit, p :295
[935] Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 750
[936] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 163-164
[937] ibid. p : 164

المادة الثالثة:تتمتع الجمهورية الجزائرية بكامل السيادة في القضايا الداخلية ومن بينها الشرطة عبر كامل التراب الوطني.
المادة الرابعة، والخامسة: يتمتع كل مواطن فرنسي من أصل أوروبي بالمواطنة الجزائرية، وبالتالي تكون له نفس الحقوق، التي للمواطنين الجزائريين عبر كامل التراب الجزائري، بما في ذلك حق التصويت، والتوظيف وبالمقابل يتمتع كل مواطن جزائري في التراب الفرنسي بالمواطنة الفرنسية، وتكون له كذلك عبر كامل التراب الفرنسي نفس الحقوق التي للمواطنين الفرنسيين، بما في ذلك حق التصويت والتوظيف.
المادة السابعة: اللغات الرسمية في الجمهورية الجزائرية هي الفرنسية، والعربية، ويكون التعليم العام باللغتين وإجباري للجنسين..." [938]

كما دعا فرحات عباس إلى إقامة شراكة فرنسية في جميع المجالات، ولكن بعض المعتدلين من الجزائريين المسلمين رأوا بأن هذه الجمهورية الجزائرية التي يريد فرحات عباس تأسيسها، ما هي إلا خطوة مرحلية أولى يتبعها فيما بعد الاستقلال التام للجمهورية الجزائرية. [939] بدأ مطالبه بسياسة الاندماج، وانتقل أثناء الحرب الكونية الثانية إلى المطالبة بجمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا.

وبعد تقديمه هذا المشروع للبرلمان الفرنسي، التقى في باريس مع "هوشي منه" (Ho Chi- Minh) فهنأه على نشاطه الواضح والبناء،ومن القاهرة وصلته رسالة من الحبيب بورقيبة، رئيس الدستور الجديد، يقول له فيها:" بأن فرنسا لا تمنحنا أي شيء من مطالبنا، وطلب من فرحات عباس الانضمام إلى حزب الشعب الجزائري." [940]

أما مناضلو حزب الشعب الجزائري فقد عارضوا هذا المشروع الذي تقدم به فرحات عباس للبرلمان الفرنسي لأن لهم قناعة راسخة بأن استقلال الجزائر لا يكون إلا عن طريق الثورة، وتحضير الجماهير الشعبية لخوضها. [941] فرحات عباس كان يعلم بالمشاكل العميقة التي يعيش فيها الجزائريون المسلمون، وبانتخابه في البرلمان الفرنسي يقول بأنه وضع جملة من القضايا، طالب بتحقيقها بسرعة منها:
"- إعادة تشكيل أحباب البيان والحرية (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري).
- بناء على طلبه نقل مصالي الحاج من برازافيل إلى باريس.
- عودة جريدة المساواة التي ألغيت بعد أحداث 8 ماي 1945، والسماح لها بالظهور (جريدة الجمهورية الجزائرية)... [942] افتتحت جلسة 23 أوت 1946 البرلمانية بشيء من التشنج، الجنرال "بريان" (Briand) خاطب

---

[938] ibid. p p : 164-156

[939] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 266

[940] ibid. p : 168

[941] المرجع السابق، ص: 269

[942] ibid. p : 169

البرلمانيين الجزائريين بقوله: " كانت الجزائر قبل الغزو أدغالا للثعالب. " فرحات عباس، والدكتور أحمد فرنسيس، والدكتور سعدان تحكموا في أعصابهم بينما لم يستطع باي العقون من التحكم في أعصابه، فنهض مندفعا من مكانه متحدثا عن الحقوق والواجبات، وبعده صعد الدكتور سعدان إلى المنصة وتحدث عن التمييز العنصري والسلب، والقمع الذي حدث خلال مجازر 8 ماي 1945، وأضاف سعدان قائلا: " إذا لم تعطنا فرنسا الحقوق الواجب إعطاؤها لنا فإننا سنذهب، وذلك ردا على برلماني فرنسي أهانه، ولما ارتفعت الأصوات و الضجيج داخل القاعة تدخل فرحات عباس قائلا: " لقد انتظرنا هذا الوقت منذ 116 سنة لكي نكون هنا، لإسماع صوتنا، وطوال هذه المدة والجزائر فرنسية، الرجاء أصبروا، وكونوا كرماء نحن هنا أقلية صغيرة، وخلال جلسة اليوم الموالي تدخل نائب مدينة وهران " غيليسي " (Quilici) فشن هجوما على فرحات عباس، وذكره بالرسالة التي بعثها إلى الماريشال بيتان وتصريحات عباس لسنة 1939 عندما قال: " إذا لم تقدم فرنسا على إصلاحات، فإننا لن ندفن مشروع بلوم – فيوليت وحده بل سندفن كل الإنجازات الفرنسية." ولما تدخل فرحات عباس تكلم بعزة نفس وهدوء طالبا رفع مستوى النقاش ودعا إلى التعايش والاحترام المتبادل مضيفا أن الشخصية الجزائرية التي لم يكتشفها سنة 1936 اكتشفتها اليوم عند العامة من الجزائريين المسلمين، وإنها اليوم واضحة للعيان لا أنتم ولا أنا نستطيع تجاهلها. [943]

و لم يتحصل فرحات عباس على أي شيء من مطالبه سوى الموافقة على وضع الثقة في الحكومة التي ستقدم في أقرب الآجال، مشروع قانون خاص بالجزائر. [944]

لقد غادر مصالي السجن في أكتوبر 1946، ونزل ببوزريعة بالعاصمة فذهب أحمد بومنجل، والدكتور سعدان لاستقباله باسم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. [945] فسجْنه الطويل و راديكاليته دفعت الجماهير، المسلمة من الطبقة الضعيفة البروليتاريا، و البطالين، و المهمشين من المحامين، والأطباء، والأساتذة إلى الانضمام إلى حزب الشعب الذي تحول يوم 10 نوفمبر 1946 إلى " حركة انتصار الحريات الديمقراطية ". [946] ويعلق فرحات عباس على تأسيس هذا الحزب، والسماح لمصالي الحاج بالدخول إلى الجزائر، قائلا: " عندما قال "كريستيان بينو" (Christian Pineau) للحاكم العام " شاتينيو " أن يقطع الطريق أمامي، أجابه هذا الأخير بقوله: لا أرى إلا رجلا واحدا يستطيع أن يهزم فرحات عباس إنه مصالي الحاج، فرد عليه رئيس المجلس الفرنسي بقوله: نعم، أقض عليه بواسطة مصالي الحاج." [947] حاولت فرنسا من ذلك تحويل الصراع السياسي الجزائري ضدها إلى صراع بين الجزائريين الأشقاء.

(943) Jean Lacouture, op.cit, p p : 298-301
(944) ibid. p : 303
(945) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 174
(946) بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 197
(947) Ferhat Abbas, autopsie d ' une guerre, op.cit,p p : 137-138

يرى فرحات عباس بأن إطلاق سراح مصالي الحاج راجع إلى سياسة المناورات والدسائس التي يستعملها الاحتلال من أجل إفشال وإضعاف الحركة الوطنية، حيث سُمح لمصالي الحاج بالمشاركة في الانتخابات التشريعية تحت راية حزب آخر غير حزب الشعب الجزائري. هو(ح.إ.ح.د) [948] إلا أن الحاج مصالي كان يرى عكس ذلك و أن فرحات عباس هو الذي كان يتعاون مع الحاكم العام " شاتينيو " ضده. [949] وقد نجحت نوعا ما مناورات الاحتلال في سياستها الهادفة إلى جعل الأحزاب الوطنية الجزائرية تتصارع فيما بينها وتتبادل التهم.

عندما جرت الانتخابات التشريعية في نوفمبر 1946 طلب مصالي الحاج من فرحات عباس أن يترك الفرصة لمرشحي حزب (ح.إ.ح.د) فوافق فرحات عباس الذي برر ذلك بأنه لم يكن يرغب في الوقوف في وجه حزب وطني رفع قضية الاستقلال عاليا، وأثناء الحملة الانتخابية توجه فرحات عباس للعمل في تنصيب هياكل حزبه (إ.د.ب.ج) داعيا إلى التصويت لصالح (ح.إ.ح.د) ويعلق والي قسنطينة على ذلك، بأن فرحات عباس أحرقته أحباب البيان والحرية، فخاف أن يشارك في الانتخابات النيابية. [950] ويقول فرحات عباس: " إن تجمع أحباب البيان والحرية امتنع عن تقديم مرشحين للانتخابات التشريعية الأولى في نوفمبر 1946 لتمكين مصالي الحاج من مواجهة الرأي العام الفرنسي، وبرلمانه، إن مصالي الحاج حصل على ضمانات وزارة الداخلية والحكومة العامة في الجزائر، بأن القوائم الانتخابية التي يقدمها حزب الشعب ستعتمد، وبناء على ذلك ترشح للانتخابات، وطلب مني الانسحاب من المنافسة، تحاشيا لانشقاق القوى الوطنية كما أكد أنه بإمكانه الحصول على استقلال الجزائر." [951] حزب (إ.د.ب.ج) يتنازل عن المشاركة في الانتخابات التشريعية، تلبية لطلب مصالي الحاج، هذا يؤكد جيدا بأن فرحات عباس لم تكن همه المناصب الحكومية، ولا التقرب من المسؤولين الفرنسيين أو السقوط في المناورات التي كانت تسعى إدارة الاحتلال تحقيقها، وليثبت كذلك لمصالي الحاج وجماعته بأنه لا يبحث عن الزعامة الشخصية، إنما همه الوحيد هو الدفاع عن الجزائريين المسلمين، حسب مشروع سياسي تبناه، ويقول عن ذلك: " تركت لهم المجال لكي يأخذوا التجارب بأنفسهم. " [952]أما أنصار مصالي الحاج فقد أصيبوا بالغرور واعتبروا أنفسهم الممثلين الوحيدين للشعب الجزائري، وباقي التيارات الأخرى عميلة للاحتلال، تأكد فرحات عباس بأن (ح.إ.ح.د) وزعيمه مصالي الحاج، هو حزب معادي للديمقراطية، إنها مرحلة تجذر الرأي الواحد الذي يرفضه فرحات عباس رفضا مطلقا، وناضل طوال حياته ضده، فهو رجل يؤمن بالديمقراطية، [953] و اختلاف الآراء وعدم إقصاء الآخر، فثقافته الواسعة، وتجاربه الطويلة علمته أن فرض الرأي الواحد لا يمكن أن تبني وطنا متماسكا تسوده العدالة الاجتماعية.

---

[948] ibid. p : 138
[949] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 174
[950] ibid. p: 175
[951] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 172-173
[952] ibid.

[953] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 114

أثناء عقده للمؤتمر الأول لحزب (إ.د.ب.ج) دعا فرحات عباس كل الحركة الوطنية لتكوين تجمع واحد من أجل سد الطريق أمام قوى الاحتلال مع التمسك بمبادئ الديمقراطية والتعددية. [954] تجمع يضم عناصر وطنية مختلفة في الأساليب، ومتحدة في الهدف، وهذه الرأي وافق عليه العلماء لكن المصاليين انفردوا بالتعصب والرأي الواحـــد، ورفض أي اختلاف لفكرهم، ليس هذا فقط إنما صنعوا أكاذيب حول فرحات عباس والعلماء، و اتهموهم بالتعـــاون مع إدارة الاحتلال، و بميولاتهم البرجوازية، والدفاع عن مصالحهم الشخصية، ويذكر أحمد مهساس، وهـــو أحـــد مناضلي حزب الشعب " على النقيض مما ذهـــب إليه البعض؛ فإن محاولة تشكيل جبهـــة وطنيـــة تضـــم الاتحـــاد الديمقراطـــي للبيان الجزائري، والعلماء، وحزب الشعب، والحزب الشيوعي لم تفشل لأن مصالي الحاج قد يفـــرض نفسه زعيما لها، وإنما الفشل كان بسبب أرضية المطالب المعتدلة التي اقترحها الإصلاحيون."[955] هذا الرد ضـــعيف لأن فرحات عباس ليس من الرجال الذين يبحثون عن الزعامة. فنضاله السياسي وشهادة زملائه، وحتى أعدائـــه في المداولات البرلمانية وغيرها يشهدون له بقبول اختلاف الآراء، واحتكامه للديمقراطية، فكيف يخاف من مصالي الحاج إذا أصبح زعيما للتجمع الكبير الذي دعا إليه فرحات عباس عن طريق الانتخاب، لم يعرف عنه أبدا طوال مراحـــل نضاله السياسي أنه حاول فرض رأيه بالقوة، أو بطرق غير شريفة، فهو آمن بالديمقراطية إيمانا قاطعا، وجعلها منهجا في حياته.

لقد دخل مصالي الحاج وحزبه الجديد (ح. إ. ح. د) الانتخابات البرلمانية، وكان بإمكانه أن يحقق انتصارا كبيرا نظرا لامتداده الواسع في الجزائر، لكن إدارة الاحتلال كانت له بالمرصاد، رفضت الإدارة ترشح مصالي الحاج في ولاية الجزائر بأمر من الوالي برغم الوعود التي تحصل عليها كما رفضت كذلك قوائم مرشحي حزبـــه في وهـــران و سطيف، و لم يعلم بذلك إلا بعد نهاية المدة القانونية للترشيحات ولهذا تحصل حزبه علـــى 5* مقاعـــد فقـــط،[956] والمقاعد 10 الباقية تحصل عليها 8 مرشحين عن الإدارة، و مرشحان عن الشيوعيين). [957]

وعلق مصالي الحاج آمالا كبيرة على هذه الانتخابات التشريعية معتقدا أنها ستؤدي إلى استقلال الجزائر كما كان يعتقد فرحات عباس قبله، وقد كان حزب مصالي الحاج في هذه الفترة في أوج توسعه ونشاطه عـــبر التـــراب الوطني ولذلك فإن أي خلل يطرأ على هذا الحزب يكون تأثيره خطيرا على المستوى الشعبي، " ومن هنا كان أكثر من غيره عرضة للتأثر بمشاكل كثيرة قد تطرحها السياسة الانتخابية. لم يكن بد من التحلي باليقظة

---

(954) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 175

(955) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 274

* 3 عن قسنطينة: الدكتور لمين دباغين، دردور جمال، و بوقادوم مسعود. و 2 عن الجزائـــر: أحمـــد مزغنـــة، ومحمـــد خيضـــر (Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 173)

(956) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 173

(957) نفس المرجع، ص: 275

لتفادي الوقوع في الفخ الذي تتضمنه تلك السياسة الانتخابية، ألا وهو فصل قمة الحزب عن قاعدته وإبعادها عن اهتمامات الجماهير، يضم حزب الشعب الجزائري بين صفوفه كأي تنظيم بشري، رجالا تتفاوت درجة الالتزام الفردي بينهم من شخص لآخر. " [958]

وهذا ما أدى فيما بعد إلى تصدع هذا الحزب وانقسامه، بينما المشاكل بين مناضلي حزب (إ.د.ب. ج) أو العلماء كانت تحل عن طريق الإقناع، والحجة، وليس عن طريق إقصاء الرأي الآخر أو اتهامه بما ليس فيه.

وفي البرلمان الفرنسي جدد النواب (ح. إ.ح.د) مطالب نواب حزب (إ.د.ب.ج)، ولكن كانوا أقل مهارة منهم في إدارة النقاش داخل البرلمان، وأكثر عنفا، رفضوا مطلقا أن يتم حل المشكل الجزائري عن طريق البرلمان الفرنسي، هذه القضية في نظرهم تخص الجزائريين وحدهم. [959] ولا دخل لفرنسا فيها.

وشارك (إ. د. ب. ج) في ديسمبر 1946 في انتخابات مجلس الحكومة وتحصل على4*مقاعد من أصل 7 مقاعد. [960]

كما شارك في هذه الانتخابات، مستشارو البلديات الكاملة السلطات، ورؤساء الجماعة في البلديات المختلطة، و تنازل عن المشاركة حزب (ح. إ. ح. د) [961] حيث اكتفى بالتمثيل في البرلمان الفرنسي.

تحصل (إ. د. ب.ج) في الهيئة الانتخابية الثانية على 385 صوتا من مجموع 750 صوتا، وعلق فرحات عباس على ذلك بأن معظم الناخبين اختاروا في السرية الوطنيين المعتدلين. [962]

عقد المجلس العام لولاية قسنطينة في أفريل 1947 دورته الربيعية، وفي إحدى جلساته ليوم 3 ماي 1947 تمت فيها مناقشة قانون الجزائر، وتدخل فرحات عباس طالبا الموافقة عليه ومعترضا على " غراتيان فور " (Gratien Faure) الذي اتهم فرحات عباس بمعاداة فرنسا، ونكرانه لما قدمته للجزائريين المسلمين من خير ! ومما جاء في تدخل فرحات عباس ما يلي: " إنني لا أساير السيد (غراتيان فور) خلال تعرضه للماضي، لأنني سأكون سيئا إذا كذبت على كل ما فعلته فرنسا، ولكننا نعيش الآن في وضع مضطرب... الماضي كان كما كان... يجب أن لا ننسى أنه منذ 10 أيام، ومنذ قرن الجندي الجزائري محمد بن علي، ذهب للدفاع عن الإمبراطورية الفرنسية العظيمة في المكسيك، وفي طونكان، وفي مدغشقر (تصفيقات) إذا رجعنا إلى الماضي دائما سنكون حتما غير عادلين... الحرب لم تنته، إننا مهددون بها كل يوم... فرنسا كانت دائما أنوارا لأوروبا، وعليها أن تمنحنا دستورا

---

[958] نفس المرجع، ص ص: 275-276

[959] الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 90

[960] ibid. p : 174

* عن قسنطينة مقعدين (2) هما: مصطفاي، والدكتور ابن خليل، وفي الجزائر،(1) مقعد: الدكتور سعدان، وفي وهران (1) مقعد، الأستاذ محداد.
(Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 174)

[961] Mahfoud Kaddache, op.cit, pp :760,761

[962] Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p : 174

لوطننا... "ومعلنا بأنه سينتخب باسمه، واسم (إ.د.ب.ج) على منح الجزائر دستور خاص بها، وتمت الموافقة بالأغلبية علـــى تقديم طلبا للحكومة الفرنسية لمنح قانون خاص بالجزائر. [963]

لقد استطاع فرحات عباس أن يقنع مجلس ولاية قسنطينة على الموافقة على منح الجزائر دستورا خاص بها،هذه الموافقة حملها مستشارو الجمهورية، ووضعوها أمام البرلمان الفرنسي تحمل اسم مشروع " دستور الجمهورية الجزائرية " يطالب باستقلال الجزائر ضمن إتحاد فيدرالي فرنسي. [964]

ظهرت معارضة شديدة في المجلس الوطني الفرنسي، حيث راح ممثلو المحتلين يهددون بالانفصال عن فرنسا، في حالة قبول اقتراح فرحات عباس، وهددوا باللجوء إلى الأمم المتحدة بتهمة " إهمال فرنسا لهم " [965] و قبل المصادقة على القانون الأساسي الجديد للجزائر، التقى السيد فرحات عباس برئيس المجلس الوطني الفرنسي "بـــول رماديـيـــه" (Paul Ramadier) بباريس وقال له: " إن اللباس الذي فرضتموه على الجزائر، بحاجة للتنفس، فهو ضـــيق عليهـــا، حاولوا أن تخيطوا لها لباسا جديدا يتماشى مع العصر." فرد عليه " رماديه " بسخرية، لأنه يكره فرحـــات عبـــاس، قائلا: " سيدي عباس سنفصل لـــكم لباســـا جديدا بـــدون شـــك، ولكنه سيأخـــذ شكلا صارما على الطريقـــة الفرنسية." [966] قدم فرحات عباس في شهر أوث 1947 ، مذكرة للمجلس المالي الجزائري باســـم (إ. د. ب. ج) طالب فيها بوضع حد نهائي لسياسة الاندماج لأن الزمن تجازوها، ورفضها الجزائريون المسلمون، والدستور الفرنسي نفسه، ملحا فيها على تأسيس جمهورية جزائرية تتكون من مجموعات، عرب، وبربر، وأوربيين، يصـــبحون كلـــهم جزائريون في إطار الإخاء، و الوفاق. [967]

تدخل الجنرال " دي غول " في 18 أوث 1947 خلال مناقشة جرت داخل البرلمان، مقترحا منح قانون خاص بالجزائر، وتأسيس جمعية جزائرية مختلطة ومتساوية. [968] وبذلك رجع " دي غول " إلى النظام القديم الذي كانـــت عليه المندوبيات المالية، فعارض اقتراحه النواب الجزائريون، وكذلك نواب المحتلين، وبعد مناقشات حادة داخل المجلس الوطني الفرنسي تمت الموافقة على اقتراح " دي غول " بـــ 319 صوتا، مقابل 89 معارضا، و 184 امتنعـــوا عـــن التصويت. [969] تمت الموافقة في يوم 20 سبتمبر 1947 في المجلس الوطني الفرنسي على " القانون العضوي للجزائر " (قانون رقم: 47.1853 ليوم 20 سبتمبر 1947 الخاص بالقانون العضوي للجزائر). [970]

---

[963] Procès – Verbaux des Délibération du Conseil Général de Département de Constantine, Session D'avril 1947, T 2, édition, Imp. P Braham, Constantine1947, pp : 169, 182
[964] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 174
[965] André Noushi, op.cit, p :147
[966] Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :179 d 'après Claude Paillat, dossiers secrets de l'Algérie, Paris, Presses de la Cité,1962, p :233
[967] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 174-175
[968] André Noushi, op.cit, p :148
[969] ibid. p : 149
[970] Paul Emile Sarrasin, op.cit, p : 224

هذا القانون وضع الجزائر وسطا بين الاندماج والفيدرالية. [971] وقد حدد هذا القانون الجزائر كمجموعة ولايات ذات الشخصية المدنية تتمتع بالاستقلال الذاتي المالي، وبتنظيم خاص بالجزائر، وأصبح بذلك للجزائر وجود قانوني، أما القوانين الفرنسية فإنها لا تطبق بها بصفة آلية ما عدا الحالات التي ذكرها القانون، وأصبح بذلك للجزائر قانونا ماليا خاصا وبميزانيتها، ويكلف مجلس جزائري يتكون من 120 نائبا (60 من الجزائريين المسلمين، و60 من الأوربيين المحتلين)، بإدارة المصالح الخاصة بالجزائر بالاتفاق مع الحاكم العام بالجزائر. [972] والمساواة بين جميع المواطنين الجزائريين في الحقوق والواجبات، إلغاء النظام الخاص بمقاطعة الجنوب وضمها إلى الولايات، و إلغاء البلديات المختلطة، ومنح حق التصويت للنساء المسلمات، وفصل الدين عن الدولة، وجعل اللغة العربية لغة رسمية ثانية إلى جانب الفرنسية. [973] هذا القانون جاء في وقت تجاوزه الزمن، و لم يستطع أن يتخلص واضعوه من عقدة التفوق، فقد وضع تمييزا بين المواطنين الفرنسيين (الهيئة الانتخابية الأولى) والمسلمون (في الهيئة الانتخابية الثانية)، فالأقلية الأوروبية المحتلة ممثلة في المجلس الجزائري بنفس عدد ممثلي السكان المسلمين، ومهمة المجلس الجزائري محددة في الميزانية مشاريع اجتماعية، واقتصادية، لكن الجانب السياسي لا يسمح لهذا المجلس بالخوض فيه.

أما هذا القانون العضوي الأساسي للجزائر رفضه فرحات عباس، وكل نواب (ح. إ. ح. د) والعلماء.

قدم مستشارو الجمهورية من حزب (إ. د. ب. ج) استقالتهم، ويقول فرحات عباس: " هذا القانون لم يستشر فيه الشعب الجزائري، وهو نتيجة اتفاق بين الفرنسيين في فرنسا، والفرنسيين المحتلين. " [974] ويقول عن الذين وافقوا عن هذا القانون الأساسي: " هناك رجال عبيد ولكنهم أحرار، وهناك رجال أحرار ولكنهم عبيد، وفي الحقيقة إن الرجال الذين وافقوا على قانون الجزائر ليسوا أحرارا إنهم عبيدا..." [975] ويتهم كبار المحتلين الإقطاعيين بأنهم هم الذين كانوا وراء هذا القانون لإبقاء الجزائر تابعة لنفوذهم وسلطتهم، و يضيف قائلا: " الجزائر ليست مزرعة، ولكنها وطن، إننا رجال ولسنا أقنانا، إننا رجالا مثلكم." [976] ويبرر قبول نواب المحتلين لقانون الجزائر في المجلس الفرنسي بقوله: " يكفي فقط وضع قانون الجزائر تحت مجلس جزائري طَيِّع ولين، تكفيه كلمة شكرا. " [977] و بإمكان إدارة الاحتلال صنع نواب على مقاسها أو نواب جزائريون تحت الطلب.المحتلون في الجزائر رفضوه وأسسوا " جمعية الدفاع عن الجزائر الفرنسية " وقاموا بحرب إعلامية واسعة ضده، ولكنهم لم يلجأوا للعنف، كانوا ينتظرون تطبيق أهم بند فيه وهو انتخاب المجلس الجزائري. [978]

---

[971] Amar Naroun, op.cit, p : 116
[972] Mahfoud Kaddache, op.cit, p p : 770-771
[973] André Noushi, op.cit, p p : 150-151
[974] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 178
[975] Amar Naroun, op.cit, p : 170
[976] ibid. p : 171
[977] Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 180
[978] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :181

وقبل إجراء الانتخابات الخاصة بهذا المجلس الجزائري، لجأت إدارة الاحتلال في الجزائر إلى إجراء الانتخابات البلدية في أكتوبر 1947، لمعرفة مدى تأثير الحركة الوطنية على الجماهير، فتحصل (إ. د.ب. ج) على 18% من الأصوات المعبر عنها، و (ح. إ. ح. د) على 33 % من الأصوات، و(ح. ش. ج) على 4% أما الأحرار (عملاء الاحتلال، ومرشحي الإدارة) تحصلوا على 45% من الأصوات،[979] ويظهر أن هذه هي النتيجة المنتظرة، تقزيم الحركة الوطنية، وفسح المجال للعملاء.

كما جرت في نوفمبر 1947 الانتخابات الأولى لجمعية الإتحاد الفرنسي، وفاز فيها فرحات عباس، والدكتور سعدان، ومحداد، ومصطفاي، وابن خليل.[980] ومن خلال تجربته الواسعة في الانتخابات، يتأكد فرحات عباس يوما بعد يوم بأن المظاهر الديمقراطية الفرنسية تجاه الجزائريين المسلمين، ما هي إلا مظاهر خداعة مبنية على الدسائس والمكر، والخديعة، إدارة الاحتلال، تدعو إلى إجراء الانتخابات مدعية أنها ستكون حرة ونزيهة، ولكن الحقيقة غير ذلك، ما هي إلا ذر الرماد في العيون، ومعظم النواب الجزائريين المسلمين الذين عينتهم الإدارة تحولوا بطبيعتهم الخبيثة إلى مدافعين عن الاحتلال، وتبرير جرائمه.

ولذلك رأى بعض مناضلي حزب (ح. إ. ح. د) الابتعاد عن مهزلة الانتخابات، وتأسست على إثر ذلك المنظمة الخاصة يوم 13 نوفمبر 1947 للتحضير للكفاح المسلح.[981]

ولإجراء انتخابات المجلس الجزائري، تكون نتائجها حسب رغبة إدارة الاحتلال، تم عزل الحاكم العام في الجزائر " شاتينيو " (Chtaigneau) وهو رجل صلب وليبرالي، وعُوض بحاكم عام اشتراكي " مارسيل إدموند نيجيلان " (Marcel Edmond Naegelen) وضع نفسه تحت تصرف المحتلين وفي خدمة الاحتلال.[982]

وقبيل إجراء انتخابات المجلس الجزائري في 2 أفريل 1948، قام مناضلو (ح. إ. ح. د) بحملة واسعة بالجزائر مهددين الفرنسيين بطردهم في حالة فوزهم في الانتخابات، ولذلك وجدت الشرطة الفرنسية مبررا قويا، ومناسبا لها حيث قامت باعتقال 660 مناضلا منهم أي الثلث من المرشحين، وأمام ازدياد الاحتجاجات أثناء إجراء الانتخابات يوم 2 أفريل 1948 قامت شرطة الاحتلال بإطلاق النار وقتلت 12 جزائريا، وجرحت المئات، واعتقلت العشرات وذلك عبر كامل التراب الوطني، ورغم كل هذا الترهيب، والمكر، تحصل حزب (ح. إ. ح. د) على 30.6% من الأصوات المعبر عنها، وفاز بـــ 9 مقاعد، وحصل حزب فرحات عباس (إ. د. ب. ج) على 17.5% من الأصوات المعبر عنها، وفاز بـــ 8 مقاعد، وتحصل الأحرار على 45% من الأصوات المعبر عنها وفازوا بـــ 41 مقعدا، هؤلاء

---

[979] ibid.

[980] ibid. p : 182

[981] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 119

[982] Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 180

الأحـــرار هم مرشحو الإدارة كـــانوا يحملون معهم رشاشات أثناء يـــوم الاقتراع. (983) وحققـــت بـــذلك إدارة الاحتلال رغبتها عن طريق التزوير واستعمال العنف، والقتل، والاعتقال، ويذكر فرحات عباس حتى أنه في حالة عدم لجوء إدارة الاحتلال إلى هذه الأساليب الدنيئة، فإن المجلس الجزائري ليس له تأثير على سياسة المحتلين، لأن المادة 39 منه تسمح لــ ¼ فقط من أعضائه إلغاء إي مشروع قانوني يعرض عليه (أي 30 نائبا فقط، وللمحتلين 60 نائبا فيه بالإضافة إلى ذيولهم من الأحرار الجزائريين)، وقبول أي مشروع تحدد هذه المادة كذلك موافقة ⅔ أعضائه (أي 80 نائبا على الأقل) ويعلق فرحات عباس على ذلك بقوله: " أقلية من نواب المحتلين داخل المجلس الجزائري بإمكـــانهم تعطيل كل الجزائر." (984)

إن لجوء إدارة الاحتلال إلى إطلاق النار على الناخبين والاعتقالات الواسعة التي قامت بها ضد مرشحي حزب (ح. إ. ح. د)، لم يكن هدفها الأساسي البحث عن نواب طيعين من الأحرار، لأن النواب الجزائريين، وحـــتى إن كانوا وطنيين، وكلهم من حزب مصالي الحاج فإن تأثيرهم محدود داخل المجلس وفقا للمادة 39 من قانون الجزائر، إنما اللجوء إلى الترهيب كان بهدف بث الرعب في نفوس الجزائريين عامة، وإظهار إدارة الاحتلال بمظهر القـــوة وعـــدم التردد في استعمال الرصاص ضد الجزائريين المسلمين الذين أصبحوا في هذه الفترة متشبعين بفكرة الاستقلال الوطني.

عقد حزب (إ.د.ب.ج) ما بين 25 و 27 سبتمبر 1948 أول مؤتمر وطني له بمدينة سطيف، وقدم أمينـــه العام فرحات عباس مداخلة بعنوان " تطلعات حول حاضر و مستقبل الجزائر " (985) طالب فيه بالوحدة المغاربية في إطار إتحاد شمال إفريقيا، وإدخال الديمقراطية إلى المجلس الجزائري، وتحويل الحكومة العامة إلى حكومة جزائرية، وأكد على ضرورة إلغاء القوانين المفروضة بالسيف على الجزائريين المسلمين.

وفي الاختتام وجه المؤتمرون رسالة شكر إلى منظمة الأمم المتحدة المجتمعة في باريس، طالبين منها مساعدة كل الشعوب الكبيرة أو الصغيرة على منحها حق تقرير المصير، وإلغاء نظام الاحتلال، أما من الحكومة الفرنسية فقد طلبوا منها ما يلي:

1- إرسال لجنة تحقيق حول أحداث 8 ماي 1945، وتقديم تعويضات لضحاياها.

2- إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.

3- إلغاء انتخابات المجلس الجزائري.

4- التعليم لجميع الأطفال المسلمين.

---

(983) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 183

(984) Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 180

(985) Ferhat Abbas, Regards sur le présent et l' avenir de l' Algérie, rapport présenté par Ferhat Abbas au 1er congrès de l' « U.D.M.A » édition, libération, Alger, 1948, pp : 1,32

5- التثبيت الرسمي والإجباري للغة العربية.

6- إلغاء البلديات المختلطة، ومناطق الجنوب، وتثبيت الرحل عن طريق توزيع نقاط الماء عليهم، و إنشـــاء مـــوارد إنتاجية.

7- فصل الدين عن الدولة، ورد أملاك الأوقاف إلى الجمعيات الإسلامية.

-وتطبيق مخطط الأمن الاجتماعي، وتسوية الرواتب حسب ارتفاع الأسعار.

-إصلاح زراعي.

-إنشاء سياسة سكنية، و الصحة العمومية.

-تصنيع الجزائر. (986)

كما دعا المؤتمرون إلى تكوين جبهة ديمقراطية لمواجهة الاحتلال، ولكن دون السير في سياسة (ح. إ. ح. د) بالرغم من التقاء هذين الحزبين في عدة نقاط، ففي جوان 1948 في باريس نددا هذان الحزبان بالاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وكونا هنالك جمعية الديمقراطيين المنتخبين ضد الاحتلال. (987) مقترحات فرحات عباس، لم تجد صدى لها داخل المجلس الجزائري، وكانت لغة القوة والعنف هي المسيطرة على عقلية المحتلين، أما المجالس النيابية، فهي جسم بلا روح وضع معظم نوابها من الجزائريين لخدمة الاحتلال، مع إعطائها مظهرا ديمقراطيا مزيفا.

عقد حـــزب (إ. د. ب. ج) مـــا بين 16 و 18 سبتمبر 1949 مؤتمره الثاني بمدينة تلمسان، وقدم فرحات مداخلة له بعنوان " نظام الاحتلال، و رفضه للعدالة والتقدم " (988) هذا المؤتمر الوطني ترأسه الأستاذ محداد، وقبـــل إعلانه عن الافتتاح طلب من الحاضرين الوقوف دقيقة صمت ترحما على روح الفقيد الدكتور سعدان، أما أســـباب اختيار مدينة تلمسان، فلكونها العاصمة القديمة للمغرب الأوسط، وكانت دارا للإسلام.(989)

وفي مداخلة فرحات عباس أكد على بقاء حزبه مخلصا لمبادئه، ورافضا للاحتلال، ووجه نداء إلى منظمة الأمم المتحدة عن طريق المؤتمرين شارحا فيها وضعية الجزائر منذ 1830 إلى سنة 1949، ومذكرا بالأهداف التي تأسست من أجلها منظمة الأمم المتحدة، طالبا من هذه المنظمة التدخل لوضع حد للاحتلال الفرنسي للجزائر، وفي شمال إفريقيا (تونس، والمغرب)، والعمل على إقامة إتحاد مغاربي بعد التحرر من الاحتلال، وطالب بـــإطلاق ســـراح جميـــع المعـــتقلين السياسيين، وفضح في تدخله القمع الذين يتعرض له المصاليون. (990)

---

(986) ibid. p p : 30-32

(987) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 185

(988) Ferhat Abbas, Le régime colonial est la négation de la justice et de la civilisation, rapport présenté par Ferhat Abbas au 2eme congrès national de l' « U.D.M.A » Tlemcen les 16.17 et 18 septembre 1949, p p : 1-39

(989) ibid. p : 5

(990) ibid. p p : 12-20

انتهت فترة الأربعينات من القرن العشرين بفشل الحركة الوطنية في التصدي لقوى الاحتلال، مـــن تزويـــر للانتخابات، وملاحقة الوطنيين إما بالسجن، أو بالتهديد خاصة بعد أن شهدت هذه المرحلة نمـــو الـــوعي الـــوطني التحرري في الجزائر وفي العالم، ولذلك لم يتردد الاحتلال في ارتكاب جرائم إنسانية ضد الجزائريين، في حـــوادث 8 ماي 1945 فقتل الآلاف من الجزائريين، متحديا بذلك كل القوانين الدولية.

وقد استنكر فرحات عباس سياسة الاحتلال العنصرية الممارسة من طرف الجمهورية الفرنسية الرابعة في حق الجزائريين المسلمين، ودعا كل التيارات الوطنية إلى الالتفاف حول حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لتكوين جبهة وطنية قادرة على وضع حد للاحتلال الفرنسي، وإنشاء حكومة جزائرية في إطار الوحدة المغاربيـــة، متحـــدة فيدراليا مع فرنسا، وطالبا من الأمم المتحدة تقديم المساعدة للجزائر (وفق مبادئها التي أسست من أجلها) وتونس، والمغرب، من أجل إلغاء الاحتلال.

الفصل السادس:
مواقفه خلال الخمسينات.

المبحث الأول: دخوله في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية.

المبحث الثاني: موقفه من اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954.

المبحث الثالث: انضمامه إلى الثورة.

المبحث الرابع: موقفه من اتفاقية إيفيان.

الفصل السادس
مواقفه خلال الخمسينات

بدأت الخمسينات بثقل همومها على الحركة الوطنية بصفة خاصة، و الجزائريين بصفة عامة، فحكومات الجمهورية الرابعة، وممثلي إدارة الاحتلال في الجزائر استعملوا كل الوسائل المنافية للأخلاق، وقوانين فرنسا الديمقراطية من أجل منع الوطنيين الجزائريين من حرية الرأي والتعبير عن أفكارهم ومبادئهم الهادفة إلى التحرر وقد عرقل الحاكم العام " نيجلان " السير الحسن للانتخابات، ورسَّم تزويرها في الجزائر مستعملا كل الوسائل الإرهابية ضد الوطنيين لمنعهم من الترشح، وتزوير محاضر الانتخابات لصالح مرشحي الإدارة، وأغلقت الأبواب في وجه الوطنيين المخلصين في المجالس المنتخبة حيث أصبحوا أقلية لا تأثير لهم في المجلس الجزائري، وأصبح هذا المجلس عبارة عن غرفة لتسجيل إرادة المحتلين، ونفس الشيء في المجالس البلدية والولائية، و لم يقبل المحتلون أسلوب الحوار مع زعماء الحركة الوطنية الذين اختاروا السيادة الجزائرية، أمثال فرحات عباس ومصالي الحاج، و لم يبق أمامهم أي حل سلمي لتحقيق هدفهم سوى طريقا واحدا وهو طريق الكفاح المسلح، الذي كان نتيجة حتمية لسياسة الاحتلال القمعية، وجرائمه الإنسانية التي ارتكبها ضد الجزائريين الأبرياء في حوادث 8 ماي 1945.

المبحث الأول
دخوله في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية

مع بداية سنة 1950 في الجزائر أصبح الاحتلال متحكما في كل الأمور تحكما جيدا، زَّور الانتخابات، عطل القوانين التي سنها للجزائر، أفقر الشعب الجزائري، وأرهبه بشرطته ورجال الدرك وعساكره الذين راحوا يلاحقون مناضلي الحركة الوطنية خاصة من حزب (ح. إ.ح. د) كانت بداية الخمسينات قاسية على الجزائريين المسلمين، وأصبح وضعهم المعيشي أشبه بوضعية العصور الوسطى، فقر، وجهل ،ومرض، وسوط مسلط عليهم بدون رحمة.
وسنرى في هذا المبحث موقف فرحات عباس من هذه الوضعية، والحلول التي اقترحها للخروج منها من أجل تكوين جمهورية جزائرية.هل أسلوب الحوار الذي اتبعه فرحات عباس كان كافيا للوصول إلى هدفه، وإنقاذ الشعب الجزائري المسلم من الاحتلال ؟

أم أنه بقي يأمل من الاحتلال أن يتجاوب مع التطورات و الظروف الداخلية و العالمية؟

صرح فرحات عباس في 20 جانفي 1950 قائلا: " أن الاحتلال عندما يريد تغطية اسمه، فإنه يقول الإتحاد الفرنسي. " [991] وذلك بهدف وضع حد للوطنيين الذين يطالبون بإقامة جمهورية جزائرية، وإلغاء الاحتلال الفرنسي، لذلك راح الاحتلال يستعمل مصطلحات براقة لإيهام العامة بإنهاء الاحتلال وارتباطهم بفرنسا، أما واقع الشعوب الخاضعة له بالقوة فإن وضعها في هذه الفترة كان مأساويا في كل جوانبه السياسية، والثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، ومنها الشعب الجزائري.

وجه فرحات عباس في إحدى مداخلاته في المجلس الجزائري، تهمة للحاكم العام " نيجلان " بتزوير الانتخابات، والعمل لصالح المحتلين، فأمر الحاكم العام منع فرحات عباس من مواصلة حضور جلسات المجلس الجزائري، وهذا خلال الدورة الربيعية للمجلس الجزائري لسنة 1950. [992] لكي لا يقلقه ويحرض الباقي على المطالبة بفتح تحقيق حول تزوير الانتخابات، وتلاعب إدارة الاحتلال بالقوانين لصالح المحتلين، يلاحظ أن النواب الوطنيين غير مرغوب فيهم في المجلس الجزائري.

وقعت المنظمة الخاصة في 18 مارس 1950 في مؤامرة خطيرة، بسبب كشف أحد إطاراتها عبد القادر خياري" المدعو " رحيم " أعضاء المنظمة الخاصة للشرطة بسبب اتهام أصدقائه له بالتعاون مع الشرطة، وتعرض للحجز والتعذيب من طرفهم، ولكنه تمكن من الهروب، وكان خائفا من الاغتيال، فتوجه إلى محافظة الشرطة بتبسة يوم 18 مارس 1950 على الساعة 7:00 مساء، وقدم معلومات مهمة للشرطة عن المنظمة الخاصة، [993] وكانت تلك فرصة ثمينة للشرطة للقيام بحملة اعتقالات واسعة لعناصر المنظمة الخاصة، عبر كامل التراب الوطني، و لم تتدخل قيادة الحزب للدفاع عنهم، تركت المعتقلين يواجهون مصيرهم وحدهم، وأصبحت معلومات المنظمة الخاصة غير مخفية على الشرطة، فقد استطاعت شرطة الاحتلال أن تلقي القبض على 400 مناضلا منها من مجموع 3000 مناضل، وعرضتهم لكل أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، وتمكنت من استعمال أحد قادة المنظمة الخاصة [994] " بالحاج جيلالي " لإقناع جماعته بالعدول عن العمل المسلح [995]

ويذكر محفوظ قداش، بأن الشرطة تمكنت من إلقاء القبض على 28 إطارا في المنظمة الخاصة من بين 45 مناضلا مسجلا عندها، اكتشفت الأسلحة في كل من واد زناتي، قالمة، وسوق أهراس، قسنطينة، وجيجل. [996]

---

[991] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 187
[992] ibid.
[993] Mahfoud Kaddache, op.cit, p :854

[994] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 333
[995] نفس المرجع، ص: 343

[996] ibid. p : 855

يقول فرحات عباس عن ذلك: "أن اكتشاف أعضاء المنظمة الخاصة أخر ساعة قيام الثورة الجزائرية."[997] و شكر المحتلون إدارتهم على قمعها للجزائريين واكتشافها للمنظمة الخاصة، مؤيدين أسلوب العنف تجاه الوطنيين الجزائري ففي نظرهم أنه لا يصلح لهم سوى العنف لإخضاعهم.[998] فكْر المحتلين لم يستطع إدراك نمو الفكر التحرري الذي ظهر بعد الحرب الكونية الثانية، حيث بقي متأخرا لعشرات السنين للوراء.

استطاع فرحات عباس أثناء مداولات المجلس العام لولاية قسنطينة يوم 26 أفريل 1950 أن يقنع المنتخبين على الموافقة على رفض عمليات القمع التي تقوم بها الشرطة ضد الوطنيين الجزائريين. [999]

وصرح فرحات عباس في سطيف حول تلك الأعمال والتجاوزات البوليسية في حق الجزائريين المسلمين، قائلا: " نريد جمهورية جزائرية ديمقراطية اجتماعية، لها علمها، وحكومة تتكلم باسم شعب حر، في إطار تعاون مخلص مع الجمهورية الفرنسية. " [1000] لأن الجزائريين المسلمين لا يمكن أن يكونوا محترمين إلا في إطار حكومة جزائرية، وبرلمان منتخب، مع إلغاء الاحتلال نهائيا.

في شهر فيفري 1951 تجرى انتخابات لإعادة انتخاب نصف نواب المجلس الجزائري، و لم يحصل (إ. د. ب. ج) سوى على 11% من مجموع الأصوات المعبر عنها، بينما الأحرار (مرشحو الإدارة) تحصلوا على 84.50% عن طريق التزوير دائما، و لم تشارك في هذه الانتخابات (ح. إ.ح. د) بسبب المشاكل التي كان يعيش فيها الحزب، وتعرض مناضليه للاعتقال، والسجن، الحاكم العام " نيجلان " يستمر في الخبث، والتزوير، وإعطاء مظهر حقيقي لوجه الاحتلال.

جرت الانتخابات النيابية في 17 جوان 1951 وقدم حزب (إ. د. ب. ج) مرشحيه في 16 دائرة انتخابية، ولكنه لم يتحصل إلا على 9% من الأصوات المعبر عنها، بينما تحصل حزب (ح. إ. ح. د) على 8% من الأصوات، و الوحيد الذي فاز من هذين الحزبين هو فرحات عباس عن الدائرة الانتخابية لسطيف. [1001] وباقي المقاعد الأخرى كانت من نصيب عملاء الإدارة، ويصف فرحات عباس تلك الانتخابات بـ " التزوير، والفضيحة " [1002] لأنه من المستحيل أن تكون هذه النتائج حقيقية نظرا لتوسع هذين الحزبين في الجزائر، إدارة الاحتلال كعادتها لم تنس القمع وتزوير الانتخابات، واضعة صعوبات أمام زعماء و مناضلي الحركة الوطنية أثناء ممارستهم العمل السياسي، وصلت الأمور إلى طريق مسدود أمام الجزائريين، وأصبحت الانتخابات مهزلة، والتزوير أساسها وقاعدتها، و لم يعد يخفى على أحد من الجزائريين البسطاء عن أساليب

---

[997] Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 212
[998] ibid.
[999] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 187
[1000] Cité par André Noushi, op.cit, p :155
[1001] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 187
[1002] Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 182

التزوير، فقدوا كل ثقتهم فيها، الأحزاب الوطنية منقسمة إلى اتجاهات، الشعب الجزائري حائر لم يحقق أي شيء منذ نهاية الحرب الكونية الثانية سوى الترهيب، والاعتقال، وزيادة عدد فقرائه، والضحك عليه من قبل إدارة الاحتلال بمشاريع بقيت حبرا على ورق، أما الشيء الوحيد والفعال والسريع التنفيذ والذي لا يتردد الاحتلال في استعماله لحظة هو اللجوء للقوة العسكرية لقهر الوطنيين الجزائريين لأنه كان يرى بأن ذلك هو الحل لإبقاء الجزائر خاضعة له، فكل هذه العوامل حتمت على الحركة الوطنية ضرورة توحيد نضالهم في إطار منظمة تجمعهم، وهذا ما كان ينتظره منهم الشعب الجزائري، وترك خلافاتهم جانبا والاهتمام بالمشكل الأساسي المتمثل في الاحتلال الفرنسي وأساليبه الجهنمية المفروضة على الشعب الجزائري.

وبالفعل استطاعت الحركة الوطنية بمختلف اتجاهاتها عقد اجتماع لها في قاعة السينما " دنيا زاد "بالجزائر يوم 5 أوث 1951 شارك في هذا الاجتماع ممثلون عن (إ. د. ب. ج)، وممثلون عن (ح. إ. ح. د)، والعلماء، و ممثلون عن (ح. ش. ج)، وبعض الشخصيات، و تم الاتفاق في هذا الاجتماع على تأسيس " الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها." [1003] واتفقوا على 5 مطالب أساسية هي:

" 1- إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة التي جرت يوم 17 جوان 1951، والتي أدت في الحقيقة بالإدارة إلى تعيين رجال لم يمنحهم الشعب الجزائري أي تفويض، ويرفض أن يتحدثوا باسمه.

2- احترام حرية التصويت في الهيئة الانتخابية الثانية.

3- احترام الحريات الأساسية، حرية الضمير، وحرية الرأي، وحرية الصحافة، وحرية التجمع

4- رفض القمع بجميع أشكاله، وتحرير المساجين السياسيين، ورفض الإجراءات الاستثنائية التي ألمت بمصالي الحاج.

5- إنهاء تدخل الإدارة في شؤون ديانة المسلمين. " [1004]

من خلال المطالب الخمس التي اتفقت عليها الأحزاب الوطنية الجزائرية، والعلماء، يظهر بأنهم كانوا في حالة نفسية سيئة لأن الأوضاع الأمنية لم تكن في حالة اطمئنان، فهذه المطالب متواضعة، وبسيطة، ولا تعبر عن تطلعات الشعب الجزائري، ولا حتى عن مطالب الأحزاب الوطنية الحقيقية، المطالبة بـ " استقلال الجزائر " فلم يرد هذا المطلب الأساسي في المطالب الخمس، لقد استطاع الاحتلال بقمعه ودسائسه أن يؤثر عليهم من خلال عمليات القمع الواسعة التي شنها على مناضلي المنظمة الخاصة، ومبالغته في إهانة المواطنين وتهديدهم، وبث

[1003] الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 106

[1004] ibid. p p : 228-229

الرعب فيهم عـــن طريق الدرك، والشرطـــة. فتنازل مطالب (ح. إ. ح. د) إلى هذا المستوى المتواضع، و إهمالهـــا لمطلبها الأساسي المتمثل في الاستقلال التام للجزائر كان بهدف وضع حد للقمع فقط. [1005] وحتى أن فرحات عباس لا نرى مطلبه المتمثل في إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا، والذي دافع عنه منذ كتابته البيان وملحقه.

تمكن المحتلون من جعل الأحزاب الوطنية الجزائرية تحصر مطالبها في أمور متواضعة، وهذا ربما ما كانت تخطط له إدارة الاحتلال من خلال عمليات القمع المبالغ فيه ضد الجزائريين المسلمين، للضغط على الأحـــزاب الوطنيـــة، وتحريف اتجاهها عن مطالبها الأساسية، وجعلها تطالب بأبسط الحقوق، أو كظمآن في الصحراء يطلب شربة ماء. هل استطاع الاحتلال ترويض الحركة الوطنية الجزائرية ؟ ظاهريا تمكن من ذلك، ولكن الحقيقة هي العكس تماما لأن من طبيعة الجزائريين إذا لم يستطيعوا التعبير بحرية عن آرائهم فإنهم يتجهون إلى السرية.

وعلق فرحات عباس على تكوين الجبهة الجزائرية بقوله: " إن تشكيل الجبهة الجزائرية، أثار ســـخط الإدارة العليا وصحفها اليومية... ورفضوا مطالبها المتواضعة. " [1006] فهو يعلم بأن المطالب بسيطة ولا تسمو إلى ما يطمح إليه فرحات عباس والشعب الجزائري، ومع ذلك أثارت الرعب في المحتلين لكن يظهر أن الرعب ليس من المطالـــب المتواضعة، ولكن الخوف من تطور الأمور، وتكوين جبهة قوية متماسكة، ولذلك أضافت هـــذه الجبهـــة الجزائريـــة متاعب أخرى لإدارة الاحتلال، وشرطتها.

أما مصالي الحاج فقد علق على هذه المطالب بقوله: " أن الهدف المشترك الذي اتفقـــت حولـــه الأحـــزاب المختلفة، لا يشكل إلا أدنى برنامج عمل، إن الإتحاد المحقق ضمن الجبهة محدود، ويجب أن يمتد إلى أهداف أوســـع، وليكون مثمرا، وينال الموافقة التامة للجماهير، وليسمي القدرات الخلاقة يجب على الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها أن توسع برنامجها العلمي حتى الاستقلال والسيادة الوطنية لبلادنا. " [1007] فهذه الجبهة الجزائرية لم تستطع أن تطور عملها ولا أن تتماشى مـــع الأوضاع الراهنة، أو تعبر تعبيرا حقيقيا عـــن رغبة الشعب الجزائـــري. [1008] لأن أهدافها المتفق عليها كانت بسيطة، لم تسمح للأحزاب الوطنية المعادية للاحتلال أن تقدم برنامجها العملي الموحد، ربما بسبب الاختلافات بينهم، من حيث نظرتهم لاستقلال الجزائر، فالمصاليون يطالبون بالاستقلال التام للجزائـــر، و البيانيون يطالبون باستقلال الجزائر في إطار فيدرالي، وكان العلماء مرتبطين

(1005) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 339

(1006) ibid. p : 229

(1007) الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 107

(1008) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 339

معهم ارتباطا وثيقا. [1009] وصحف هذه الأحزاب بعد إنشاء " الجبهة الجزائرية " بقيت متفرقة كل واحدة تدافع عن برنامجها الخاص بها، فلحزب (إ. د. ب. ج) جريدته " الجمهورية الجزائريـــة "، وللعلمـــاء جريـــدتهم " البصائـــر "، ولحزب (ح. إ. ح. د) جريدتهم " الأمة الجزائرية "، وللشيوعيين الجزائريين جريدتهم " الجزائر الحرة " كل جريدة مـــن هـــذه الجرائد دافعت عن مبادئ حزبها، و لم تستطع أن تحمل فكرا موحدا للنضال ضد الاحتلال. [1010]

وفي شهر أكتوبر من تلك السنة (1951) وخلال مداولات الدورة الخريفية للمجلس العام لولاية قســـنطينة، والي قسنطينة " لوكورنو " (Locornu) استدعى فرحات عباس لمقابلة الماريشال " جوان " (Juin) الذي كان موجودا بمكتب الوالي، ويقول فرحات عباس: " سألني المارشال جوان عن رأيي في وضعية الجزائر. لم أخف الحقيقـــة عنـــه، وقلت له: لم يبق للجزائريين إلا أخذ رشاش والصعود إلى الجبل، أو ترك الوطن. " [1011] وضعية يائسة، وأُفُقٌ مظلم، واحتلال ماكر، وقاهر، الجبهة الجزائرية غير قادرة على مواجهته أو التعبير على الأقل عن رغبة الشـــعب الجزائـــري، انشقاقات إيديولوجية بين الأحزاب الجزائرية بين مطالب بالاستقلال التام، ومطالب بالإتحاد الفيدرالي، إدارة الاحتلال لم تجد أية صعوبة في مواصلة سياستها القمعية، وتزوير الانتخابات، التي أصبحت سمتها.

في هذه الفترة مسؤولون حكوميون من فرنسا قاموا بدورة تفتيشية في الجزائر أكدوا في تقاريرهم بأن الجزائر جزء من فرنسا، وأن الأوضاع فيها تبعث عن الارتياح و الهدوء، الشرطة قائمة بعملها، المشوشـــون في الســـجون أسلحة المنظمة الخاصة معظمها صودرت، [1012] العملاء عيونهم لا تنام، إخلاص تام للاحتلال.ســـلطة الاحـــتلال موجودة بقوة في الجزائر، أعطت لنفسها الحق في قتل، أو إحياء الجزائريين المسلمين، تغني من تشاء، وتعذب من تشاء، لا رقيب، ولا حسيب عليها، أي أن الاحتلال الفرنسي تفرعن بأسلحته وجرائمه في الجزائر.

بسب سياسة التجاهل التي يتبعها الاحتلال الفرنسي تجاه الجزائريين كتب فرحات عباس قائلا:" المسؤولية تقع كلها على فرنسا، أي على البرجوازية الفرنسية... إننا لسنا في الزمن الذي يقول:آه.لو يعلم الملك! إننا نعلـــم بـــأن الملك يعلم، والسادة الكبار هم ماكرون، فالملك هو الذي سمح لهم بذلك، فنظام الاحتلال خلَّد أعمال البرجوازيـــة بتدعيم الجيش لها، منذ سنة 1948 إلى غاية 1954 ونحن نطرح المشكل الجزائري أمام مجلس الدولة، وأمام الحكومة، وأمام رئيس الجمهورية، وأمام البرلمان الفرنسي فوجدنا أنفسنا أمام مؤامرة الدولة الفرنسية

[1009] الجيلالي صاري، محفوظ قداش، ص: 106

[1010] André Noushi, op.cit, p :157

[1011] Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 229

[1012] André Noushi, op.cit, p : 157

كلها ضد شعب ضحى كثيرا من أجل تحرير فرنسا." [1013] يعترف فرحات عباس بأن سياسة الثورة بالقانون فاشلة، وأن الاحتلال بالمرصاد لكل حركة يرى فيها تهديدا لمصالحه الضيقة، ويقدم فرحات عباس أمثلة عن أحداث تونس واعتقال الملك المغربي محمد الخامس يوم 20 أوث 1953 فهذا الأسلوب في نظره فتح الباب لميلاد العنف، ويضيف قائلا: " إن اعتقال صاحب الجلالة في عشية عيد الأضحى، أثر في الجزائر، وكان كصفعة لكل شمال إفريقيا، وإهانة للإسلام، وكان عيد الأضحى لنا يوم حزن وغضب. " [1014] يقدم أمثلة حقيقية عن رفض الاحتلال لأي حلول سلمية، لحل المشاكل الحقيقية المتمثلة في الاحتلال.

واجه (ح. إ. ح. د)في سنة 1953 أزمة حادة نتيجة للصراعات التي بدأت تظهر في صفوفه منذ 1949، بسبب زعيمه مصالي الحاج، وكرهه للديموقراطية، وحبه للزعامة، ومطالبته من أنصاره أن يكونوا تُبَّعا له فقط.[1015] واشتد الصراع والعداوة بين أتباعه، والمركزيين إلى حد انفجار مشادات في جميع المدن الجزائرية بين الإخوة المتصارعين. [1016]

وصف فرحات عباس تلك الأزمة التي ظهرت داخل (ح. إ. ح. د): " بدأت الأزمة في هذه الحركة سنة 1949 باستقالة نائبين من الحزب الدكتور لمين دباغين، و جمال دردور، و في سنة 1951 استقال بعض المناضلين واشتدت الأزمة سنة 1953، وانفجرت في بداية 1954 وأصبح للحزب أسبوعيتان " الجزائر الحرة "تحت إدارة المصاليين (مزغنة، مولاي مرباح، و قاضي بالهادي)، وأسبوعية " الأمة الجزائرية " يديرها المركزيون (حسين لحول، عبد الرحمان كيوان، ابن يوسف بن خدة)، وكان الصراع بينهما على وراثة الحزب وأمواله، المصاليون متطرفون هاجموا المركزيين في كل مكان، واستعملوا العنف." [1017]

فالجبهة الجزائرية أصبحت عاجزة، عن الاستجابة لمطامح ورغبات الشعب الجزائري، بسبب اهتمام كل حزب بأيديولوجيته، حاول حزب (ح. إ. ح. د) و (ح. ش. ج) عن إعطاء دفع لهذه الجبهة، ولكنهما لم يتمكنا من ذلك.

انتشرت دعاية عن هذه الجبهة لتقديم أعمالها لجمعية الأمم المتحدة، في أفريل 1952، وعلى إثر ذلك شكلت شبيبة حزب (ح. إ. ح. د) المتمثلة في الكشافة الإسلامية، والطلبة، مع شبيبة الحزب الشيوعي" جبهة وطنية للشبيبة الجزائرية " بهدف إحياء الجبهة الجزائرية، ولكنها فشلت في ذلك، وحاولت (ح. إ. ح. د) أن تجد طريقة فعالة لتحقيق اتحاد بين الأحزاب الوطنية، ففي شهر فيفري 1953 نشرت جريدة المنار نتائج استفتاء

[1013] Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 187
[1014] ibid.

[1015] أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 369
[1016] بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 211

[1017] ibid. p : 213

لتحقيق إتحاد الأحزاب الوطنية الجزائرية عن طريق عقد مؤتمر وطني، فـوجدوا معظم مناضلي الأحـزاب الوطنيـة، والعلماء متفقين على تشكيل جبهة مناهضة للاحتلال، و إنشاء حزب واحـد للتحرير الوطني، ملحـين علـى ضرورة إتحاد (ح. إ. ح. د)، و (إ. د. ب. ج) لكن (ح. ش. ج)، وقف ضد هذا الإتحاد، ورفـض مبـادئ الحزبين السابقين نظرا لارتباطه بالكتلة السوفيتية، والغربية. [1018] وأن هدفه الاستراتيجي لم يكن يتمثل في استقلال الجزائر، وإنما في وضع حد للاستغلال العمال وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية.

صراع الأحزاب الوطنية الجزائرية، واختلافها في الأساليب، والمبادئ، أعطى ارتياحا كبيرا للمحـتلين قبيـل اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، بأن الزعماء السياسيين الجزائريين المسلمين غير قادرين على التفاهم حـول كيفيـة مواجهة الاحتلال، أو تحقيق جبهة وطنية واحدة متفقة حول برنامج عمل واحد، ولكنه تجاهـل غضـب الشـعب الجزائري ويأسه من الحلول السياسية، التي لم يجن من ورائها شيئا، كان ينتظر إشعال الشرارة الأولى لبـدء الثـورة التحريرية المسلحة التي كانت هي الحل الوحيد لتحقيق الاستقلال الوطني.

[1018] الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص ص : 107-108

المبحث الثاني

موقفه من اندلاع ثورة أول نوفمبر1954

قامت الثورة في تونس والمغرب، وانتصرت الثورة المصرية في جويلية 1952 على النظام الملكي العميل، وقبل هذا نالت سوريا ولبنان استقلالهما سنة 1946 وليبيا سنة 1951، وانتشر الفكر التحرري عند عامة الشعوب العربية بعد الحرب الكونية الثانية، ومنها الشعب الجزائري، هذا الشعب الذي قدم تضحيات جِسام خلال مقاوماته للاحتلال الفرنسي منذ 1830، فلماذا لم يكن سباقا كعادته لإعلان الثورة ؟ هل أن ذلك راجع إلى زعماء الحركة الوطنية الذين تخلفوا عن إعلان الثورة كبقية الأشقاء العرب ؟ أم أن الشعوب العربية الأخرى لم تكن أساليب الاحتلال فيها مثل ما هو موجود في الجزائر ؟ احتلال استيطاني مبني أساسا على تهديم الشعب الجزائري في جميع الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية معتمدا على القوة العسكرية، والمكر، وذلك عكس أساليب الاحتلال الأخرى التي عرفها الوطن العربي، باستثناء الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين الذي طبق نفس الأساليب التي طبقها الاحتلال الفرنسي في الجزائر (مع اختلاف بسيط، وهو بقاء المحتلين الفرنسيين في الجزائر مرتبطين بالوطن الأم - فرنسا -)

ففي هذا المبحث سنرى كيف وصل فرحات عباس إلى نتيجة سياسته الداعية إلى حل مشكل الاحتلال الفرنسي عن طريق الحوار، ونبذه لأسلوب العنف. هل نجحت إيديولوجيته " الثورة بالقانون " في تحقيق ما يتمناه الشعب الجزائري ؟ فالظروف الجديدة، وقيام ثورة التحرير فرضت على فرحات عباس وضعا و موقفا جديدا. سنحاول معرفة أسباب ذلك في هذا المبحث.

وجه الجنرال نجيب، والعقيد جمال عبد الناصر بمناسبة إحياء الذكرى الأولى للثورة المصرية (جويلية 1953) دعوة لفرحات عباس للمشاركة في هذه المناسبة إلى جانب شخصيات أخرى، ذهب فرحات عباس إلى القاهرة مع صديقه أحمد بومنجل، ووجدا استقبالا حارا، وفتح مكتبا لحزبه (إ. د. ب. ج) بالقاهرة. [1019]

وشارك كذلك في احتفالات الذكرى الثانية لهذه المناسبة (جويلية 1954) والتقى بالأمين العام للجامعة العربية، والأمير عبد الكريم، والبشير الإبراهيمي، والشيخ المكي، وغيرهم من الشخصيات العربية. [1020]

قدم فرحات عباس في 30 أوث 1954 تقريرا عن زيارته إلى فرنسا برفقة الدكتور أحمد فرنسيس، والمحامي بومنجل، حيث ذكر أنهم اتصلوا برئيس الوزراء الفرنسي " منديس فرانس " (Mendés France)، ووزير

[1019] Jean Lacouture, op.cit, p : 306

[1020] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 190

الداخلية الفرنسي " فرنسوا ميتيران " (François Mitterrand)، و " جاك شوفالييه " (Jacques Chevallier)، و قد صرح فرحات عباس أمام رئيس المجلس الوطني الفرنسي قائلا: " الجزائر صامتة، لأنها ساخطة، وليست لها الثقة في المسؤولين الذين لا يستطيعون حتى تطبيق القوانين الفرنسية، ونداؤنا بقي بدون صدى، فالجزائر ستتجه إلى موضع آخر. " [1021] وبالفعل اتجهت الجزائر إلى طريق الشرف والعزة، وأعلن أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل الثورة يوم أول نوفمبر 1954، باسم جبهة التحرير الوطني.

فرحات عباس لم يكن يعلم بقيام الثورة، ولكنه تنبأ بأن الأوضاع التي زادت تعفنا وسوءا في جميع النواحي، لا بد أن تؤدي إلى انفجار الأوضاع في الجزائر.

ويقول عند رجوعه إلى القاهرة في جويلية 1954 بأن محمد خيضر قد أعلمه بأن أحداثا ستعرفها الجزائر عما قريب، وستفرض وضعية جديدة على الجزائر، وسيكون كل الوطنيين الجزائريين مرتبطين بعمل واحد وفي حزب واحد. فيقول فرحات عباس سألته: " كما في زمن أحباب البيان والحرية ؟ " أجابني: " نعم، ولكن أحسن. " [1022] هل فاجأ قيام الثورة فرحات عباس ؟ كانت اللجنة المركزية لحزب (إ. د. ب. ج) في 1 و 2 نوفمبر 1954 مجتمعة في الجزائر العاصمة و خلال الاجتماع يقول فرحات عباس في مذكراته: " سمعنا بأحداث أول نوفمبر، فكانت كبرق أضاء سماء الجزائر."[1023] فسماعه بقيام الثورة اعتبره أمرا حتميا حيث يقول: " ليست المرة الأولى التي يحمل فيها العرب، و البربر السلاح ضد الاحتلال الفرنسي. " [1024] رفض الاحتلال الفرنسي أمر طبيعي بالنسبة للجزائريين المسلمين، فقد رفضوا الاحتلال الفرنسي منذ 1830، قيام ثورة أول نوفمبر ما هي إلا امتداد للمقاومات الجزائرية ضد الاحتلال.ويعلق فرحات عباس على الرصاصات الأولى التي أطلقت يوم أول نوفمبر بقوله: " الرصاصات الأولى التي أطلقت يوم 1 نوفمبر كانت تهدف بالدرجة الأولى دق ناقوس الخطر، وإيقاظ البلاد من سباتها. " [1025]

وجاء تعليقه على اندلاع ثورة أول نوفمبر في جريدته الجمهورية الجزائرية الصادرة يوم 12 نوفمبر وذلك من خلال مقال له في افتتاحيتها: " نداء إلى الهدوء: إن الاحتلال هو الذي غذى الاضطراب، والعنف، الجزائر الآن كما هي سنة 1945 على عتبة مأساة كبيرة، ومهددة في كل لحظة بالانقسام إلى فئتين متعاديتين، بكل ثمن يجب تجنب ذلك، الفرنسيون، والمسلمون، يجب عليهم أن يقتنعوا بأن شقاقهم يستفيد منه البعض، ولكنه قاتلا

[1021] Jean Lacouture, op.cit, p : 308
[1022] Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p p : 45-46
[1023] ibid. p : 44
[1024] ibid. p : 46
[1025] ibid. p : 47

لمجموع البلد... و نؤكد بكل اقتناع أن العنف لا يحل المشاكل... عهد الاحتلال قد أغلق بصفة نهائية، وإنه من غير المعقول أن نحاول الإبقاء على المكر أو القوة التي بنيت في الماضي فإنها بدأت تنهار الواحدة تلوى الأخرى، الحكمة تتطلب منا أن لا نختبئ تحت أنقاض الماضي."[1026] فهو يعترف بأن الاحتلال هو السبب الرئيسي فيما حدث، ودعا إلى التعقل لأنه يعلم بأن الثمن الغالي سيدفعه البسطاء، سواء من الفرنسيين، أو من الجزائريين المسلمين، ويقارن ذلك بأحداث 8 ماي1945، التي بنى عليها توقعاته، و معنى ذلك أن عشرات الآلاف من الجزائريين سوف يتعرضون للتعذيب، والموت، والنتيجة ستكون كارثة على الجزائريين المسلمين.

نستطيع أن نقول بأن تحليله هذا كان سطحيا، وتنقصه النظرة الواقعية، معتقدا أن اللجوء للقوة لا يحل المشاكل بل يعقدها، لذلك بقي تقريبا سنة ونصف حتى اتضحت له الرؤية جيدا وتيقن بأن الثورة المسلحة ضرورة حتمية لتحرير الجزائر من الاحتلال، لأنه لا يوجد حل أخر أمام الجزائريين سواها، ليعلن انضمامه رسميا إلى جبهة التحرير الوطني بعد أن أعلن عن حل حزبه، لأن " الثورة بالقانون " لا تنفع مع احتلال بنى مجده بالعنف والقهر وليس بالحق، والمنطق، وبالتالي لا يهاب إلا من أسلوبه الذي سار عليه وهو أسلوب العنف، والرصاص، والاغتيالات المفاجئة، وهذا ما لم يكن يفهمه فرحات عباس في بداية الثورة التحريرية، فثقافته الواسعة واعتداله السياسي جعلته يتجاوز فكر المحتلين بدعوته إلى السلم ونبذ أسلوب العنف، ولكن نستطيع كذلك أن نعيب على فرحات عباس استعماله لكلمة " العنف " فالثورة الجزائرية كانت في حالة دفاع شرعي من أجل تحرير الجزائر، وهي لم تكن المعتدية، وإنما الذي استعمل العنف واعتدى على الجزائر فهو الاحتلال.

أما الشيوعيون الجزائريون فقد وصفوا ثورة أول نوفمبر بأنها اعتداءات أي بمعنى أعمال إجرامية يعاقب عليها القانون، و اقترحوا حلولا سلمية لإنهاء تلك الاعتداءات.[1027] بتوفير الخبز والعمل للجزائريين المسلمين فتحليلهم لقيام الثورة لا يختلف عن أسلوب الشيوعيين الفرنسيين الذين يربطون الثورات الشعبية بالخبز (صراع الطبقات) وليس بكرامة الإنسان وحريته.وصف المركزيون ثورة أول نوفمبر 54 بأنها أعمال إرهابية قام بها إرهابيون.[1028] ويظهر من ذلك حقدهم الشديد على زملائهم من اللجنة الثورية للوحدة والعمل، الذين انفصلوا بسبب أزمة حزب (ح.إ.ح. د) عنهم واختاروا طريق الجهاد، لتحرير الجزائر من الاحتلال.

أما المصاليون فقد وقفوا هم الآخرون ضد الثورة، واعتبروها اعتداءات إرهابية.[1029] ورغم ذلك فقد تعرضوا إلى حملة اعتقالات واسعة مابين ليلة 4 و 5 نوفمبر 1954. مست حوالي 2000 مناضلا من إطاراتهم حيث

(1026) Ferhat Abbas, éditorial de La république Algérienne N ° 464,du 12 novembre 1954

(1027) مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة أول نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر، ط 1، دار البعث، قسنطينة 1984، ص: 64

(1028) نفس المرجع، والصفحة.

(1029) نفس المرجع، والصفحة

اعتبرتهم سلطات بأنهم السبب فيما حدث، وحلت حزبهم يوم 4 نوفمبر. [1030]

إن مصالي الحاج لم يعلن عن موقفه من الثورة إلا يوم 8 نوفمبر 1954 قائلا: "بمجرد الإعلان عن الأحداث التي جرت في الجزائر في ليلة 31 أكتوبر إلى 1 نوفمبر، عززت على نحو خطير الرقابة المفروضة حول شخصي (...) لقد قلنا وفي وقت سابق ونكرره اليوم: إنه بإنهاء هذا النظام والاستجابة لطموحات شعبنا، يمكن وضع حد لهذه الانفجارات التي ليست في الحقيقة إلا أعمالا يائسة وهنا يكمن العلاج. " [1031]

اعتبر مصالي الحاج قيام الثورة بأنها أعمالا يائسة ناتجة عن الاحتلال، ورفض الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني.

أعلن مصالي الحاج في نهاية ديسمبر 1954 عن تأسيس " الحركة الوطنية الجزائرية " محاولا إدماج أنصار أول نوفمبر فيها (جبهة التحرير الوطني)، [1032] ليتمكن من المحافظة على " الزعامة " ومع ذلك فإن جبهة التحرير الوطني لم تتنكر لنضاله الطويل من أجل القضية الوطنية، فمنحته الرئاسة الشرفية للحركة الثورية سنة 1955 ولكنه رفض ذلك الشرف. [1033]

وكان نتيجة ذلك حدوث أعمال عنف دموية بين الحركة الوطنية الجزائرية، وجبهة التحرير الوطني ذهب ضحيتها عدد كبير من الجزائريين، و لم يتدخل مصالي الحاج لإنقاذ الوضع، أو يعطي أمرا لجماعته بوقف العنف.أما العلماء فقد نشروا بيانا لهم في جريدة البصائر يوم 5 نوفمبر 1954، معلنين فيه بأنه لا يمكن التسرع في الحكم على الأحداث إلا أن تظهر لهم الحقيقة جلية. [1034]

وسنعود إلى فرحات عباس محاولين معرفة الأسباب الحقيقية التي منعته من الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني عند قيام الثورة التحريرية مباشرة. لماذا لم يعلن فرحات عباس التحاقه مباشرة بالثورة وبعد نشر جبهة التحرير الوطني بيان أول نوفمبر 1954؟ حيث وجه نداء يدعو فيه إلى التعقل، ونبذ العنف، أي أنه بقي مرتبطا بسياسته الداعية إلى حل مشاكل الاحتلال عن طريق الحلول السلمية، وواضعا لومه كله على سياسة الاحتلال فيما حدث.

هناك أسباب عديدة منعته من الانضمام مباشرة إلى الثورة يوم إعلانها، ونشرها لبيان أول نوفمبر، أولا أن فرحات عباس لم يكن يعلم ببداية الثورة، ولا بمفجريها، لأن جماعة اللجنة الثورية للوحدة والعمل كانوا يعتمدون في عملهم على السرية التامة خوفا من اكتشاف أمرهم، كما حدث للمنظمة الخاصة في بداية الخمسينات، و لم يعلنوا عن عملهم المتمثل في إشعال نار الثورة إلا بعد انطلاقها، ونشرهم لبيان أول نوفمبر، الذي حددوا فيه

[1030] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 199

[1031] بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 228

[1032] نفس المرجع، والصفحة.

[1033] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص. 128

[1034] مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص ص: 65-66

أهدافهم، و تحمل مسؤوليتهم في الكفاح ضد الاحتلال، داعون كل القوى الوطنية الحية الالتحاق بالكفاح التحرري، وفرحات عباس إلى هذه اللحظة رأى بأن الإرادة الإنسانية قادرة على زعزعة جمود الاحتلال، و إيجاد حلول في إطار الشرعية الدستورية، فالمساواة في نظره هي وحدها القادرة على تكوين مجتمع جديد مبني علـــى الأخـــوة والعدالـــة الاجتماعية، تلك هي نظريته، أما السلاح فإنه يرى بأنه لا يحل المشاكل المطروحة، وإنما يعقدها ويؤدي إلى ســـقوط ضحايا أبرياء من الجانبين كما حدث في 8 ماي 1945، فهو مازال مفزوعا منها، لذلك وقف معارضا لاســـتعمال أسلوب القوة.

والسبب الأخر الذي جعل فرحات عباس لا يلتحق بجبهة التحرير الوطني بعد قيام الثورة مباشرة، لأن لـــه مشروع سياسي وطني كان يناضل من أجل تحقيقه، بدأه منذ الأربعينات، وبالتالي ليس من السهولة أن يتخلى عنـــه ويتحول إلى النضال من أجل مشروع سياسي وطني أخر يختلف معه في النهج، لذلك تطلب منه ذلك بعض الوقـــت لكي يراجع نفسه ومشروعه.

على كل حال لم يتهم المجاهدين الأوائل بأنهم إرهابيين، فقد اعتبر عملهم الثوري نتيجة حتمية.

وقد صرح لأحد الصحافيين عن رأيه من اندلاع الثورة التحريرية بقوله: " نعم، الارتبـــاط فكـــرة جيـــدة، وعظيمة، ولكن الآن فات الوقت، فرنسيوكم دائما يواجهونني في وجهي بجملتي " سألت المقابر، لا يوجـــد وطـــن جزائري " كنت معكم، وضدكم. لماذا ؟ لست رجلَ حرب، ولكن عندما أُطلقت الرصاصة الأولى في الجزائر قلـــت ممتاز، أنتم الذين تجيبون على هذا. "[1035] يقصد بذلك أن الفرنسيين المحتلين هم السبب فيما حدث، ولكنه لم يقطع الأمل من مسؤولي الحكومة الفرنسية، فكان ينتظر أن يكون الحل على يد رئيس الحكومة الفرنسية " منديس فرنس " الذي التقى به قبيل اندلاع الثورة حيث قال له رئيس الحكومة الفرنسية: " إن فرنسا موجودة في المغرب، وتونس ولا نريد أن ننفي جنسيتهم، ولا خصوصيتهم."[1036] وفهم فرحات عباس كلام "منديس فرنس" خطأ، كان يعتقد من ذلك أن الجزائر ستكون مثل تونس، والمغرب.

صرح " منديس فرنس " عند اندلاع الثورة الجزائرية بقوله: " الجزائر فرنسية "[1037] وبذلك أعطى صـــفعة قوية للذين مازالوا ينتظرون الخير من فرنسا، و كان على فرحات عباس أن يعيد حساباته، ويتخلى عـــن سياســـته " القديمة " وينضم إلى جبهة التحرير الوطني لتحرير الجزائر من احتلال بغيض بنى مجده في الجزائر على جثث الشهداء، ولا يعترف إلا بأسلوب القوة، أما الأسلوب السياسي المسالم فلا يصلح مع هذا الاحتلال.

منع فرحات عباس خلال انعقاد جلسات المجلس الجزائري في 24 نوفمبر 1954 من إلقاء مداخلته التي

[1035] Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit ,p p :204-205 d' après Jaques Duchemin, « le F.L.N à huis clos » in Historia Magazine, la guerre d' Algérie N° 207,22 décembre 1971

[1036] Henri Alleg, la guerre d'Algérie, T, 1, édition, Messidor, temps actuels France, 1981, p : 366

[1037] ibid.

حضَّرها لإعطاء رأيه في أول نوفمبر، وتكلم في هذه الجلسة مساعده الدكتور أحمد فرنسيس متهما سياسة الاحتلال فيما حدث، وعدم قدرة هذه السياسة على إيجاد الحلول التي يطالب بها الشعب الجزائري، ومقترحا الحلـــول الـــتي وردت في مبادئ (إ. د. ب. ج)، وتمنى ألا يكون السلم الذي تحضر له الحكومة الفرنسية هو سلم المقـــابر.[1038] فرد عليه أحد النواب الأوروبيين، وعلى مداخلات النواب الجزائريين الذين طالبوا بإيجاد حل سياسي للجزائريين، وهو " ألان سيرنيي " (Alain Sérigny) بأن المشاكل الأساسية في الجزائر هي مشاكل اقتصادية، واجتماعية تتطلب الحـــل أما المشاكل السياسية فهي غير موجودة في الجزائر.[1039] وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه المحتلون وحكامهم حيـــث اعتقدوا أن الثورة سببها الجوع، والفقر أي ثورة بطن وخبز فعندما تشبع البطن، ينتهي العنف، ويعم السلم في الجزائر كلها، ما أضيق نظرهم وتحليلهم !

وعلى إثر ذلك النقاش حاول فرحات عباس أن يصعد إلى المنصة ليؤكد على أن المشـــكل في الجزائـــر هـــو سياسي بالدرجة الأولى، فقامت ضجة من النواب المحتلين، ومنعوه من التحدث نهائيا عن المشاكل السياسية، وبعـــد ثمانية أيام بالضبط نشر في جريدته " الجمهورية الجزائرية " ما كان يريد أن يقوله في المجلس الجزائري حيث أوضـــح الفقرة التي مُنع من إلقائها وهي " أوضح السيد وزير الداخلية بعد خطبته، التدخل الخارجي في الشؤون الجزائريـــة، وخاصة من الدول العربية، بكل تأكيد هذا عمل جديد، يشير إلى التطور الحقيقي لأخلاقيات المحـــتلين في القـــرون الماضية، عندما منحت أوروبا الحق لنفسها في اقتسام آسيا وإفريقيا، بدون أي اشمئزاز من ذلك الفعل، ولكن كان لهم دور ضد الإمبراطورية التركية في حربها في اليونان، فجعلوا أنفسهم أوصياء على اليونانيين، فالشاعر الفرنسي الكبير " فيكتور هيجو " (Victor Hugo) قال لطفل يوناني: أريد البارود، والرصاص. "[1040]

هذه الجملة " البارود والرصاص " هي التي مُنع فرحات عباس من إلقاء كلمته، أما مطالبته بجمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا أو المساواة فلم تكن تخيف كبار المتحلين ولا ممثليهم لأنهم اعتادوا عليهـــا، أمـــا البـــارود والرصاص فهو أسلوبهم الحقيقي ومبعث قوتهم، ومجدهم الزائف فسماعهم له يثير الرعب فيهم هذا الرجل المســـالم و المعتدل يتكلم عن الرصاص إنها لغة جديدة ما كان المتحلون ينتظرونها من فرحات عباس.وأول اتصال لفرحات عباس بجبهة التحرير الوطني كان في شهر جانفي 1955 حيث يقول:" في جانفي 1955 اتصلت لأول مرة بجبهة التحريـــر الوطني عن طريق عمار القامة... وطلبت منه هل بالإمكان الاتصال، بكريم، أو، أوعمران لتزويدي بالمعلومات ؟... أجابني: حاليا مستحيل، وعندما تسمح الظروف سأصلك بهم، وافترق الرجلان. "[1041]

[1038] Jean Lacouture, op.cit, p p : 309-310
[1039] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 206
[1040] Jean Lacouture, op.cit, p: 310
[1041] Ferhat Abbas, Autopsie d’ une guerre, op.cit, p : 73

فرحات عباس يريد الاتصال بقادة جبهة التحرير الوطني، أما مصالي الحاج فقد أسس " الحركـــة الوطنيـــة الجزائرية " التي كانت تضم نسبة كبيرة من المغتربين الجزائريين في فرنسا ومجموعات مســـلحة في منطقـــة القبايـــل بضواحي العاصمة. [1042] باحثا عن الزعامة الضائعة عن طريق توجيه السلاح لإخوانه في جبهة التحرير الوطني، المهم أن يبقى زعيما (أبديا)، ما أوسع الفرق بين الرجلين، رجل أصابه الغرور واعتقد أن لا أحدا يستطيع أن يناقشـــه أو يعارضه، ورجل مثقف سياسي ليبرالي يؤمن بالتطور التاريخي، وبقدرة الأجيال الجديدة على التفاعل مع الأحـــداث، وإيجاد حل وطني مشرف للجزائر.

حاول " منديس فرنس " في جانفي 1955 الاتصال بجماعة جبهة التحرير الوطني عـــن طريـــق " جـــــاك شوفالييه " ولكن رئيس الحكومة الفرنسية عزل من الحكم يوم 5 فيفري 1955، وعوضه " إدغـــار فـــور " (Edgar Four) يوم 23 فيفري 1955، يعلق فرحات عباس على ذلك منتقدا سياسة الاندماج التي مازال ينادي بها" إدغار فور " ومقترحا عليه الحلول وهي: إقامة جمهورية جزائرية، العفو العام ووضع حد للقمع... [1043] وأراد "جاك سوستيل" (Jaques Soustelle) الحاكم العام للجزائر، أن يكوِّن " قوة ثالثة "مبنية على مطالب المؤتمر الإسلامي، وقانون الجزائر 1947، معتمدا على الزعماء السياسيين المعتدلين فالتقى بالشيخ خير الدين نائب رئيس العلماء وأحمد فرنسيس عن (إ. د. ب. ج)، وحاج شرشالي المنتمي للمركزيين، وذلك يوم 28 مارس 1955، جبهة التحرير الوطني أقلقها هـــذا اللقاء وما صاحبه من دعاية. [1044]

وقد التقى فرحات عباس بـــ " بجاك سوستيل " يوم 2 أفريل 1955 ليلا، وتناقشا حول السياسة العامـــة في الجزائر، وكانت نظرتهما مختلفة تماما. [1045] حيث يقول فرحات عباس بأنني قلت لجاك سوستيل: " كلنا فلاقة سيدي الحاكم، الشجعان منا حملوا السلاح، والأقل شجاعة إنهم في مكتبكم هذا وفي مواجهتكم. " [1046] وبـــاءت هـــذه اللقاءات بالفشل.

ألقى فرحات عباس خطابا في جيجل يوم 15 أفريل 1955 أمام تجمع شعبي كبير باللغة الفرنسية، والعربيـــة استعمل اللغة الفرنسية لإيصال أفكاره إلى محتلي جيجل، واللغة العربية الدارجة لأقاربه من الفلاحين الذين جـــاؤوا للقائه* وأبناء منطقته، أوضح فيه بكل صراحة وشجاعة سياسته حيث عارض فكرة " الجزائر فرنسية "،

[1042] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 211
[1043] ibid.
[1044] ibid. p : 212
[1045] ibid. p : 213
[1046] Ferhat Abbas, Autopsie d’ une guerre, op.cit, p : 74

*ذكر لي أحد أبناء أخواله، صالح معزة بن محمد عندما التقى بفرحات عباس في جيجل في هذا اليوم، بأن فرحات عباس قال له بالدارجة: " والله، يا الاحتلال ما زاد بقالوا في الجزاير ما عليها لَطَبَقْ حْوَايِجْهَ." (الاحتلال لن يبقي في الجزائر، وما عليها إلا أن يستعد للرحيل.) وبعد هذا التجمع انتقل إلى زيارة أخواله، وأبناء أعمامه في منطقة بوحمدون (دوار تابع لقبيلة بين عمران، وتنتمي إليه عائلة فرحات عباس – ابن الضاوي – وهذا الدوار تابع لبلدية ستراسبورغ الكاملة السلطات، بلدية الأمير عبد القادر حاليا) حيث استقبل بحفاوة كبيرة، ومنها انتقل إلى الطاهير. (صاحب البحث)

قائلا: " لقد عرفنا منذ أول نوفمبر أحداثا خطيرة، وحدث وأن أطلق الاحتلال تسمية " الخارجون عن القانون " على رجال صعدوا إلى الجبال. إن نظام الاحتلال تحدى القانون، و اخترقه منذ سنة 1948، وهو الذي تعدى على القوانين التي منحتها الجمهورية الفرنسية للمسلمين الجزائريين، ويوجد اليوم من يقول أنه يوجد خارجون عن القانون، والحق أنه لا يوجد سوى شخص واحد خارج عن القانون في الجزائر، إنه نظام الاحتلال نفسه. إن الخارجين عن القـــانون هم الحكام الأوروبيين، من رؤساء البلديات، و إداريي البلديات المختلطة... " * [1047] ومصرحا بــــ " الجزائـــر الجزائرية " لأول مرة يستعمل هذا المصطلح السياسي في الجزائر من طرف فرحات عباس، وهي التي نادى بها الجنرال "دي غول " فيما بعد. [1048]

وهذا الخطاب عبر فيه بصراحة عن ميله للثورة، ونبذه لأسلوب نظام الاحتلال، ودفاعه عن المجاهدين الذين لم يعتبرهم بأنهم " خارجون عن القانون " إنما الذي لم يحترم القانون، وخرج عنه فهو الاحتلال، دفاع صريح عن جبهة التحرير الوطني، وتبرير لجوئها إلى الثورة المسلحة.

وقد تيقن فرحات عباس جيدا بأن الأسلوب السلمي لا ينفع مع الاحتلال الفرنسي، ورفض اتهام المجاهـــدين بالإرهاب أو الخروج عن القانون، حاول عند قيام الثورة أن يقنع الحاكم العام و مسؤولي فرنسا بتطبيـــق مشـــروعه السياسي الوطني الداعي إلى إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا من أجل إحلال السلام بـــين الجزائـــر وفرنسا بطرق سلمية، لكن الاحتلال في هذه الفترة بقي فكره متخلفا عن فكر فرحات عباس والتطورات العالمية التي حدثت بعد الحرب الكونية الثانية، فكان على فرنسا أن تتلقى دروسا ميدانية تطبيقية على يد جبهة التحرير الـــوطني، والشعب الجزائري لكي تقبل مرغمة بالحوار مع جبهة التحرير الوطني.

---

* انظر خطابه الكامل في (Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p: 216-220)

[1047] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 131

[1048] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 220

المبحث الثالث

انضمامه إلى الثورة

جبهة التحرير الوطني لم تتصل بفرحات عباس أو تأخذ رأيه في إعلانها للجوء إلى الثورة المسلحة، وأن الأغلبية العظمى من مناضليها الأوائل كانوا شبابا رفضوا الطرق السياسية العقيمة التي فشلت في تحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي، فقد اكتفت جبهة التحرير الوطني بدعوة كل الوطنيين الأحرار بالانضمام إليها من خلال بيان أول نوفمبر.

طريق الثورة المسلحة هو الطريق الوحيد في تلك الفترة الذي بقي أمام الوطنيين الجزائريين لتحرير الجزائر، هذا الطريق يتناقض مع الحل السلمي الذي كان يسير فيه فرحات عباس، كيف تحول من داع إلى إقامة جمهورية جزائرية عن طريق " الثورة بالقانون " ؟ هل عن قناعة تامة، أم لأسباب أخرى؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المبحث.

كانت اتصالاته الأولى مع جبهة التحرير الوطني يوم 15 ماي 1955 وذلك بواسطة "عمار القامة " مسؤول فرع (إ. د. ب. ج) فرع القصبة السفلى بالجزائر، الذي أمره فرحات عباس بنقل رسالة إلى كريم بلقاسم، ومما جاء فيها " فرحات عباس رئيس (إ. د. ب. ج) يريد الاتصال بجبهة التحرير الوطني في أقرب الآجال. "[1049] ويتحدث عن ذلك اللقاء بقوله: " في نهاية ماي كنت في الجزائر، بعد رجوعي من سطيف حيث قضيت هناك عيد الفطر، وفي ليلة 26 ماي 1955 دق عمار القامة بابي، وكنت قد تناولت العشاء وذاهب للنوم فأخبرني بأن هنالك مسؤولين يريدان رؤيتي، وهما عبان، و أوعمران فأدخلتهما إلى بيتي، ودار نقاش بيننا حول كيفية دخولي إلى جبهة التحرير الوطني وطلبوا مني المال والأدوية، انتقلت بعدها إلى سطيف، وفي أوائل جوان عدت إلى الجزائر، وقدمت إلى جبهة التحرير الوطني عن طريق بوقادوم مسعود مبلغا من المال يقدر بـ 2 مليون فرنك، وحقيبة محملة بالأدوية المتخلفة. "[1050] وهذه هي البداية الأولى لفرحات عباس بالتعاون مع جبهة التحرير الوطني أي بعد مضي أكثر من سبعة شهور على قيام الثورة التحريرية.

طلب فرحات عباس من عبان رمضان أن يسمح له بالانتقال إلى باريس لإعطائه فرصة لوقف الحرب، فوافق له عبان، ولكن اشترط عليه بأن يكون ذلك عن طريق جبهة التحرير الوطني فقط، بعدها سافر فرحات عباس إلى باريس والتقى برئيس الحكومة " إدغار فور "، ورئيس المجلس، وتحدث عن دستور بإمكانه أن يجعل الجزائر دولة مشتركة مع فرنسا، وطلب من " إدغار فور " أن يرسل إلى الجزائر ممثلا له للتفاوض مع جبهة

[1049] ibid.
[1050] Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p p : 82-83

التحرير الوطني لتشكيل حكومة جزائرية مؤقتة... [1051] ولكن رئيس الحكومة الفرنسية لم يستجب لاقتراح فرحات عباس، لأن فرنسا في هذه اللحظة مازالت تعتقد كل الاعتقاد بأن قوتها العسكرية هي الحل الوحيد للقضاء على الثورة الجزائرية، و لم تلجأ لقبول مبدأ الحوار، إلا بعد فشلها عسكريا في القضاء على الثورة الجزائرية.

واستمر فرحات عباس في صائفة 1955 في جمع المال و الأدوية لجبهة التحرير الوطني مدعيا أنها لــ (إ. د. ب. ج) وعاملا على إقناع مناضليه بالانضمام إلى جبهة التحرير الوطني. [1052]

وكانت الثورة في هذه الفترة تمر بظروف صعبة، صراع على القيادة بين الأوراسيين في منطقة الأوراس بين السيدين: عجول عجول، وعباس لغرور، و السيد: شيهاني بشير، الذي وصل إلى القيادة بعد إلقاء القبض على مصطفى بن بوالعيد، حيث اتفقا عباس لغرور، وعجول عجول على اغتيال القائد شيهاني بشير، ولما فر مصطفى بن بوالعيد من السجن، والتحق بمنطقته وجد الأمور تسير نحو الفوضى فأعاد تنظيمها من جديد إلى يوم استشهاده في مارس 1956، وظهور صرع آخر بين عبان رمضان، وكريم بلقاسم من جهة، ومن جهة أخرى بين أحمد بن بلة، وأحمد مهساس حول مسألة قيادة الثورة " الزعامة " و لم تتوصل الثورة لوضع حل لهذه الخلافات إلا بعد انعقاد مؤتمر الصومام [1053]، وقبل هذا التاريخ استشهد ديدوش مراد قائد المنطقة الثانية، وقام زيغود يوسف بتنظيم هجوم الشمال القسنطيني يوم 20 أوث 1955 لإعطاء الثورة التحريرية أبعادا وطنية، و دولية. وفي هذا اليوم اغتيل " علاوة عباس " صيدلي بقسنطينة ابن أخ فرحات عباس، ويقول فرحات عباس أن مسؤولي جبهة التحرير الوطني في القاهرة سنة 1957 اعترفوا له بأن أخطاء قد ارتكبت خلال يوم 20 أوث 1955 ومن هذه الأخطاء اغتيال " علاوة عباس* ". [1054] وقد قامت جبهة التحرير الوطني بتحقيق رسمي حول اغتياله، هو والشريف بالحاج السعيد، وأكدت أن رجال جيش التحرير الوطني أبرياء من دمائهما، وكانا يعملان ضد الاحتلال. [1055]

فهي مؤامرة من تدبير " جاك سوستيل " وقد أراد أن يثبت هذا الأخير بأن جبهة التحرير الوطني هي التي اغتالت علاوة عباس، مستشهدا بأمر القتل (تصفية علاوة عباس) الذي وجد عند أحد الفدائيين استشهدوا في هذا اليوم أورده في كتابه " محبوبة و متألمة، الجزائر " [1056]

وقد حاول هذا الحاكم العام " جاك سوستيل " اختراق صفوف جبهة التحرير الوطني بتقليده مناشيرها

[1051] ibid. p : 84

[1052] نفس المرجع، ص: 137

[1053] ibid. p : 107

[1054] Francis et Colette Jeanson, L' Algérie hors la loi, édition E.N.A.G, Alger 1993, p : 332

* أعاد له المجلس الأعلى لقدماء المجاهدين الاعتبار في سنة 1973. (Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 107)

[1056] Jacques Soustelle, Aimée et souffrante Algérie, édition, Plon, Paris, 1956, p : 302

وتوزيعها في الجزائر، من أجل التأثير على المجاهدين بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة " حقا إنــه رجــل سياسي غير كفء، وعالم نفساني رديء، و غير نزيه. " [1057]

وفي 25 أوث 1955 قدم 61 نائبا استقالتهم من المجالس النيابية في قسنطينة. [1058]

وقد أورد فرحات عباس تبرير ذلك في كتابه " تشريح حرب "و مما جاء فيه: " هذا اليوم 26 سبتمبر 1955 ونظرا للأوضاع الخطيرة التي تعرفها الجزائر، منتخبو الهيئة الثانية التابعون للجمعية الوطنية، ومجلس الجمهورية، وجمعية الإتحاد الفرنسي، والجمعية الجزائرية، يطالبون بتوقيف العنف مباشرة والرجوع إلى الحياة العادية، وأعلنوا عن تكوين " جمعية دائمة للتنسيق والعمل " تتكون من المنتخبين في كل الهيئات لمتابعة التطورات السياسية في الجزائر، وكان لهــذه الاستقالة تأثير كبير على سياسة " جاك سوستيل ". [1059]

التقى فرحات عباس في 8 ديسمبر 1955 وكان برفقة الدكتور أحمد فرنسيس، عبان رمضان بالجزائر العاصمة في حديقة غالوند (Parc Galland) ويقول فرحات عباس عن ذلك اللقاء: " حدث ذلك في خميس عند حوالي الساعة الثالثة مساء... كان عبان يحاول الاتصال بنا منذ أيام لكنه لم يفلح... ولما أخبرني ابن يحي بالأمر ذهبت للقائه رفقة فرنسيس إلى حديقة غالوند. ذهبنا للموعد في سيارتي، وجاء عبان في سيارة يقودها عمارة رشيد، ومن الحديقة اتجهنا إلى القبة بأعالي العاصمة، فتوقفنا بالقرب من منــزل الدكتور فرنسيس. طلبت من سائقي أن يذهب، وبقي عمــارة بسيارته ليأخذنا. ولأنني لم ألتق بعبان منذ شهر جوان، تحدثت معه عن اغتيال ابن أخي علاوة، وعرفت أن عبــان لم يكن على علم بما حدث، كان منقطعا عن قسنطينة، هذا خطأ قال لي... لا يوجد أي تنسيق بين مختلف المقاطعات، وهكذا نحن كلنا موتى مؤجلين علينا أن ننظر عاليا، ونستمر. " [1060] الثورة الجزائرية كانت تعاني صعوبات كــثيرة منها انعدام التنسيق بين المناطق عبر التراب الوطني، وصعوبة التنظيم، مما أدى بها إلى الوقوع في بعض الأخطاء.

وأثناء هذا اللقاء قدم عبان رمضان منشورات يطلب فيها من النواب الجزائريين تقديم استقالتهم من المجــالس النيابية مع التهديد فيقول فرحات عباس قلت لعبان: " يجب أن تهتم بروح التضامن بدل أسلوب الترهيــب. " [1061] مازال فرحات عباس يؤمن بضرورة الإقناع، وعدم اللجوء لاستعمال أساليب الترهيب، وذلك بحكم سنه في هــذه الفترة (56 سنة)، ونضاله السياسي الطويل الداعي إلى التعقل ونبذ العنف، وحل المشاكل بالطرق العقلانية السلمية، فمنطقه هذا يضر أحيانا الثورة عن حسن نية، فالثورات لا تترك للفرد حرية التفكير أو الاقتناع، فالفرد فيها خاضــع لرأي الجماعة القيادية.بعد نهاية الحوار الذي دام إلى حوالي الساعة الثامنة والنصف،

[1057] Francis et Colette Jeanson, op.cit, p : 333
[1058] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 234
[1059] Ferhat Abbas, Autopsie d’ une guerre, op.cit, p p : 143-144
[1060] ibid. p : 151
[1061] ibid.

صعد فرحات عباس، وفرنسيس في السيارة التي يقودها عمارة رشيد، وكانت هذه السيارة محل بحث من طرف شرطة الاحتلال، وحينما وصلوا إلى وسط العاصمة أوقفتهم الشرطة، وأخذتهم إلى مركزها وكانت بعض المناشير في جيب رشيد عمارة، فوضعها في جيب معطف فرحات عباس. تم إطلاق فرنسيس و فرحات عباس، و أوقفت الشرطة رشيد عمارة، وبعودته إلى منـــزله في العاصمة اتصل مباشرة بالحاكم العام بواسطة الهاتف، طلب منه إطلاق سراح الطالب عمارة رشيد طالبا منه بأن لا يسمح للشرطة بتعذيبه، ويقول: في الغد أطلق سراحه دون تعذيبه، و اتصـــل عمـــارة رشيد مباشرة بالجبل حيث استشهد مع زميله لونيس. [1062]

في هذه الأثناء التحق المركزيون بالثورة. وفي 7 جانفي 1956 دعا الشيخ العربي التبسي الجزائريين للالتحاق بالثورة مما عرضه ذلك إلى الاختطاف والقتل من طرف قوات الاحتلال. [1063]

وترك فرحات عباس الجزائر في 7 أفريل 1956 و توجه إلى باريس، حيث ترك زوجته وابنه عبد الحلـــيم في مترل صغير بـــ " سان دونيس " (Saint - Denis) وفي باريس التقى بـــ " إدغار فور " المعزول من الحكم، ورئـــيس المجلس، وبعض الشخصيات الفرنسية ثم توجه بعدها إلى سويسرا مع صديقه أحمد فرنسيس ويقول عن ذلـــك:" إن صفحة من حياتي قد طويت، وانتهت لغة الحوار بين الفرنسيين والمسلمين، و لم يبق إلا الجهاد مع إخواننا في جبهـــة التحرير الوطني من أجل شرف وطننا." [1064]

هذا الوطن الجزائري الذي حاول منذ بداية نشاطه السياسي أن ينقذه بالإمكانيات والوسائل الـــتي كانـــت متوفرة بيده من كشف أساليب الاحتلال وفضحها داعيا إلى تحرر الجزائريين المسلمين، وإلغاء القوانين الاستثنائية عن طريق سياسة الاندماج، وفي الأربعينيات تخلى عن هذه السياسية لينتقل إلى مرحلة أخرى، مرحلة المطالبة بجمهوريـــة جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا، وأخيرا اقتنع بأن سياسته قد فشلت، ليعلن انضمامه إلى جبهة التحرير الوطني بكل قناعة وثقة كبيرة، لأنه تأكد جيدا بأنها تسير في الاتجاه الصحيح من أجل تحرير الجزائر من الاحتلال. ومن سويســـرا توجه فرحات عباس إلى القاهرة يوم 26 أفريل 1956، وبوصوله إليها عقد ندوة صحفية بمقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أعلن فيها رسميا وعلنيا عن انضمامه لجبهة التحرير الوطني. [1065] لكن انضمامه السري لجبهة التحـــري الوطني كان في ماي 1955. [1066]

وفي القاهرة استقبل استقبالا حارا، ويقول بأن أحمد بن بلة قال له: " إنه أسعد يوم في حياتي، ولأبرهن

[1062] ibid. p : 152

[1063] نفس المرجع، ص: 142

[1064] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :245

[1065] ibid. p : 250

[1066] Jean Lacouture, op.cit, p : 312

عن فرحتي سأظهر علنا لأول مرة معك أمام الجمهور. " وحضر الندوة الصحفية حسين آيت أحمد، و لمين دبـــاغين، ومحمد خيضر، و أمحمد يزيد، وأحمد توفيق المدني الذي كان يترجم لـــه إلى العربية.[1067] و قد حـــرف صـــحفي أمريكي كلامه فكتب مدعيا أنه قال: " سنقوم بنقل الحرب إلى فرنســـا. " (We shall bring war to France) [1068] ونقلتها صحافة باريس، ولندن، و واشنطن، أعلم فرحات عباس لمين دباغين بذلك التحريف فقام أحمد بن بلة بإعلان الصحفيين بقوله: " أن كل ما يقوله فرحات عباس كأنني أنا الذي قلته إنه يتكلم ابتداء من اليوم باسمنا، النص باللغة الفرنسية وترجمته الحرفية إلى اللغة العربية يعبر عن صدقه. " [1069]

إنها بداية مؤامرة سيئة ضد فرحات عباس المعروف بدعوته إلى السلم والتعقل، وكذلك ضد جبهة التحريـــر الوطني لإظهارها بمظهر غير مشرف لها، وقد علق فرحات عباس على ذلك بقوله: " إنهم يعلمون في بـــاريس بـــأنني رجل نزيه، ولا أعمل إلا من أجل عودة السلم... لقد طرقت كل الأبواب، وتحاورت مع كل الرجال السياسيين لكي يفهموني، ولكن لم يحدث شيء من ذلك، لا أستطيع أن أعطي ضمانا لوضعية استنكرتها مطلقا، ورحيلي على الأقل دليل على مواطنتي، ولقد انفصلت عن سياسة عقيمة، تؤدي إلى تحطيم وطني... لم آت إلى هنا لتكوين " حكومـــة حرة "، أو ربط (إ. د. ب. ج) بجبهة التحرير الوطني، إنه اليوم لا توجد أحزاب... أحمد فرنسيس، وأنا التحقنـــا بجبهة التحرير الوطني التي تكافح من أجل تحرير الجزائر، لأنه لا يوجد مخرج آخر غيرها..." [1070]

أما الصحافي الأمريكي فقد أكد علـــى نقله بصدق للترجمة، التي قام بها بعض الطلبة، [1071] هل هو خطـــأ عفوي؟ لا أظن، إنها بداية المؤامرة، ضد فرحات عباس، من دبرها ؟ يبق الأمر مجهولا لحد الآن.

بدأ فرحات عباس منذ ذلك الوقت يحتاط من الصحفيين، و لم يكن يثق إلا بالصـــحفي الفرنســـي " جـــون لاكوتير " الذي كان ينقل كلامه بصدق. [1072]

إن التحاق فرحات عباس علنا بجبهة التحرير الوطني، إلى جانب العلماء قد أعطى دفعا قويا للثورة في الداخل، والخارج، حيث سارت وراءهم مجموعة كبيرة من الفئات الشعبية بانضمامها إلى الثورة. ذاع صيت فرحـــات عباس واسعا في العالم كـــرجل معتدل انضم إلى المجاهدين الذين كانت تصفهم فرنسا بـــ "الإرهابيين" فانضمامه إليهم مع كبر سنه ودعوته للسلم ونبذه للعنف ليس إلا دليلا قويا للعالم بأن هؤلاء المجاهدين على حق، وبـــأن فرنســـا هـــي الإرهابية فمن غير المعقول أن يقف فرحات عباس إلى جانب الإرهابيين.

فهو رجل سلم وحوار لقد قام بثلاث رحلات إلى باريس، قبل انتقاله إلى القاهرة، الأولى في أفريل

(1067) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 250
(1068) Jean Lacouture, op.cit, p : 316
(1069) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 251
(1070) Jean Lacouture, op.cit, p : 318
(1071) ibid.
(1072) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 251

1955، والثانية في أوث من نفس السنة، والثالثة في أفريل 1956 باحثا عن الحل السلمي، ووضع حد لسفك الدماء ولكن الأبواب أوصدت في وجهه، [1073] هذه الرحلات تركت آثارا حسنة للثورة الجزائرية فيما بعد، فقد أظهرت همجية الفرنسيين، ورفضهم للسلم، والحوار، فرحات عباس سبق الأحداث بدعوته إلى الحوار والذي اضطرت فرنسا اللجوء إليه مرغمة بعد خسائر فادحة في الأرواح، والممتلكات.وفي القاهرة استقر في منـــزل مع صديقه الدكتور أحمد فرنسيس، وقد أدركت الثورة ضرورة العمل الدبلوماسي لكسب التأييد العالمي، ووضع حد للدعاية الفرنسية المغرضة، و وجدت الشخص المناسب لذلك العمل، وهو فرحات عباس.[1074]

شرع في العمل الدبلوماسي، بجواز سفر سوري، فانتقل إلى طرابلس، ودمشق مع زميله أحمـــد فرنســـيس، والتقى بممثل جبهة التحرير الوطني عبد الحميد مهري في دمشق، الذي أوصلهما إلى السلطات السورية حيث قدمت دعما كبيرا للثورة الجزائرية. [1075]

وتوجه بعد ذلك إلى سويسرا حيث التقى هناك بمناضلي حركته الذين التحقوا بالثورة، وهم أحمد بومنجـــل، الهادي مصطفاي، والدكتور ابن عبيد، و بن قطاط، وطالب الإبراهيمي، و جمام، و أونوغان، وحـــاج الســـعيد، و يعلاوي، و بوقلي عمر، والتونسي أحمد بن صالح، ثم اتجه إلى بلجيكا مع أحمد فرنسيس، ولكنه منع من عقد نـــدوة صحفية، وأُرْجِعَ إلى سويسرا ومنها عاد إلى القاهرة، كان يأمل من ذلك العمل الدبلوماسي إبـــراز عدالـــة الثـــورة الجزائرية، وكسب أكبر عدد من المؤيدين من أجل الضغط على فرنسا دبلوماسيا لكي ترضخ للاعتراف و التفـــاوض مع جبهة التحرير الوطني، بداية محاولات المفاوضات الأولى كانت مع عبد الحفيظ بوالصوف في سنة 1956 عنـــدما أرسل " غي مولي " (Guy Mollet) مبعوثا له " بيار قومين " (Pierre Commin)، ولكن المفاوضات فشلت، وشـــرع بعدها الحزب الاشتراكي الفرنسي في اتصالات مع جبهة التحرير الوطني ففي القاهرة التقى محمد خيضر بـــ " جورج قورس " (George Gorse)، وذلك مابين 12 و 30 أفريل 1956، وفي بلغراد في نفس السنة التقى خيضر، وبعـــض شخصيات جبهة التحرير الوطني مع " بيار قومين " كانت جبهة التحرير الوطني تريد من هذه اللقاءات الحصول على الاعتراف الفرنسي بها كممثل شرعي، و وحيد للشعب الجزائري. [1076]

لم يشارك فرحات عباس في اللقاءات الأولى، وإنما كان ينتقل من بلغراد إلى دمشـــق إلى بـــيروت لدفـــع المنظمات الدولية للاهتمام بالثورة الجزائرية، وتدويلها. [1077] ثم انتقل إلى أمريكا اللاتينية، مع كيوان، ودامـــت

[1073] Jean Lacouture, op.cit, p : 312

[1074] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 252

[1075] نفس المرجع، ص: 147

[1076] ibid. p p : 253-254

[1077] ibid. p : 254

مهمتهما فيها، مـــن 10 سبتمبر إلى 15 نوفمبر 1956 زارا خلالها الأرجنتين، و أوروغواي، و باراغواي، و الشيلي، و البيرو، و بـــوليفيا، وقد وجدا تفاهما من طرف الطلبة، والصحافيين، والسياسيين. [1078] كسب المزيد من الأنصار للثورة الجزائرية.

لقد عمل بإخلاص من أجل إنقاذ الجزائر من محنتها مستعملا كل طاقته، وخبرته السياسية لخدمـــة الثـــورة الجزائرية، لكنه لاحظ أن الأمور لم تكن تسير على ما يرام في القاهرة فالصراع بين قادة (ج. ت. و) مـــن أجـــل الزعامة بلغ ذروته، وحـــسب فرحات عباس فإن سبب هذا الصراع هو أحمد بن بلة، الذي أراد أن يجعل نفسه زعيم الثورة، بالتعاون مع الحكومة المصرية، وفتحي الديب رجل المخابرات المصري المكلف بشمال أفريقيا، ويذكر فرحات عباس خطأ فادحا وقع فيه أحمد بن بلة، إما عن جهل أو عن قصد، ولكن لا يمكن أبدا حسب رأيه أن يحدث ذلك، وهذا الخطأ يتمثل في قضية السفينة المصرية المحملة بالأسلحة لجيش التحرير الوطني، حيث وضع فيها أحمد بن بلة أحد رجال المخابرات الفرنسية، وكلفه بالراديو، فبخروج السفينة من الإسكندرية في اتجاه المغرب كـــان هـــذا العميـــل الفرنسي قد أعطى بواسطة الراديو كل المعلومات عن السفينة " أطوس " (Athos) للمخابرات الفرنسة التي احتجزت هذه السفينة، وعرَّض بذلك بن بلة العلاقات المصرية الفرنسية للخطر. [1079]

وهذا العمل الذي قام به أحمد بن بلة أقلق كثيرا قادة الثورة، فالصراع الذي تسبب فيه أضعف الثورة في الـــداخل، وكاد أن يؤدي إلى مشاكل عويصة، في الأوراس صراع على القيادة، عبان رمضان والعربي بـــن مهيـــدي ينتقـــدان ممارسات بن بلة، فقد كان ابن مهيدي مكلف باستقبال السفينة المصرية " أطوس " في المغرب في المنطقة الأســـبانية حيث عاد خائبا، فتوصل ابن مهيدي إلى اكتشاف الصراع على الزعامة بين قادة الثورة في القاهرة فطلب بضـــرورة عقد مؤتمر لوضع حد لذلك الصراع. [1080] الذي كان قائما في القاهرة بين قادة الثورة، ويقول فرحات عباس بعد انتقاله إلى القاهرة في سنة 1956: " اصطدمت بالصراع الموجود على مستوى القمة. " [1081] كان عبان رمضـــان يريد تخليص الثورة من مرض الزعامة، وأيده في ذلك العربي بن مهيدي، وكريم بلقاسم، و أوعمـــران، وتم الاتفـــاق بينهم على عقد مؤتمر الصومام يوم 20 أوث 1956، فجبهة التحرير الوطني إلى جانب الأعمال العسكرية الميدانيـــة توسع نشاطها السياسي داخل الجزائر، وذلك بضغط من عبان رمضان، للمِّ شمل كل العناصر الوطنية ذات الاتجاهات السياسية المختلفة، تحت لواء جبهة التحرير الوطني. [1082] أي إعطـــاء الثورة الجزائرية بُعدا وطنيا، وبدون إقصـــاء العناصر التي انضمت إليه من التيارات الأخرى (المركزيون، العلماء، الشيوعيون، و حزب " إ. د. ب. ج ").

[1078] Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 184
[1079] ibid. p p : 184-185
[1080] نفس المرجع، ص ص: 148-149
[1081] Ferhat Abbas, L' indépendance confisquée, op.cit, p : 44
[1082] Patrick Eveno et Jean Planchais, la guerre d' Algérie, édition, Laphomic, Alger, 1990, p :112

انعقد مؤتمر الصومام في منطقة إيفري يوم 20 أوث 1956، ودامت أشغاله إلى 19 سـبتمبر 1956، وقـد حضره، زيغود يوسف، بن طوبال، بن عودة، وعلي كافي، و روبيح حسين، و مزهودي عن المنطقة الثانية، وبالقاسم كريم، و محمدي السعيد، و عميروش، و قاسي عن المنطقة الثالثة، و أو عمران، و دهيليس، و بوغرة عـن المنطقـة الرابعة، والعربي بن مهيدي عن المنطقة الخامسة، وعلي ملاح عن المنطقة السادسة، 15 عضوا، أما 16 فهو الأمـين السياسي للمؤتمر " عبان رمضان " (1083)

عرف مؤتمر الصومام صراعات كثيرة خاصة بين عبان رمضان الرجل السياسي المثقف، والقادة العسكريين، بن طوبال، كريم، بسبب إقدام العقيد عميروش على تصفية سكان قرية " داغن " بالقرب من وادي أميزور، بالقرب من بجاية، حيث حاصرها ليلا، وقام بقتل عددا كبيرا من سكانها، حوالي 1100 قتيل، (1084) بتهمة الانتماء للحركة المصالية " ليلة الصومام الحمراء " وفي اليوم الموالي لهذه المجزرة عاتب شيخ عجوز العقيد عميروش على ذلك، فرد عليه هذا الأخير بقوله: " لقد قمنا بمعاقبة الخونة، إن الله معنا. " فأجابه الشيخ العجوز: " استمرارك على هذا الطريق لـن يبق في الجزائر سوى أنت، والله. " (1085)

وعاتب عبان مسؤولي أحداث 20 أوث 1955، حيث اعترض على قتل المدنيين الأوروبيين، لأن هذا في نظره لا يتماشى مع روح الثورة، سانده في رأيه بن مهيدي، وابن خدة، فاستاء ابن طوبال من السياسيين اللـذين كـانوا يريدون ثورة قائمة على الحرب المنظمة. (1086)

عبان كان يريد من الثورة أن تترفع عن بعض الممارسات، فمن الناحية النظرية رأيه صحيح، ولكن من الناحية التطبيقية رأيه خاطئ، لا يمكن القيام بثورة نظيفة بدون حدوث تجاوزات، وأعمال عنف أحيانا ضد الأبريـاء. وفي الأخير تم الاتفاق على مقررات مؤتمر الصومام في جو متوتر. (1087)

ونصت وثيقة الصومام على أولوية العمل السياسي، على العمل العسكري، والداخل علـى الخـارج (1088) وأنشأ مؤتمر الصومام لجنة التنسيق والتنفيذ، وتتكون من 5 أعضاء هم: عبان رمضان، و العربي بن مهيدي، و كـريم بلقاسم، و بن يوسف بن خـدة، و سعد دحـلب. (1089) ويعتبر فرحات عباس هذه اللجنة كـ " نواة لحكومة "، (1090) وتمثل هذا اللجنة قيادة الأركان العليا لـ (ج. ت. و) (1091)

(1083) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 264 - 265
(1084) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 155
(1085) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 264
(1086) نفس المرجع، ص: 151
(1087) ibid. p : 266
(1088) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 154
(1089) Benyoucef Ben Khedda, Abane – Ben M' hidi: Leur apport à la révolution Algérienne, édition, Dahleb Alger, 2000, p :30
(1090) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 154
(1091) Henri Alleg,t,2, op.cit, p :212

والمجلس الوطني للثورة الجزائرية، ويتكون من 34 عضوا، 17 دائمين، و 17 احتياطيين.* [1092]

ويعتبر فرحات عباس هذا المجلس بمثابة (برلمان جزائري) [1093] وأصبح عضوا دائما فيه إلى جانب العلماء، والمركزيين، و أعضاء المنظمة الخاصة (اللجنة الثورية للوحدة والعمل)، وجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، الذين انضموا إلى جبهة التحرير الوطني

لم يرض أحمد بن بلة بقرارت مؤتمر الصومام، وبرر رفضه بعدم حضور ممثلي المنطقة الأولى، وممثلي الخارج، ومنطقة وهران، متهما القرارات بالتوجه اللائكي، ورافضا وجود زعماء الحركات الأخرى في لجنة التنسيق والتنفيذ، والمجلس الوطني للثورة الجزائرية. [1094] والحقيقة أن بن بلة كان خائفا من انتقال الزعامة إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وفيه تزول الزعامة الفردية التي تبناها ابن بلة فلهذا المجلس الحق في اتخاذ جميع القرارات التي تهم الثورة الجزائرية، وهذه هي إحدى العوامل الأساسية القوية للثورة الجزائرية حيث استطاعت أن تبعد القيادة الفردية لها، وذلك بجعلها قيادة جماعية. أما بالنسبة لفرحات عباس فإنه عرف كيف يترفع عن هذه الصراعات الشخصية، لم تكن تهمه الزعامة بقدر ما كان يهمه استقلال الجزائر، لم يدخل في لعبة المؤامرات بين الإخوة لأن ثقافته الليبرالية، ونضج فكره السياسي، وروحه المتسامحة، وقدرته على النظر بعيدا مكنته من تجنب الانضمام إلى دائرة معينة من دوائر الصراع، صحيح أنه أظهر تقاربه الفكري مع عبان، وبن مهيدي، ليس لأسباب شخصية ذاتية، ولكن لقناعات سياسية، وهي أن الثورة عمل متكامل بين كل أبناء الجزائر بدون تمييز مع إعطاء الأولوية للفكر، والعقل، وهذا ما

[1092] Benyoucef Ben Khedda, Abane – Ben M' hidi: Leur apport à la révolution Algérienne, op.cit, p : 30

* الأعضاء الدائمون
1. عبان رمضان
2. فرحات عباس
3. إيدير عيسات
4. حسين آيت أحمد
5. أحمد بن بلة
6. مصطفى بن بو العيد
7. بن يوسف بن خدة
8. محمد العربي بن مهيدي
9. رابح بيطاط
10. محمد بوضياف
11. محمد لمين دباغين
12. أحمد توفيق المدني
13. محمد خيضر
14. بلقاسم كريم
15. عمار أوعمران
16. امحمد يزيد
17. يوسف زيغود

الأعضاء الاحتياطيون
1. عيسى بن عطا الله
2. نائب بن بولعيد
3. لخضر بن طوبال
4. محمد بن يحي
5. عبد الحفيظ بوالصوف
6. سعد دحلب
7. سليمان دهيليس
8. أحمد فرنسيس
9. محمد لبجاوي
10. محمد الصالح لعوانشي
11. عبد الحميد مهري
12. علي ملاح
13. إبراهيم مزهودي
14. سعيد محمدي
15. عبد المالك تمام
16. الطيب الثعالبي
17. الإتحاد العام للعمال الجزائريين (يعين من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ)

[1093] Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 154

[1094] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 266

كان ينادي به منذ تأسيسه لحزب إتحاد الشعب الجزائري سنة 1938، اتفق مع عبان رمضان في إعطاء الأولية للعمل السياسي الفكري المَنَظِّرِ، على العمل العسكري الميداني.

" ويعتقد محمد حربي أن الصراعات التي ظهرت في مؤتمر الصومام تعبّر في العمق عن وجود تصورين مختلفين للثورة، الأول يدعمه عبان رمضان، و ابن مهيدي اللذان أرادا الاعتماد على الفئات العمالية، والمدنية، والبرجوازية لنقل الثورة إلى المدينة، ويدعم التصور الثاني القادة العسكريون، وبالأخص بن طوبال الذي يرى أن فئات الفلاحين في الأرياف هي الوحيدة القادرة على تحمل مسؤولية الثورة، فلم يول أية أهمية للمسائل الأيديولوجية، بل اعتمد على العفوية و الارتباط بالتقاليد الثورية للفلاحين. " [1095] شهدت سنة 1956 التحاق الطلبة الجامعيين، والثانويين بالثورة.

قام السلاح الجوي الفرنسي في 22 أكتوبر 1956 بعملية قرصنة جوية باختطافه طائرة مغربية كان على متنها القادة الخمس للثورة الجزائرية، أحمد بن بلة، ومحمد خيضر، وحسين آيت أحمد، ومحمد بوضياف، ومصطفى الأشرف، كانوا متوجهين من المغرب إلى تونس لحضور ندوة مغاربية. [1096] سجن ابن بلة قلل حدة الصراع على الزعامة بين قادة الثورة.

شهدت نهاية جانفي 1957 بداية معركة الجزائر وقام الجيش الفرنسي (المظليون) بمهام الشرطة مستعملين كل أنواع التعذيب، والتنكيل بالمدنيين، وهذا بأمر من " غي مولي "، و " روبير لاكوست " (Robert Lacoste) وزير مقيم بالجزائر، اللذان منحا كامل السلطات للجنرال " ماسو " (Massu) باستعمال كل الوسائل للقضاء على معركة الجزائر. [1097] أي الوسائل التي تمنعها قوانين الحرب الدولية منها تعذيب الأسرى وقتل المدنيين، والتي تدخل في إطار جرائم الحرب.وجه فرحات عباس نداء إلى رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، شارحا له التجاوزات التي ارتكبها المظليون الفرنسيون ضد المدنيين الجزائريين المسلمين، وطالبا منه التدخل لوضع حد للجرائم، والمجازر التي يرتكبها الجيش الفرنسي. [1098] في الجزائر ضد المدنيين.

تقرر في أوت 1957 خلال اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد بالقاهرة توسيع لجنة التنسيق والتنفيذ إلى 9 أعضاء. وهم: عبان رمضان، فرحات عباس، لخضر بن طوبال، عبد الحفيظ بوالصوف، محمود الشريف، محمد لمين دباغين، كريم بلقاسم، عبد الحميد مهري، عمار أوعمران. [1099]

اغتيل عبان رمضان (غدرا) في 22 ديسمبر 1957 في تيطوان بالمغرب علي يد رجال العقيد عبد الحفيظ

[1095] نفس المرجع، ص: 153

[1096] ibid. p : 268

[1097] Patrick Eveno et Jean Planchais, op.cit, p : 124

[1098] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 271

[1099] بن يوسف بن خدة، نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان، تعريب لحسن زغدار، و محل العين جبائلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص: 50

بوالصوف الذي أعطى الأمر بقتله، بالاتفاق مع كريم بلقاسم.[1100]

أول رد فعل لفرحات عباس على اغتيال عبان رمضان الذي تأثر بذلك كثيرا هو محاولة وضع حد لمسؤولياته في لجنة التنسيق والتنفيذ، ولكن الشيخ البشير الإبراهيمي نصحه بالبقاء، وخلال اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ في 14 فيفري 1958 أكد له كريم بلقاسم بأن عبان رمضان خطر على الثورة، ولذلك وجب قتله فرد عليه فرحات عباس: " من أعطاك حق محاكمته ؟ ألا تخاف أن يحدث لك يوما، أو لأبنائك مثل ما حدث لعبان رمضان. "[1101] (وبالفعل حدث لكريم بلقاسم ما حدث لعبان رمضان، حيث اغتيل في ألمانيا سنة 1970)

ويصف فرحات عباس عبان رمضان بأنه رجل صريح، وصادق، و موضوعي، حيث أعطى للثورة بعدا شعبيا فقد أخرجها من ملكية الثوريين إلى ملكية عامة للجزائر.[1102] بعد اغتيال عبان رمضان، واستشهاد العربي بن مهيدي، وهما رجلان مخلصان وصريحان في أقوالهما و أفعالهما لهما نظرة واقعية وعميقة للثورة، و باستشهادهما فقدت الثورة الجزائرية بعض رجالها العظماء.

وقد استطاع فرحات عباس أن يتجاوز هذه الصراعات، كان هدفه السمو بالثورة إلى مرتبة الثورة الشعبية الوطنية فترفع عن الصراعات الداخلية بين القادة، وكثيرا ما كان يتدخل للإصلاح بين المتصارعين.و فرض العسكريون نفوذهم على قيادة الثورة وهم: كريم بلقاسم، وبن طوبال، و بوالصوف، حيث استطاعوا أن يتخلصوا من منافس مثقف، وسياسي عنيد، وهو عبان رمضان، أما السياسيون الذين استمروا في لجنة التنسيق والتنفيذ فكانوا قليلا ما يواجهون العقداء الثلاث، استطاع عبد الحفيظ بوالصوف أن يكسب ود الرئيس جمال عبد الناصر بعد سجن أحمد بن بلة لأن جمال عبد الناصر لم يكن يرتاح لفرحات عباس، و عبان رمضان اللذان كانت لهما شخصيتان قويتان، ورافضان الدكتاتوريات الشرقية، ومتأثران بالديمقراطية الفرنسية، وهذه التوجهات رفضها جمال عبد الناصر، وخلال انعقاد اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ في القاهرة في 13 مارس 1958 وفي الجلسة الأولى اعترض فرحات عباس على سلوك العقداء بقوله: " نصبوا أنفسهم قضاة وليس من حقهم قتل أو إحياء رجال (ج. ت. و) "[1103]علق فرحات عباس على ذلك بأن الحياة الجماعية مستحيلة، ففي نظره أن العقلية القبلية ما زالت مسيطرة على عقول بعض العقداء، ويذكر حادثة وقعت خلال اجتماع 14 أفريل 1958 بين كريم، و بوالصوف وصلت إلى حد التهديد، حيث يقول تدخلت بقوة قائلا لهما: " لا أستطيع تحمل خصامكما، لو يحدث أي شيء لأحد منكما سأنسحب، وأنتقل إلى أوروبا، وسأفضحكما علانية لكي تعرف الجزائر بمدنها، و دواويرها، وجبالها

[1100] ibid. p : 283
[1101] Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p p : 228-229
[1102]ibid. p : 229
[1103] ibid. p: 230

سلوككما أنسيتما بأن الدماء تسفك في الجزائر ؟ ماذا يمثل صراعكما بالنسبة لتضحيات شعبنا. "[1104]

الشيء الجيد بالنسبة للشعب الجزائري، ومعظم مجاهدي الداخل أنهم كانوا لا يعلمون بهذا الصراع القائم بين القادة وكان شغلهم تحرير الجزائر، وهذا شيء إيجابي جدا للثورة الجزائرية، حيث بقيت متماسكة و لم تنقسم على نفسها، لأنهم عرفوا كيف يحافظون على سرية صراعهم، الذي بقي محصورا في القمة و لم ينزل إلى القاعدة، فمثلا اغتيال عبان رمضان لم تعلن عنه (ج. ت. و) إلا يوم 29 ماي 1958، عندما كتبت جريدة المجاهد في صفحتها الأولى " عبان استشهد في معركة الشرف*. "[1105]

أما داخليا فإن المخابرات الفرنسية تحاول اختراق صفوف المجاهدين، عن طريق تدبير المؤامرات الدنيئة كما حدث في قضية " الأزرقية " حيث استطاعت أن تنجح مع العقيد عميروش، ونائبه الرائد محيوز، وكانت نتيجتها إعدام حوالي 3000 مجاهدا **.[1106]

عندما زار "دي غول" الجزائر في 4 جوان 1958 حاملا معه سياسة الاندماج " تحيا الجزائر الفرنسية "، رد فرحات عباس عليه من جنيف قائلا: " ما زال الجنرال دي غول يرفض التخلي عن أسطورة الجزائر فرنسية، ودعاه إلى التفاوض مع (ج. ت. و) حول الاستقلال الوطني. "[1107]

و في نهاية جوان 1958 لجنة التنسيق والتنفيذ عملت لكي تتحول إلى حكومة جزائرية تتكون من أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ.[1108] وذلك بعد مجيء الجنرال " دي غول "، و زوال الجمهورية الفرنسية الرابعة، وقيام الجمهورية الخامسة.

لقد تم الإعلان في 19 سبتمبر 1958 عن تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بالقاهرة، التي حلت محل لجنة التنسيق والتنفيذ.[1109] وضمت كل التيارات السياسية الجزائرية القديمة (اللجنة الثورية للوحدة والعمل، جبهة التحرير الوطني، الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية،

[1104] ibid. p : 231

* " في أوائل النصف الأول من شهر أفريل وقع اشتباك عنيف بين قواتنا، وقوات العدو...وخلال المعركة التي دامت عدة ساعات، أصيب عبان رمضان، وحدث له نزيف حاد... معلومة سيئة وصلتنا... شجاعة وإرادة عبان رمضان تمثل مرحلة هامة من كفاح الشعب الجزائري... نبكي أخا مناضلا، وذكراه سيبقى دليلنا. " El Moudjahid, du 29 mai 1958

[1105] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 161

[1106] ibid. p p : 220-221

** هذا الرقم يظهر أنه مبالغ فيه كثيرا، ولا نشك في وطنية العقيد عميروش، ربما يكون قد ارتكب أخطاء ولكن ليست بهذه الدرجة. وهذه القضية قد أسالت الكثير من الحبر، وهي تحتاج إلى دراسة موثقة لكشف حقيقتها، وتقديم الاعتراف للشهداء الذين سقطوا عن طريق الخطأ من طرف إخوانهم.

[1107] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 292-293

[1108] Mohammed Harbi, Une vie debout, Mémoire politique, T 1: 1954 - 1962, édition, Casba, Alger, 2001, p: 238

[1109] بن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص: 52

والعلماء)، وتم الاتفاق بالإجماع على تعيين فرحات عباس رئيسا لها. [1110]، وهو أكثر المعتدلين من بين أعضائها. [1111] وتشكلت هذه الحكومة [1112]من:

رئيس المجلس الوزاري...فرحات عباس
نائب رئيس المجلس الوزاري، ووزير القوات المسلحة..............بلقاسم كريم
نائب رئيس المجلس...أحمد بن بلة
وزراء دولة...حسين آيت أحمد
....رابح بيطاط
....محمد بوضياف
....محمد خيضر (هؤلاء الأعضاء الخمس كانوا معتقلين في فرنسا)
وزير الشؤون الخارجية..محمد لمين دباغين
وزير التسليح والتموين...محمود الشريف
وزير الداخلية...لخضر بن طوبال
وزير الاتصالات العامة والموصلات...............................عبد الحفيظ بوالصوف
وزير شؤون شمال إفريقيا...عبد الحميد مهري
وزير المالية...أحمد فرنسيس
وزير الإعلام...امحمد يزيد
وزير الشؤون الاجتماعية..بن يوسف بن خدة
وزير الشؤون الثقافية...أحمد توفيق المدني
وزراء دولة مقيمين في الداخل......................................لمين خان (الولاية الثانية)
......................................عمر اوصديق (الولاية الرابعة)
......................................مصطفى اسطنبولي (الولاية الخامسة)

لم يكن فرحات عباس يرغب في الرئاسة، فخلال اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ يوم 17 سبتمبر 1958 لمناقشة تأسيس الحكومة المؤقتة، وتشكيل أعضائها يقول: " اقترحت لمنصب رئاستها كريم، أو الدكتور لمين دباغين، الأول (تاريخي)، والثاني ترأس بعثة الخارج، ولكنهما وجدا معارضة كريم جاءت من ابن طوبال، و بوالصوف، فلا أحد منهما أراد أن يكون كريم فوقهما، وذلك من أجل السير الحسن للثورة حيث صرحا بأنه يجب أن يبقى الثلاثة متساوون، (الباءات الثلاث)، أما رفض رئاسة لمين دباغين فقد جاء من أحمد بن بلة، وفي هذه الظروف عينني الإخوة بالإجماع رئيسا لأول حكومة جزائرية. " [1113]

اختار أعضاء اللجنة فرحات عباس رئيسا للحكومة المؤقتة لاعتداله، وكبر سنه (59سنة) وخبرته الطويلة في النضال السياسي، وعدم ميله لأي تكتل من التكتلات التي كانت موجودة داخل القيادة العليا، فقد حاول

(1110) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :298
(1111) Patrick Eveno et Jean Planchais, op.cit, p :220
(1112) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p p :244-245
(1113) ibid. p : 244

كريم بكل الطرق أن يكون رئيسا للحكومة المؤقتة، ولكن زملاءه العقداء (بوالصوف، وبن طوبال) وقفوا ضـــده، ورفضوا أن يكون رئيسا عليهم، أما فرحات عباس فكان يميل للتعقل، وعدم التسرع في اتخاذ القرارات وكان سلوكه يبعث على الاطمئنان بين معظم القادة، وقـــد عـــاب عليه رضا مالك ذلك السلوك بقوله: " فرحات عباس رئيس يترأس، ولـــكـــن لا يحكم. "[1114] لأن فرحات عباس لم يكن هدفه البحث عن الزعامة الشخصية، إنما كان هدفه أوسع بكثير من ذلك فكان يسعى بكل طاقته من أجل استقلال الجزائر.

لكن فرحات عباس يقول: " عندما أصبحت رئيسا للحكومة المؤقتة، فكرت دائما فيما يجـــب أن أقدمـــه للشعب، ولله. "[1115] اهتماماته كلها للثورة الجزائرية، لذلك نظر إليه البعض بنظرة ضعف، يعترف بأن كل مـــا فعله لم يكن لوجه أحد من الوجوه التي كانت بجانبه، وإنما فعل كل ما فعل لأجل الله و الوطن، " عنـــدما عينـــت كرئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في سبتمبر 1958، أحد المركزيين (بـــومعزة) كـــان مســـجونا في "فريسناس"(Fresnes) تعجب عندما سمع بذلك قائلا: عباس سنعصره كما نعصر ليمونـــة ثم ســـنرميه، ويضـــيف فرحات عباس قائلا: لم أكن مخدوعا في حسابات الآخرين، و لم أكن في خدمتهم، ولا في خدمة (ح. إ. ح. د)، وإنما كنت في خدمة وطني فقط. "[1116] أما " ألبير لوبرين " (Albert Lebrun) فقد صرح من مكتبه في الإيليزي عنـــد اختيار فرحات عباس رئيسا للحكومة المؤقتة قائلا: " إن طريق فرحات عباس فريد من نوعه "[1117]

وقد نشر فرحات عباس تقريرا باسم جبهة التحرير الوطني يوضح فيه الأسباب العميقة لتأســـيس الحكومـــة المؤقتة ومما جاء فيه: " إن تأسيس حكومتنا يستجيب للرغبات العميقة التي عبر عنها مقاتلو جيش التحريـــر الـــوطني البواسل، وكذلك عامة الشعب الجزائري، إنها تؤدي إلى تقوية فكرة الاستقلال عند الجميع... و باقتراب الاســـتفتاء سوف يتشجع الشعب الجزائري لكي يهزم سياسة الارتباط، وأُبوة دي غول... "[1118] والدول الأولى التي اعترفت بـــ (ح. م. ج. ج) هي العراق، ومصر، باكستان، و ليبيا، و اليمن، والعربية السعودية، والأردن، والســـودان، ثم توالت الاعترافات بها من الدول العربية، والإسلامية، و الآسيوية، وقد رفض فرحات عباس زيارة عرضتها عليه فرنسا إلى باريس قائلا: " لماذا، هل انهزمنا ؟ جيشنا هو القوي دائما، ولا يجب جلب الإســـاءة إليـــه، ولكـــن يجـــب أن نتحدث."[1119] واجهت الحكومة المؤقتة مؤامرة أخرى بعد تأسيسها بالتواطؤ مع النظام المصري، قام بها فتحي الديب

[1114] Rédha Malek, L'Algérie à Evian, histoire des négociation secrètes 1956, 1962, édition, A.N.E.P, Alger, 2001, p : 42
[1115] Ferhat Abbas, L' indépendance confisquée, op.cit, p : 21
[1116] ibid. p p : 49-50
[1117] Jean Lacouture, op.cit, p : 321
[1118] Henri Alleg, t 3, op.cit, p :70
[1119] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 301

الذي شجع العقيد العموري، مسؤول الولاية الأولى (أوراس النمامشة) ومجموعة من الضباط على الإطاحة بالحكومة المؤقتة.[1120] لأن هذه الحكومة أقلقت النظام المصري لوجود بعض العناصر فيها رفضهم النظام المصري مثل فرحات عباس، الرافض للدكتاتوريات العربية، والمتأثر بالديمقراطية الغربية وقد اتهم بميولاته الغربية. أعلم فتحي الديب العقيد العموري بأن مصر ستقدم له كل الوسائل للإطاحة بها. [1121]، وتم اكتشاف تلك المؤامرة بمساعدة المخابرات التونسية، وأقيمت محكمة عسكرية لذلك الغرض ترأسها العقيد الهواري بومدين، وتم الحكم بالإعدام على العقيد العموري، و نفذ فيه في شهر مارس 1959. [1122] مع العقيد نواورة، والرائدين عواشرية، ومصطفى لكحل. [1123]

إن الثورة الجزائرية المسلحة لم تهمل الجانب الدبلوماسي وإنما جعلته من أولوياتها، وأعطت بذلك دليلا قويا للعالم بأن هدفها يتمثل في تحرير الجزائر من الاحتلال، باحثة على أكبر عدد من الدول والمنظمات العالمية، لتأييد الثورة، والضغط على فرنسا من أجل اللجوء إلى الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري، وقبول التفاوض معها فقط.صرح فرحات عباس في 19 أكتوبر 1958 من تونس أمام الصحافة الدولية بأن الجزائر لن تضع أي شرط مسبق للحوار مع فرنسا. [1124]

ويعتبر هذا التصريح حدثا هاما في الدبلوماسية الجزائرية التي فتحت رسميا باب الحوار مع الحكومة الفرنسية، وأثبتت رغبتها في الوصول إلى حل عن طريق التفاوض، و يرد " دي غول " على ذلك بمشروع " سلم الشجعان " يوم 23 أكتوبر 1958. [1125] رفضت الحكومة المؤقتة مشروع " دي غول " لأنه لا يستجيب لأهداف الثورة. أراد " دي غول " ربطه بمشروع قسنطينة (3 أكتوبر 1958) مستعملا بذلك أسلوب الترهيب، والترغيب للقضاء على الثورة الجزائرية، وغير معترف في ذلك بجبهة التحرير الوطني. واجه فرحات عباس مشاكل أخرى من العقيد عميروش قائد الولاية الثالثة الذي انتقد سياسة الحكومة المؤقتة، واتهمها بإهمالها للداخل. [1126] ولكن محاولة العقيد عميروش فشلت في تنظيم قادة الداخل ضد الحكومة المؤقتة.

في جانفي 1959 تضاف مؤامرة أخرى ضد فرحات عباس، حيث حاول علاوة عميرة أن يتخلص منه شخصيا، وتكشف خطته، ويغتال بالقرب من مقر الحكومة المؤقتة بالقاهرة لتتحرك من جديد حرب الكتل،

[1120] Rédha Malek, op.cit, p : 42

[1121] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 178

[1122] Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 248

[1123] نفس المرجع، ص: 179

[1124] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 307-308

[1125] نفس المرجع، ص: 184

[1126] نفس المرجع، ص: 188

واستغل النظام المصري ذلك الاغتيال لاتهام فرحات عباس والحكومة المؤقتة بتدبير عملية الاغتيال، كما استغل كريم ذلك لإبعاد فرحات عباس من رئاسة الحكومة، ولكن خوفه من بوالصوف، وبن طوبال اللذين رفضا أن يكون زميلهما بنفس رتبتهما العسكرية رئيسا عليهما، لم يتمكن من الإطاحة بفرحات عباس، ولكن العقداء الثلاثة(كريم، بوالصوف، وابن طوبال) اتفقوا على تهميش الحكومة المؤقتة، واستحوذوا على سلطة القرار.[1127]

ألقى الجنرال " دي غول " في ليلة 16 سبتمبر 1959 على الساعة 8:00 مساء، خطابا خلال نشرة الأخبار المتلفزة أعلن فيه عن إعطاء الجزائر حق تقرير مصيرها، و واضعا لذلك جملة من الشروط منها توقيف القتال. [1128]

ويعتبر هذا الخطاب نقطة تحول حقيقية في السياسية الفرنسية تجاه القضية الجزائرية، حيث فتح باب المفاوضات، و وجد " دي غول " معارضة شديدة من المحتلين، وبعض ضباط الجيش الذين رفضوا المفاوضات وأصروا على مواصلة الحرب إلى غاية تحقيق القضاء على الثورة الجزائرية، ومن جهتها اشترطت الحكومة المؤقتة الاستقلال المسبق على المفاوضات، ورد فرحات عباس يوم 29 سبتمبر 1959 من تونس على اقتراح الجنرال " دي غول " بقوله: " إن رئيس الجمهورية الفرنسية اعترف علنيا باسم فرنسا، بتصريحه يوم 16 سبتمبر 1959 بإعطاء الحق للجزائريين في تقرير مصيرهم بكل حرية... هذا التطور لم يكن ممكننا قبل خمس سنوات وقد جاء نتيجة للكفاح الذي انتصر فيه الشعب الجزائري في حرب تعتبر من أشد الحروب الدامية ضد الاحتلال" وقد أعلن عن استعداده للتفاوض لكن بشرط أن يكون ذلك من" أجل الحصول على استقلال الجزائر. " و واضعا شروطا منها ذهاب القوات الفرنسية (500 ألف عسكري)، وإجراء استفتاء بدون ضغوط عسكرية مؤكدا على بقاء الصحراء جزءا من الجزائر المستقلة... [1129]

أما شروط المفاوضات فإنها غير متوفرة، وباءت بالفشل. ويعلق فرحات عباس على ذلك الفشل بكون المأساة الجزائرية تتحكم فيها أربعة اتجاهات:

1- فرنسا مع 50 مليون نسمة من سكانها.

2- الشعب الجزائري بـــ 10 ملايين نسمة، والذي أعلن الثورة ضد الاحتلال.

3- مليون فرنسي (محتل) في الجزائر، هدفهم بقاء الجزائر فرنسية.

4- الضباط الفرنسيون الضائعون (الثأر من الشعب الجزائري بسبب هزيمتهم في الهند الصينية) [1130]

كما اقترح العقيد بوالصوف في أكتوبر 1959 تعيين مجلس وطني جديد للثورة الجزائرية بسبب انتقادات

[1127] Mohamed Harbi, F.L.N, mirage et réalité, op. cit, p p : 224-225

[1128] نفس المرجع، ص: 188

[1129] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 318
[1130] ibid. p p : 321-322

العقداء الثلاث لفرحات عباس ومعهم بن يوسف بن خدة، وعمر أوصديق، ورغبة كريم الشديدة في تولي الرئاســـة، ولكن بوالصوف، وبن طوبال، تركوا كريم بلقاسم في مواجهة المركزيين السابقين. [1131]

وخلال المؤتمر المنعقد بطرابلس ما بين 16 ديسمبر 1959، و 18 جانفي 1960، دافع فرحـــات عبـــاس في مداخلة له يوم 3 جانفي 1960 عن المنجزات التي حققتها الحكومة المؤقتة قائلا: " حافظت على الوفاق بين الوزراء داخل الحكومة المؤقتة... وتحملت مسؤوليتي كاملة أمام المجالس الولائية، و حافظت على شرف بلدي أمام الأجانب، وكذلك وحدة الثورة، وأصبح لجبهة التحرير الوطني المال، ولجيش التحرير الوطني السلاح، وعلى الصعيد الدبلوماسي فإن سمعة الجزائر في تطور مستمر حتى في فرنسا، وحق تقرير المصير هو دليل على ذلك، وبدون الاتحاد، والأخوة بيننا فإن ذلك سيؤدي إلى انقسامنا، نبقى متحدين لننتصر." [1132]

وتم الاتفاق على تكوين حكومة مؤقتة جديدة، وتتكون من:

رئيس المجلس...فرحات عباس
نائب رئيس المجلس ووزير الشؤون الداخلية............بلقاسم كريم
...........حسين آيت أحمد
...........رابح بيطاط
وزراء دولة..محمد بوضياف
....محمد خيضر
وزير الدولة..السعيد محمدي
وزير الشؤون الاجتماعية والثقافية....................عبد الحميد مهري
وزير التسليح و الاتصالات العامة....................عبد الحفيظ بوالصوف
وزير المالية و الشؤون الاقتصادية....................أحمد فرنسيس
وزير الإعلام...أمحمد يزيد
وزير الداخلية..الاخضر بن طوبال [1133]

وتولت الحكومة المؤقتة تعيين هيئة الأركان العامة، تحت قيادة العقيد هواري بومدين، وتعيين أحمد قايد، وعلي منجلي مساعدين له. [1134] بقي فرحات عباس رئيسا للحكومة المؤقتة الثانية، ليتولى مهمة التفاوض مع الحكومة الفرنســـية على أساس مبدأ أولوية الاتفاق السياسي على الاتفاق العسكري. [1135] وضع فرحات عباس كل طاقته من أجـــل تحقيق الاتصال بين الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية، وأرسل يوم 20 جوان 1960 إلى "مولان" (Melun) وفـــدا يتكون من: محمد الصديق بن يحي، وحكيمي بن عمار، وأحمد بومنجل للشروع في المفاوضات مع الوفد الفرنســـي الذي يمثله الجنرال " روبير دي قاستين " (Robert de Gastines)، والعقيد " ماتون " (Mathon)، و " روجي

[1131] ibid. p: 322
[1132] Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 280

[1133] بن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص: 53
[1134] نفس المرجع، والصفحة.
[1135] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 198

موريس " (Roger Moris)، وذلك بهدف تحضير لقاءات مستقبلية بين عباس و الجنـــرال " دي غـــول "، وطلبوا لقاء مساجين " إيكس " (Aix) خاصة ابن بلة، كل اقتراحاتهم رفضها " دي غـــول " لأن التفـــاوض مـــع الحكومة المؤقتة يعني اعترافه بالجمهورية الجزائرية، وصرح "دي غـــول" لـــ " محمد مصمودي " وزيـــــر تونســـي بقولـــه: " تعلمون سيدي الوزير، بأن الجزائر لم تكن أبدا دولة، ولا أمة. " وعلق فرحات عباس على ذلك بقوله: " إن مسار المفاوضات قد انطلق، ولا أحد يستطيع إيقافه، و مولان بدايته. " [1136]

فرحات عباس في جولاته عبر الدول حقق انتصارات دبلوماسية عظيمة للجزائر في الصين، و روسيا، وحتى في الولايات المتحدة الأمريكية حيث ساند السيناتور الأمريكي " جون كينيدي " الثورة الجزائريـــة. [1137] وأصـــبحت فرنسا في موقف حرج أمام ازدياد انتصارات جيش التحرير الوطني عسكريا، وازدياد تلاحم الشعب الجزائري حـــول جبهة التحرير الوطني وتمسكه بها، كممثل وحيد له، وكان كذلك دور كبير للنشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة في كشف سياسة الجنرال " دي غول " الجهنمية تجاه الثورة الجزائرية من قتل المدنيين الأبرياء، إقامة المحتشدات، إنشـــاء مناطق محرمة، إتباع سياسة الأرض المحروقة...

لقد أعطت مظاهرات 11 ديسمبر دعما شعبيا قويا لجبهة التحرير الوطني للتفاوض من مركز قـــوة، لكـــن المشاكل تظهر مرة أخرى بين قادة الثورة، وهذه المرة بين هيئة الأركان العامة برئاسة العقيـــد هـــواري بومـــدين، والحكومة المؤقتة بسبب قضية الطيار الفرنسي الذي أسقطت طائرته من قبل جيش التحرير الوطني في جـــوان 1961 على التراب التونسي، ووقع طيارها أسيرا عند جيش الحدود، تدخل الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، وفرحات عباس لدى هيئة الأركان العامة لإطلاق الطيار الفرنسي الأسير، رفض هواري بومدين ذلك الطلب، وأمام إصرار فرحات عباس وتدخل العقيدين بوالصوف، وبن طوبال من أجل تنفيذ قرار الحكومة المؤقتة العقيد بومدين قدم استقالته مـــن قيادة هيئة الأركان العامة، وتبعه نوابه الرائد عزالدين، علي مجلي، والرائد سليمان (قايد أحمد)، اتهـــم بومـــدين في استقالته الحكومة المؤقتة بخروجها عن مبادئ الثورة، وتخلي فرحات عباس عن تلك المبادئ، وأرسل العقيد بومـــدين شابا، ذكيا [1138] إلى فرنسا هو " عبد العزيز بوتفليقة باسم مستعار " إدريس بوخرطة "[1139] للبحث عن حليـــف من المساجين الخمسة، وتوجه أولا إلى بوضياف، ولكنه رفض مساندة هيئة الأركان العامة، وأدان عصيانها، فتوجـــه بوتفليقة إلى بن بلة الذي قبل العرض مباشرة ليكون تحت مسؤولية قيادة هيئة الأركان العامـــة. [1140]

[1136] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 331

[1137] نفس المرجع، ص: 201

[1138] نفس المرجع، ص: 206

[1139] علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999، ص: 282

[1140] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 355-356

" كان بومدين ميالا إلى بوضياف، ولكن مرسوله، عبد العزيز بوتفليقة نصحه بتبديل " الفرس "، والمراهنة على ابن بلة، لأن الأول عنيد، وصارم. " [1141]

يقول فرحات عباس عن ذلك: " هذا التحالف بقي سريا، وفرض ثقله على مستقبل الوطن." [1142]

مع بداية ظهور فكرة قبول التفاوض، ازدادت حمى الصراع على السلطة، ودخل بومدين في صراع ضد كريم بلقاسم وسانده في ذلك العقيدين بوالصوف، وبن طوبال، مؤامرات، اتهامات، فرحات عباس رفض منذ البداية الدخول في هذا الصراع، كان هدفه استقلال الجزائر، وقد فرض العقداء نفوذهم على الحكومة المؤقتة، وفي اجتماع المجلس الجزائري المنعقد ما بين 9 و 27 أوث 1961 بطرابلس اتهم قايد أحمد، ومنجلي المفاوضون في إيفيان بمحاولة (تصفية الجزائر)، ودافع كريم بلقاسم بقوة عن رأيه ومعه بقية الوفد المفاوض، فقدّما قايد أحمد، ومنجلي استقالتهما من الوفد، وتعقدت الأمور داخل الاجتماع، واتفق الجميع على تعيين كريم بلقاسم مكان فرحات عباس، لكن بومدين رفض بشدة تعيين كريم بلقاسم في ذلك المنصب، وأيده في ذلك بوالصوف، وتم الاتفاق على تعيين بن يوسف بن خدة، مكان فرحات عباس. [1143] وتأسست بذلك الحكومة المؤقتة للجمهورية الثالثة *. [1144] بعزل فرحات عباس منها.

يقول فرحات عباس: " عرض علي منصب وزير دولة، ولكنني رفضته... وتم عزل العلماء، و قدماء (إ. د. ب. ج)... عند اقتراب الاستقلال... وخرجت جبهة التحرير الوطني من هذا المؤتمر الرابع مقسمة، و مجزأة، و أصبح الطريق من جديد مفتوح على الصراع... تحررت من مهمتي، واستجبت لدعوة صاحب الجلالة

[1141] نفس المرجع والصفحة.

[1142] Ferhat Abbas, L’ indépendance confisquée, op.cit, p : 45

[1143] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 209

*

رئيس المجلس الوزاري وزير المالية والشؤون الاقتصادية	بن يوسف بن خدة
نائبا للرئيس ووزيرا للداخلية	بلقاسم كريم
نائبا لرئيس المجلس	أحمد بن بلة
نائبا لرئيس المجلس	محمد بوضياف
وزير دولة	حسين آيت أحمد
وزير دولة	رابح بيطاط
وزير دولة	محمد خيضر
وزير دولة	لخضر بن طوبال
وزير دولة	السعيد محمدي
وزير الشؤون الخارجية	سعد دحلب
وزير التسليح والاتصالات العامة	عبد الحفيظ بوالصوف
وزير الإعلام	امحمد يزيد (بن يوسف بن خدة، المرجع السابق،ص: 54)

[1144] بن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص: 54

المغربي، وأَقَمْتُ بالرباط ابتعدت بفرح عن تونس، ومركز الحكومة المؤقتة، والمؤامرات... ووضعت نقطة شرف بـــأن لا أعطل مهامها مهما كانت الظروف. "[1145]

فهو رجل لا يحب الانتقام وليس من طبعه ذلك، وأقسم على نفسه بأن لا يلجأ إلى طرق غير شريفة لتعطيل مهام الحكومة المؤقتة الثالثة، ولكن ما أقلقه أكثر ليس عزله من الرئاسة ولكن تهمة ابن يوسف بن خـــدة لفرحـــات عباس، والعلماء بـــ " الانتهازية " [1146] وعاد ابن خدة إلى عادته القديمة التي تعلمها من المركزيين قبل انضمامه إلى الثورة، إلقاء التهم على الرجال المخلصين من أجل منافع شخصية.

انضم فرحات عباس إلى الثورة عن قناعة تامة كان هدفه يتمثل، في فضح الأساليب الجهنمية التي كان يقوم بها الجيش الفرنسي في الجزائر للعالم، باحثا عن الدعم والمساندة العالمية للثورة الجزائرية، وممثلا دبلوماسيا مخلصا لجبهة التحرير الوطني، تحمل مسؤوليته كاملة تجاه الثورة الجزائرية.

[1145] Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 318
[1146] Ferhat Abbas, L' indépendance confisquée, op.cit, p : 49

المبحث الرابع

موقفه من اتفاقية إيفيان

اعتقدت فرنسا بأن قوتها العسكرية الضخمة قادرة على سحق الثورة الجزائرية، و لم تعترف بجبهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري، فكان على فرنسا أن تتكبد خسائر فادحة سياسيا واقتصاديا و اجتماعيا، وحتى عسكريا، فجيوشها ذات العتاد العسكري المتطور لم تستطع القضاء على الثورة بعد كل هذه الخسائر، واستمرارية الثورة، والتفاف الشعب الجزائري حولها اضطرت فرنسا مجبرة بقبول مبدأ التفاوض مع جبهة التحريرالوطني.

في هذا المبحث سنتعرف على المفاوضات التي بدأتها الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الأولى، والحكومة المؤقتة الثانية في عهد رئاسة فرحات عباس لهما.

كيف كان موقف فرحات عباس من المفاوضات، و رد فعله من محاولة فرنسا فصل الصحراء الجزائرية عن الجزائر ؟ وما هو موقفه من اتفاقية إيفيان التي جرت في عهد الحكومة المؤقتة الثالثة برئاسة ابن يوسف بن خدة ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المبحث.

صرح فرحات عباس بعد تأسيس الحكومة المؤقتة بشهر واحد فقط بقبول مبدأ التحاور مع فرنسا بدون شروط مسبقة لإعطاء الدليل لفرنسا والعالم بأن هدف جبهة التحرير الوطني هو تحرير الجزائر من الاحتلال والكفاح المسلح الذي تخوضه الجزائر ما هو إلا وسيلة لتحقيق الاستقلال، أما الجنرال " دي غول " فقد ناور مستعملا كل الوسائل الجهنمية للقضاء على الثورة الجزائرية، مع استمراره في سياسة عدم الاعتراف بجبهة التحرير الوطني، والتفاوض معها باحثا عن مفاوضين جزائريين لا ينتمون لجبهة التحرير الوطني، بعد مضي أكثر من سنة ونصف من إعلان فرحات عباس عن قبول مبدأ التفاوض مع الحكومة الفرنسية، وقد تم لقاء بين وفد عن الحكومة المؤقتة، والحكومة الفرنسية بمولان في 20 جوان 1960، ولكن المفاوضات باءت بالفشل بسبب تعنت الحكومة الفرنسية كما مر علينا معتقدة بأنها ما زالت قوية ولن تقبل بالرضوخ لجبهة التحرير الوطني.

أما المظاهرات الشعبية ليومي 10 و 11 ديسمبر 1960 في الجزائر، والشعارات التي حملتها " يحيا عباس"، " تحيا الحكومة المؤقتة "، " الجزائر مسلمة " وحاملة العلم الجزائري، لكن الجيش الفرنسي أطلق النار على المدنيين

العزل، واستشهد 112 من المتظاهرين.[1147]

كان لهذه المظاهرات تأثير عالمي كبير، استغله فرحات عباس ووجه رسائل إلى معظم الشخصيات الدولية، والمنظمات الدولية الفاعلة في السياسية العالمية منها منظمة الأمم المتحدة، واللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي، ورئيس وزراء الهند، و الرئيس السوفيتي، والرئيس اليوغوسلافي... طالبا منهم التدخل بقوة لوضع حد للإبادة التي يتعرض لها الشعب الجزائري من قبل الجيش الفرنسي، كما وجه نداء للشعب الجزائري مطالبا منه مقاطعة الاستفتاء الذي سيجرى يوم 8 جانفي 1961.[1148]

وفي المؤتمر الأفريقي المنعقد بالدار البيضاء بالمغرب مابين 3 و 6 جانفي 1961.[1149] دعا فرحات عباس المؤتمرين إلى قطع علاقاتهم مع فرنسا، ووجهه نداء إلى الدول الأفروآسيوية طالبا منهم إزالة القواعد العسكرية الأجنبية الموجودة فوق أراضي دولهم، والاعتراف بالحكومة المؤقتة، والسماح بمرور الأسلحة إلى الجزائر على أراضيها، وسحب الجنود الأفارقة الذين مازالوا في الجيش الفرنسي منددا بسياسة تقسيم الجزائر " لا وجود لصحراء فارغة " هنالك صحراء جزائرية، ومغربية، ومالية... وندد كذلك بالحلف الأطلسي، وبسياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الثورة الجزائرية، والاستفتاء الفرنسي، وقدم شكوى لدى المحكمة الدولية بلاهاي فيما يتعلق بقضية تحويل الطائرة التي كان على متنها القادة الجزائريون الخمس[1150] ويذكر الصحفي الفرنسي " جون لاكوتير " أن فرحات عباس قال له فيما يخص المفاوضات مع فرنسا: " إن مطالب المجاهدين في الجبال كثيرة، فهؤلاء عانوا كثيرا، أتريدون مني أن أخدعهم ؟ و أجري مفاوضات بدون ضمانات كافية، لكي يقولوا علي هناك: انتهى عباس العجوز، ها هو قد عاد إلى أفكاره الأولى، وهي الوفاق مع فرنسا بأي ثمن. "[1151] فهذه الأفكار قد تجاوزها فرحات عباس، وأصبح في هذه الفترة لا يعبر عن مشروع سياسته القديمة، وإنما يتكلم باسم جبهة التحرير الوطني.

هل يتنازل فرحات عباس لإرضاء " دي غول "، ويعود إلى مطالبه خلال الثلاثينات بدمج الجزائر بفرنسا؟ فهو في تعليقه هذا عبّر عن ارتباطه الوثيق بالمجاهدين، وليس بفرنسا فالمفاوضات في نظره يجب أن تلبي مطالب المجاهدين، والشعب الجزائري، وتحرير كل التراب الجزائري من الاحتلال، وتأسيس جمهورية جزائرية ذات سيادة. وقد وجه نداء إلى سكان الجزائر كلهم بدون تمييز يوم 17 فيفري 1960 يطلب منهم التعاون من أجل بناء

[1147] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 338

[1148] ibid.

[1149] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص:205

[1150] ibid. p : 340

[1151] Jean Lacouture, op.cit, p p :322-323

الجمهورية الجزائرية فانتصار الثورة الجزائرية هو انتصار وسلام لكل الجزائريين بدون استثناء.[1152] أما نشاطه الدبلوماسي في كل القارات (ماعدا القارة الأوقيانوسية) حيث زار تقريبا كل دول العالم، وتمكن من كسب العديد من الدول إلى جانب الثورة الجزائرية، ومظاهرات 11 ديسمبر 1960 والشعارات التي حملتها وقوة جيش التحرير الوطني وانتصاراته الكثيرة على الجيش الفرنسي أعطت كل هذه العوامل دعما قويا لفرحات عباس لكي يتفاوض من مركز قوة، وأصبح و هو في سن 62 من عمره الشخصية السياسية الجزائرية الأولى، فهذا الدعم القوي جعله قويا أمام أعدائه بالإضافة إلى كونه " سياسيا محنكا ".[1153] قادرا على التفاوض مع الحكومة الفرنسية بكل ثقة وحزم. فبعد عودته إلى القاهرة من جولة دبلوماسية زار خلالها جاكرتا، و سنغافورة، و ماليزيا، و سيلان، اتصل بالشيخ الإبراهيمي، وتحاور معه حول المفاوضات مع الحكومة الفرنسية، فنصحه الشيخ بمباشرتها، وبناء على تلك النصيحة، كلف فرحات عباس، سعد دحلب، والطيب بولحروف، للاتصال بممثلي الحكومة الفرنسية من أجل أجراء مفاوضات.[1154] كان يريد فرحات عباس أن يضع حدا لوقف الحرب وسفك الدماء لكن بشرط تطبيق مبادئ بيان أول نوفمبر 1954، وعدم الخروج عنها.بدأت يوم 20 فيفري 1961 المفاوضات في " لوسرن "* (Lucerne) بسويسرا، ومثّــل الجزائر الطيب بولحروف، وأحمد بومنجل، ومن الجانب الفرنسي" جورج بومبيدو " (Georges Pompidou) ممثل " دي غول "، و" لويس جوكس "(Louis Joxe)، و " برونو دي لوس " (Bruno de Leusse) [1155] ملفات المفاوضات حضرت بعناية ودقة تناولت شروط إجراء الاستفتاء، والضمانات التي ستقدم للأوروبيين في الجزائر بعد استقلالها، وجود الجيش الفرنسي في الجزائر، التعاون بين الدولتين، المرسى الكبير، ومشكل الصحراء.[1156] كان " جورج بومبيدو " متشددا، و بقي متمسكا بأطروحة أن فرنسا قوية وأن معركة " ديان بيان فو " لن تكون في الجزائر، ومتسائلا عن الضمانات التي ستمنح للأوروبيين والمسلمين الموالين لهم (الحركة) متهما الجزائريين بعدم قدرتهم على حمايتهم، وأن هؤلاء سوف يتعرضون إلى التصفية، وقد اعترض بومنجل بشدة على الجملة الأخيرة، (يتعرضون إلى التصفية) وأشعل بولحروف سيجارة (كان ذلك شهر رمضان) موضحا بأن الإسلام متسامح، وليس كما يراه الفرنسيون، رفض " جورج بومبيدو " طرح مشكل الصحراء الجزائرية في المفاوضات قائلا: " الصحراء بحر داخلي، و على ضفافه سكان كثيرون، والجزائر ليست وحدها في ذلك."[1157]

[1152] Rédha Malek, op.cit, p : 56

[1153] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 340

[1154] ibid. p : 341

[1155] Rédha Malek, op.cit, p p : 90- 91

[1156] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 341

* انظر التوصيات التي قدمها فرحات عباس للمفاوضين الجزائريين عشية لقائهم بممثلي الحكومة الفرنسية في ملحق الوثائق رقم: **05**

[1157] Rédha Malek, op.cit, p p : 93-94

وتوقفت المفاوضات بسبب تمسك الوفد الفرنسي بالصحراء الجزائرية ورفض الوفد الجزائري ذلــك، وهــذا التصريح الأخير لــ " جورج بومبيدو " فتح جشع وطمع جارنا الحبيب بورقيبة، الذي طالب بتوسيع الحدود التونسية على حساب صحرائنا مستغلا بذلك الظرف العصيب الذي كانت تمر به بلادنا. [1158]

أما الملك المغربي الحسن الثاني فقد أكد لفرحات عباس بأن قضية الحدود بين الجزائر والمغرب لا تخص فرنسا وإنما هي من اختصاص الجزائر والمغرب فقط. [1159] هل كان " جورج بومبيدو " من وراء ذلك التصريح يريد إدخال الجزائر عند حصولها على استقلالها في مشاكل مع جيرانها في حالة ما إذا لم تستطع فرنسا إبقاء الصحراء تابعة لهـا ؟ هل هي بداية التخطيط لزرع بذور الصراع على الحدود مع جيراننا ؟

عادت المفاوضات من جديد بين الوفدين الجزائري والفرنسي يوم 5 مارس 1961، وتحصـل المفاوضـون الجزائريون على تسهيلات حيث سمح لهم بمشاورة أحمد بن بلة، أما فرحات عباس في هذا اليوم فكــان في المغــرب للمشاركة في تشييع جنازة الملك محمد الخامس، وكان معه كريم بلقاسم. [1160]

وقد ألح الوفد الفرنسي على وقف القتال لإجراء المفاوضات، لكن الوفد الجزائري رفــض ذلــك الطلــب، فتوقفت المفاوضات. [1161]

أمام مناورات الحكومة الفرنسية من أجل الضغط على الحكومة المؤقتة ومحاولة كسبها التأييد العالمي باتهــام الحكومة المؤقتة بأنها هي الرافضة للسلم، يصرح فرحــات عباس قائلا: " الحكومة المؤقتة بقيت متمسكة بالســلم، وتعمل من أجل إيقاف الحرب، وكذلك جرائم منظمة الجيش السري، و إنقاذ شعبنا في الجزائر كلــه، فــالعودة إلى الحوار هي حل لهذه المشاكل، وحكومتنا قبلت بمبدأ التفاوض." [1162] لقد ألقى اللوم على الحكومة الفرنسية، متهما إياها برفضها لإيجاد حل.

وفي عهد رئاسة فرحات عباس للحكومة المؤقتة الأولى والثانية جرت مفاوضات إيفيان الأولى ما بين 20 ماي و 13 جوان 1961 في مدينة إيفيان (Evian) وتوقفت لمدة خمسة أسابيع لتنطلق مرة أخرى ما بين 20 و 28 جويلية 1961 بــ " لوغران " (Lugrin)، ثم استمرت المفاوضات في عهد الحكومة المؤقتة الثالثة في عهد رئاسة ابن يوســف بن خدة، وكانت سرية في نهاية 1961 وبداية 1962، تبعتها فيما بعد مفاوضات سرية أخرى في "روس" (Rousses) ما بين 2 و 12 فيفري 1962، أما الجزء الثاني من مفاوضات إيفيان فكان ما بين 7 و 18 مارس بــــ " إيفيــان " وانتهى بالاتفاق على وقف إطلاق النار. [1163]

(1158) ibid. p : 152
(1159) ibid. p : 158
(1160) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 341
(1161) Rédha Malek, op.cit, p : 98
(1162) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 315
(1163) Rédha Malek, op.cit, p : 120

و عن اتفاقيات إيفيان الأولى يقول فرحات عباس: " لم تؤد إلى شيء إيجابي، الحكومة المؤقتة بقيت متمسكة بصفة قطعية بأربعة مطالب هي:

1- لا وقف للحرب، قبل الاتفاق السياسي.

2- الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر.

3- المرسى الكبير، و رقان، وكل ما يمس بأمن فرنسا، يكون موضوعا خاصا، ومحددا في الزمن.

4- ضمان وحدة الشعب الجزائري بكل عناصره، مع إعطاء الضمانات لفرنسيي الجزائر. " (1164)

في الظروف الصعبة التي كانت تجري فيها المفاوضات كثفت منظمة الجيش السري من عملياتها الإجرامية في الجزائر. (1165) لكي تضغط على الجنرال "دي غول" لوقف المفاوضات.أما قيادة الأركان العامة برئاسة العقيد هواري بومدين عملت ضد الحكومة المؤقتة لعزل فرحات عباس من الرئاسة، ومحاولة العقيد بومدين قائد الأركان جمع السلطات العسكرية والسياسية بيده، حيث قدم استقالته كما مر علينا بسبب إعطاء الحكومة المؤقتة أمرا له بإطلاق سراح الطيار الفرنسي الأسير، يقول فرحات عباس: "حينما التقيت بالرائد سليمان ذكرته بالمثل العربي: عندما لا يجد الراعي ماذا يفعل، يكسِّر عصاه " (1166) لقد تمكن معارضو فرحات عباس من عزله عن الحكم، و لم يستطع إتمام المفاوضات التي بدأها حكومته وتأتي بعده الحكومة المؤقتة الثالثة برئاسة ابن يوسف بن خدة، ويستمر في نفس الخطة التي وضعتها حكومة فرحات عباس للتفاوض، حيث تم التوصل يوم 18 مارس 1962 إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، يوم 19 مارس على الساعة 12:00 نهارا، وبذلك تنتهي الحرب رسميا في الجزائر، ويعبر فرحات عباس عن ذلك بقوله: " ليل الاحتلال انتهى، وغدا الفجر، والحرية. " (1167) كيف كان موقف فرحات عباس من اتفاقية إيفيان ؟

عرضت الحكومة المؤقتة نص اتفاقية إيفيان على القادة السياسيين والعسكريين للمصادقة عليها، وتقديم اقتراحاتهم حولها، وقد وقَّع فرحات عباس لصالح اتفاقية إيفيان، مع إبداء ملاحظة له وهي: " مولان، و إيفيان، و لوغران " (جرت في عهد رئاسته للحكومة المؤقتة) لم تكن مفاوضات، لكن لقاءات لتمكين ثورتنا من فرض شروطها، وتحضير الشعب الفرنسي للمفاوضات... الحكومة كان أمامها كل الوقت من أجل ربح معركة البساط الأخضر... درست الملف جيدا، و لم أجد فيه سوى إصلاحات، و وعود... وعود تعطينا الاستقلال بصفة قطعية، ووعود معلقة حسب إرادة الجنرال "دي غول" ! " (1168) يظهر من تصريحه أنه يوجه انتقادا لاذعا لابن خدة

(1164) Ferhat Abbas, Autopsie d’ une guerre, op.cit, p p : 315-316
(1165) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 345
(1166) Ferhat Abbas, Autopsie d’ une guerre, op.cit, p : 316
(1167) ibid. p : 321
(1168) Rédha Malek, op.cit, p p : 227-228

الذي لم يستطع إضافة شيء للمفاوضات التي بدأها فرحات عباس، وكانت كل الظروف الداخلية والخارجية مناسبة للضغط على فرنسا من أجل تقديم تعويضات مادية للجزائر، ومد يد العون للجزائريين لتجاوز الصعوبات والمشاكل الناتجة عن الاحتلال والثورة.

وقد ألح فرحات عباس في ملاحظاته حول اتفاقية إيفيان على الاستقلال الاقتصادي قائلا: " ليس لنا الحق أن نقول أن لنا راية، وحكومة، وبرلمان، بالنسبة للفلاح يجب أن يكون الاستقلال الاقتصادي لقد سمعت فقراء تـــونس يقولون بأن زمن فرنسا أحس مما نحن فيه الآن، لا نستطيع أن نحكم شعبا بواسطة الشعارات، يجب ألا يحدث ذلـــك، غدا حكومتنا تجلس على الأرائك، وشعبنا يموت بالجوع، أتمنى، وأرجو أن يكون في هذا النص (نص اتفاقية إيفيان) بذرة الثورة الاجتماعية. " (1169)

كما رفض أربع شخصيات التوقيع على اتفاقية إيفيان وهم: بومدين، و قايد، و منجلي، من هيئة الأركـــان العامة، وعضو مـــن مجلس الولاية الخامسة الرائد ناصر (اسمه الحقيقي بويزام)، وعبر بومدين عن رفضه الموافقة على اتفاقية إيفيان بقوله: " إن نتائج سبع سنوات من الحرب لا توجد في النص الذي قدم لنا، هدف الاستقلال لم نصـــل إليه. " (1170)

عارض بومدين اتفاقية إيفيان جملة وتفصيلا، وفرحات عباس وافق عليها، لكنه قدم اقتراحات إضافية لـــنص اتفاقية إيفيان، معترفا بالاستقلال السياسي للجزائر الذي نصت عليه، ومنتقدا السياسية الاقتصادية والاجتماعية الـــتي وردت في اتفاقية إيفيان.*

الاستقلال السياسي في نظره إذا لم ينهض بالفقراء ويهتم بتحررهم من ظلـــم الإقطـــاعيين، و تعلـــيمهم، وتكوينهم... هو استقلال منقوص السيادة، فهو لم يستطع أن يتخلى عن الفلاحين والفقـــراء منـــذ بدايـــة نضـــاله السياسي، و لم يكن يهدف من وراء ذلك الوصول إلى مناصب سياسية بواسطة هؤلاء الفلاحين، فتلك قناعته التي آمن بها، ودافع عنها طوال نضاله السياسي، وهذه القناعة هي التي جعلته يتخلى عن مشروعه السياسي، وينضم إلى جبهة التحرير الوطني من أجل تحقيق استقلال الجزائر، وبناء دولة جزائرية ذات سيادة قائمة علـــى الديمقراطيـــة والعدالـــة الاجتماعية طبقا لما نص عليه بيان أول نوفمبر 1954.

(1169) ibid. p: 228
(1170) ibid. p : 230

* للإطلاع على نصوص اتفاقية إيفيان انظر ابن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص ص: 85-128

الفصل السابع:

فرحات عباس في ظل الاستقلال الوطني.

المبحث الأول: موقفه من صراع صائفة 1962.

المبحث الثاني: فرحات عباس الرئيس الأول للمجلس الوطني التأسيسي.

المبحث الثالث: موقفه من النظام الاشتراكي.

المبحث الرابع: موقفه من الميثاق الوطني 1976.

المبحث الخامس: وفاته.

الفصل السابع

فرحات عباس في ظل الاستقلال الوطني

تعتبر الثورة الجزائرية من أعظم الثورات في العالم التي عرفها القرن العشرين فهي فريدة في عصرها سواء من حيث حسن تنظيمها وعدم انقسامها، أو من حيث مواجهتها لاحتلال استيطاني، أو من حيث نسبة عدد الشهداء الذين قدموا أنفسهم من أجل أن تحيا الجزائر مستقلة، فقد بلغت نسبتهم 15% من مجموع الشعب الجزائري (10 ملايين نسمة في تلك الفترة) وهذه النسبة المرتفعة من الشهداء لم تصل إليها أية دولة في العالم خلال حروبها وثوراتها. وقد عرفت ثورتنا صورا خالدة من البطولات، و التضحيات العظيمة، والفريدة من نوعها، لقد بقيت متماسكة منذ بدايتها إلى نهايتها لم تحدث فيها انقسامات برغم محاولات المخابرات الفرنسية اختراق صفوفها، ومحاولة السياسيين الفرنسيين كذلك خلق جبهة ثالثة مضادة للثورة، واعتماد الجيش الفرنسي على جنرالات كبار تخرجوا من المعاهد العسكرية النظرية، ومن الميادين التطبيقية القتالية الحرب الكونية الثانية، و معركة " ديان بيان فو " ، وامتلاكهم ترسانة كبيرة من الأسلحة المتطورة والمساعدات العسكرية التي قدمها الحلف الأطلسي للجيش الفرنسي، واستعماله الأسلحة المحرمة دوليا ضد الشعب الجزائري (الأسلحة الكيماوية- النابالم، مازالت آثارها باقية لحد الآن في بعض الجهات من الوطن)، ولكن كل ذلك باء بالفشل الذريع أمام شعب سلاحه القوى إيمانه بالله، و الوطن، فكل الأسلحة الفرنسية، وجيشها و دي غولها، انكسرت أمام إرادة الشعب الجزائري.

ومن عظمة الثورة الجزائرية أن الخلافات التي كانت موجودة بين قادة الثورة، بقيت طوال مدتها سرا على الجنود البسطاء، وعلى الشعب الجزائري، وهذا شيء عظيم تصارعوا، واختلفوا، وحدثت حتى اغتيالات، ولكن الهدف لم يختلف أي أحد منهم عليه، وهو استقلال الجزائر.فالأخطاء التي وجدت أثناء الثورة بين القادة كان لها ربما ما يبررها فالمسؤولية التي تحملوها عظيمة جدا فهم مسؤولون أولا أمام ضمائرهم، وأمام الله، وأمام الشعب الجزائري، والتاريخ، والإنسان أحيانا ضعيف متسرع، فكان من نتيجة ذلك حدوث اختلافات وهو شيء طبيعي في مثل ثورة مثل الثورة الجزائرية. هذه الاختلافات كان لها أن تنتهي باستقلال الجزائر مباشرة لأنها حدثت بين إخوة اشتركوا في هدف واحد، ولكن بعض الأشخاص من القادة أغوتهم السلطة، فاستمروا في صراعهم إلى ما بعد الاستقلال، وكاد أن يؤدي إلى حدوث حرب أهلية لو لا وجود بعض العقلاء، ورفض الشعب الجزائري السير وراءهم، فهدفه قد حققه، وهو خروج الاحتلال، واستقلال الجزائر، أما الصراع بين القادة فنظر إليه الشعب الجزائري في تلك الفترة نظرة احتقار وخرج في مظاهرات مناديا بـ " سبع سنين بركات " ، و لم ينضم إلى أي فريق متصارع على السلطة، فبقي هذا الصراع كما كان في الثورة محصورا بين القادة، لكن هذه المرة مختلف في الهدف .

المبحث الأول

موقــفه من صراع صائفة 1962

انتقل الصراع بين القادة إلى ما بعد الاستقلال، و لم يستطع بعض الأشخاص التخلص من خلفيتهم التاريخية، ولا من أنانيتهم، وحبهم للسلطة هذا الصراع المأساوي الذي حدث بين الإخوة المتصارعين على السلطة، كـــاد أن يؤدي بإدخال الجزائر في حرب أهلية.

وفي هذا الفصل نتعرض إلى بعض خلفيات ذلك الصراع، وموقف فرحات عباس منـــه ، وســـنعرف إلى أي طرف مال، ومبرراته في ذلك.

يفسر فرحات عباس ذلك الصراع الذي حدث في صائفة 1962 بقوله: " إن ثورتنا ارتكبت أخطاء جسيمة، واستمرت إلى ما بعد الاستقلال، ويرجع ذلك إلى نفسية بعض المقاتلين وقادتهم التي كانت في غالبيتها نفسية الأميين، وعندما أصبحت السلطة تمارس من هؤلاء الأميين الذين لا يعرفون القراءة، والكتابة، خافوا زوال السلطة من أيديهم، وعندما تأتي الأوامر للمقاتلين من هؤلاء الأميين، نجد تفسيرا لبعض الحوادث.[1171] فهو يُرجِّع ذلـــك الصـــراع إلى الجهل الذي يجعل الإنسان متعصبا لرأيه ولو كان على خطأ، والثورة الجزائرية مكنت بعض الأميين من الوصـــول إلى مراكز هامة في القيادة بسبب وطنيتهم، لكن ثورة البناء والتشييد، وإدارة وتسيير الموارد البشرية فإنها تحتاج إلى رجال مثقفين ومخلصين للوطن، فالإخلاص والثورية وحدهما غير كافيان لمرحلة البناء والتشييد.

ويُرجِّع خلفية الصراع الذي ظهر بعد الاستقلال إلى مؤتمر المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد بطرابلس، ما بين 25 ماي و 7 جوان 1962. [1172] وفي هذا المؤتمر اشتدت الخلافات بين المساجين الخمسة بعد الزيارة التي قـــام بها أحمد بـــن بلة إلى القاهرة، و لقائه بجمال عبد الناصر، فنتج عن ذلك صراع حاد بينه وبين كريم بلقاسم، ومحمد بوضياف، و آيت أحمد، الذين رفضوا سلوك أحمد بـــن بلة، و لم يتفق معه سوى محمد خيضر. [1173] فالصراع كان من أجل السلطة و الزعامة، وفتح بذلك المجال" للمطامح الشرسة ".[1174]

يقول فرحات عباس عن هذا المؤتمر: " كنت مشاركا في مؤتمر طرابلس، وكان مؤتمرا لتصفية الحسابات،

[1171] Ferhat Abbas, l’ indépendance confisquée, op.cit ,p : 41

[1172] علي كافي، المرجع السابق، ص: 288

[1173] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 213

[1174] علي كافي، المرجع السابق، ص: 289

فهو بدون شرف، ولا عظمة، انحطت المداخلات فيه إلى الشتم، والكلام البديئ، في وقت كانت فيه منظمات الجيش السري تكثف من عملياتها الإجرامية في الجزائر، ابن خدة رئيس الحكومة المؤقتة، و وزرائه تركوا طـــرابلس، وتوجهوا إلى تونس، في نظرهم ذلك هو الحل الوحيد لوقف قرارات المجلس الوطني للثورة الجزائرية.[1175] و لم يكـــن قادرا على اتخاذ موقف لوضع حد لذلك الصراع وشتم أحمد بـــن بلة له أمـــام المجتمعين [1176]

و يتساءل فرحات عباس عن عـــدم لجوء المؤتمرين إلى بيان أول نوفمبر الذي حدد أهداف الثورة الجزائرية ؟ [1177] ولو رجعوا إليه لجنبوا أنفسهم والجزائر من ذلك الصراع، لأن بيان أول نوفمبر نص على تأســـيس جمهوريـــة جزائرية ديمقراطية اجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية.

رجع فرحات عباس ليسأل بوضياف عن أسباب خلافه مع ابن بلة في ذلـــك المـــؤتمر، فيقـــول: " أجـــابني بوضياف: إن ابـــن بلة رجل مستحيل، يريد أن يبقى وحده، وسيبقى، وأنت أيضا ستتخلى عنه. " [1178] يظهر من خلال إجابة بوضياف أن فرحات عباس كان إلى جانب ابن بلة، و لم يعلن عن ذلك في مذكراته، إلا بعد انتقالـــه إلى تلمسان مبررا ذلك الميل بهدف وضع حد للحرب الأهلية التي بدأت ملامحها بارزة.

وفي مؤتمر طرابلس تمت المصادقة على البرنامج السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي بالإجماع دون أية مناقشة أو معارضة الذي يحمل طابعا إيديولوجيا ماركسيا، ولكن حدث خلاف كبير في هذا المؤتمر عندما حان موعد انتخاب المكتب السياسي الذي سيشرف على تسيير البلاد، حيث فتح الأبواب على مصـــراعيها أمـــام الأطمـــاع الشخصية حيث وسادت الفوضى والاتهامات و الشتم... وغادر الكثير من المشاركين المؤتمر دون التوقيع على محضر انتخاب المكتب السياسي. [1179]

بعد هذا الاجتماع، أذاع الراديو التابع لهيئة الأركان العامة من الحدود التونسية معلومات خاطئة ومتحزبـــة، وذلك يوم 30 جوان 1962. [1180] تهدف إلى تطبيق إستراتجية أحمد بن بلة حـــول ضـــرورة تحطـــيم الحكومـــة المؤقتة.[1181]

إن المعلومات التي أذاعها الراديو أزعجت الحكومة المؤقتة، وأعلن بن خدة عن حل قيادة الأركـــان العامـــة، ولكن قراره جاء متأخرا وانقسمت (ج. ت. و) إلى فئتين متصارعتين، ولكل فئة مناصروها من المجاهدين وهما:

[1175] ibid. p : 48

[1176] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 215

[1177] ibid. p : 45

[1178] ibid. p : 49

[1179] رابح لونيسي، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين، والسياسيين، دار المعرفة، الجزائر، 1999، ص ص: 59-60

[1180] ibid. p : 49

[1181] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 216

- الفئة الأولى: وتضم الحكومة المؤقتة برئاسة ابن يوسف بن خدة، ومعها الولاية الثانية، والثالثة، والرابعـــة، وفيدرالية فرنسا لـــ (ج. ت. و)

- الفئة الثانية: وتضم قيادة الأركان العامة بقيادة العقيد هواري بومدين، وابن بلة، و معهما الولايـــة الأولى، والخامسة، والسادسة، و جيش الحدود بأسلحته القوية. [1182]

كان بومدين يثق ثقة كاملة في جيش الحدود الذي بدأ في تحضيره لهذا الغرض قبل انفجار الأزمة في مـــؤتمر طرابلس، لأنه يعرف بأن الكلمة الأخيرة تكون دائما للجيش، وليس للسياسيين.

ويقول فرحات عباس: " أمام انقسام جيش التحرير الوطني، والصراع الذي قام بين قدماء مناضـــلي (ح. إ. ح. د) وضعيتي أصبحت صعبة، لم أكن أتصور أن يحدث ذلك الصراع عشية انتصارنا، فالحقد، والطمع الشخصي بدأ خلال مؤتمر طرابلس سنة 1961 بعد انتخاب ابن خدة للرئاسة، فقدماء (إ. د. ب. ج)، والعلماء أبعدوا مـــن تلك الحكومة. " [1183]

إبعاد الشخصيات المعتدلة من دائرة الحكم المؤمنة بالتسامح، والديمقراطيـــة، واحتـــرام الحريـــات الفرديـــة والجماعية، وقيم المجتمع الجزائري العربي الأمازيغي الإسلامي، فقد أجاب أحد الموالين لبومدين وهو منجلي فرحات عباس بقوله:" إنني فاشي، والديمقراطية هي قانون المتواضعين، بينما الفاشية هي حكومة النخبة. " [1184] فهؤلاء يرون أن استشارة الشعب الجزائري لاختيار ممثليه عن طريق الديمقراطية أمر مرفوض عندهم.

ترك فرحات عباس تونس في 29 جوان 1962 وتوجه إلى الجزائر مع عائلته (ابنه عبـــد الحلـــيم وزوجتـــه مارسيل) لكي يكون في الجزائر يوم 1 جويلية وذلك للمشاركة في الاستفتاء حول تقرير المصير، وقد اتصل به منجلي من قيادة الأركان العامة قبل مغادرته التراب التونسي لإعطائه خطة الطريق التي سيسلكها، حيث قضـــى ليلتـــه في الكاف بتونس بين الحدود الجزائرية التونسية، وهناك اتصل به الدكتور بودربة حاملا رسالة له من قائد هيئة الأركان العامة العقيد هواري بومدين * [1185] و مما جاء في هذه الرسالة اعتذار هواري بومدين عن عدم استطاعته الاتصال بفرحات عباس أثناء مغادرته التراب التونسي باتجاه الجزائر، وحذر فيها فرحات عباس من الولاية الثانية بسبب دعاية انتشرت فيها حسب قوله يتهمون فيها فرحات عباس بولائه لأحمد بن بلة، وقيادة الأركان العامة. [1186]

[1182] ibid.
[1183] ibid.
[1184] Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre , op.cit, p : 316

*** انظر ملحق الوثائق، رقم:06**

[1185] Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit ,p : 51
[1186]ibid. p : 52

وفي الغد عندما اتجه فرحات عباس نحو الحدود الجزائرية وجد صديقا عزيزا عليه في انتظاره وهو محمود حكيمي أحد مسؤولي (ج. ت. و) الأوائل الذي تعرض إلى التعذيب من طرف المظليين الفرنسيين، وفرح كثيرا بهذا اللقاء. (1187)

وصل فرحات عباس يوم 30 جون 1962 إلى الجزائر بعد نفي دام 6 سنوات من الغياب، وبكى طويلا عندما وطئت قدماه أرض الجزائر، واستقبل استقبال الأبطال في الولاية الأولى. (1188) وخلال مسيرته من الحدود الجزائرية التونسية إلى سطيف التقى بعدد كبير من قادة جيش التحرير الوطني، وعلى رأسهم العقيد الطاهر الزبيري بباتنة حيث قدمت له فرقة عسكرية من جيش التحرير الوطني السلاح، وأثناء وصوله إلى خنشلة قبل دخوله إلى باتنة استقبله سكانها بحفاوة كبيرة وبالزغاريد، و ومنادين بـ " يحيا فرحات عباس "، " تحيا الجزائر "، وفي هذه المدينة استقبله يهودي بحرارة قائلا له: " الآن يا فرحات ستبني جزائرنا الجديدة. " (1189) وعلى الساعة 22:00 وصل إلى مدينة سطيف، ووجد عشرات الآلاف من سكانها في انتظاره، وكادوا من الفرح أن يرفعوا سيارته فوق رؤوسهم، وتولى الرائد حميمي من الولاية الثالثة حمايته حيث كلف فرقة عسكرية لذلك وفي سطيف اتصل به أقاربه، وأصدقائه من الجزائر، و بجاية، و جيجل، و قسنطينة، و باتنة، و خنشلة، و برج بوعريريج...إلخ وكانت الزيارات متواصلة نهارا وليلا، أما صيدليته فقد خربها جيش الاحتلال، و أغلقت منذ سنة 1957، ومن شرفة بيته الذي منحته له بلدية سطيف خاطب جمهور السطايفية، و الجزائريين بصفة عامة بأن زمن الخصام قد انتهى وبدأت مسؤولية المواطنين، وطلب من فرنسي الجزائر البقاء مؤكدا لهم على ضمان أمنهم وسلامتهم.(1190) وذلك حسب ما نصت عليه اتفاقية إيفيان، وكانت كذلك رغبة فرحات عباس في إبقاء الأقدام السوداء في الجزائر من أجل مشاركة الجميع في البناء والتشييد.

أما الرئيس ابن خدة فقد دخل مع وزرائه إلى الجزائر يوم 7 جويلية 1962، واستقبل بحفاوة كبيرة من قبل سكان العاصمة. (1191)

ومن جهته دخل ابن بلة الجزائر يوم 11 جويلية، ونزل بمدينة تلمسان في فيلا " ريفو " (Rivaud)، واتصل به هناك مصطفى الأشرف، ورضا مالك، وكان معه خيضر، وبومنجل حيث أعلن هذا الأخير عن تأسيس المكتب السياسي الذي اقترحه ابن بلة يوم 6 جوان 1962 بطرابلس، لكن آيت أحمد رفض ذلك، وأعلن بوضياف، وكريم في تيزي وزو عن تأسيس " لجنة الدفاع والتنسيق الثوري "، وعينا المحامي بوزيدا ناطقها. (1192)

(1187) ibid. p : 53
(1188) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 359
(1189) ibid. p : 360
(1190) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit ,p p : 53-54
(1191) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 217
(1192) Rédha Malek, op.cit, p : 266

طلب العقيد بومدين من فرحات عباس أن يتصل مباشرة بتلمسان للتعاون مع جماعة ابن بلة (جماعة تلمسان) بسبب تطور الأحداث، وتعرض الرائد سليمان (نائب بومدين، في قيادة الأركان العامة) في قسنطينة إلى التوقيف والسجن بأمر من العقيد صالح بوبنيدر (صوت العرب) قائد الولاية الثانية، وأعلم بومدين فرحات عباس بقوله: " لو مررت على ولايته لسجنك هذا العقيد مثل ما فعل مع الرائد سليمان. " [1193]

وفي هذه الأيام نفسها دخل جيش الحدود القادم من غار " ديماو " بتونس تمكنت القوات التي كانت تحت قيادة الرائد العربي براجم من تحرير الرائد سليمان، و وضع رئيسه العقيد صالح بوبنيدر، ولخضر بن طوبال في السجن، بعد معركة مع جيش الولاية الثانية، وذلك باسم جماعة تلمسان (ابن بلة، وبومدين) وتأكد جيدا بأن الأمور لم تعد تقبل أي تراجع. [1194]

وتعقدت الأمور وأصبحت الجزائر مقبلة على حرب أهلية حقيقية، وعند وصول فرقة خالد نزار الموالي لبومدين إلى مدينة قسنطينة تظاهر القسنطينيون أمام قواته رافضين انقسام القيادية وهاتفين بالشعار المعروف في ذلك الوقت: " سبع سنين براكات ". [1195] أما الشعب الجزائري لم يدخل في الصراع، وهذا شيء إيجابي جدا يعبِّر عن ترفعه عن الصراعات الشخصية، و تقاتل الإخوة، وتعلقه بالوطن.

وقبل ذهاب فرحات عباس إلى تلمسان، وفي أجواء ملامح بروز الحرب الأهلية زاره الرائد حسان محيوز مع بعض الضباط من الولاية الثالثة، وكان في حالة مضطربة، وقد تكلم على الحرب الأهلية قائلا لفرحات عباس: " إننا مستعدون للقتال ضد إخواننا، إذا كان هذا ضروريا " وفي نفس الوقت هدد الرائد حميمي بتخريب سد خراطة، يقول فرحات عباس: " نصحتهم بالاعتدال، فالحكم غير شرعي، ولن تكون له قيمة إلا إذا كان مضمونا من الشعب."[1196] وفي هذه الظروف الصعبة قرر فرحات عباس الاتصال بجماعة تلمسان آملا في وضع حد للصراع الذي بدأ بين الإخوة مهددا بذلك الجزائر كلها بالحرب الأهلية، وانتقل إلى تلمسان مع العقيد أوعمران، ومعه عائلته، وصديقه محمود حكيمي، وقد مروا على ثلاث ولايات: الأولى، والرابعة، والخامسة، بدون مشاكل، ووصلوا إلى تلمسان، وتوجهوا مباشرة إلى فيلا " ريفو " مركز قيادة بن بلة، وبومدين، واستقبلوا استقبالا أخويا من طرفهما.[1197] وبوصول فرحات عباس إلى تلمسان أعطى دعما قويا لجماعة تلمسان.[1198] نظرا لسمعته الطيبة وحنكته السياسية، و كثرة مناصريه عبر الوطن من جماعة قدماء (إ. د. ب. ج) و الشعب الجزائري.

[1193] Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit ,p : 54

[1194] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 217

[1195] خالد نزار، مذكرات اللواء خالد نزار، منشورات الخبر، دار النشر الشهاب، باتنة، 1999، ص: 53

[1196] ibid. p : 55

[1197] ibid.

[1198] Ali Haroun, L' été de la discorde Algérie 1962, édition, Casbah, Alger, 2000, p : 108

ويصف فرحات عباس الوضع السياسي في فيلا " ريفو " بتلمسان بقوله: " الجو السياسي في فيلا "ريفو " لم يكن جيدا كانت كسوق، مساومات، مؤامرات، اختلافات متبوعة بالتفاهم، بالنسبة إليَّ عملت بكـــل إخـــلاص و بدون خلفيات، ولا حسابات، من أجل تحقيق التفاهم والمحافظة على الوحدة الوطنية... اليوم الذي وصل فيه فـــارس رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة إلى تلمسان كان كل شيء قد نظم. " [(1199)]

ودخل ابن بلة إلى الجزائر العاصمة يوم 25 جويلية 1962 ومكث في فيلا " جولي " (Joly) بالقرب من قصر الصيف (الذي أصبح يعرف فيما بعد ب " قصر الشعب ")، تم تحديد تاريخ 2 سبتمبر 1962 لإجـــراء انتخـــاب المجلس الوطني التأسيسي مع الدستور، وقوائم المرشحين تحددها المجالس الولائية لجيش التحرير الوطني، ويراقبها المكتب السياسي (الذي تأسس في تلمسان). [(1200)] لقد تدخل الجيش بقوة في وضع قائمة المرشحين للمجلس التأسيسي، أما الدور السياسي لجبهة التحرير الوطني فقد سلب منها.

و قد أعلن فرحات عباس عن أسباب وقوفه إلى جانب ابن بلة لمراسل جريدة لومند (Le monde) بتاريخ 20 جويلية 1962 بقوله: " إذا كنت بجانب ابن بلة، فأنني أكون بذلك إلى جانب الشرعية. " [(1201)] هذا التأييد مكنه في ما بعد لكي يكون رئيسا للمجلس الوطني التأسيسي الذي لم يستمر طويلا فيه، لأن الشرعية التي وقف إلى جانبـــها خيـــبت أمله.

كما منحت رئاسة المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني إلى خيضر الذي لم يحصل عليه في مؤتمر طرابلس، وفي بداية أوث تم اتفاق بين كريم، و بوضياف، والعقيد محند الحاج قـــائد الولاية الثالثة على الاعتـــراف بالمكتـــب السياسي، ولكن هذا الاتفاق لم يدم طويلا، وفي يوم 3 أوث جرت أحداث دامية بين جيش الحدود، بقيادة العقيـــد هواري بومدين، وجيش الولايتين الثالثة والرابعة، عند مداخل مدينة البويرة، و المدية، والبليدة، وسقط أكثـــر مـــن 1000 قتيل بين الإخوة، وخرج الشعب إلى الطرقات والشوارع في العاصمة والمدن المجاورة لها مناديا بإيقاف القتال، وهاتفا بــ " سبع سنين بركات " وقد رمى الشباب بأنفسهم أمام الشاحنات العسكرية من أجل تعطيلها وحـــتى لا تتقدم للاقتتال بين الإخوة، وفي يوم 13 أوث توصلت الجهتين المتقاتلتين (الولاية الثالثة والرابعة ضد ابن بلة وبومدين و معهما جيش الحدود) إلى وقف إطلاق النار. [(1202)] مع الملاحظة أن عددا كبيرا من الخونة انضـــموا إلى القـــوى المتصارعة وقد قدر عددهم ابن يوسف بن خدة بــ 180 ألف خائنا* [(1203)] كانوا مع الجـــيش الفرنســـي، كمـــا التحقت بالقوتين المتقاتلتين القوات المحلية والتي بلغت حوالي 400 ألف جندي شكلتها

(1199) Ferhat Abbas, l'indépendance confisquée, op.cit, p : 55
(1200) Rédha Malek, op.cit, p p : 268-269
(1201) Ali Haroun, op.cit, p : 108
(1202) لونسي رابح، المرجع السابق، ص: 66
(1203) Benyoucef Benkhedda, L' Algérie à l' indépendance – la crise de 1962-, édition, Dahleb, Alger, 1997, p : 43

* يظهر أن هذا العدد فيه مبالغة، وقد ضخمه ابن يوسف بن خدة لكي يثبت في نظره أن المتصارعين كان همهم الوصول إلى السلطة بأية وسيلة كانت.

فرنسا بعد توقيف القتال في 19 مارس 1962 للحفاظ على الأمن الداخلي، واختلطت الأمور بين المجاهدين الحقيقيين والمزيفين، وسمح بذلك للانتهازيين لإيجاد مكان لهم في جزائر الاستقلال في مناصب حكومة ابن بلة سواء في الجيش أو في الإدارة أو في حزب جبهة التحرير الوطني. [1204]

وقد تمكن جيش الحدود من السيطرة على الوضع نظرا لتسليحه الجيد، ويقول فرحات عباس عن ذلك: " استطاع بومدين أن يغزو العاصمة، إنها الحرب الوحيدة التي قام بها ".[1205] على كل حال تمكن بومدين من وضع حد للصراع بعد فشل السياسيين في تثبيت سلطتهم، وتوفير الأمن، وبذلك أنقذ الجزائر من شبح الحرب الأهلية.

إن انضمام فرحات عباس إلى جماعة تلمسان كانت له أسباب عديدة: فالسبب الرئيسي الذي ذكره، هو وضع حد للحرب الأهلية التي بدأت تلوح في الأفق وتهدد الجزائر، ووحدة ترابها فهو يدعو دائما إلى التفاهم، ونبذ الخلافات خاصة إذا كانت بين الإخوة، والرجوع إلى التشاور والأخذ برأي الأغلبية، أما عن أسباب عدم وقوفه إلى جانب الحكومة المؤقتة برئاسة ابن خدة، ربما يعود ذلك إلى دسائس، ومؤامرات هذا الأخير مع العقداء الثلاث (كريم، ابن طوبال، بوالصوف) لعزل فرحات عباس من رئاسة الحكومة المؤقتة، وكان لابن خدة دور كبير فيما حدث في صائفة 1962، فهو لم يستطع فرض شخصيته، ولا قانون حكومته على العقداء، فكان ضعيف الشخصية، غير قادر على مواجهة الجيش، الذي تمكن من فرض رأيه على السياسيين، وبذلك فتح المجال أمام الجيش لكي يأخذ السلطة الحقيقية.

وعند دخول ابن بلة إلى العاصمة مع فرحات عباس صرح الرئيس المخلوع ابن خدة: " إن هذه النظرة الخاطئة ستؤدي إلى احتقار دور الفئات الشعبية، وستخلق خطر ميلاد إقطاعية. " [1206] وفي فترة وجيزة اكتشف أن ابن بلة رجل معادي للديمقراطية.

على كل حال إن وقوف فرحات عباس إلى جانب جماعة تلمسان لم يكن هدفه الوقوف إلى جانب أي شخص، وإنما كان الوقوف إلى جانب الجزائر كلها من أجل وضع حد لقيام حرب أهلية، فهو في هذا السن المتقدم (63 سنة) لم يكن يبحث عن أمجاد تخلده، أو مناصب سياسية من أجل تحقيق منافع شخصية، أو تصفية حسابات، وحتى أن اختلافه في هذه المرحلة مع ابن خدة لم يكن لأسباب شخصية محضة، وإنما لعدم قدرة ابن يوسف بن خدة على التحكم في الأوضاع السياسية التي بدأت في زعزعة استقرار الجزائر.

[1204] نفس المرجع، ص ص: 64-65

[1205] Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 59

[1206] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 218

المبحث الثاني

فرحات عباس الرئيس الأول للمجلس الوطني التأسيسي

انتهت الثورة الجزائرية باستقلال الجزائر، وبدأ القادة السياسيون والعسكريون في العمل معا من أجل تأسيس مؤسسات الدولة الجزائرية المستقلة، وكان ذلك وسط صراع ومؤامرات، مع ما خلفته الثورة التحريرية من ظروف صعبة في جميع الميادين وخاصة الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

وفي هذا المبحث سنتعرض إلى الظروف التي جرت فيها عملية تنظيم وانتخاب نواب المجلس الوطني الجزائري، والطريقة التي وصل بها فرحات عباس إلى رئاسته للهيئة التشريعية.

بعد نهاية الاقتتال بين الإخوة تمكن جيش الحدود من دخول العاصمة يوم 13 أوث 1962 وتحول اسمه من جيش التحرير الوطني إلى " الجيش الوطني الشعبي "، واتحد بذلك جيش الداخل وجيش الحدود تحت اسم واحد على أمل أن يتم وضع حد للتفرقة بين الجيشين الداخلي و الخارجي، وبدأ المكتب السياسي في تحضير انتخابات المجلس الوطني التأسيسي مبعدا في ذلك معارضي ابن بلة منه، ووضع قائمة تضم 196 مرشحا (يوجد بينهم 72 عسكريا.)[1207]

هذه القائمة أعدها المكتب السياسي رفضها الكثير، وحدث اقتتال يوم 20 أوث 1962 بين جيش الجزائر العاصمة (المنطقة المسيرة ذاتيا لولاية الجزائر)، وجيش الولاية الرابعة خلف قتلى وجرحى من الجانبين من بينهم مدنيين سقطوا موتى. [1208] طريق الانتخابات أصبح مملوء بالخوف والرعب.محمد خيضر رئيس المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني يطالب بتأخير انتخابات المجلس الوطني بسبب الفوضى وصعوبة التحكم في الأوضاع التي سادت ولاية الجزائر، انتقل ابن بلة إلى وهران باحثا عن الدعم و المساندة، أما العقيد محند أولحاج قائد الولاية الثالثة رفض تأخير الانتخابات وطالب بإجرائها في أسرع وقت لوضع حد للفوضى عن طريق المؤسسات الشرعية، أما العقيد حسان من الولاية الرابعة طلب عقد اجتماع للمجلس الوطني للثورة الجزائرية لإيجاد حل للمشاكل التي تتخبط فيها الجزائر.[1209] ولقد اختلفت الآراء حول طريقة إجراء الانتخابات وتوفير الظروف المناسبة لها. جرت انتخابات المجلس الوطني التأسيسي يوم 20 سبتمبر 1962 .بمشاركة 196 مرشحا (تنازل مرشح واحد، وبقي195 مرشحا).[1210] يقول فرحات عباس عن هذه الانتخابات: " أنها جاءت بشيء من الهدوء، و قائمة المرشحين حضرها

[1207] رابح لونسي المرجع السابق، ص: 66

[1208] ibid. p : 58

[1209] Ali Haroun, op.cit, p : 182

[1210] ibid. p : 198

المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني بدون مناقشة. " [1211]

وكان من مجموع 195 نائبا 16 نائبا من أصل فرنسي. [1212] وكانت مشاركة الشعب الجزائري في الانتخابات واسعة آملا منها الخروج من دوامة شبح الحرب الأهلية، وقد أعلن عبد الرحمان فارس، عن نتائج الانتخابات وعدد المشاركين فيها وهي كما يلي: عدد الناخبين المسجلين: 6504033 ناخبا، الأصوات المعبر عنها هي: 5303661 صوتا، نسبة الامتناع قليلة: 18.46%. [1213] الشعب الجزائري عبر بصدق عن نيته في بناء مؤسسات الدولة الجزائرية المستقلة بطرق ديمقراطية.

وفي هذا اليوم الذي جرت فيه الانتخابات التشريعية، وُزع منشور في الجزائر العاصمة، أُعلن فيه عن تأسيس حزب الثورة الاشتراكية، ويتهم المكتب السياسي بعدم قدرته على توفير الأمن، وأنه خرج عن الحركة الثورية. [1214]

اتصل ابن بلة بفرحات عباس من أجل تحضير التنظيم الداخلي (القانون الداخلي) للمجلس الوطني التأسيسي، وفي هذه الفترة كان كريم بلقاسم موجودا في باريس، وأعلن عن قبوله بمنصب نائب لتيزي وزو، لكن بوضياف الذي لم يقدم ترشحه نهائيا لهذا المجلس وجد نفسه نائبا عن مدينة سطيف، ورغم ذلك فقد أعلن عن تقديم استقالته قائلا: " سأستقيل من النيابة، بالرغم من عدم مشاركتي في الترشح، لأنهم مازالوا يعتبرونني نائبا."[1215]

هذه الانتخابات التشريعية الأولى التي جرت في الجزائر المستقلة لم تكن على أسس ديمقراطية، و منعت المعارضة من المشاركة في مؤسسات الدولة الرسمية، (تبقى بعض الحالات النادرة، مثل ما حدث مع بوضياف الهدف من ذلك إدخاله حديقة الترويض) لذلك فإن النواب في هذه الهيئة التشريعية الأولى لم يستطيعوا ممارسة مهامهم الحقيقية أو الوقوف في وجه السلطة التنفيذية التي سلبت منهم صلاحياتهم لأن الفضل يرجع إليها في وصولهم لتلك المناصب النيابية، أما انتخاب الشعب الجزائري لهم فكان مظهرا ديمقراطيا مزيفا (المظهر ديمقراطي، والباطن ديكتاتوري) والشيء الغريب في هذه الانتخابات هو قبول فرحات عباس بها، برغم من ثقافته واتجاهه الديمقراطي الليبرالي. هل كان يعتقد بأنه بإمكانه التأثير على السلطة التنفيذية، وممارسة مهامه التشريعية كرئيس لهذا المجلس ؟

انتخب فرحات عباس يوم 25 سبتمبر 1962 رئيس للمجلس الوطني التأسيسي حيث تحصل على 155

(1211) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 59
(1212) Rédha Malek, op.cit, p : 269
(1213) Ali Haroun, op.cit, p : 198
(1214) ibid.
(1215) ibid.

صوتا، و 36 ورقة بيضاء ولا صوت ضده. [1216] (مجموع النواب الذين انتـــخبوا 191 نائبا) (أول رئيس لبرلمان جزائري في عهد الاستقلال)، ونقلت إليه سلطة الحكومة المؤقتة، ومهام اللجنة التنفيذية المؤقتة. [1217]

وفي هذا اليوم أعلن فرحات عباس خـــلال الجلسة الأولى للمجلس الوطني التأسيسي عن قيـــام: " الجمهورية الجزائرية " وطلب منه النواب إضافة " الديمقراطية " ثم بعدها كذلك " الشعبية " وأصبح اسم الجزائر حاملا لثلاث خصوصيات، (جمهورية ديمقراطية شعبية) وطلب النائب محمدي السعيد إضافة خاصية رابعة للجزائر، وهي " الإسلامية " لكن النواب اعتبروا أن ذلك كثيرا فالخصوصيات الثلاثة كافية، و بذلك ظهر الاختيـــار السياســـي – الأيديولوجي للدولة الجزائرية المستقلة وهو: " الجمهورية الجزائرية الديمقراطية و الشعبية "[1218] وهذا الاسم مســـتمد من برنامج طرابلس الذي اتفق عليه المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالإجماع.[1219]

اتـــفـــق النواب خلال جلستهم في ليلة ما بين 28 و 29 سبتمبر عـــلى انتخاب ابـــن بلة (كمرشح وحيد) لأول حكومة * جزائرية مستقلة انتخب عليه 159 نائبا ب " نعم " و 1 صوت بـــ " لا " وامتنع 19 نائبا علـــى التصويت، الصوت المعارض كان للنائب حسين المهداوي [1220]، ليعاد انتخابـــه مـــن جديد بعد سنة واحـــــــدة يوم 15 سبتمبر 1963. [1221]

[1216] Ali Haroun, op.cit, p : 199
[1217] Rédha Malek, op.cit, p : 269
[1218] Ali Haroun, op.cit, p : 199
[1219] Rédha Malek, op.cit, p : 270

*تتكون هذه الحكومة من:
رئيس المجلس، ورئيس الحكومة.................... أحمد بن بلة
نائب الرئيس.................................... رابح بيطاط
وزير العدل..................................... عمار بن تومي
وزير الداخلية.................................. أحمد مدغري
وزير الدفاع.................................... العقيد هواري بومدين
وزير الشؤون الخارجية.......................... محمد خميستي
وزير المالية.................................... الدكتور أحمد فرنسيس
وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي.................. عمار أوزغان
وزير التجارة................................... محمد خبزي
وزير إعادة البناء والأشغال العمومية، والنقل....... أحمد بومجنجل
وزير الصناعة والطاقة........................... لعروسي خليفة
وزير العمل والشؤون الاجتماعية.................. بشير بومعزة
وزير التربية الوطنية............................. عبد الرحمان بن حميدة
وزير الصحة.................................... محمد الصغير نقاش
وزير البريد والمواصلات.......................... موسى حساني
وزير المجاهدين وضحايا الحرب.................... السعيد محمدي
وزير الشبيبة والرياضة........................... عبد العزيز بوتفليقة
وزير الأوقاف.................................. توفيق المدني
وزير الإعلام................................... محمد حاج حمو
المرجع: (Ali Haroun, op.cit, p : 199)

[1220] ibid.
[1221] Rédha Malek, op.cit, p : 270

انتخب ابن بلة رئيسا للحكومة الجزائرية وعمل بكل الطرق على إبعاد معارضيه من السلطة، وقام بحملة اعتقالات ضدهم، أما صراعه مع الجيش فكان يخفيه، فهو يعلم أن السلطة الحقيقية في يد الجيش وبالأخص وزير الدفاع هواري بومدين فوزارة الدفاع الوطني هي المؤسسة الوطنية الوحيدة التي كان يحترمها ابن بلة.

أعلن ابن بلة في أول خطاب له بعد انتخابه رئيسا للجمهورية الجزائرية عن انتهاجه للاشتراكية، و يصفها فرحات عباس بأنها " اشتراكية فيدال كاسترو (Fidel Castro) أو بالأحرى الشيوعية الستالينية، ماذا يستطيع أن يفعل بن بلة ينقل أم يقلد ؟ في هذه الظروف بدأت الجزائر تعرف (البنبلينية) بعد أن عرفت (المصايلية)، و لإحداث الوفاق بين الشيطان و الله راح يتكلم عن اشتراكية ذات خصوصية جزائرية."[1222] متحديا بذلك المجلس الوطني التأسيسي الذي جعله جسما بلا روح، أو كهيئة تسجيل فقط. يتهم فرحات عباس ابن بلة بأنه اخترق الشرعية الشعبية للمجلس التأسيسي، حينما وضع دستورا دون استشارة هذه الهيئة معتمدا على عناصر من الحزب موالية له، لذلك لم يستطع فرحات عباس السير في هذا الاتجاه، وأعلن عن تقديم استقالته * يوم 13 أوث 1963.[1223] (بقي تقريبا سنة كاملة رئيسا للمجلس التأسيسي) يرى فرحات عباس بأن ابن بلة أدخل الجزائر في طريق غير دستوري... حزب واحد مركزي يطلق عليه (الديمقراطية)، والسلطة الفردية... لم يستطع السير في هذا الاتجاه، وقبل تقديم استقالته كتب رسالة طويلة إلى النواب شرح لهم فيها موقفه [1224] من سياسة ابن بلة.هذه الرسالة مؤرخة في 12 أوث 1963 بعنوان: " لماذا لم اتفق مع مشروع الدستور المقدم من طرف الحكومة والمكتب السياسي... إعطاء دستور للجمهورية له أهمية كبرى... بعد معارك بطولية من اجل الاستقلال... فرض علينا قانون الصمت خلال سبع سنوات من الحرب، الآن ليس له أي مبرر لكي يستمر يجب أن يتكسر... قبل الخوض في مستقبل الوطن، مستقبل نسائنا، وأطفالنا، كل واحد منا يجب أن يكون واعيا بمسؤولياته...في شبابنا كان يمنع علينا التفكير، فالاحتلال صنع أجهزة انتهازية... إن الديمقراطية هي الخلاص الوحيد الذي سيضع حدا للفوضى والسلطة الضعيفة، وتعني حكومة الشعب من أجل الشعب... دستور جيد يجب أن يمنح حرية التعبير للشعب... لا يمكن لأي جزائري مهما كانت قوته وطاقته ومعرفته أن يقود الجزائر بمفرده، فرئيس الدولة ورئيس الحكومة في نفس الوقت لا يستطيع أن يفعل ذلك وحده، وسيلقي بحمولته على جزء من رجال غير منتخبين من الشعب، وأحيانا أجانب عن الوطن أصبحوا هم المسيرين الحقيقيين... نظام كهذا سينتهي بالزوال عن طريق الانقلابات، والمؤامرات. " [1225] وبالفعل أن الرئيس بن

[1222] Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 59

*** انظر نص الاستقالة في ملحق الوثائق رقم: 07**

[1223] ibid. p : 61
[1224] ibid.
[1225] ibid. p p : 62-74

بلة أبعد الرجال المخلصين من الحكم، وجاء برجال موالين له فلما جاءت الفرصة انقضوا عليه، لأنه لم ينصت لصوت الحق، و لم يطبق نصيحة الرجال المخلصين، فقد هددهم في حياتهم، ورمى فرحات عباس، وعمار بن تـــومي وزيـــر العدل السابق، والرائد عزالدين، و الشيخ البشير الإبراهيمي وغيرهم في السجون و الإقامات الجبرية، فقـــد ســـجن فرحات عباس وأبعده إلى ناحية أدرار، فشل ابن بلة في إيجاد حل للوضع الاقتصادي و الاجتماعي المتردي، وكان من نتيجة ذلك حدوث اضطرابات اجتماعية في قسنطينة وتوسعت أعمال النهب والاعتداءات، [1226] والسرقة في المدن، و في الأرياف، فقد تكونت عصابات من اللصوص استعملت الأسلحة البيضاء، و بنادق الصيد لنـــهب الفلاحـــين وسرقة مواشيهم، و لم يستطع نظام ابن بلة توفير الأمن للسكان، إنما كان يوفر الأمن لنفسه، وجماعته، كـــان همـــه البحث عن العظمة، والشعبويّة، وأصبحت الجزائر تتجه نحو الفوضى.

جرت مظاهرات شعبية عنيفة في وهران يوم 6 جوان 1964 (الولاية التي كانت يعتمد عليهـــا كـــثيرا في تدعيمه، مدعيا أنه من الغرب الجزائري) هذه المظاهرات ضمت البطالين، والجائعين، هجموا على البلديات، وخربوا مكاتبها، وفي يوم 7 جوان توجهوا إلى مقر ولاية وهران منادين بـــ " يحيا فرحات عباس " استعمل ابن بلة العنـــف، وأمر بإطلاق الرصاص على المتظاهرين، وأنشأ بسرعة (المحكمة الثورية للجرائم) [1227] لمحاكمة الجائعين ! وكـــأنهم خائنين واتهم فرحات عباس بأنه وراء هذه الأحداث، وذلك لإبعاد المسؤولية عن نظامه فكانت من إحدى الأسباب الرئيسية لسجن فرحات عباس يوم 3 جويلية 1964، و لم يطلق سراحه إلا يوم 8 جوان 1965، ليأتي دور بن بلة يوم 19 جوان 1965.[1228]

قبل فرحات عباس برئاسة المجلس الوطني التأسيسي آملا من ذلك أن يحقق ولو شيئا من أفكاره المبنية علـــى الاعتدال، والديمقراطية، واحترام الحريات الأساسية، ولكن لا شيء من ذلك تحقق، فهو لم يستطع العمل مع ابن بلة الذي لم يكن يؤمن بالديمقراطية، لذلك أدى هذا الاختلاف بينهما إلى رفض فرحات عباس السير مع نظام شمـــولي، ففي يوم 15 أفريل 1964 خلال انعقاد المؤتمر الوطني لجبهة التحرير الوطني اُتهم فرحات عباس بالميولات البرجوازية و معارضة الاشتراكية، وحُذف اسمه من جبهة التحرير الوطني.

[1226] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 375

[1227] ibid.

[1228] Ferhat Abbas, l’ indépendance confisquée, op.cit, p p : 9-13

المبحث الثالث

موقــفه من النظام الاشــتراكي

اختارت الجزائر المستقلة النهج الاشتراكي الذي أقره مؤتمر طرابلس على أساس أنه الحل الأنجع لتحقيق العدالة الاجتماعية، والنهوض بالجزائر، هذا النهج لا يتوافق مع إيديولوجية فرحات عباس فهو ذو اتجاه ليبرالي، فلماذا قبـــل فرحات عباس برئاسة المجلس الوطني التأسيسي، ما دام أن الجزائر قد اختارت النهج الاشتراكي ؟ وكيف كان موقفه من النظام الاشتراكي سواء في عهد الرئيس ابن بلة أو في عهد الرئيس هواري بومدين ؟

هذا ما سنحاول التعرض إليه في هذا المبحث

اتهم مؤتمر جبهة التحرير الوطني المنعقد في 15 أفريل 1964 بالجزائر العاصمة فرحـــات عبـــاس بـــالميولات البرجوازية ومعارضة الاختيار الاشتراكي.[1229] وهذه هي إيديولوجية فرحات عباس الحقيقية، فهـــو منـــذ بدايـــة الاستقلال عـــارض الاشتراكية السوفيتية فعند انتخاب المجلس التأسيسي يوم 20 سبتمبر 1962 وعند تنصيب هـــذا المجلس أحمد بن بلة صرح أمام هذه الهيئة التشريعية بأنه اختار نظاما اشتراكيا خاصا بالجزائر يجمع بين الماركســـية و الإسلام، هذه الإيديولوجية المزدوجة والتي لا يمكن أبدا جمع إيديولوجيتين متناقضتين تمام التناقض، يـــرى فرحـــات عباس بأن هذا النهج أدى إلى شلل اقتصادي للجزائر من الناحية المادية، أما من الناحية الأخلاقية فقد أدى بالجزائر إلى انحطاط في الأخلاقيات، والعادات والتقاليد.[1230] هذا الخليط الإيديولوجي نتجت عنه مشاكل كثيرة في الجزائـــر لا أحد أصبح يهتم بالشعب ولا بمشاكله الاجتماعية، ولا بمحاربة البيروقراطية التي انتشرت في الإدارة الجزائرية، ومـــا تبعها من رشوة وإهمال مصالح المواطنين، كان ابن بلة يجبر الجزائريين على إتباع نظامه عن طريق الإكراه، و لم يسمح نهائيا بحرية التعبير أو المعارضة، ويستشهد فرحات عباس بآية قرآنية عن الحرية التي منحها الله للإنسان « **مـــن شـــاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر** » اتهم ابن بلة معارضي النظام الاشتراكي بالرجعيين، " وأقام ابن بلة نظاما شموليا بوليسيا. "[1231] رافعا شعار الاشتراكية كغطاء إيديولوجي، و إيهام الشعب الجزائري بأنها تعني العدالة الاجتماعيـــة.[1232] على كل حال في هذه الفترة كانت فكرة الاشتراكية كموضة العصر فابن بلة ومعه بومدين فيما بعد تحـــدث عـــن اشتراكية إسلامية، أو كما وصفها فرحات عباس (التوفيق بين الله و الشيطان)، وتكلم بوضياف و

[1229] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 375

[1230] Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 59

[1231] ibid. p : 60

[1232] رابح لونيسي، المرجع السابق، ص ص: 69-70

آيت أحمد عن الاشتراكية العلمية، أما فرحات عباس فتكلم عن الاشتراكية الإنسانية، وتنوعت مفاهيم الاشتراكية في الجزائر فلم يعد بإمكان الشعب الجزائري فهم ماذا يقصد هؤلاء الأشخاص. [1233]

ويشرح فرحات عباس اشتراكيته التي سماها الاشتراكية الديمقراطية الإنسانية. [1234] معلنا رفضه لقبول الاشتراكية السوفييتية في الجزائر. [1235] وواصفا الاشتراكية التي تبنتها حكومة ابن بلة بخداع الشعب الجزائري*. [1236]

وقد أوضح فرحات عباس: " إن مفهوم فلسفة الاشتراكية الديمقراطية الإنسانية بأنها هي التي تنبع من أعماق الشعب الجزائري، يوجهها الدين الإسلامي وتمنح فيها حرية حق الملكية، وحق الميراث، وحق المساعدة الاجتماعية... وهي لا تتناقض مع أخلاقيات الإسلام، ولا تعتدي على أخلاقيات وتقاليد شعبنا، وبذلك نستطيع إدخال وطننا في ثورة من أجل تحقيق الأهداف التالية:

1. التصنيع وإقامة اقتصاد موجه ومخطط

2. تأميم الوسائل الكبرى للإنتاج، وتوابعها وتطوير التعاونيات الإنتاجية، والاستهلاكية

3. تحديد الثروات، ومراقبة رؤوس الأموال الوطنية، الخاصة من أجل الضريبة المخصصة لها من أجل المشاركة في تنمية القطاع الاشتراكي

4. الدفاع عن الحالة الاجتماعية بواسطة المنح العائلية، الضمان الاجتماعي، الأجر الأدنى..." [1237]

الاشتراكية التي تبناها نظام ابن بلة أدت إلى الفوضى، والشعب الجزائري لم يعد قادرا على التفاعل والتجاوب مع متطلبات تلك الفترة، وهذا نظرا لأسباب كثيرة منها تسرب العناصر الانتهازية إلى بعض مناصب الحكم، وإبعاد العديد من الإطارات القادرة على إعطاء دفع قوي للجزائر، بالإضافة إلى الصراع الذي حدث بين القادة، [1238] وعدم وجود برنامج تنموي شامل وواضح مبني على أسس علمية.

أما الميدان الاقتصادي والاجتماعي فإنه لم يعرف أي تحسن في عهد ابن بلة ففي سنة 1964 كان عدد

[1233] نفس المرجع، ص: 70

[1234] ibid. p : 68

[1235] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 374

[1236] ibid. p: 371

* كان الرئيس ابن بلة أثناء فترة حكمه يقوم أحيانا بجولات في العاصمة، ويتوقف عند بعض الحانات مع حراسه فينـزل من السيارة متوجها إلى الحانة، شاتما صاحبها، و يقوم بكسر زجاجات الخمر، قائلا أن الإسلام حرم بيع الخمر (أنها المهازل الحقيقية، في الجزائر المستقلة)، بإمكانه أن يصدر مرسوما بغلق جميع مصانع الخمر عبر التراب الوطني. وكانت أكثر خطبه شتم البرجوازيين مهددا لهم بأنه سوف يعمل على إذابة الشحوم الموجودة في بطونهم.

[1237] Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 68

[1238] محمد العربي الزبيري، المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، وحدة خميستي، الجزائر، 1989، ص: 103

البطالين قد ارتفع إلى 2 مليون بطال، و 2600000 جزائري بدون دخل، وفي البناء والأشغال العمومية انخفض الإنتاج بـ55 % مابين 1962 و 1963، أما في قطاع المعادن والصناعة المعدنية انخفض الإنتاج بـ 20%، وانخفض كذلك الإنتاج الفلاحي بـ 15% و لم يعرف أي تطور في عهده، فإنتاج الحبوب لم يعد الإنتاج يتجاوز 17 مليون قنطار، بينما حاجيات الوطن منه تصل إلى 25 مليون قنطار في السنة، مع ارتفاع النمو الديموغرافي بـ 3 % لكل سنة، وعدد المهاجرين إلى الخارج ازداد هو الآخر، فقد وصل عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا سنة 1965 إلى 450000 مهاجرا، بينما كان عددهم سنة 1962، 350000 مهاجرا.[1239] هذه الوضعية نتج عنها كما مر علينا اضطرابات اجتماعية، ومظاهرات وتخريب مؤسسات الدولة سنة 1964.

ففرحات عباس عارض بشدة النظام الاشتراكي الذي انتهجته الجزائر سواء في عهد ابن بلة، أو في عهد بومدين معتبرا إياه بأنه نظام اشتراكي ستاليني طوباوي.[1240] ويتساءل عن سبب اختيار ابن بلة، وبومدين لهذا النموذج الاجتماعي ؟ فالإجابة في رأيه بسيطة لأن كل واحد منهما متعطش للسلطة الفردية* تحت ضمان النظام الشيوعي مثلهما مثل فيدال كاسترو، و بريجنيف فهما كعاهلين غير قابلين للعزل، ويقول: " نصحت ابن بلة بالرجوع عن هذا الطريق من أجل مصلحة الجزائر المسلمة ولكنه لم ينصت لصوت العقل."[1241]

سمح ابن بلة للشيوعيين بتولي مناصب حساسة في الدولة الجزائرية من وسائل الإعلام، و المؤسسات الاقتصادية، وانحرف ابن بلة عن المبادئ الإسلامية، وأشار بيان 19 جوان 1965 إلى ذلك بقوله: " إن النهوض بمجتمعنا لا يمكن أن يتم إلا بتمسكنا بمعتقداتنا، واحترام تقاليد شعبنا وقيمه، ومثله العليا." [1242]

نظام اشتراكي قائم على الفوضى، ألغى القطاع الخاص، ومنح تسييره للبعض من أتباع الرئيس في إطار التسيير الاشتراكي للمؤسسات هؤلاء نهبوا الأموال، وظهرت طبقة اجتماعية جديدة غنية هربت أموالها إلى الخارج وأضعفت العملة الوطنية، ويقول فرحات عباس عنهم: " أن أحد رجال الأعمال السويسريين باح لي بأن أصحاب الملايير الجدد الذين يملكون حسابات في البنوك السويسرية هم جزائريون، مضيفا بأن هؤلاء الجزائريين معظمهم أصدقاء شخصيين لرئيس الدولة. " [1243]

[1239] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 374

[1240] Ferhat Abbas, l’ indépendance confisquée, op.cit, p : 130

* لا يمكن مقارنة فترة حكم بومدين، بفترة حكم ابن بلة هناك اختلافات جوهرية بينهما، فقد سعى هواري بومدين بكل ما يملك من طاقة أن يجعل من الجزائر دولة عصرية متطورة قائمة على أساس العدالة الاجتماعية.

[1241] ibid. p : 90

[1242] رابح لونسي، المرجع السابق، ص: 100

[1243] ibid. p : 131

ويضيف بأن المحاكم الجزائرية أصبحت غير قادرة على الوقوف أمام هؤلاء اللصوص الكبار، فهي لا تقدر إلا على الحمائم. (1244)

لهذه الأسباب وغيرها وقف فرحات عباس ضد النظام الاشتراكي الذي ألغى طبقة اجتماعية، وسمح بظهـــور طبقة انتهازية برجوازية مخربة للاقتصاد الوطني باسم النظام الاشتراكي، الذي سمح لهم بتسيير مؤسسات الدولة، المالية، والاقتصادية، فجعلوها كملكية خاصة بهم، نهبوا أموالها، وعطلوا التنمية الاقتصادية في الجزائر.

ويعلق فرحات عباس على ذلك بقوله: " إن جبهة التحرير الوطني هي رمز كل الفئات الاجتماعية، لم تستطع خوض كفاحها إلا بانضمام هذه الفئة غير المرغوب فيها « البرجوازية » والتي حملت الثورة على أكتافها، إنهم ملاك الأراضي، الفلاحون، التجار، أعضاء المهن الحرة الذين مولوا الثورة... ومعظمهم دفعوا حياتهم ثمنا لتدعيمهم لجـــيش التحرير الوطني. " (1245) هذه الفئة اتهمت بعد الاستقلال بالميولات البرجوازية، وموالاتها للاحتلال، وهُـــــمِّشت، وفُـــتِح المجال لظهور فئة انتهازية، كسبت الأموال عن طريق نهب المال العـــام في إطـــار تســـييرها للمؤسســـات الاشتراكية.

وبالفعل فقد سادت الرشوة، والانتهازية، واللامبالاة، والمحسوبية في عهد الرئيس أحمد بن بلة، حيث كرسها نظامه الاشتراكي، فانعدمت الثقة بين الحاكم والمحكوم، وأصبح الإنسان الجزائري البسيط لا يؤمن بالقانون لأنـــه لا يطبق إلا عليه، أما الكبار فهم فوق القانون. وهذا ما كان يرفضه فرحات عباس، ولذلك عارض نظام ابن بلة، فأعيد إلى السجن، والنفي (الإبعاد) إلى الصحراء مثل ما حدث له في عهد الاحتلال.

فوقوفه ضد النظام الاشتراكي لم يكن معناه الوقوف ضد الطبقة الفقيرة فهو يعتقد بأن الطبقات الاجتماعيـــة يجب أن تكون متعاونة، ومتماسكة مع بعضها، كما كانت في عهد الثورة التحريرية، مستمدة إيديولوجيتها من الدين الإسلامي، وليست من الإيديولوجية الماركسية، حيث يقول عن ذلك: " إن الإسلام هو الإيمان بالله، خالق الكـــون، واحترام الملكية، والحريات الأساسية للإنسان واحترام الكرامة الإنسانية، وهو يؤسس انسجاما اجتماعيا بـــين كـــل الطبقات عن طريق الزكاة، والتوزيع العادل للثروة الوطنية، إنه حرية الإنسان. أما الماركسية فهي نكران الله، ومحاربة ظاهرة الدين، وإلغاء الملكية الخاصة، ومصادرة وسائل الإنتاج، وإلغاء الحريات العمومية، إنها صراع الطبقات، وظهور ديكتاتورية البروليتاريا. " (1246) عارض فرحات عباس النظام الاشتراكي الذي انتهجته الجزائر بعد الاستقلال وأقره مؤتمر طرابلس بالإجماع، معتبرا إياه بأنه نظام مستمد من الماركسية الستالينية، وهو لا يتماشى مع الدين الإســـلامي الذي يعتنقه الشعب الجزائري، فقد أدخل النظام الاقتصادي الاشتراكي الجزائر في الفوضى، وسوء التسيير.

(1244) ibid. p p : 131-132
(1245) ibid. p : 125
(1246) ibid. p : 124

دعا فرحات عباس إلى اشتراكية أخرى تختلف عن الاشتراكية التي تبنتها الجزائر بعد الاستقلال، وهذه الاشتراكية سماها " الاشتراكية الديمقراطية الإنسانية " وهنا نجده قد حاول هو الأخر كذلك إعطاء الاشتراكية مفهوما إيديولوجيا جديدا ومستمدا أسسها من الدين الإسلامي وعادات وتقاليد المجتمع الجزائري، أراد أن يكون منظرا لنظرية اقتصادية جديدة ولكن اختلطت الأمور عليه، فمن جهة يدعو إلى إقامة اقتصاد موجه ومخطط، وتأميم وسائل الإنتاج الكبرى، ومن جهة أخرى يدعو إلى الديمقراطية الإنسانية التي تسمح للفرد بحق الملكية والبيع والشراء...إلخ، وهذه التوجهات تتعارض مع النظام الاشتراكي، وإنما هي توجهات ليبرالية، ولكنه حاول أن يجعلها مطابقة للدين الإسلامي الذي أعطى للإنسان حرية الملكية وتتماشى مع عقلية الإنسان الجزائري النابعة أساسا من الإسلام، وحتى لا يتهم بذلك بالتوجه الليبرالي الغربي.

على كل حال قد حاول أن يكون منظرا لنظام اقتصادي جديد يمكن أن يتماشى مع الوضع الجزائري في تلك الفترة، ولكن نظريته هذه تحتاج إلى دراسة معمقة من علماء الاقتصاد، وليس عن طريق هذه النظرية المتواضعة التي جاء بها فرحات عباس يمكن بناء مجتمع اشتراكي ديمقراطي إنساني إسلامي، فالاشتراكية مبنية على أساس الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، تتعارض تماما مع الدين الإسلامي الذي يحترم الملكية الفردية، ويظهر كذلك أن استعمال فرحات عباس لمصطلح الاشتراكية كان موضة ذلك الوقت، ولم يلجأ للتعبير الصادق عن اتجاهه الديمقراطي الليبرالي لأن الشعب الجزائري في هذه الفترة كانت تستهويه كلمة الاشتراكية.

المبحث الرابع

موقفه من الميثاق الوطني 1976

لقد جاء بومدين إلى السلطة في 19 جوان 1965 عن طريق انقلاب عسكري* ضد الرئيس أحمد بن بلة، وكانت الجزائر في تلك الفترة تعاني من مشاكل عديدة في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، و لم يستطع ابن بلة فرض سلطته التنفيذية بالرغم من جمعه لجميع السلطات بيده، تميزت فترة حكمه بالارتجالية، وبالفوضى أحيانا، في هذه الظروف الصعبة استولى العقيد هواري بومدين على السلطة، وكان هدفه الأساسي يتمثل في بناء جزائر عصرية وقوية لها مكانتها العالمية.

ففي هذا المبحث نتعرض لموقف فرحات عباس من الرئيس هواري بومدين، وبالأخص موقفه من الميثاق الوطني لسنة 1976.

يقول فرحات عباس عن بومدين بأنه عند وصوله إلى السلطة حول مهمة الجيش الوطني الشعبي من الدفاع عن الدستور و الشرعية والوحدة الوطنية إلى مهمة أخرى، وهي الدفاع عن الدكتاتورية، و التكتلات واختراق الدستور، [1247] وحول كذلك صلاحيات المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني واللجنة المركزية، و المجلس الوطني التأسيسي إلى مجلس الثورة.**[1248] الذي ضم 25 عضوا (منهم 12 عقيدا) [1249]

وقد حاول بومدين إيجاد مبرر لعمله الانقلابي ضد احمد بن بلة، الذي استطاع بواسطة ديماغوجيته، أن يكتسب شعبية كبيرة. [1250] متهما ابن بلة بتحويله كل المؤسسات الوطنية، والحزب، والدولة لخدمته. [1251]

وفي مدة زمنية قليلة تمكن الرئيس هواري بومدين فرض سلطته والتحكم في جميع الأوضاع.لكن في أقل من عام واحد بدأ مجلس الثورة يتفكك بخروج بشير بومعزة، وعلي محساس منه، ففي خلال 8 سنوات انخفض العدد إلى 8 أعضاء فقط، وقد تعرض الذين خرجوا من مجلس الثورة إلى تهم خطيرة، ومضايقات بما في ذلك عائلاتهم.[1252] فبومدين لم يكن يتسامح مع معارضيه لأنه كان يرى فيهم خطرا على الجزائر كلها وليس على شخصه فقط.

---

* أطلق عليه النظام الجزائري اسم " التصحيح الثوري " تجنبا لذكر الانقلاب العسكري.

[1247] ibid. p : 100

**يتكون مجلس الثورة من: الرئيس هواري بومدين
أعضاء مجلس الثورة هم: العقيد عبيد السعيد، العقيد بلهوشات عبد الله، العقيد محمد بن أحمد عبد الغني، العقيد ابن الشريف أحمد، العقيد ابن جديد الشاذلي، العقيد بومنيدر صالح، العقيد درايا أحمد، العقيد خطيب يوسف، العقيد محمدي السعيد، العقيد محند أُولود حاج، العقيد يحياوي محمد الصالح، العقيد الزبيري الطاهر، بن حداو بوحجار، ابن سالم عبد الرحمان، بوجنان أحمد، بومعزة بشير، بوتفليقة عبد العزيز، الشريف بلقاسم، قايد أحمد، محساس علي، ميدغري أحمد، منجلي علي، مولاي عبد القادر، سوفي صالح، و الطيبي العربي (Ferhat Abbas, l indépendance confisquée, op.cit, p : 104)

[1248] محمد الزبيري، المرجع السابق، ص: 51

[1249] ibid. p : 103

[1250] رابح لونيسي، المرجع السابق، ص: 107

[1251] ibid.

[1252] محمد الزبيري، المرجع السابق، ص ص: 51-52

واستطاع بومدين في خلال سنتين فقط أن يكسب الشعب الجزائر إلى جانبه بسبب موقفه المشرف مع فلسطين، وإرساله وحدات من الجيش الوطني الشعبي لرد العدوان الإسرائيلي على الدول العربية المجاورة لفلسطين يوم 5 جوان 1967، وإعلانه صراحة الوقوف إلى جانب العرب والمسلمين، ومناصرة قضية الشعب الفلسطيني فهذا الموقف المشرف مكنه من كسب عواطف الشعب الجزائري، وبعدها بدأ في انتهاج سياسة خارجية قائمة على تحقيق مكانة دولية محترمة للجزائر، أما في الداخل فقد عمل على بناء دولة قوية من خلال التأميمات الوطنية التي شرع فيها، و الثورات الثلاث (الثورة الثقافية، والثورة الصناعية، والثورة الزراعية) وواضعا مخططات تنموية لكن عمله هذا لم يكن يخلو من الأخطاء، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر طريقة امتصاص البطالة عن طريق تضخيم المؤسسات الاقتصادية بالعمال بدون إنتاج، توزيع الأرباح على مؤسسات اشتراكية تعاني من الإفلاس، اهام معارضيه بالخيانة... إلخ لقد صنع اقتصادا مصطنعا، وتمكن من اكتساب شعبية واسعة عن طريق خطبه الحاملة لإيديولوجية العروبة، الإسلام، والاشتراكية الإسلامية، والعدالة الاجتماعية، ومعتمدا في تثبيت سياسته على جهاز أمني عسكري قوي، والمنظمات الجماهيرية التي زرعها في كل مدينة، وقرية، و دوار. [1253] لكنه تمكن من توفير الأمن والاستقرار داخل الجزائر، وأصبح للجزائر في عهده مكانة دولية محترمة.

المعارضة لأولى لبومدين بدأت من مجلس الثورة (من أصدقائه) الذين عارضوا سياسته واهموه بالتسلط والديكتاتورية، منهم بشير بومعزة، قايد أحمد، الشريف بلقاسم...ولم يبق في هذا المجلس إلا أقلية وفية له مثل عبد العزيز بوتفليقة، ومحمد الصالح يحياوي... يوم 19 جوان 1975 بمناسبة الذكرى العاشرة للانقلاب العسكري، ألقى بومدين خطابا أعلن فيه عن بداية تحضير ميثاق وطني، وانتخاب مجلس وطني (البرلمان)، ورئيس الجمهورية. [1254]

وأخيرا بومدين لجأ إلى الشعب الجزائري بعد أن ثبت حكمه وكسب شعبية واسعة، ليضع بذلك حدا لمعارضيه، ويبني دولة المؤسسات التي قال عنها بأنها لا تزول بزوال الرجال، مبادرة طيبة وشجاعة كبيرة من الرئيس هواري بومدين الذي أراد بعد حكم 10 سنوات أن يبني دولة قوية تستمد قوتها وفعاليتها ووجودها من الشعب الجزائري كله.

بدأت في الجزائر في بداية سنة 1976 حملة توعية واسعة لشرح المشروع التمهيدي للميثاق الوطني، وقد امتدت هذه الحملة إلى كل المدن، والأحياء، والقرى، والأرياف، وأماكن العمل، وفي المقاهي، والشوارع، وأعطيت الحرية للشعب للتعبير بصراحة عن آرائه في السياسة، والاقتصاد، و النظام الاشتراكي. [1255]

وقد أكد هذا المشروع على أن الاشتراكية في الجزائر اختيار لا رجعة فيه: " إن الاشتراكية في الجزائر

[1253] رابح لونيسي، المرجع السابق، ص ص: 108-110

[1254] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 381

[1255] ibid. p p : 381-382

حركة حتمية لا رجعة فيها، وكما كللت الثورة المسلحة بالنصر، فإن الاشتراكية ستتوج بالنجاح." [1256]

إن بومدين اختار النظام الاشتراكي، وأكد على نجاحه حيث قارنه بالثورة التحريرية، وهذا خطأ كبير وقع فيه بومدين، فالثورة نابعة من أعماق الشعب الجزائري المسلم الرافض للذل، والاحتلال، بينما النظام الاشتراكي مستمد من أفكار كارل ماركس، و لينين، فهو خارج عن قيم الشعب الجزائري، ومعتقداته، وبيئته... ونـــرى كـــذلك في الميثاق الوطني خلط بين الاشتراكية الماركسية والإسلام، أو كما يسميها فرحات عباس (الوفاق بين الله والشـــيطان)،وقد نص كذلك هذا المشروع على: " الدولة الاشتراكية تضمن مجموع الحريات العمومية، وبخاصة حرية التعـــبير، والرأي و التفكير، والتنقل. " [1257] وهنا نرى كذلك تناقض صارخ، فحرية التعبير، والرأي، والنشر، تتناقض تمامـــا مع النظام الاشتراكي. اعتقد فرحات عباس بأن بومدين هذه المرة صادق حيث فتح مناقشة واسعة في كامل التـــراب الوطني حول مشروع الميثاق الوطني.

فخرج فرحات عباس من عزلته السياسية التي دامت 13 سنة، وحرر نداء إلى الشعب الجزائري * في مارس 1976، بمشاركة الشيخ خير الدين نائب رئيس جمعية العلماء سابقا، و ابن يوسف بن خدة رئيس سابق للحكومـــة المؤقتة الثالثة، و لحول حسين الأمين العام لحركة انتصار للحريات الديمقراطية سابقا. [1258]

هل أراد فرحات عباس أن يكون جبهة واحدة ضد هواري بومدين متكونة من تيارات الحركة الوطنية؟

و مما جاء في هذه البيان ما يلي: " توجد الجزائر في أقل من 14 سنة وللمرة الثانية في صدام مع الشعب المغربي الشقيق، فمن بين جنودنا، وأبنائنا قتلى وجرحى، وأسرى، وذلك بدون أن يأخذ شعبنا أية مســـؤولية في ذلـــك. إن أمواتنا وأموات المغاربة، والمعاملة السيئة التي عومل بها إخواننا المغاربة المطرودين من الجزائر، والمأساة التي يعاني منـــها السكان الرحل، وفي الساقية الحمراء ووادي الذهب، كل هذا يدل بأن الصدام قد أعطى بعض نتائجه التخريبية... إن انقلاب 19 جوان 1965 كان عليه أن يرد لشعبنا سيادته الكاملة، لأن الذين قاموا به قد حكموا بدون التباس علـــى الحكم الفردي... لكن هذا الانقلاب للأسف لم يغير شيئا فعبادة الشخصية لازالت قائمة، الحكم الفردي يمارس بدون رقابة، وحظوظ وطننا موضوعة بين يديه..." [1259]

لقد برر بومدين أسباب الانقلاب العسكري ضد ابن بلة من خلال بيان 19 جوان 1965 بالحكم الفردي المتسلط، " وقد جاء بيان 19 من يونيو (جوان) 1965 فأكد هذه السمة الديمقراطية للدولة الجزائرية، المناهضة

[1256] الميثاق الوطني 1976، ص: 20
[1257] الميثاق الوطني 1976، ص: 79
*** انظر ملحق الوثائق رقم : 08**

[1258] Ferhat Abbas, l’ indépendance confisquée, op.cit, p : 15
[1259] ibid. p p : 224 - 226

للإقطاعية، ونادى بإنشاء " دولة ديمقراطية جدية "[1260] بومدين يرفض تسلط بن بلة، وحينما مارس الســـلطة فرض رقابة شديدة على حرية الرأي، والتعبير، وجمع السلطات العليا في البلاد بيديه، و يطلب هذا النداء من الشعب الجزائري النضال من أجل تحقيق ما يلي:

1. العمل من أجل انتخاب شعبي حر لجمعية وطنية تأسيسية ذات سيادة.
2. وضع حد للنظام الشمولي الحالي، والمطالبة بوضع حدود شرعية ضد كل التجاوزات من هذا النوع.
3. تأسيس حرية التعبير، والمعتقد اللذان حارب الشعب الجزائري كثيرا من أجلهما.
4. العمل من أجل مغرب عربي موحد وإسلامي أخوي. "[1261]

هذه المطالب رفضها بومدين لأن النداء رفض تدخل الجزائر في الصحراء الغربية، وطالب النداء كذلك بفتح حرية التعبير لكل الجزائريين بـــدون تمييز، وفي نظرهم أن هذا لميثاق الوطني مفروض على الشـــعب، " لا يمكـــن أن يفرض على الوطن ميثاقا وطنيا كما فعل رئيس مجلس الثورة بهدف ترسيخ سلطته الفردية، الطريق الوحيد الذي بقي لتأسيس ميثاق هو فتح مناقشة عامة على المستوى الوطني، وانتخاب مجلس وطني تأسيسي ذو سيادة. "[1262]

بعد توقيع هذا النداء من الشخصيات الأربع نقلته المعارضة، ونشرته في الخارج متمثلـــة في حـــزب الثـــورة الاشتراكية الذي أسسه محمد بوضياف، و جبهة القوى الاشتراكية لآيت أحمد، ونشره قايد أحمد في الجزائـــر داعيـــا الشعب الجزائري إلى الوقوف إلى جانب هذا النداء، وأسس لجنة الدفاع والتضامن من أجل الدفاع عن الشخصيات الأربع، فتوبع هو الأخر كذلك، ولكنه استطاع الهروب إلى المغرب، أما الشخصيات الأربع فكان لهم حسابا عسيرا مع بومدين حيث يقول فرحات عباس: " عندمـــا سمع بومدين بهذا النداء أعلن أمام وزرائه بأنه سوف يقتلنا لأنه لا يرغب أن يرى معارضين لنظامه."[1263] ويرد فرحات عباس على ذلك التهديد: " إننا لم نقتل بكل بساطة، وأعتقد أن هؤلاء الشخصيات الأربع الموقعين على النداء دافعوا عن الجزائر قبل أن يولد بومدين، فالجزائر لم تخلق بانقلاب 19 جوان 1965، إنها بلد قديم وغني بقيمه. "[1264]

ويعلل فرحات عباس اللجوء إلى كتابة ذلك النداء قائلا: " إنه من حقنا، ومن واجبنا أن ننشر ذلك النـــداء، وزيادة على ذلك، فإن بومدين في أول نوفمبر 1975 أعلن أمام الشعب أنه سيمنح للجزائر ميثاقا جديدا – الميثـــاق الخامس منذ أول نوفمبر 1954 – ودستور جديد وكل فرد يستطيع أن يتكلم بحرية خلال هذه المرحلة، والمناقشـــة ستكون مفتوحة لكل الآراء، والأفكار في إطار حرية تامة. "[1265]

[1260] الميثاق الوطني 1976، ص ص: 74-75

[1261] ibid. p : 226
[1262] ibid.
[1263] ibid. p : 17
[1264] ibid. p : 17
[1265] ibid. p : 16

توجهت الشرطة صباحا يوم 10 مارس 1976 على الساعة 7:30 إلى بيت فرحات عباس بقيادة محافظ أمن القبة، وأعلموه بأنه وُضع تحت الإقامة الجبرية في مترله، وقطعوا عنه الهاتف، وكل الزيارات ما عدا العائلية، وجمدوا له حسابه البنكي، وصادروا صيدليته بسطيف. [1266]

كان بومدين يهدف من ذلك إلى تجويع فرحات عباس، وإذلاله، هل يمكن لشخص في مثل هذا السن (77 سنة) أن يؤثر على نظام بومدين ؟ وبقي تحت الإقامة الجبرية 15 شهرا، لم يسمح له نهائيا بالخروج من مترله، وكان رجال الأمن يتناوبون فيما بينهم على حراسته، و لم يكن يسمح لأي أحد بزيارته، ما عدا أفراد عائلته بعد تحقيق مع الأمن، وانتظار أكثر من ساعة أمام داره، كانت معنوياته مرتفعة جدا،* لأنه كان يعلم بأنه على حق، و لم يقل سوى الحق في نظره من أجل مصلحة الجزائر كلها.

وألغيت حراسة الشرطة لمترله يوم 13 جوان 1977 على الساعة 10:00 ليلا، وسمح له بالتحرك داخل الجزائر، ولكن جواز السفر لم يمنح له إلا بعد وفاة بومدين.

لقد رفض فرحات عباس مشروع الميثاق الوطني لأنه رأى أن الرئيس بومدين قد فرضه على الشعب الجزائري، وأن الاشتراكية التي لا رجعة فيها حسب تعبير السلطة في ذلك الوقت، كان رأيا من جانب واحد فقط، أما الشعب الجزائري فإنه لم يستشر في ذلك نهائيا، وهذا ما لم يقبله فرحات عباس لأن التجارب علمته بأن أي مشروع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي لا يستمد أصوله ومبادئه وأسسه من عمق وثقافة الشعب الجزائري، لا يمكن أن ينجح أبدا وسيكون مآله الفشل وهذا ما حدث بالفعل مع النظام الاشتراكي والميثاق الوطني، فبموت هواري بومدين اتجهت السلطة في الجزائر نحو الليبرالية، وأصبحت الاشتراكية في الجزائر ذات رجعة.

(1266) ibid. p p : 13-14

* زرته في مترله، وبعد الترحيب جلست معه فكان كلامه موجها ضد سياسة بومدين، و عن إقامته الجبرية فقد أجابني: " بأنني لا أخاف من أحد في قول الحق، وإن شاء بومدين فليقتلني، فأنا لست راعيا، ولا انتهازيا، فسياسة بومدين ستؤدي بالجزائر إلى كارثة في المستقبل، لأن لا شيء مبني على أسس سليمة، فهو يرتجل في سياسته، يبحث عن العظمة يكذب على الشعب، ويعتقد أنه بواسطة قراراته يستطيع فرض سلطته، فليست بهذه الطرق نبني دولة عصرية قوية، فذلك يتطلب الرجوع إلى الشعب وفتح حرية الرأي و التعبير للجميع .فالجزائر لا يمكن لبومدين أن يبنيها وحده." (صاحب البحث)

المبحث الخامس

وفاته

نتناول في هذا المبحث أسباب وفاة فرحات عباس ومواجهته للمرض بعد سن 80 من عمره، و كيف استقبلت الجزائر حكومة وشعبا وفاته.

بمجيء الرئيس الشاذلي بن جديد إلى الحكم، منح لفرحات عباس جواز سفره، لكن في هذه الظروف كان المرض قد أثر كثيرا على جسمه النحيل خاصة مرض ضيق التنفس (asthme) الذي كان يسبب له مشاكل صحية كبيرة، وهذا المرض بدأه عند إبعاد ابن بلة له إلى ناحية أدرار. [1267] زيادة إلى مرض السرطان والذي كان سببا في وفاته، كيف واجه فرحات عباس مرضه ؟

لم يكن يعطي اهتماما كبيرا لمرضه، وكانت زوجته تراقب صحته دائما إلى جانب أفراد عائلته من القيام بإجراء التحاليل ومراقبة تطور المرض، في هذه الظروف الصعبة تفرغ فرحات عباس لكتابة مذكراته، و لم يكن يهتم بأي شيء سوى بالكتابة، والابتعاد نهائيا عن السياسة ومشاكلها، وقبيل ذلك (نهاية 1978) حاول بعض الأشخاص توريطه في قضية " رأس سيغلي "*[1268]، ترفع فرحات عباس عن هذه التهم لأن ليس من طبعه، ولا من أخلاقه اللجوء للعنف.

تمكن من إعادة إصدار كتابه الشاب الجزائري سنة 1981، وتأليف كتابين آخرين هما كتاب " تشريح حرب " سنة 1980، و " الاستقلال المصادر " سنة 1984، وطبعت كتبه بفرنسا، وقد أرسل فرحات عباس كتابه الاستقلال المصادر مع رسالة إلى الرئيس الشاذلي بن جديد، يطلب منه السماح له بنشر كتابه في الجزائر لكنه لم يتلق أي رد، لأن ما جاء في هذا الكتاب كان قاسيا على الجزائر في تلك الفترة لأنه انتقد بشدة النظام الجزائري.

في 30 أكتوبر 1984 قلده وزير المجاهدين الذي انتقل إلى منزله بالقبة وسام الأثير. [1269] وهو أعلى

---

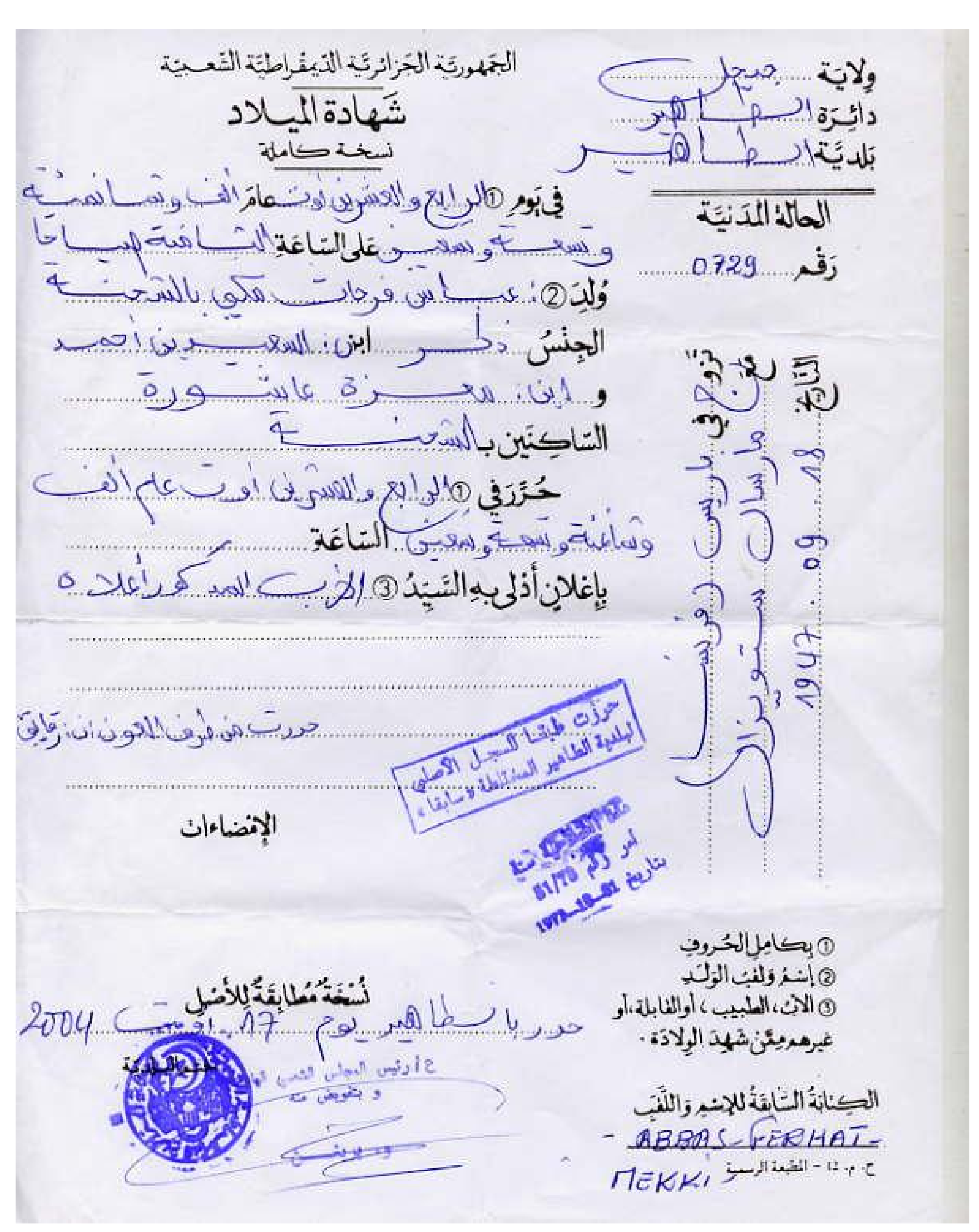
* اتهمه مدبر هذه العملية الدنيئة (محمد بن يحي) الذي أبعده بومدين من الحكم ، فأثناء مرض هذا الأخير قام هذا الشخص بالتعاون مع المخابرات العسكرية المغربية بجلب طائرة عسكرية محملة بالأسلحة الخفيفة، وأفرغت حمولتها في رأس سيغلي، في منطقة القبايل الكبرى الغابية بولاية بجاية، ولما اكتشف أمر هذا الشخص اتهم فرحات عباس بأنه وراء هذه الأحداث، ولكن محاكمة محمد بن يحي في المحكمة العسكرية بالبليدة سنة 1982 على جريمته لم يستطع أن يثبت تورط فرحات عباس، كان محمد بن يحي يتصل أحيانا بفرحات عباس في منزله، وقبيل هذه العملية الدنيئة طلب من فرحات عباس أن يقدم له مساعدة من أصدقائه المغاربة، من أجل تمكينه من الإقامة في المغرب، فكتب له فرحات عباس رسالة طلب فيها من بعض أصدقائه تقديم المساعدة لهذا الشخص فاتخذ من هذه الرسالة دليلا لاتهام فرحات عباس، ولكن المحكمة لم تجد ذلك مبررا لاتهام فرحات عباس.

(اعتبر فرحات عباس تلك العملية من تدبير الأمن العسكري الجزائري من أجل مراقبة منطقة القبايل قبيل وفاة بومدين ببضعة أيام) (صاحب البحث)

[1267] Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 394

[1268] ibid. p p : 384-385

[1269] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 332



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

ولاية جيجل
دائرة الطاهير
بلدية الطاهير

شهادة الميلاد

نسخة كاملة

الحالة المدنية

رقم 0729

في يوم (1) الرابع والعشرين أوت عام ألف وثمانمائة وتسعة وتسعين على الساعة الثامنة صباحا

وُلِدَ (2): عباس فرحات مكي بالشحنة

الجنس: ذكر ابن: السعيد بن أحمد

وابن: معزة عايشورة

الساكنين بالشحنة

حُرِّرَ في (1) الرابع والعشرين أوت عام ألف وثمانمائة وتسعة وتسعين الساعة

بإعلان أدلى به السيد (3) الأب السعيد كما أعلاه

حررت من طرف العون

حررت طبقا للسجل الأصلي لبلدية الطاهير المدعوة سابقا

الإمضاءات

(1) بكامل الحروف
(2) إسم ولقب الولد
(3) الأب، الطبيب، أو القابلة، أو غيرهم ممن شهد الولادة.

نُسخة مُطابقة للأصل

حرر بالطاهير يوم ... 2004

ع/ رئيس المجلس الشعبي البلدي وبتفويض منه

الكنية السابقة للاسم واللقب

- ABBAS-FERHAT-MEKKI

ح-م-12 - المطبعة الرسمية

وسام تمنحه الدولة الجزائرية للرجال المخلصين الذين قدموا خدمة عظيمة للوطن.

في هذه الفترة كان المرض قد أخذ منه مأخذا جديا خاصة السرطان وتوفي صباح يوم الثلاثاء 24 ديسمبر 1985 في منزله وقد أذاع تلفزيون الجزائر في نشرة الثامنة نبأ وفاة فرحات عباس.

وفي يوم 25 ديسمبر 1985 نقل جثمانه وهو مغطى بالعلم الوطني إلى مسجد القبة حيث أقيمت عليه صلاة الجنازة، ومنه نقل إلى مقبرة العالية حيث دفن في مربع الشهداء، وحضر جنازته وفدا رسميا من أعضاء اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني، ووزير المجاهدين، ونائب رئيس المجلس الوطني، والأمين العام لوزارة المجاهدين، وقدمت فرقة من الجيش الوطني الشعبي التحية الشرفية لجثمانه، وجمع غفير من المواطنين الذين جاؤوا من عدة جهات من الوطن لتوديعه، لكن معظمهم وصل متأخرا لأن الوقت كان ضيقا بين إعلان الوفاة وتشييع الجنازة.

أما كلمة التأبين فقد ألقاها علي شنتير رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، وقد أشاد فيها بنضال الراحل فرحات عباس. رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

وقد كتب عنه الصحافي الفرنسي الذي رافقه طويلا منذ انضمامه إلى الثورة وانتقاله إلى القاهرة، في جريدة " لومند " الفرنسية مقالا ومما جاء فيه: " سوف ننصف حتما هذا الرجل الشريف، الذي عاش كمواطن لا يملك أي ضغينة. " [1270]

[1270] حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص ص: 232-233



من خلال دراستي لنضال فرحات عباس السياسي لأكثر من ستة عقود، نستطيع تلخيصه في أربعة مراحل أساسية مر بها ذلك النضال وهي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة البحث عن وطن داخل فرنسا، أو نقْل الجزائر من منطقة محتلة إلى مقاطعة فرنسية مباشرة، مَثَلَهُ في ذلك مقاطعتي الألزاس و اللورين أثناء احتلال ألمانيا لهما، حيث قامت هذه الأخيرة بتحويلهما إلى مقاطعتين ألمانيتين، ومنحت الجنسية الألمانية لكل سكانهما بدون شروط، وأصبحتا جزءا من التراب الألماني.

لقد أراد فرحات عباس أن يجعل جزءا من جغرافية الوطن العربي الإسلامي قطعة من أوروبا، وهدفه في ذلك إنقاذ الجزائريين المسلمين من الاحتلال والظلم و القهر والجهل و القوانين الاستثنائية، و إدماجهم في الحضارة الغربية أو بفرنسا مباشرة، وبالتالي يصبح كل سكان الجزائر المسلمين فرنسيين، مع حرصه دائما على محافظتهم على أحوالهم الشخصية الإسلامية.

ويمكن أن نقول أن نظرته هذه كانت رومانسية بعيدة عن الواقع تماما، ولا يمكن لأفكار كهذه أن يتقبلها، لا المحتلون الذين جاؤوا إلى الجزائر بهدف استغلالها أرضا وشعبا، ولا الشعب الجزائري المسلم يريد أن يكون فرنسيا، فهو ليس كالهنود الحمر في القارة الأمريكية، ولا كمقاطعتي الألزاس و اللورين التابعتين للحضارة الأوروبية.

فحضارة الشعب الجزائري ضاربة في أعماق التاريخ البعيد، فله أرضه، وشخصيته، ومقوماته، وعاداته، و تقاليده وطموحه، وآماله، التي تختلف تماما عن الجهة الأخرى من البحر المتوسط.

ففرحات عباس في هذه المرحلة كانت تنقصه النظرة الواقعية، والتحليل التاريخي والسوسيولوجي العميقين، كان كسياسي مبتدئ مبهور بأنوار الحضارة الغربية، تصور أن نداءه، وأفكاره، وثقافته، وقدرته على المجادلة، قادرة على إنقاذ الشعب الجزائري من الاحتلال الفرنسي، وأنه سوف يحقق معجزة كبرى بفصل الجزائر عن موقعها الجغرافي، وضمها إلى أوروبا.

فلا الجغرافيا ولا التاريخ يقبلان بذلك، ولا المنطق، وقد استمرت دعوته هذه مدة طويلة قاربت العشرين سنة من نضاله (أي منذ بداية العشرينات إلى بداية الأربعينات من القرن العشرين).

كان طوال هذه المدة كمن يزرع في الرمل كما يقال، رجل أبهرته فلسفة الأنوار التي عرفتها فرنسا في القرن الثامن عشر الميلادي، وقيام حركة ثقافية تنويرية كبرى فيها، أعادت النظر في المفاهيم التي كانت سائدة في تلك الفترة في المجتمع الفرنسي بصفة خاصة، والمجتمع الأوروبي بصفة عامة، لكنها أفكار جاءت في بيئتها ومناخها المناسبين لها.

أراد فرحات عباس نقلها إلى الجزائر، لإنقاذ شعبه من احتلال بشع لاإنساني مجرد من العواطف، دعائمه الأساسية النهب، والقتل، والترهيب، وإقصاء الإنسان الآخر.

اعتقد فرحات عباس وهو خاطئ في ذلك أن لغة العقل بإمكانها تهديم تلك الدعائم، كم كان حالما!

تلك هي مشكلة معظم النخبة الجزائرية المثقفة بالثقافة الفرنسية في تلك الفترة، اعتقدوا أن الثقافة الفرنسية هي المحور الأساسي الذي تبني عليه كل عوامل الحضارة العصرية، لكن الفرق بينهم وبين فرحات عباس، أنهم كانوا يطمحون لتحقيق منافع شخصية منفصلة عن مجتمعهم وأصلهم وتاريخهم، مثل الشريف بن حبيلس وغيره من الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية، وتركوا شعبهم يئن تحت نير الاحتلال والقهر.

أما فرحات عباس فكان يريد أن يكون منقذا لكل الجزائريين المسلمين، والأخذ بيدهم إلى الحياة العصرية، وكانت فرنسا نموذجه في ذلك، و لم يكن يطمح لتحقيق مآرب شخصية على حساب البؤساء والمقهورين من أبناء شعبه، لكنه أخطأ الطريق مع حسن النية.

هل كان الخطأ هنا مقبولا خاصة عندما يتعلق بمصير أمة بأكملها ؟ اعتقد أن ذلك غير جائز، وحسن النية في هذه الأمور مرفوضة، وقد حاول فيما بعد في مذكراته تبرير سياسته الاندماجية في تلك المرحلة.

المرحلة الثانية: وتمثلت في البحث عن وطن مع فرنسا.

فبعد أن اصطدمت سياسة الاندماج التي دعا إليها فرحات عباس، وهلَّلَ لها كثيرا، وبحث عن مبرراتها و أهدافها وسخَّر لها قلمه ولسانه و أحلامه، على أرض الواقع الحقيقي، ورأى أن سياسته الاندماجية لا يمكن تحقيقها أبدا على أرض الجزائر مهما طال الزمن.

وبوصوله سن الأربعين أو كما يسمى سن الحكمة و التعقل، كان ذلك في بداية الأربعينات من القرن الماضي استخلص نتائج سياسته الاندماجية، وعرف الواقع أكثر من خلال نشاطه السياسي داخل المجالس النيابية، واتصاله بغلاة المحتلين، وقدرته على تحليل نظرتهم الضيقة، وفهم عمق فكرهم، وخيبة أمله في فرنسا الأنوار، فرنسا الليبرالية، والقوة البروليتاريا الفرنسية، التي كان يعتمد عليها كثيرا في الوقوف إلى جانبه في سياسته الاندماجية.

وجد أن اللوبي الكولونيالي في فرنسا هو اليد المحركة لسياسة فرنسا في الجزائر، اختلط عليه الأمر، وخاب أمله، وأظلمت الطريق أمامه إلى أين يتجه ؟

أيحرض الشعب الجزائري على الثورة، فهذا ليس مسلكه، فهو إنسان يكره العنف والظلم معا.

توجه برسالة إلى الماريشال بيتان، عساه أن يستجيب له في إلغاء الاحتلال وتحقيق المساواة لكل الجزائريين بدون تمييز، آملا في إنشاء جزائر جديدة، تسودها المحبة والإخاء والتعاون بين جميع سكانها، لكن دعوته ذهبت في مهب الريح، و لم يستجب لرجل تنظر إليه فرنسا على أساس أنه شرقي من الضفة الأخرى خاضع لها، وجزء من

شعب سخرته بسلاحها من أجل خدمة فرنسا.

وجد أمله في الميثاق الأطلسي، فوجد ضالته فيه، وحرر بيان 10 فيفري 1943 طالبا بإلغاء الاحتلال، وتأسيس جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا، مخالفا بذلك مطالب حزب الشعب الجزائري، ومرتبطا بمثله

الأعلى في الديمقراطية الفرنسية، و بتطورها التقني والعلمي، لأنه كان يعتقد بأن خروج فرنسا عن الجزائر معناه ضياع الشعب الجزائري في التخلف والجهل و الفقر، كان يرى ضرورة إبقاء الجزائر مرتبطة بفرنسا عن طريق اتحاد فيدرالي مبني على أساس العدالة الاجتماعية والتعاون المشترك بين الجزائر وفرنسا في جميع الميادين.

وجاءت مجازر 8 ماي 1945، و لم يشفع له اعتداله و لا دعوته للسلم و الإخاء بين المحتلين والجزائريين المسلمين فيلقى عليه القبض في قاعة الانتظار بالحكومة العامة، حينما كان ينتظر تقديم التهاني للحاكم العام بانتصار الحلفاء على النازية، ويلقى به في غياهب السجون كسائر مواطنيه الأحرار الذين امتلأت بهم السجون، والمعتقلات.

ونستخلص من هذا بأن الاحتلال ينظر دائما إلى الشعب المهزوم نظرة احتقار ودونية مهما كانت ثقافة الشخص المهزوم ومهما قدم من ولاء وطاعة للمحتلين، فقاعدة الاحتلال مبنية أساسا على الظلم، وأن الاحتماء بالمحتلين يعتبر إما جهل بواقع الاحتلال وقصر النظر وسوء التحليل مهما كانت حسن نية الشخص، أو خيانة إذا كان عن قصد وانتظار من وراء ذلك تحقيق المنافع الشخصية، فالاحتلال لا يقدم للشخص المهزوم أي إمتيازات إلا من أجل تثبيت احتلاله، وفرض هيمنته على الشعب المهزوم.

المرحلة الثالثة: البحث عن وطن خارج فرنسا.

بعد أن يئس فرحات عباس من سياسته، ومن ألاعيب المحتلين، وساستهم في فرنسا، وحرصهم على إمتيازاتهم، وإبقائهم على الشعب الجزائري في الفقر والجهل، ورفض منحه أية حقوق تعيد له كرامته وسعادته على أرضه وجد أمامه جماعة من شباب المنظمة الخاصة المنبثقة عن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية تعلن عن اندلاع الثورة الجزائرية باسم جبهة التحرير الوطني، التي اتخذت من الثورة المسلحة وسيلة لتحقيق السيادة الجزائرية، وتحرير الجزائر من الاحتلال.

فكان على فرحات عباس إما أن يساير شعبه في الكفاح التحرري وإما أن يخرج عن مسيرة أمته. ففكر وراجع نفسه وسياسته، فتيقن بأن اللغة الوحيدة التي يفهمها المحتلون المتطرفون هي لغة الرصاص، فاختار الانضمام إلى الثورة مقدما بذلك خبرته السياسية الطويلة، وحكمته كشيخ محنك.

لقد دافع عن الجزائر في المحافل الدولية، وزار تقريبا معظم دول العالم مُعرِّفا بالقضية الوطنية، وباحثا عن الدعم والمساندة للثورة، وفاضحا أساليب الاحتلال الجهنمية، وأكاذيبه، وجرائمه الإنسانية في حق شعب أراد أن يعيش حرا

على أرضه كبقية جميع الشعوب الحرة.

إن فرحات عباس زعيم النخبة الوطنية المثقفة ثقافة فرنسية واسعة، لم يستطع أن يتخلى عن شعبه، وإن كل ما فعله طوال نضاله السياسي خلال فترة الاحتلال هو من أجل إنقاذ الشعب الجزائري من محنته.

المرحلة الرابعة: البحث عن الديمقراطية في الجزائر المستقلة.

لقد استطاعت الثورة الجزائرية تحرير الجزائر من الاحتلال، وإقامة دولة جزائرية ذات سيادة، تـرأس فيها فرحات عباس أول مجلس وطني تأسسي (البرلمان)، آملا أن يقدم خدمة لشعبه من خلال هذه الهيئة التشريعية ولكنه وجد نفسه مسؤولا بدون سلطة تشريعية، فالسلطة التنفيذية برئاسة أحمد بن بلة الذي جمع كل السلطات بيده، باحثا عن الزعامة الشخصية، منفردا برأيه متجاهلا للسلطة التشريعية، فما كان من فرحات عباس إلا أن قدم استقالته رافضا الأسلوب الاستبدادي.

إن فرحات عباس بقي وفيا للمبادئ الديمقراطية، ونذر حياته كلها لخدمة الشعب الجزائري، رافضا الـولاء للأشخاص، وإنما جعل ولاءه لكل الجزائر، مؤمنا كل الإيمان بالنهج الديمقراطي وهو الأسلوب الوحيد الذي يسمح ببناء جزائر تتسع لجميع أبنائها، ويكون ولاء الجميع للوطن كله.

فهو ذو شخصية قوية مؤمنة بالمبادئ الديمقراطية الليبرالية، لا يمكن أن يضحي بها من أجل مصالح شخصية، وقف ضد النظام الشمولي الذي اتبع في الجزائر بعد الاستقلال، متحديا بذلك كل الأخطار، التي قد تترتب عن مواقفه الرافضة للحزب الواحد، أو الرأي الأوحد، وقد تعرض تاريخه وسمعته للتشويه بسبب مبادئه الديمقراطية التي آمن بها ودافع عنها، كما تعرضت صيدليته مصدره الوحيد في العيش بسبب مواقفه للمصادرة.

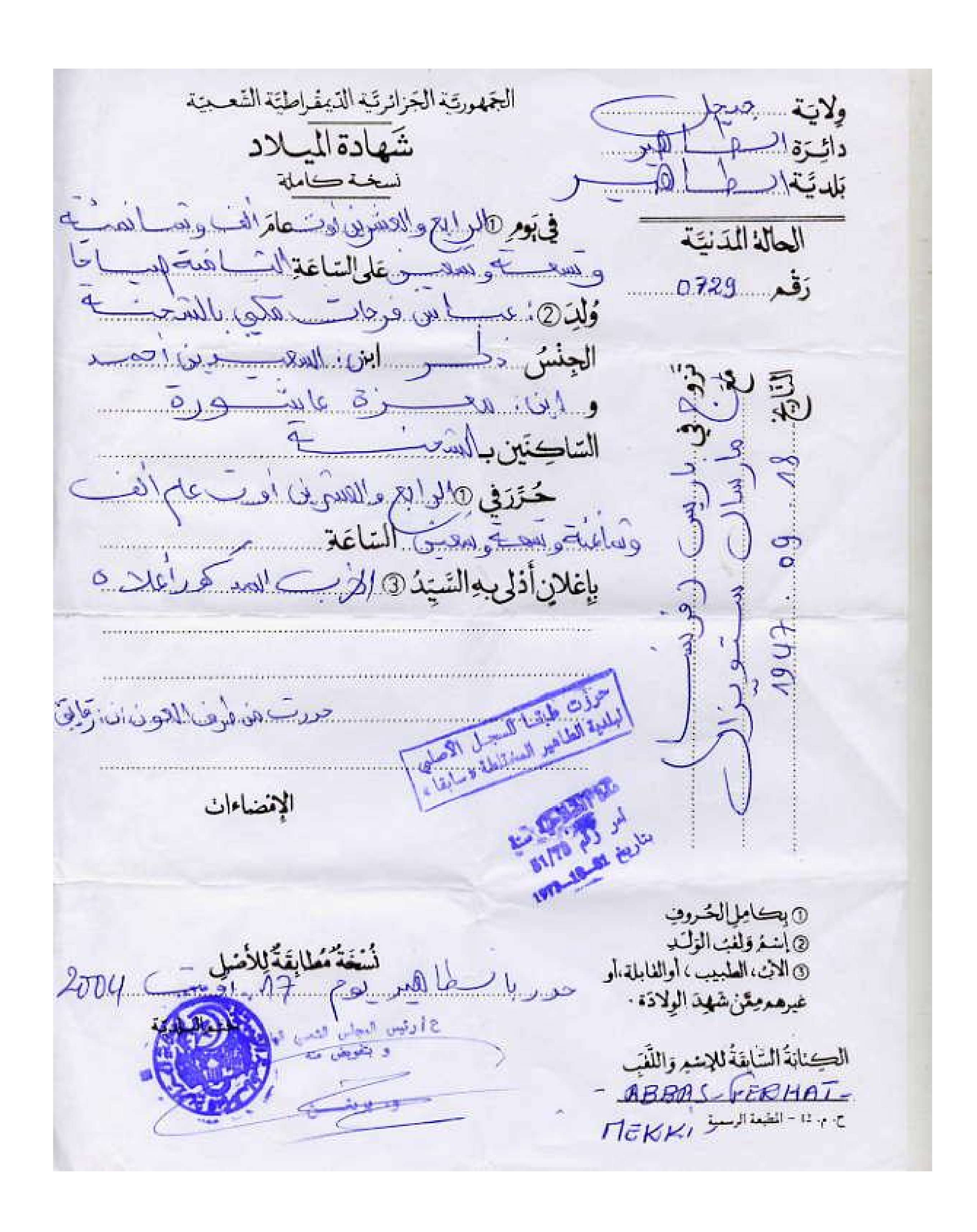
فلم يؤثر عليه ذلك بل زاده قوة وإيمانا بما يفعل، ورفض أن يتنقل إلى فرنسا برغم من امتلاكه لمنـزل صغير فيها بمدينة نيس، التي كان يقيم فيها رفيقه القديم في النضال الدكتور محمد الصالح بن جلول.

تمنى أن يموت على أرض الجزائر وليس على أرض فرنسا، و وفقه الله لذلك ودفن على يد أبناء شعبه في الأرض الجزائرية الطاهرة.

أما اليوم فإن الجزائر ترفع اسمه عاليا على مؤسساتها الرسمية الكبرى كجامعة سطيف، ومطار جيجل الـذي يحمل اسمه، ولقد أحيت ولاية جيجل الذكرى المئوية الأولى لميلاده في 24 أوث 1999 تحت الرعاية السامية لـرئيس الجمهورية الجزائرية عبد العزيز بوتفليقة، الذي حضر هذه الذكرى، وألقى خطابا هاما حول شخصية فرحات عباس، ودوره في الحركة الوطنية.

ملاحق البحث

1. شهادة ميلاد عباس فرحات المكي.
2. شهادة ميلاد أمه.
3. جدول يمثل هجرة الألزاسيين واللوريين إلى الجزائر.
4. وصيتي السياسية.
5. توجيهات فرحات عباس للمفاوضين الجزائريين عشية لقاء لوسارن مع جورج بومبيدو.
6. رسالة العقيد هواري بومدين إلى فرحات عباس عند مغادرته التراب التونسي في اتجاه الجزائر.
7. استقالة فرحات عباس من المجلس الوطني التأسيسي.
8. نداء إلى الشعب الجزائري.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

ولاية جيجل
دائرة الطاهير
بلدية الطاهير

الحالة المدنية
رقم 0729

شهادة الميلاد
نسخة كاملة

في يوم ① الرابع والعشرين أوت عام ألف وتسعمائة وتسعة وسبعين على الساعة الثامنة صباحا

وُلِدَ ② عباس فرحات مكي بالشحنة

الجنس ذكر ابن: السعيد بن احمد

و ابنة: معزة عاشورة

الساكنين بالشحنة

حُرِّرَ في ① الرابع والعشرين أوت عام ألف وتسعمائة وتسعة وسبعين الساعة

بإعلان أدلى به السيد ③ الأب المذكور أعلاه

حررت من طرف العون

حررت طبقا السجل الأصلي لبلدية الطاهير

الإمضاءات

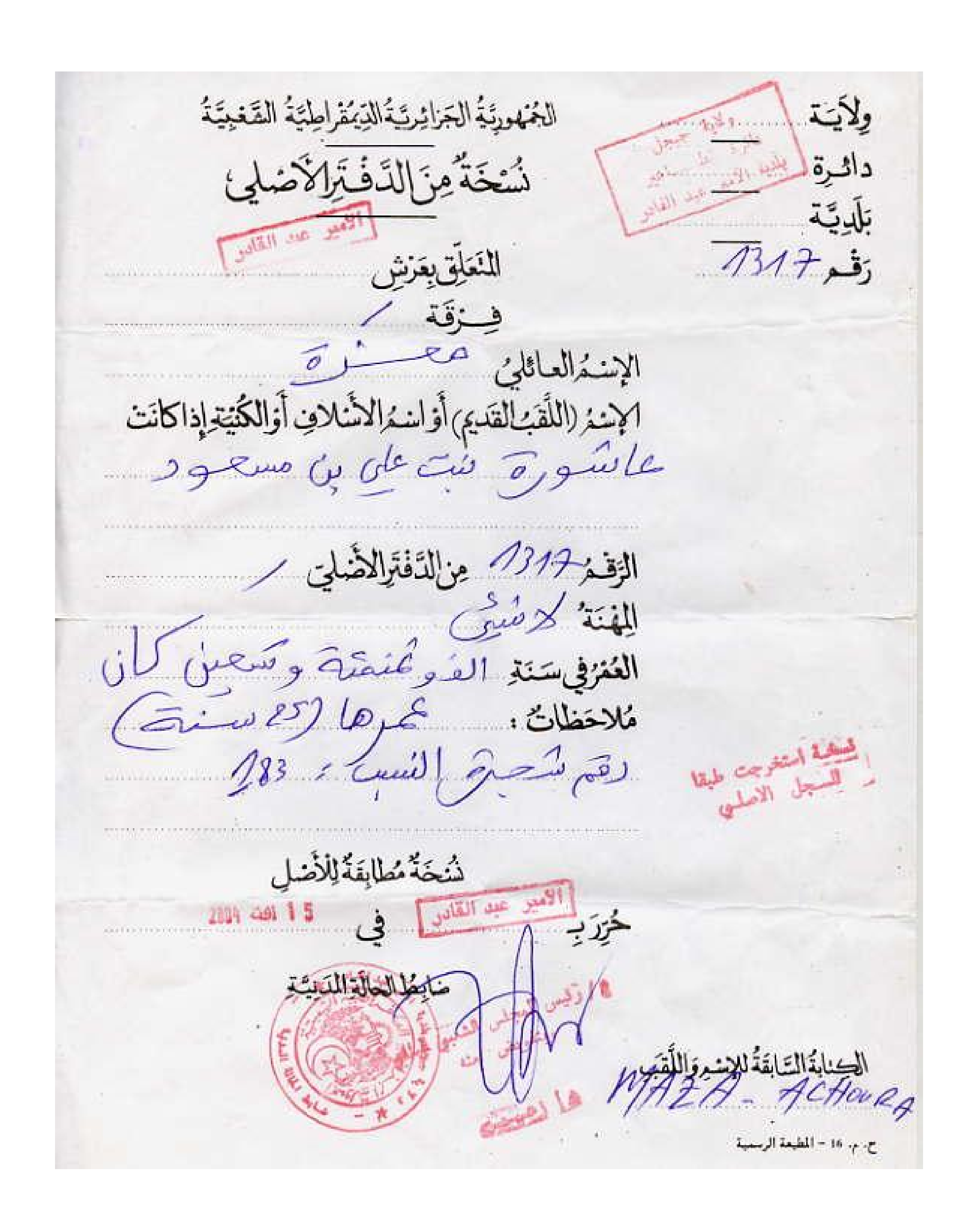
① بكامل الحروف
② إسم ولقب الولد
③ الأب، الطبيب، أو القابلة، أو غيرهم ممن شهد الولادة.

نُسخة مُطابقة للأصل
حرر بالطاهير يوم 17 ... 2004

ع/ رئيس المجلس الشعبي البلدي و بتفويض منه

الكنية السابقة للإسم واللقب
- ABBAS-FERHAT-MEKKI

ح. م. 12 – المطبعة الرسمية



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

نسخة من الدفتر الأصلي

ولاية ___

دائرة ___

بلدية ___

رقم 1317

ولاية جيجل — بلدية الأمير عبد القادر

الأمير عبد القادر

المتعلق بعرش ....

فرقة /

الإسم العائلي معزة

الإسم (اللقب القديم) أو اسم الأسلاف أو الكنية إذا كانت

عاشورة بنت علي بن مسعود

الرقم 1317 من الدفتر الأصلي /

المهنة لا شيء

العمر في سنة الف وثمنمئة وستين كان

ملاحظات: عمرها (25 سنة)

رقم شجرة النسب : 183

نسخة استخرجت طبقا للسجل الأصلي

نسخة مطابقة للأصل

حرر ب الأمير عبد القادر في 15 أفت 2004

ضابط الحالة المدنية

رئيس المجلس الشعبي البلدي

الكتابة السابقة للإسم واللقب MAZA - ACHOURA

ح.م. 16 – المطبعة الرسمية

ملحق رقم: 03

هجرة الألزاسيين واللوريين في نهاية القرن 19الميلادي، وبداية القرن العشرين إلى الجزائر ومناطق استقرارهم.

اسم المنطقة خلال عهد الاحتلال	الاسم الحالي	المنطقة
التكيرك Altkirch	سيدي خليفة	قسنطينة
بلفور Belfort	عين التين	قسنطينة
بيتش Bitche	القصر	بجاية
شادية Chedia	شادية	جيجل
شوفروما Chevrement	عين تاقروت	سطيف
كولمار Colmar	وادي أميزور	بجاية
دومباسل Dombasle	الهاشم	معسكر
دوكان Duquesne	قاوس	جيجل
ايقيشم Eguisheim	بومالك	قسنطينة
فورد لو Fort de l' eau	برج الكيفان	الجزائر
هوربورغ Horbourg	عين توتة	باتنة
كيلرمان Kellerman	وادي توتة(فاجوجي)	قالمة
مارسال Marsal	عين عباسة	سطيف
ميتز Metz	أقبو	بجاية
لاروبيرتسو La Robertsau	سوق السبت	قالمة
اوبيرناي Obernai	عين ملوك	قسنطينة
ربيوفيل Ribeauvillé	وادي العثمانية	قسنطينة
روفاق Rouffach	ابن زياد	قسنطينة
سانت هيبوليت Sainte Hyppolyte	عين فقان	معسكر
سانت ماري Sainte Marie	خنشلة	خنشلة
ستراسبورغ Strasbourg	الأمير عبد القادر	جيجل
الطاهير Taher	الطاهير	جيجل

ملحق رقم: 04

وصيتي السياسية

" أؤكد بشرفي، وأقسم أمام الله بأن " أحباب البيان " غرباء عن أحداث سطيف، وأن أيادينا نظيفة مــن أي دم إنساني "

فرحات عباس

أنني تعبت من السياسة، منذ 25 سنة وأنا أناضل من كل أعماق قلبي ضد قوات الاحتلال التي تضطهدنا، إن قلبي قد تعب، يجب أن أتوقف، لترك المجال لرجال جدد فالمجال هو للأجيال الصاعدة.

ولكن مع انسحابي، أود أن أقول لوطني وللمرة الأخيرة أشياء أعتقد أنها بسيطة، ولكنها ضرورية.

أنا لا أتنبأ، المستقبل بيد الله، ولا أحد يستطيع القيادة وبدقة مصير إنسانيتنا في ظل الفوضى التي يعرفها عالمنا المعاصر.

إن حرب 1939، قد فتحت عهدا تاريخيا، ثورة روحية ومادية، تجري تحت أنظارنا، إننا فوق فوهة بركــان، حممه لا تنقذ أي وطن، عندما ينطفئ هذا البركان، نكون ربما قد توفينا. لا أحد يتمنى أو ينتظر منا تحليلا شاملا للمصالح، وتصالح القلوب... إلخ

تحرر الفلاحين

إننا في وطن " السعادة الفردية " فيه ممنوعة مؤقتا، لأن الفقر فيه مدقع.

المشكل الرئيسي في الجزائر وهو الوحيد الذي يطرح نفسه، ويبقى هو مفتاح نجاح أو فشل نظام الحكومة، هو تحرر الفلاحين.أن تحرر الفلاحين ليس هو مشكلا جديدا، إن الوصاية على الجزائر، قد حررت الفلاحين الجزائـــريين بتكسيرها للإقطاع العربي والتركي، فإن فرنسا لم تستطع القيام بذلك منذ نزولها بسيدي فرج سنة 1830.

لو كان الاحتلال الفرنسي قد حرر فلاحينا لما وقع سنة 1946 صدام حاد بين الإقطاعيين الزراعيين، والعامة الكبيرة من الفلاحين.

إن كل المشاكل الموجود في الجزائر ترتبط بالحرية، الحرية من هذه العبودية الدنيئة والتي تعــود إلى العهــد الرماني القديم، حرية 5 أو 6 ملايين من المواطنين والعمال في الفلاحة و الخماسة هذه الجماهير لا تعرف القـــراءة و الكتابة هي لا تعرف اليوم لا العربية ولا الفرنسية، إنها أمية.

كل الغزاة، وكل الأنظمة كل على طريقتها الخاصة استطاعوا إخضاع هذه الجماهير واستعمالها، ولكـــن لا أحد منهم فكر أن يَحكم من أجلها، وإيجاد الحلول الفعالة لمتاعبها المعنوية والجسدية، وكسر موكب الفقـــر الـــذي يؤلمها لا يوجد نظام قام بتربيتها وتعليمها وتطويرها وتقدمها، الحضارة تكاد لم تصلها- بعد، ولا أحد سَبَحَ داخـــل جسمها، أو تجدر في بيتها. إن الكوخ الحالي كان هو نفسه المعروف في عهد قرطـــاج، وروما، وســـيدي عقبـــة، والبربروس، وبيجو، لا شيء تغير.

أجل بعض الشيء قد تغير " الحي " القديم، والعصور الوسطى لم يعرفا قرن السرعة إنهما لا يقدمان مع الريف هذا الطابع المتناقض القائم على مغالطة التاريخ أصبح هو الطابع الخاص الذي يميز الجزائر. المدينة العصرية المبنيـــة في وسط (لَبْلادْ) الذي يعاني الجهل والفقر وهو مرتبط معها بالسيارة، والسكة الحديدية، والطائرة، والهاتف، والمذياع، والواجبات الإدارية أصبحت شاهد عصر في وسط عصر آخر، إننا نستطيع القول بأن النهضة المرتبطة بالمدينة العصرية بعيدة عن تقديم أي التقاء إنها معاناة خطيرة تربط عالمين منعزلين في الواقع بقرون، ويبقى العالمان غير متداخلين الأحد مع الأخر، وبالتالي نرى داخل حدائقنا العمومية وفي محطات القطار، والحافلات، وفي الإدارات الفلاح وسخ و مقمل (القمل) وثيابه رثة، وخجول وعنيف يرمي هيئته المعتادة كنقطة سوداء في وسط حضارة لامعة، ولا يعتبر هذا الفلاح ولا يعتبر هذا الفلاح أجنبيا مقرنة بالفرنسي فحسب بل يبقى غريبا على كل سكان المدن ولو كانوا مسلمين مثلـــه، الطبيب، المحامي، الصيدلي الموظف، والتاجر، ونادل المقهى، والعامل في حمام العرب، والـــحُجاب عند الخواص، وفي الإدارات العمومية كل هذا العالم متحالف ضده يستغله، يسرقه، يعامله بقساوة يشتمه يرفضه كما لو كان من سلالة أخرى ومن دم أخر، بدون شك لهذا الرجل عيوب كثيرة بالتأكيد ولكن من أين له أن يحصل على الصفات الحسنة ؟

إن مصير هذا الإنسان، وسعادته، ومآسيه هي التي تحدد مستقبل الجزائر، ليس هناك مشكلة نخبة، لأن مـــن السهولة حلها، ولكن هناك مشكل العامة غير، المثقفة، والفقيرة، والبائسة، وحلها مستعصي وهذه الجماهير ســـوف نعرف بأنها ستشق طريق انفجار الغضب، والكراهية.

هل يمكننا إدخال هذا العدد البشري، الهائل، رجل الجبل، ورجل السهل، ورجل الجنـــوب، لتغـــيير طبيعـــة وجوده، وأخلاقه دون حبه أولا ثم نريد له بعد ذلك الخير والسعادة ؟ ذلك غير مسموح.

هذه الجماهير ستتغير عندما تتغير السلطة التي كانت دائما ضدها، وتصبح تعمل لصالحها، سياسة مخلصة تعمل لصالح الجماهير المتعبة هي وحدها القادرة على تغيير الوجه الحقيقي لوطننا وإدخال هذه الجماهير في العصر الحاضر.

من أحدى ذكريات طفولتي، المؤكدة دخول جباة الضرائب، ففي ذلك الوقت كنت أذهب إلى المدرسة القرآنية حافي القدمين، مرتديا قميصا وقندورة، كباقي كل أطفال الدوار، ومن أحدى أكبر أفراحنا رؤيتنا لـ " الخزناجي " كل سنة في منتصف سبتمبر مصحوبا بفرسان البلدية المختلطة لجمع الضرائب، كنا نستقبله هو وعائلته ويمكثون عندنا (حوالي) عشرة أيام وكان ذلك مسليا لنا أن نرى هؤلاء الفرنسيين وكل أولئك الجماعة.

ولكن كان هناك منظر مؤلم كنت أشاهده بعيني الطفولة المفتوحتين، كان فقراء الفلاحين الذين لم يكن باستطاعتهم دفع ضرائبهم، يُعرضون إلى أشعة الشمس الرأس عريان، وأياديهم مكبلة وراء ظهورهم، كنت استفسر قادة المشاتي الذين كنت أعرفهم عن سبب ذلك فيشرحون لي وغالبا ما يضيفون: " إن أباك ليس قاسيا، القايد م... جاره يرشهم باللبن على رؤوسهم لكي يزعجهم الذباب." لقد وصل بي الأمر أن أسرق نقود أمي لتحرير هؤلاء السجناء، الذين كان يتقصهم أحيانا فرنكين أو ثلاث فرنكات، كل ذلك أثارني وجعلني حزينا.

كان ذلك في سنوات 1909، 1910، 1911 أي ثلاث سنوات قبل الحرب الكبرى حرب الحق والحرية، وهي الحرب التي أظهر فيها هذا الفلاح شجاعته ومساهمته الكبيرة في انتصار فرنسا.

في هذا العهد بدأ تعلقي وحبي للفلاح المسكين، ولقد أثبت له ذلك.

إن تعلقي به جلب لي ثقته وذلك حيثما توقفت كسبت هؤلاء الفلاحين الفقراء الذين التفوا حولي، إنني أعرف احتياجاتهم ومعاناتهم وأفراحهم لقد استمتعت في هذا الوسط حيث تتغلب حرارة الأنعام، وكذلك حرارة الأنعام وحفاوة الاستقبال.

منذ البداية ومنذ خطواتي الأولى في السياسة كان نضالي يتمثل في تحرر هذه الفئة الكبرى من الفلاحين الذي فرض نفسه علي كهدف أعلى لسياسة جدية. يجب أن ننصب فيها، وكان طموحي الوحيد هو رؤية قبل وفاتي الفلاح ينام على سرير وهو مغطى بلحافين نظيفين بعد تناوله وجبة العشاء وقراءة الجريدة.

منذ 1910 تعلمت شيئا آخر، تعلمت بأن الفلاحين في كل العالم كانوا إخوة في الفقر، كلهم عرفوا ويعرفون نفس الحرمان، نفس السلاسل، نفس الاستغلال، ونفس السادة في كل مكان وحتى في ساعتنا الحالية هناك عدد كبير من الفلاحين مستغلون من قبل أقلية مستغلة (بكسر اللام)، فلاح فرنسا، فلاح أوروبا، فلاح الصين واليابان يقيمون في نفس المكان الذي يسكن فيه الفلاح الجزائري، ولا يفرقهم سوى ثروات التربة.

عند قراءتي لكتاب حول الصين لكاتب أمريكي وجدت عنوانه " الأم " وجدت فيه خصائص جدتي، همومها، وأفراحها، وانشغالاتها. يوجد عمق الإنسانية في كل مكان نفس تعلق الإنسان بالأرض، إنه هذا الفلاح الذي هـو الشعب؛ الشعب الجيد هو الذي يعمل وينتج، ويدفع الثمن على سطح الأرض.

في الجزائر هو الذي أصبح المساهم الجيد، والعسكري الجيد، والعامل الجيد، ولا يكلف ذلك إلا القليل سواء للدولة أو الخواص.

إذا أردنا سياسة جيدة لابد من ضبط مسيرتنا حول خطواته الضعيفة، خطوات الطفل الذي لا يستطيع تتبعنا، وما دام شعبنا باق في حالة الجهل الأولى بأقلية أخلاقية وثقافية، سيحتفظ عندنا بمكان الطفل في العائلة، إذن يجب علينا أن ندافع عن قضيته خارج نطاقه، التفكير من أجله والنضال من أجله، فالمسؤوليات الكبرى تقع على عاتقنا.

إنه بسبب تحملي لهذه المسؤوليات، ووعيا بمصلحة هذا الشعب وحبي القوي له الذي حملته له دائما، أعتقد بأنني سوف أسمح لنفسي إطلاق صفارة إنذار أخيرة، متأكد بأن المناضل القديم، يسمعه الفلاح، والشبيبة المسلمة، والشبيبة الفرنسية.

استخدام العنف هو جريمة في حق الشعب

" بعد فشل عبد الكريم في الريف سنة 1925. هل يمكن أن يكون عندنا أحزاب سياسية، رجال سياسيون، الذين يفكرون بجدية في استخدام العنف لتحرير وطنهم من نظام الاحتلال ؟ هل يمكن أن يكون هناك رجال يدفعون بقلوب ضعيفة فلاحينا البؤساء نحو الانتحار الجماعي ؟

الأحزاب والرجال ذووا قصر النظر يحرضون على التمرد دون معرفة إلى أين يـؤدي ذلـك ؟ السياسيون المحترفون الذين يتباهون بتحريك الغرائز التي ينبذها العقل للحصول على الشعبية، والذين يعملون في الخفاء أو العلن واعون أو غير واعين بالقمع والتعذيب الذي يمارسه الاحتلال، إنهم يرتكبون بذلك جريمة كبرى ضد حرياتنا.

أقوله وأقرره، عندما نمثل شعبا ضعيفا، السلاح الوحيد والفعال هو الإخلاص للجزائر المسلمة التي هي بدون قوة فالقوة الوحيدة التي بقيت لها هي قوة الضعفاء بإيمانهم الجيد وإيمان الجزائر بهم.

من هم هؤلاء المجانين الذين يتصورون بأنهم يستطيعون بواسطة أحداث شعبية إعادة الهدوء الاجتماعي الذي حطمه الاحتلال منذ أكثر من قرن ؟ ألا يرون بأن النتيجة العملية لمثل هذه السياسة هي إراقة أودية من دم المسلمين ؟

صحيح أنه كانت لدينا الشجاعة عندما كتبنا بأننا نفضل الموت بالرصاص على الموت بالطاعون، ماذا نقول ؟ هل أن حياة الفلاح الفقير أقل قيمة من حياة منظمي الحوادث ؟ وهل لهذا كله في ساعة " البارود " هؤلاء " القادة " يدفنون أنفسهم في التراب كالفئران في جحورهم ؟ إن حرب التحرير كانت بدون شك مدرسة للبطولة هناك رجال يريدون لعب دور المقاومين، إما إذا كانت هذه قناعتهم فعليهم أن يظهروا للعلن وأن يتسلحوا ويلتحقوا بالجبال لمواجهة الدركي ولكن عليهم أن لا يرتكبوا دناءة البطولة على حساب الآخرين، ودفع الفلاح إلى المجزرة.

أيها الفلاح استمع إلى صوت صديق إن الذين نصحوك بالثورة يخونونك، لقد دنسوا شقاءك، البارحة حرضوك ضد الفقراء من الفرنسيين الذين لم يكونوا أعداءك، وغدا، سيحرضونك ضد مسلمين آخرين، ضد الميزابيين

ثم في ما بعد ضد سكان الجبل ثم سكان السهل ثم سيتجدد صراع قبيلة ضد قبيلة. الإقطاعية العربية ستأخذ كل حقوقها، وستعاني وحدك من الاضطهاد وضرائب أخرى تحت تعسف آخر. الفوضى ستعود، ووطنك سينفتح على احتلال آخر. لا أحد يجهل معاناتك، وكما أن آخرين يعيشون في الرفاهية، فإنك ستتلوى وحدك في الفقر، إذا كان منظمو الفوضى يستمعون إليك، إنهم يسمعونك مثلنا " تحمل وتعذب "، ولكن هل يفكرون في الاستماع إليك فقط

إن تحررك لا يتوقف على موت بعض المارة في الشارع أو على اغتصاب ولا على جريمة فضيعة. أترك هذا العمل الغوغائي لرجال بدون اعتراف ! إن ذلك يعتمد على مؤسسات وهناك ثلاثة مواقف ممكنة ضد هذه المؤسسات:

1. الخضوع
2. الكفاح واللجوء إلى القوة
3. الكفاح واللجوء إلى العدالة والشرعية

لقد نددنا منذ مدة بالطريقة الأولى (الخضوع) بمعنى طريق بني - ويوية (بني وي - وي)، نندد، ونستنكر الطريقة الثانية إن الفكرة التي تقول بأن الفلاحين الجائعين، وبدون سلاح يمكنهم تحطيم نظام اجتماعي محمي بالسلاح إنه خطأ وشتم للطريق الجيد والبسيط.

يبقى لنا الطريق الثالث وهو الوحيد المعقول، إن استحقاقنا ليس في اختيارنا لها ولكن لنكن معتدلين تجاهها وضد الجميع.

إذا كنا نعتقد بضرورة " تغيير الطريقة " و إشراك الجزائريين المسلمين بطريقة ضيقة وفعالة لإدارة حكومة الوطن وتسيير البلد الذي عاش فيه أجدادنا على قدم المساواة مع الفرنسيين، إذا كنا من أنصار التغيير

التدريجي لنظام الاحتلال الحالي المبني على اندماج خاطئ، تعاون صادق حسب نظام فيـدرالي، فإننـا قـد عارضنا دائما وبعنف محاولات الفوضى، وكل سياسة العنف وكم كنا محقين في ذلك !

فعلى شبيبة وطني الاستماع إلي ! وسيجدون رجالا أيضا في الخفاء لتبرير عملهم الإجرامي. هؤلاء الرجـال سيقرؤون لي كالعادة وابتسامة لماعة وبوجه مغلق، وبهيئة مدافعة، لأنهم وحدهم " يعلمون " إسـتراتجيتهم الكـبرى، وهم وحدهم الذين لديهم " معلومات ". على شبيبتنا أن لا تنخدع وأن لا تكون دنية أمام وطنية هؤلاء " المتكبرين " لتكن لهذه الوطنية بالوكالة الشجاعة لتقول " لا " لهؤلاء الرعاة الرديئين، وبالتالي يكون لها الاستحقاق في تحرر وطننا.

لا لكراهية الجنس، لا لكراهية الدين

" لكي ندخل الجزائر في إطار العصر الحديث، لا يعقل أن نقوم بنشر عواطف الماضي لسكاننا، وليس من العقل ترك زراعة مزدهرة عندنا ونقوم بما ندد به جارنا.

لن أتكلم أمام الفلاح على العنصرية، من الممكن ألا يفهم ذلك. نطلب منه فقط أن ينظر حوله ليرى بـأن الفرنسيين واليهود هم أحسن من المسلمين، هذا يكفي، وسيفهم، وسيؤكد على ذلك.

إن الدين ناقل للحضارات وخدم عصره. القبيلة وحدة بيولوجية ناقلة للحضارة في عصرها إنهمـا الاتحـاد الوطني المسكون بأناس من كل الأجناس والأديان، وهم الذين يدخلون في الطابع العام لتوازن العالم المعاصر الحـالي، لتوحيد هؤلاء الناس، دين آخر قد وُلد، دين الديموقراطية والحرية لكل واحد إيمانـه، ولكـن للجميـع الانضـباط الجمهوري والدفاع عن الديموقراطية.

إنهم يلوموننا على أن لدينا أصدقاء فرنسيين، نعم، لدينا الكثير منهم ونحن متعلقون بهم لأننا نعرفهم. المعرفـة هي الحب. ولو كنا نعرف تاريخ الصينيين، والروس، والإنجليز، والأمريكيين، كما نعرف تـاريخ فرنسـا، أكيـد، سنحبهم بنفس المقدار.

إننا نناضل ضد القوانين الفاسدة، وليس ضد أشخاص. وكل الشعوب هي بصدد محاربة القوانين الفاسـدة لأوطانها. هل يوجد في وقتنا الحالي شعب واحد راض بمصيره ؟ ألم تعاني أوروبا خلال أربع سنوات أكثر ما عنيناه في 50 سنة ؟ العالم ينتظر، والمحتلات تنتظر، وجيراننا المغرب، وتونس ينتظران، و" مقاتلونا " وحدهم يُوَلِّدون الجزائر قبل أجلها بالاعتماد على جهلنا.

في الوقت الذي فتح فيه " أحباب البيان والحرية " الباب للفرنسيين والإسرائيليين لتشكيل العائلة الجزائريـة الكبيرة الموحدة مستقبلا. ها هو العنف يمارس ضد نفس الفرنسيين. أي دور يريد أن يلعبه هؤلاء الذين قبلوا السـير معنا ؟

السياسة قبل كل شيء هي قضية شرف وعلى من يمارسها أن يفي بالتزاماته ويعمل على مواجهة وعـــوده. ويتحكم في مستلزماته و أنانيته، وبذلك سنرتقي إلى صف خدام الشعب، وليس عن طريق الخداع، والنفاق، والنيـــة السيئة، نربي شعبا، ونحضره للمستقبل.

أعترف إنني لا أفهم رجلا مثل الطبيب " كالبوا " (Calbois) الذي قام بحملة في قسنطينة ضد مرض السل في أوساط المسلمين أليس هو ضروري لوطننا وأحسن من خباز مسلم يـــبيع الخبز لبؤسائنا المواطنين بـــــ 40 فرنكـــا للكلغ من الخبز ؟ وأحد المحتلين مثل " ڤاسطون ليو "(Gaston Lieu) الذي يتغاضى الطرف عن سرقة قمحه، لأنـــه يعلم أن اللصوص هم من الجائعين، أليس هو أحسن من مسعود سالم الذي يترك خماسيه وحتى أحفاده يموتون جوعا، وقمحه يصاب بالسُوسِ ؟ رجل مثل صديقي الفقيد " دي لوكا " (Deluca) الذي ترك كل الأشـــياء المعنويـــة إلى أصدقائي مصطفاي، وعطار عيسى، وفتح كل الأبواب الكبيرة للبلدية في وجه المسلمين، أليس هو أفضل من والدي

الحقيقي في ذلك الوقت الذي وقف معاقبا بشدة الفقراء الذين لا يستطيعون تسديد فرنكين للضرائب، وذلك من أجل الحفاظ على برنوسه الأحمر، موظف بالبريد، أصلا شريفا، مثل صديقي " دينييه " (Denier) هو ضـــحية بريئة لوغد أليس هو ضروري لوطننا أحسن من قايد يقوم بتحويل مؤونة دوراه إلى عائلته تاركا النساء والأطفال عراة ويموتون جوعا ؟ والرئيس باسل ؟ أليس بفضل نفوذ هذا القاضي تم تحرير عباس التركي، والشيخ العقبي سنة 1936 ما هو الضرر الذي قام به هذا الرجل لكي يقتل ؟ أليس هو أحسن من الملاك المسلمين الكبار الذين يعذبون فقراءنـــا الفلاحين بالقتل حيث يبيعوهم القنطار من القمح ب 10000 فرنكا ؟

إن الذين رموا بأنفسهم ككلاب مسعورة من أجل الدفاع عن كلمتين تافهتين: " لتســـقط الشـــيوعية " " أطلقوا سراح مصالي " في يوم الانتصار أين كان الجيش الأحمر والحلفاء داخلين إلى برلين، كـــل هـــؤلاء الســـفهاء أصحاب السوق السوداء و رواد مقاهي العرب لا أحد منهم يستطيع استعمال أصابعه العشرة، كل هؤلاء الأفـــاعي الذين وضعوا بيضهم المسموم في عش الجار وتحويل يوم الفرح الذي شارك فيه المسلمون إلى دموع هـــل يســـاوون اليدان المقطوعتان لصديقي " دينييه " الذي لم يتسبب أبدا في بكاء أحد ؟

كفانا عنصرية، كفانا جهوية، أيها الشعب لا تسئ إلى قضيتك العادلة بسيرك وراء جماعة بوعمارة الدنيئـــة. حل المشكلة لا يكمن في القتل، وإنما في اتحاد كل الإرادات الطيبة لكل الرجال المخلصين. مع هذا الاتحاد تنكسر كل القوى الرجعية المتخلفة. أيها الشعب اختر قادتك، وانتصارك أكيد.

لا ضد الشيوعية، لا ضد الاشتراكية

الاحتلال المنتصر قال يوما في قسنطينة: " الشيوعية إنها العدو." ثم فيما بعد: " الهتلرية، والفاشية رفعت نفس الشعار من أجل مصلحتهم الخاصة: " الشيوعية هي عدوة الإنسانية. "

وها هم بدورهم، الديكتاتوريون يريدون أن يعلموا شعبنا كراهية الشيوعية، دون أن نتمكن من معرفة السبب، ولا اكتساب الكيفية لمواجهة هذا النظام السياسي الكبير، النظرية الاقتصادية والاجتماعية.

لست شيوعيا، وليست لدي النية لأكون في مكانهم ولا في مكان الجيش الأحمر للدفاع عن " وطن العامل " لقد سمحت لنفسي لكي أحتج ضد المعادين للشيوعية، وتحذير الفلاح. هناك 6 ملايين نسمة لا يشبعون: عمال الفلاحة، الخماسة، الشماس (البطالون)، وصغار الفلاحين. يجب أن يأكلوا جيدا، ويسكنون في قرى نظيفة، ونكوِّنهم، ونكسيهم، ونعالجهم، وأغنياء المسلمين يفكرون بجدية في الزكاة، و 10/1 الإنتاج لتحقيق هذا البرنامج ؟ سيغيرون وضعية الخماس، ويجعلون من ابنه إذا كان ذكيا، مهندسا، أو طبيبا، أو أستاذا، أو عاملا مؤهلا ؟ شيء مضحك.في دولة عصرية، يجب أن يكون لها قوانين عصرية. إذا أرادت الجزائر ألا ترجع إلى الوراء وتزول، فإنها لا

تستطيع الهروب من تأثير نمو الإنتاج فهي ذاهبة إلى الاشتراكية، وإلى الشيوعية. القوانين الاجتماعية تفرض نفسها. على الأقل العامل الذي ليس له إلا يديه لكي يعيش، له الحق الكامل للدفاع عن خبزه، وخبز أولاده، له الحق في التجمع، والانخراط في التنظيمات التي يختارها.

لا أقول للفلاح اذهب إلى الشيوعية. أقول له قبل أن تعرف القراءة والكتابة أن تحكم على نفسك، وألا تكون عدوا للشيوعية للفلاح أعداء كثيرون في هذا الوطن، كفاه عداوة للشيوعية.

في معظم الأحيان يستعملون الدين ضد موسكو، الدين له قوة جيدة، و الذين هم أقل معرفة بالدين هم أكثر تشبثا به. من جهتي أعلم بأن الله والإنسان بينهما نفس المسافة التي تفصل الأرض عن السماء. رجل الدين كان دائما حليف الغني، وفضل مصاحبته على الفقير. أرى في أريافنا الطَلْبَة يتسابقون لموت رجل غني لأن عنده غداء جيد وله النقود. وهم أقل عددا وأقل تسابقا حول جثة فقير.

الدين قضية ضمير، وحرية الإرادة، لا يجب أن يكون الدين قمعيا، ويجب أن يعلم بحرية ولكن هنا تتوقف حدوده. لا يجب أن يتدخل الدين في الصراع الطبقي لتكوين الحكومات، قضايا الدولة هي من صلاحيات الدولة.

في تاريخ الأمم وخلال السنوات الأخيرة، يحتم علينا ملاحظة هؤلاء الذين كونوا قاعدة ضد الشيوعية، هؤلاء انهاروا واحدا تلو الأخر بعد أن تسببوا في دمار كبير لشعبهم، إنه تاريخ ألمانيا، وإيطاليا، واليابان ومن الممكن أن يكون ذلك نفس مصير أسبانيا.

في دواري الأصلي، صديق قديم لي في المدرسة القرآنية سألني يوما: ما هي الشيوعية ؟ سؤال محرج هربت من الإجابة بحكايتي لقصة اسكافي.

كان اسكافي له خادم يصنعان معا زوجين من الأحذية يوميا، عامله يتقاضى على ذلك 150 فرنكا شهريا، ويحقق الاسكافي 400 فرنكا ربحا صافيا كل شهر، كان كل شيء يسير جيدا، وفي كثير من الأحيان كان الاسكافي وخادمه يتناولان القهوة معا، وكانت زوجة الخادم تزور زوجة الاسكافي، وكانت تجد منزلها وأثاثه لا يختلف عن منزلها، وكانتا صديقتان، وذات يوم مهندس اخترع آلة يستطيع بواسطتها الخادم أن يصنع 100 زوج من الأحذية يوميا، الاسكافي اشترى تلك الآلة، وتعلم الخادم استعمالها، كل شيء تغيير، الخادم بقي يتقاضى نفس الأجر اليومي، ولكن أرباح الاسكافي ارتفعت، وأصبح ملكا - ملك الأحذية – اشترى قصرا، وضيعة أولى، وثانية، و ثالثة، وبنى فيلات على الساحل، ومنازل للنزهة والترفيه في الجبال. وأصبحت له سيارات خاصة، ولزوجته كذلك، وخدام يرتدون ملابس شبيهة بتلك التي يرتديها رجال السرك، وزوجة الاسكافي تملك الجواهر، و لم تعد تلتقي أو تتكلم مع زوجة الخادم، أولادها يرمون النقود من النوافذ.

الخادم اشتكى، أطفاله جائعون بيته غير نظيف، يبذل جهدا قاتلا في عمله، طلب من الاسكافي أن يمنحه جزءا من الأرباح، ولكن الاسكافي رفض، وهكذا أصبح الصديقان عدوان. قال الخادم: كل هذا ليس عدلا، الذي لا يعمل لا يحق له أن يأكل، أموال الاسكافي كانت بعرق جبيني، ويجب أن يعود هذا المال إلي، وإلى الدولة، إذا أراد الاسكافي أن يأكل فما عليه إلا يعمل مثلي.

وبجانب ملك الأحذية، يوجد ملك الحبوب، وملك الفوسفات، وملك الخمور، وملك البترول، وملك الأقمشة...إلخ

هذه هي الشيوعية. ماذا تعتقد من ذلك ؟ أجابني الفلاح المتواضع بقوله: لو أن الاسكافي منح للعامل إحدى ضيعاته لكان ذلك أحسن.

آه ! إن الذي يملك ضيعة لا يمنحها أبدا، ويفضل أن يتركها أرضا بائرة. الإنسان سواء كان عربيا، أو صينيا يهتم بأمواله أكثر من حياته.

والدي في سنة 1917 بجدة أثار استنكاره مظهرا شاهده فيها، فارس عربي، كان مارا بسرعة علـــى فرســه، وخادمه يجري مع الحصان. لماذا ؟ ببساطة حتى يكون الخادم على استعداد للحفاظ على حصان سيده عند نزوله. يا له من مثل للأخوة الإنسانية ! نحن سعداء لأن هذه المظاهر أصبحت غريبة عندنا.

إن أنانية الغني، واستسلام الفقير، هما اللذان صنعا التفاوت الاجتماعي الكبير وذلك هو السبب الرئيسي لتلك الكارثة التي تسمى الحرب، حرب احتلال، حرب عالمية، الواحدة تغذي الأخرى.

لا أقول بأن الفلاح شيوعي ولا أقول له أن يكون كذلك، للأسف إنه متنازل جدا لكي يرى من أين تأتيــه المآسي، ولكننا نرى بدله ونستطيع تشخيص ذلك، ليس العمل في محاربة الشيوعية من أجل إحياء " المملكــة العربية " والتي ستعالج كل آلام وجراح فلاحينا.

يجب أن تكون قوانين اجتماعية عديدة، ووسائل إنتاج جديدة وأدوات جديدة. من يستطيع أن يحقق هــذه الثورة الاقتصادية والاجتماعية، إنهم الآلاف من المهندسين وبتصورات جديدة ؟

لنكن جديين، ولنتكلم عن أشياء جدية، على إمكانياتنا إننا نمثل ونتكلم باسم 6 ملايين من البشر لا يملكون شيئا، وينتظرون كل شيء من غد غير أكيد. الشيوعية كسب الملايين من البشر لقضيتها، هزمت الهتلرية التي تسلحت لغزو العالم. هل المسلمون الجزائريون قادرون على إفشال ذلك ؟

الصدق والحكمة تتطلب منا ألا نقوم بتلك المبادرة الغير الضرورية.

لا نقلد الفارس صاحب الوجه الحزين الذاهب إلى الغزو على خوذة حديدية. ولا نلعب دور "دون كيشوط "

إن العمل والعلم هما اللذان يمنحان الحرية للشعوب.

" الإيمان والمبادئ، الشعوب لا تحتاج شيئا آخر تضيفه لغزو الحرية سوى الطاقة في العمل وحب العلم. أيهــا الشعب تعلم العمل، تعلم أن تكون ملتزما في العمل. إنها الخطوة الأولى لطريق الحرية. الحقيقة الأولية، أن الشعب لن يكون قويا بالعدد، ولكن بعمله، و احتياطيات عمله.

ولكن نحن لا نعرف حتى كيف نعمل، إذا كنا فلاحين، نضيع نصف الإنتاج بسبب الكسل وتنقصنا رغبــة المبادرة. إذا كنا تجارا نجهل معنى الأعمال وميزانية آخر السنة. نعيش من يوم ليوم. لا نعرف كيف نواجه التزاماتنــا. نترك بمعانات توقيعنا لدى مؤسسات القرض. لا نعمل أي شيء بمنهجية، ولا بعزة، وليست لنا الثقة في أحد.

إذا كنا عمالا نمارس نفس الإهمال، لا نعمل بــ " جدية " ينقصنا الانضباط، ولا نحب عملنا.

أيها الطلبة، إنه ينقصنا الطموح، وحتى حب أنفسنا، لا أحد منا يفكر في الذهاب أكثر من مسار أجدادنا. لا أحد منا يفكر في غزو المرتبة الأولى. بعد نيل الدبلوم. إنه الاستقرار، إنه الروتين في الحياة والموت.

يقيم أي شعب بوثبته الحيوية. ورغبته في المخاطرة والمبادرة. العالم العصري ورشة واسعة، مدرسة ضخمة حيث يتم فيها تعلم أفكار جديدة وغرس مناهج جديدة. من منا يفكر في الهجرة من أجل أن يغني وطننا بتجربة الشعوب الأخرى ؟ لننظر ماذا يحدث في باريس، وفي موسكو، وفي أنقرة، وفي لندن، وفي نيويورك، وفي طوكيو، هكذا خلال ثلاثين سنة ونحن نخلِّط نفس الأفكار. فعندما يحاول أحدنا محاولة الابتعاد عن الدروب القديمة المهزومة معها تبدأ قضايا الأشخاص في اللعبة فورا، لأنه تنقصنا " الروح الجماعية " والوعي الجماعي، ومن هنا فإن أحزابنا السياسية ما هي إلا نسخة من تلك الأفكار البالية.

أكثر من نصف قرن رجل دولة أجنبي لاحظ في باريس أن الطلبة المصريين يرتادون أماكن التسلية، بينما الطلبة اليابانيون يقضون وقت فراغهم في المكتبات، والعمل. وأضاف ذلك الرجل: اليوم اليابان حر ومصر مازالت تحت الاحتلال.

لا يجب أن نؤمن بالمعجزة. بل يجب أن نؤمن بشرف العمل. ونؤمن بالعلم. هذا العلم يستطيع أن يرفع جبالا. شعب بدون علماء، وبدون تقنيين، وبدون مهندسين، هو شعب بلا روح، وبدون قاعدة، وحريته وهمية، فهي منعدمة ولا يمكن أن تكون.

غير معقول في فجر العالم الإسلامي الرسول (ε) قال: " ابحثوا عن العلم ولو في الصين " نعم. ابحث عن العلم ولو في نهاية العالم، وهو كذلك.الإسلام في عصر الانحطاط اهتم بالعلوم الدينية، خطأ فادح، المعرفة الدينية الحقيقة كانت في المدينة ومكة وفي الصين كان البحث عن العلم هناك في مهده، وذلك يتعلق بالعلوم الإيجابية، والمعرفة التجريبية. مؤسسات لا تزول أمام عظمة الشعوب.

هذا العلم هو مصدر كل الاستقلال. العلم يضع الجسور فوق الأودية، يشق الجبال، يحجز المياه يحول السيول الجارفة إلى ضوء وثروة، والعلم يخرج ترسانة من السفن. والطائرة من الورشة. لا علم، لا حرية. المعادلة الجبرية، والقانون الفيزيائي، والمعادلة الكيميائية، هم أسلحة الشعوب العصرية.

عندما تكثر السبورة السوداء، ولوحة الكتابة في الأرياف والجبال الجزائرية، وعندما ابن الفلاح يكتب: ax2+6x=c=0، الجوع، والكوخ، والثياب الرثة، والعبودية ستزول نهائيا.

ما هو تحرر الفلاح الذي حددناه كهدف ؟ ما هي النهضة التي نطالب بها من أجله ؟ أولا وقبل كل شيء هو تحسين الشروط المادية للوجود، التطور التقني، الآلة البخارية، الطائرة، اللاسلكي، الجرار، السد. إنها تطور العقول، والقلوب بين الأجيال في انسجام اجتماعي للمعتقدات، والإيمان، إنه السير نحو السعادة.

هذا هو العمل الذي أطلبه منك يا شباب وطني والانخراط فيه والتعاون. العلم ليس له وطن، العلم ليس له دين، العلم ليس له جنس، أيها الطالب المسلم خذ صديقك الطالب الفرنسي، والإسرائيلي من يدهم، وسِرْ بهم إلى وسط الدوار في أريافنا المؤسفة. ليدخل هذا الثالوث إلى داخل الكوخ، ليعالج، ويربي، ويساعد الفلاح ويحبه، وتعطى بذلك روح جديدة للفلاح، وأنتم أيها الطلبة تكسبون أيضا روحا جديدة. أقضوا عطلتكم هناك، اذهبوا نحو الفلاح بإيمان قوي، ومن هنا تعرفون احتياجاته، وطموحاته. وهذه المعرفة تجعل منكم قادة جيِّدين للرجال.

بدون ديماغوجية. ألا يمكن اعتبار فرقة جيدة من الطلبة مع ثلاثة أو أربعة من فلاسفة التربية (للرجال، السينما وسيلة مرجوة لم ترد الحكومة أبدا توظيفها)، صيدلية جيدة، طبيب جيد، في خلال شهرين من عطلتهما يستطيعان أن يعملا من أجل تطوير المسلمين أكثر مما يقوم به قايد خلال مئة سنة ؟ ولكن هنا من مكان آخر، لا يجب أن نهمل المراحل لكل شيء وقته. ليس عندنا " بيار الكبير " (Pierre le Grand) من أجل تغيير الأخلاق والتقاليد بضربة مقص.

ليس لدينا أتاتورك صاحب العمل الخالد، فهو المثال الوحيد والجيد للشعوب الإسلامية، ليس لنا إلا حسن إرادتنا واتحادنا، فهي كافية لنا في حالة ما إذا عملنا بمنهجية وصبر.

لا نغتر. إذا أردنا ترجمة طموحات وطننا، لا ننسى أبدا أنه يجب علينا أن نفكر من أجله، ونسير في مقدمته لتوجيهه، اخترنا مع البيان الفيدرالي طريقة حكيمة وحذرة. لنتوقف هنا. لنحقق هذه الشمولية، وهذا التوازن بين الذين يملكون، والذين لا يملكون شيئا. إذا وجد وطننا مستقبلا نفسه في الاستقلال. منهجيتنا لا تزعجه، لو كان في يوم آخر وجد نفسه عكس ذلك، توازنه الاقتصادي وانسجامه السياسي داخل وحدة ضيقة مع البلد الأم الليبرالي، منهجيتنا لا تزعجه أيضا.المهم اليوم ألا نضيع الوقت نريد أن نسير بسرعة، مثل دخول الباحث الجامعي اللامع إلى مخبره، نكتب على عتبة حركتنا التحررية: " هنا من أجل الذهاب، يجب أن نسير بهدوء "

آخر كلمة للشبيبة المسلمة

فعل الطريق يعطينا مثالين: استعمال الشعب الروسي العنف لإلغاء النظام القيصري الديكتاتوري، وثانيا المقاومة السلمية، و اللاعنف اللذان تبناهما المهاتما " غاندي " في الهند.

الحوادث لم تكن لا من هؤلاء، ولا من أولئك، ليس لها شجاعة وبطولة الثورة التي قام بها الشعب الروسي، وليس لها نبل وعظمة التضحية الجماعية للشعب الهندي. إنها وسيلة بدون هوية، خسيسة، أضرت البريء أكثر من المذنب فهي بلا شجاعة ولا عظمة. إذا نصحنا بالحوادث تصبح استفزازا، ويكون الشعب ضحيتها، وتمنح رد الفعل للدفاع الشرعي في غير محله، وتحيي أرمادة الكراهية والشك، لدى المستغل (بكسر الغين) ضد المستغل (بفتح الغين) الغازي ضد المعتدى عليه، والسيد ضد الرعية.

مهما تكن الصيغة التي ننظر بها إليها فإنها لا تخدم القضية الحقيقية للشعب بدل أن تكون في صالحه."

وأنت أيها الشاب الفرنسي الجزائري إلى أين ؟

" طبيب فرنسي لأصدقائي من أصل جزائري فضولي جدا لمعرفة المشاكل السياسية والاجتماعية، وأثرهما على الأوساط المسلمة الجزائرية، وهو على علم بمختلف التيارات الفكرية، والتي تؤدي إلى تحريض عامة الفلاحين، والبرجوازيين. قال لي يوما، عند عودته من تونس حيث جرح هناك: " أخطاء خطيرة ارتكبها آبائنا في الماضي خلال مسيرتهم ضد جيلنا، الآن يجب علينا أن ندفع الثمن، ونحن لسنا سعداء بذلك، ولن ندفع أبدا عن إحسان، والحقيقة هنا، سوف ندفع بطريقة أو بأخرى. "

قرن من احتلال الجزائر واستيطان أوروبي، وفقر المسلمين وصل إلى مأزق مأساوي. ولكن هل الأمر بالنسبة لفرنسيي جيلنا دفع الثمن، أو ببساطة التنازل ؟ إنه يتعلق فعلا بالتنازل عن أفكار آبائنا، وعقلية الاحتلال، وموقف السيد من رعيته. المشكل كله هنا. وهنا تكمن الصعوبات. "

فرحات عباس

(ترجمة صاحب البحث)

ملحق رقم: 05

إخواني الأعزاء،

بولحروف سيتوجه إلى سويسرا بالتعليمات أدناه، في حالة ما إذا انتهت مهمته، وتمكن من الاتصال بكم قبل عودتنا إلى تونس.

نقدم له هذه المذكرة لكي يكون لكم رأيا حول وجهة نظرنا:

1) – اللقاء الذي حضَّره السويسريون، يجب أن يكون في أقرب وقت ممكن، وألا نضيع الوقت، وأن يكون ذلك قبل انعقاد دورة الأمم المتحدة في مارس المقبل.

2) - الإخوة بومنجل، و بولحروف، هما المكلفان باللقاء الأول، يقومان بتسجيل ومقارنة هذه المفاوضات، بمفاوضات مولان، ويحضران المفاوضات الحقيقية إذا سمحت هذه اللقاءات بذلك

3) - هذا اللقاء يجب أن ينعقد في " برن " في حوالي 20 فيفري، ويجب أن تتم المحادثات في السرية التامة.

4) – إذا كانت المفاوضات على مستوى الوزراء سوف تكون علنية مثل مفاوضات مولان.

ونعتقد بأن هذا المسار لا يحرجنا.

الإخوة يجب أن يسمحوا لمحاوريهم بالمجيء، وطرح عليهم الأسئلة التي يرونها مفيدة، ويتركــون للحكومــة المؤقتة في اجتماعها المقبل سلطة أخذ القرار بالرد على هذا اللقاء الأول.

في هذه الظروف يجب أن نؤكد تصميمنا لهؤلاء الرجال الذين يعرفون ماذا يريدون وإلى أين يذهبون، ويجب أن يقتنع الخصم بأننا قد أغلقنا الباب لعدد من الحلول الخاطئة وحوار الطرشان.

ليس لدينا الوقت لإضاعته مثل ما حدث في مفاوضات مولان.

أخويا

رئيس المجلس: فرحات عباس

ملاحظة: أرسل هذه المذكرة يوم 9 فيفري 1961 من أسبانيا بعد سفره إليها بتاريخ 19 جانفي 1961.

(ترجمة صاحب البحث)

ملحق رقم: 06

الجمهورية الجزائرية   القوات 29 جوان 1962

ج. ت. و – ج. ت. و (جيش)

قيادة الأركان العامة

رقم: E.M.G /4.651

إلى الأخ عباس،

عشية دخولك إلى الجزائر، تمنيت لو التقينا من أجل دراسة القضية. كنت سآخذ طريق الكاف، ولكن حدثت مشاكل غير منتظرة منعتني من ترك منصبي. آسف جدا وأطلب منك العذر.

يجب علي الآن، في الوقت الذي تستعد فيه للعودة إلى أرض الوطن، أن أذكرك إذا كان ذلك ضروريا، شعبنا تنقصه المعلومات الصادقة، وكم كان مخدوعا، وكم أصبح العمل الضخم للتوضيح عاجلا. وجودك في الجزائر سيستقبل بحرارة، وأنا متأكد من ذلك، وذلك من قبل كل شعبنا الذي يعترف لهؤلاء الذين ضحوا من أجل حريته وزاول فقره، وسيطلب منك الشعب كباقي كل المسؤولين توضيحات. واجبنا توضيح عطشه للمعرفة، ضروريات الحرب منعتنا من ذلك إلى يومنا هذا.

أطلب منك أن تبقى على اتصال دائم بنا بواسطة أخينا قائد الولاية، وزيادة على ذلك لا أشك بأنك سوف ترفع من سلطة وسمعة هذه الولاية أغتنم هذه الفرصة التي أكتب فيها لك لأعلمك بالوضعية الغامضة التي تسود قسنطينة، عناصر غير واعية، وموجهة يقومون بحملة دعاية يتهمونك بأنك حليف ابن بلة، وقيادة الأركان العامة طمعا في السلطة، وهذا متبوع باغتياب وأكاذيب تهدف إلى مغالطة الشعب عن قصد، ومن هنا ضرورة القيام بحملة شرح ومضاعفة الاتصالات مع العناصر النظيفة للوطن.

أذكرك بالاتصالات الممكنة لك مع الإخوة في قسنطينة وهي ذات فائدة ومثمرة لنا لكي نلح على قضية الرائد سليمان، لتوضيح الطرق الخطيرة والدنيئة والغير مشرفة للوطن.

أنهي رسالتي بتمنياتي لك بعودة ميمونة لأرض الوطن بأن الشعب سيتقبل ذلك كخطوة ملموسة نحو إعادة كرامته.

أخويا

قيادة الأركان العامة لجيش التحرير الوطني

التوقيع: بومدين

(ترجمة صاحب البحث)

ملحق رقم: 07

الجزائر في 13 أوث 1963

إلى السيدات والسادة النواب.

أعضاء المجلس الوطني التأسيسي.

الجزائر

أعزائي الزملاء،

بسبب الخلاف في وجهات النظر حول الطريقة التنظيمية النهائية للسلطات العمومية في الجزائر، ورفضي الأساسي لطبيعة هذه السلطات. لي الشرف، والأسف لأقدم لكم استقالتي من رئاسة لمجلسكم.

أشكركم مرة أخرى، على الثقة التي وضعتموها في، وقد حاولت استحقاقها. أرجو منكم أعزائي الزملاء قبول تحياتي الصادقة والأخوية.

التوقيع: فرحات عباس

(ترجمة صاحب البحث)

ملحق رقم: 08

نداء إلى الشعب الجزائري

توجد الجزائر في أقل من 14 سنة للمرة الثانية في صراع مع الشعب المغربي الشقيق. بعض جنودنا، وأبنائنا أسرى، وبعضهم جرحى، وآخرون قتلوا، وذلك بدون أخذ شعبنا مسؤولية في ذلك.

موتانا، وموتى المغاربة، والمعاملة السيئة لأشقائنا المغاربة المطرودين من الجزائر، ومأساة واضطراب السكان الرحل للساقية الحمراء ووادي الذهب، كل ذلك يبين بوضوح بأن هذا الصراع قد حقق نتائجه الكارثية.

غدا، هذا الصراع ممكن أن يتعمم ويدخل كل إفريقيا الشمالية في حمام من دم.

الكراهية التي يسببها سوف تعرض اتحاد المغرب العربي الإسلامي للمجازفة، تمنيات شعوبنا تأسيس ازدهارنا ورفاهيتنا.

لا للحرب !

نوجه نداء إلى المسؤولين الجزائريين و المسؤولين المغاربة في جميع مستويات، لكي لا يبقى بلدينا كجندي بسيط على الساحة الدولية.

لا للحرب !

باسم الأخوة الإسلامية، والتضامن الإنساني.

الحروب العصرية لا تستطيع أن تهدم في يوم واحد عمل أجيال متعددة، وهي لم تعد حلولا ملائمة لمشاكلنا، اللجوء إلى الحرب هو بمثابة اللجوء إلى الانتحار الجماعي، وتصبح إفريقيا الشمالية مكانا للقوتين العظميين على حساب مصالحنا والسلم في العالم.

الصورة التي أخذناها عن الشعب الأنغولي بين مؤيد لروسيا، و مؤيد للولايات المتحدة الأمريكية، هذه الصورة يجب أن تحثنا على التفكير.

سنضيع استقرارنا الوطني وسننفصل عن حركة عدم الانحياز التي هي مفتاح لسياستنا الدولية منذ أكثر من 20 سنة.

الشعبان المغربي والجزائري، وحَّدهما الكفاح من أجل الاستقلال، وهما لا يستطيعان التنازل إلى سياسة أسوأ، لأكثر من سبع سنوات قدم لنا تونس والمغرب دعما دائما وثابتا وإيجابيا.

عدم الاعتراف بالخير هي ميزة الشعوب الضعيفة.

الشعب الجزائري قوي جدا من أجل رد الخير، ويؤكد تضامنه المغاربي.

لنبق موضوعيين وواقعيين، بالتأكيد نحن أقوياء من أجل المحافظة على سيادتنا الوطنية، ووحدة ترابنا، ولكن هناك قضايا في انتظارنا وهي ليست أقل شأنا.

عدم وجود مؤسسات، الدولة الجزائرية غير موجودة، يجب أن نكوّنها.

الجزائر ليس لها دستور، ولا قوانين، إنها تعيش في المؤقت، حان الوقت لوضع حد لذلك.

إن الانقلاب العسكري لـ 19 جوان 1965 يجب أن يمنح شعبنا سيادته الكاملة.

الانقلابيون نددوا بالحكم الفردي وذلك من خلال تصريحهم التالي: " السلطة الفردية مازلت تمارس إلى يومنا هذا، إن كل المؤسسات الوطنية، والجهوية للحزب والدولة تحت رحمة رجل واحد، يعمل حسب هواه، ويلغي حسب طريقة غير نظيفة، ارتجالي، الهيئات القيادية تفرض التوجه والرجال حسب مزاجه، و نزواته. "

للأسف، هذا الانقلاب لم يصحح شيئا، عبادة الشخص دائما مازالت سائدة.

السلطة الفردية تمارس بدون رقابة، وتتصرف في مصير شعبنا، وتفرض على أبنائنا نظاما تربويا من اختيار تلك السلطة.

يخضعنا إلى إيديولوجية هي عدوة للقيم الأخلاقية والروحية للإسلام، هذا الإسلام الذي ضحى من أجله مليون ونصف مليون شهيد.

هو وحده الذي يقرر الحرب أو السلم، والشعب لم يستشر في ذلك أبدا، وحتى المسؤولين الذين معه بما فيهم أعضاء مجلس الثورة.

نظام كهذا في عصرنا الحالي، هو خارج التاريخ.

إن الحل لمشاكلنا الداخلية والخارجية يجب أن يمر على السيادة الشعبية.

الأمر لا يتعلق بفرض ميثاق وطني، كما يخطط له رئيس مجلس الثورة، لكي يؤسس سلطته. طريق واحد يبقى مفتوحا لتكوين هذا الميثاق:

حوار عمومي على المستوى الوطني لتأسيس جمعية وطنية تأسيسية، ذات سيادة، وذلك بدون الإساءة إلى الاختيار الاشتراكي للوطن، وفي إطار هذه الجمعية التي سيختار الشعب ممثليها لكل حرية، يمكنها ترجمة التطلعات الشرعية للأمة.

كل ميثاق يتم إصداره في الغرف الصغيرة للسلطة هو ملغى، وغير شرعي.

أيها الجزائريون، أيتها الجزائريات،

نظام الاحتلال الذي ناضلنا ضده أهاننا وحرمنا من ممارسة السيادة الوطنية، ووجهنا إلى مشاكل التغذية و الاقتصاد.

منذ استقلالنا، نظام السلطة الفردية قادنا تدريجيا إلى نفس وضعية الرعايا بدون حرية ولا كرامة.

هذا الخضوع هو شتم لطبيعة الإنسان، والجزائري بصفة خاصة وهي مساس بشخصيته.

لهذا السبب، رجال مناضلون، ولهم إرادة حسنة التقوا من أجل التنديد بهذه الوضعية، ووضع حد للإهانة التي نتعرض لها.

وإنهم يدعون الشعب الجزائري للنضال من أجل:

5. العمل من أجل انتخاب شعبي حر لجمعية وطنية تأسيسية ذات سيادة.
6. وضع حد للنظام الشمولي الحالي، والمطالبة بوضع حدود شرعية ضد كل التجاوزات من هذا النوع.
7. تأسيس حرية التعبير، والمعتقد اللذان حارب الشعب الجزائري كثيرا من أجلهما.
8. العمل من أجل مغرب عربي موحد وإسلامي أخوي.

الجزائر مارس 1976

الموقعون:

فرحات عباس: رئيس سابق للحكومة المؤقتة

الشيخ محمد خير الدين: عضو سابق في المجلس الوطني للثورة الجزائرية

بن يوسف بن خدة: رئيس سابق للحكومة المؤقتة

حسين لحول: أمين عام سابق لحزب الشعب الجزائري، والحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية، وممثل سابق لجبهة التحرير الوطني في الخارج

(ترجمة صاحب البحث)

ببليوغرافيا البحث

أولا: المصادر الأساسية:

أ) الكتب الفرنسية:

1) Abbas (Ferhat), Le jeune algérien, édition, Garnier, paris, 1981

2) Abbas (Ferhat), guerre et révolution d'Algérie, La nuit coloniale, édition, Julliard, Paris, 1962

3) Abbas (Ferhat), autopsie d'une guerre l'aurore, édition, Garnier, France.1980

4) Abbas (Ferhat), L'indépendance confisquée, édition, Garnier, France, 1984

5) Abbas (Ferhat), Rapport du 2me Congrès National de l' UDMA Tlemcen les 16.17. et 18 Septembre 1949, Le régime colonial est la négation de la justice et de la civilisation, édition, libération, Alger, 1949

6) Abbas (Ferhat), Regards sur le présent et l' avenir de l' Algérie, rapport présenté par Ferhat Abbas au 1er congrès de l' « U.D.M.A » édition, libération, Alger, 1948

7) Abbas (Ferhat),(brochure)Pourquoi créons-nous l'union populaire Algérienne ? Alger, 1938

8) Anonyme, du Manifeste à la république Algérienne, édition, libération, Alger, 1948

ثانيا: المصادر الثانوية

أ) الكتب العربية:

1) ابن خدة (بن يوسف)، نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان، تعريب لحسن زغدار، و محـــل العـــين جبائلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986

2) ابن نبي (مالك)، مذكرات شاهد القرن، ط 2، دار الفكر، دمشق، 1984

3) الأشرف (مصطفى)، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983

4) توفيق المدني (أحمد)، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956
5) كافي (علي)، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائـــد العســـكري 1946-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999
6) مهساس (أحمد)، الحركة الثورية في الجزائر، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مســـعود مسعود، ومحمد عباس، دار القصبة، الجزائر، 2003
7) نايت بلقاسم (مولود قاسم) ، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة أول نوفمبر أو بعض مـــآثر فـــاتح نوفمبر، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1984
8) نزار (خالد) ، مذكرات اللواء خالد نزار، منشورات الخبر، دار النشر الشهاب، باتنة، 1999

ب) الكتب الفرنسية:

1) Ali Haroun, L'été de la discorde Algérie 1962, édition, Casbah, Alger, 2000

2) Benhabiles (Chérif), l'Algérie Française vu par un indigène, imprimerie orientale, Fontana frères, Alger, 1914

3) Benkhedda (Benyoucef), L'Algérie à l'indépendance – la crise de 1962, édition, Dahleb, Alger, 1997

4) Benkhedda Benyoucef, les origines du 1er novembre 1954, édition, Dahleb, Alger, 1989

5) Depont (Octave), L'Algérie du centenaire, édition, Cadoret, France, 1928

6) Guenaneche (Mohamed), Le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres(1919-1939) traduit de l'arabe par sid Ahmed Bouali, édition, E.N.L et O.P.U, Alger, 1990

7) Gustave (Mercier), Le centenaire de l'Algérie, t, 2, édition, P et G Soubiron, Alger, 1931

8) Harbi (Mohamed), le F.L.N, mirage et réalité, édition, Jeune Afrique, Paris, 1980

9) Jean (Lacouture), cinq hommes et la France, édition, Seuil, Paris, 1961

10) Malek (Rédha), L'Algérie à Evian, histoire des négociations secrètes 1956, 1962, édition, A.N.E.P, Alger, 2001

11) Naron (Amar), Ferhat Abbas, oŭ les chemins de la souveraineté, édition, Donoel, France, 1961

12) Soustelle (Jacques), Aimée et souffrante Algérie, édition, Plon, Paris, 1956

13) Viollette (Maurice), l'Algérie vivra-t-elle ? édition, libraire Félix Alcan, Paris, 1931

ثالثا: المراجع:

أ) الكتب العربية:

1) أبو القاسم (سعد الله)، أبحاث وآراء في الحركة الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978

2)أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج 2، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1983

3)أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج 3 ، ط 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986

4) بوعزيز (يحي)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987

5) جغلول (عبد القادر) ، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية، ط 3، دار الحداثة وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1980

6) جوليان (شارل أندري)، إفريقيا الشمالية تسير، (القوميات الإسلامية، والسيادة الفرنسية)، ترجمة المنجلي سليم، وآخرون، طبعة، الدار التونسية للنشر، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس 1976

7) الخطيب (أحمد)، حزب الشعب الجزائري، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986

8) الدقاق (عمر)، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشروق العربي، بيروت، بدون تاريخ

9) شارل روبير (أجيرون)، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982

10) صاري (الجلالي) ، قدا ش (محفوظ)، المقاومة السياسية 1900-1954 ، الطريق الإصـــلاحي والطريـــق الثوري، ترجمة، عبد القادر بن حرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987

11) عباد (صالح)، الجزائر بين فرنسا و المستوطنين 1830-1930، ديوان المطبوعات الجامعيـــة، قســـنطينة، 1999

12) عبد القادر (حميد)، فرحات عباس، رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001

13) العسلي (بسام)، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ط 2،دار النفائس، ، بيروت، 1986

14) كواندت (وليم. ب)، الثورة والقيادة السياسية في الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات والأبحـــاث العسكرية، دمشق، 1981

15) لونيسي (رابح)، فرحات عباس المعترف بالحقِّ، دار المعرفة، الجزائر، بدون تاريخ

16) لونيسي (رابح)، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين، دار المعرفة، الجزائر، 1999

17) الميثاق الوطني 1976

18) نوشي (أندري) وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي رابح، ومنصف عاشـــور، ديـــوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984

19) هلال (عمار)، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995

ب) الكتب الفرنسية:

1) Ageron (Charles -Robert), politiques coloniales au Maghreb, édition, p. u.f. Paris, 1972

2) Alleg (Henri), la guerre d'Algérie, T 1, 2 et 3 , édition, Messidor, temps actuels France, 1981

3) Berque (Jacques), Le Maghreb entre deux guerres, édition, Seuil, Paris, 1962

4) Bourdieu (Pierre), sociologie de l' Algérie, édition, p, u, f, Paris, 1980

5) callot (Claude) – Jean Robert Henry, le mouvement national Algérien textes 1912-1954 édition, l' harmattan, Paris, 1978

6) Eveno (Patrick) et Jean Planchais, la guerre d'Algérie, édition, Laphomic, Alger, 1990

7) Francis et Colette Jeanson, L'Algérie hors la loi, édition, E.N.A.G, Alger, 1993

8) Goldzeiguer (Annie Rey), aux origines de la guerre d’Algérie 1940-1945, édition, Gasbah, Alger, 2003

9) Harbi (Mohammed), Une vie debout, Mémoire politique, T 1 : 1954 - 1962, édition, Casbah, Alger, 2001

10) Horne (Alistaire), histoire de la guerre d'Algérie, édition, Albin Michel, Paris, 1980

11) merad (Ali), les Réformistes musulmans en Algérie de 1925 à1940, édition, mouton et co la haye, Paris, 1967

12) Meynier (Gilbert), histoire intérieure du F.L.N 1954-1962, édition, Gasbah, Alger, 2003

13) Mimouni (Abdelkader), Le Manifeste Algérien dans la presse Française, 2eme édition, Mimouni Alger, 1991

14) Noushi (André), La naissance du nationalisme Algérien, 1914-1954, édition, de minuit, Paris, 1962

15) Pervillé (Guy), les étudiants algériens de l’université française 1880 -1962 édition casbah, Alger, 1997

16) Sarrasin (Paul Emile), La crise Algérienne, édition, du Cerf, Paris, 1949

17) Stora (Benjamin), Zakya Daoud, Ferhat Abbas une autre Algérie, édition, Casbah, 1995

18) Vatin (Jean Claude), l’Algérie politique histoire et société, édition, Armand Colin et Fondation nationale de la science politique, Paris, 1974

رابعا: المعاجم

1)Dictionnaire, Langue, Encyclopédie, Noms propres, édition, spadem-adagp, Paris, 1980

خامسا: محفوظات مصلحة الوثائق في ولاية قسنطينة

1) Abbas (Ferhat), archives privées saisies en mai 1945, I. R, boite N° 13, A.W.C
2) Lettre de Abbas (Ferhat), à Mr : le président de la, F.E.M, de Constantine, (documents inédits du mouvement national)N° 12, novembre 1981, A.W.C

3) Lettre de Abbas (Ferhat) à monsieur le Dr Tamzali Président de la section Kabyle des Délégations Financière le 09 décembre 1943,(document inédits du mouvement national)N° 12, novembre 1981 A.W.C.

4) Lettre de Abbas (Ferhat), à Monsieur le Président des délégations Financières, le 15 décembre 1943(document inédits du mouvement national) , N° 12, novembre 1981, A.W.C.

سادسا: الدوريات:

أ) الدوريات العربية

1) مجلة الثقافة، عدد 14 سبتمبر، أكتوبر 1984، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984

2) مجلة الشهاب، أفريل 1936

3) مجلة الشهاب، جويلية 1936

4) مجلة الشهاب، أكتوبر 1936

5) جريدة النجاح، عدد 1948، 17 جانفي 1937

ب) الدوريات الفرنسية

1) L'entente franco - musulmane, N° 18 du 09 janvier 1936

2) L'entente franco - musulmane, N° 20 du 20 janvier 1936

3) L'entente franco - musulmane, Nº 23 du 20 février 1936

4) L'entente franco - musulmane, Nº 24 du 27 février 1936

5) L'entente franco - musulmane, Nº 30 du 11Juin 1936

6) L'entente franco - musulmane, N° 31 du 29 Avril 1937

7) L'entente Franco - musulmane, Nº 32 du 15 Mai 1937

8) L'entente franco - musulmane, Nº 33 du 12 août 1937

9) L'entente franco - musulmane, Nº 35 du 26 août 1937

10) L'entente franco - musulmane, N° 36 du 02septembre 193

11) L’entente franco - musulmane, Nº 38 du 16 Septembre 1937

12) L’entente franco - musulmane, N° 39 du 23 septembre 1937

13) L’entente franco - musulmane, N° 40 du 7 octobre 1937

14) L’entente franco - musulmane, N° 127 du 4 septembre1939

15) La république Algérienne, N ° 464 du 12 novembre 1954

16) La défense, N° 88 du 03 Janvier 1936

17) El Moudjahid, du 29 mai 1958

18) Revue d’histoire Maghrébine, Tunis, N°4 du juillet 1975

19) Revue d’histoire Maghrébine, Tunis, N° 95-96 Mai 1999

20) Revue Française d’histoire d’outre mer, T L XXXI, France, N° 303, 1994

21) Procès – Verbaux des Délibérations du Conseil Général de Département de Constantine, Session D’avril 1947, T 2, édition, Imp. P Braham, Constantine, 1947

سابعا: الرسائل الجامعية:

أ) بالعربية

1) بوصفصاف (عبد الكريم)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945 (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996

ب) بالفرنسية:

1) Ageron (Charles Robert), les Algériens musulmans et la France : 1871 – 1919, T2, édition, p.u.f. Paris 1968

2) Kaddache (Mahfoud), Histoire du nationalisme Algérien 1919-1951, T 1, et T 2, 2eme édition, S.N.E.D. Alger, 1981

3) Jacques Bouveresse, Les délégations financières Algériennes 1898 -1945, T 2, édition, université de Nancy Π, France, 1979 (Thèse non éditée)

ثامنا: الأقراص المضغوطة:

1) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003

2) Cédérom, La guerre d ’ Algérie (V2.0 Française)

تاسعا: مواقع الإنترنت:

1) www.menustory.com
2) www.pieds-noirs.org
3) www.herodote.net

فهارس المذكرة

أ). فهرس الأسماء والأعلام

- أ -

-ب-

-د-

-ر-

-ز-

-ك-

-م-

-ق-

-ل-

ب). فهرس أسماء البلدان، والمدن، والأماكن

محتوى البحث